

# أُظْهِرُ الْحَقَّ

الجزء الثاني

تأليف  
رحمة الله بن خليل الرحمن الهندي

دار الجليل  
بيروت

جميع الحقوق محفوظة لدار الجليل

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### الفصل الثاني

#### في إبطال التثليث بأقوال المسيح عليه السلام

**القول الأول :** في الآية الثالثة من الباب السابع عشر من انجيل يوحنا، قول عيسى عليه السلام في خطاب الله هكذا : « وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته ». فبين عيسى عليه السلام أن الحياة الأبدية عبارة عن أن يعرف الناس أن الله واحد حقيقي، وأن عيسى عليه السلام رسوله. وما قال<sup>(١)</sup> أن الحياة الأبدية أن يعرفوا أن ذاتك ثلاثة أقانيم ممنازة بامتياز حقيقي، وأن عيسى إنسان وإله، أو أن عيسى إله مجسم. ولما كان هذا القول في خطاب الله في الدعاء، فلا احتمال ههنا للخوف من اليهود. فلو كان اعتقاد التثليث مدار الحجة، لبينه. وإذا ثبت أن الحياة الأبدية اعتقاد التوحيد الحقيقي لله واعتقاد الرسالة للمسيح، فضدهما يكون موتاً أبدياً وضلالاً بيئاً البتة. والتوحيد الحقيقي ضد التثليث الحقيقي، كما عرفت مفصلاً في الفصل الأول. وكون المسيح رسولاً ضد لكونه إلهاً، لأن التغاير بين المرسل والمرسل ضروري. وهذه الحياة الأبدية توجد في أهل الإسلام بفضل الله، وأما غيرهم فالمجوس ومشركو الهند والصين محرومون

(١) ما : الثانية. ينفي عن خطاب الله أن الحياة...

منها لانتفاء الاعتقادين فيهم. وأهل التثليث من المسيحيين محرومون منها لانتفاء الاعتقاد الأول. واليهود كافة محرومون منها لانتفاء الاعتقاد الثاني.

**القول الثاني :** في الباب الثاني عشر من انجيل مرقس هكذا : ٢٨ ف جاء واحد من الكتبة وسمعهم يتحاورون، فلما رأى أنه أجابهم حسنا سأله أية وصية هي أول الكل ؟ ٢٩ فأجابه يسوع أن أول كل الوصايا اسمع يا إسرائيل الرب الهنا رب واحد ٣٠ وتحب الرب الهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك هذه هي الوصية الأولى ٣١ وثانية مثلها هي أن تحب قريبك كنفسك ليس وصية أخرى أعظم من هاتين ٣٢ فقال له الكاتب جيداً يا معلم بالحق قلت لأنه — أي الله — واحد وليس آخر سواء ٣٣ ومحبه من كل القلب ومن كل الفهم ومن كل النفس ومن كل القدره ومحبة القريب كالنفس هي أفضل من جميع المحرقات والذبائح ٣٤ فلما رآه يسوع أنه أجاب بعقل قال له لست بعيداً عن ملكوت الله . وفي الباب الثاني والعشرين من انجيل متى، في قوله عليه السلام بعد بيان الحكمين المذكورين هكذا : « بهاتين الوصيتين يتعلق التاموس والأنبياء ». فعلم أن أول الوصايا، الذي هو مصرح به في التوراة وفي جميع كتب الأنبياء وهو الحق وهو سبب قرب الملكوت، أن يعتقد أن الله واحد ولا إله غيره. ولو كان اعتقاد التثليث مدار النجاة لكان مبيّناً في التوراة وجميع كتب الأنبياء، لأنه أول الوصايا، ولقال عيسى عليه السلام : أول الوصايا الرب واحد ذو أقانيم ثلاثة ممتازة بامتياز حقيقي. لكنه لم يُبين في كتاب من كتب الأنبياء صراحة، ولم يقل عيسى عليه السلام هكذا، فلم يكن مدار النجاة. فثبت أن مدارها هو اعتقاد التوحيد الحقيقي، لا اعتقاد التثليث. وهوسات التثليثيين باستبطاه من بعض كتب الأنبياء لا يتم على المخالف، لأن هذا الاستبطاء خفي جداً مردود بمقابلة النص. وغرض المخالف هذا أن اعتقاد التثليث لو كان له دخل ما في النجاة لبيته الأنبياء الإسرائيلية بيانا واضحاً، كما بينوا التوحيد في الباب الرابع من كتاب الاستثناء : ٣٥ لتعلم أن الرب هو الله وليس غيره ٣٩ فاعلم اليوم واقبل بقلبك أن الرب هو الإله في السماء من فوق وعلى الأرض من تحت وليس غيره . وفي الباب السادس من السفر المذكور : ٤٥ اسمع يا إسرائيل



أن الرب الهنا فانه رب واحد ٥ حب الرب الهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قوتك ٥. وفي الباب الخامس والأربعين من كتاب اشعيا : ٥ أنا هو الرب وليس غيري وليس دوني إله شددتك ولم تعرفني ٦ ليعلم الذين هم من مشرق الشمس والذين هم من المغرب أنه ليس غيري أنا الرب وليس آخر ٥. فالواجب على أهل المشرق والمغرب أن يعلموا أن لا إله إلا الله وحده، لا أن يعلموا أن الله ثالث ثلاثة. وفي الآية التاسعة من الباب السادس والأربعين من كتاب اشعيا: ٥ إني أنا الله وليس غيري إلهاً وليس لي شبه ٥<sup>(١)</sup>.

**القول الثالث :** في الآية الثانية والثلاثين من الباب الثالث عشر من انجيل مرقس قول المسيح عليه السلام هكذا : ٥ وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا الملائكة الذين في السماء ولا الابن إلا الآب ٥. وهذا القول ينادي على بطلان التثليث، لأن المسيح عليه السلام خصص علم القيامة بالله ونفى عن نفسه، كما نفى عن عباد الله الآخرين، وسوى بينه وبينهم في هذا. ولا يمكن هذا في صورة كونه إلهاً. سيما إذا لاحظنا أن الكلمة وأقنوم الابن عبارتان عن علم الله وفرضنا اتحادهما بالمسيح وأخذنا هذا الاتحاد على مذهب القائلين بالحلول أو على مذهب اليعقوبية القائلين بالانقلاب، فانه يقتضي أن يكون الأمر بالعكس، ولا أقل من أن يعلم الابن كما يعلم الأب. ولما لم يكن العلم من صفات الجسد، فلا يجري فيه عذرهم المشهور أنه نفى عن نفسه باعتبار جسميته، فظهر أنه ليس إلهاً باعتبار الجسمية ولا باعتبار غيرها.

**القول الرابع :** في الباب العشرين من انجيل متى هكذا : ٥ تقدمت إليه أم ابني زبدي مع ابنيها وسجدت وطلبت منه شيئاً ٢١ فقال لها : ماذا تريدان ؟ قالت له : أن يجلس ابناي هذان واحد عن يمينك والآخر عن اليسار في

(١) حُرّف صاحب الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١١ قول المسيح عليه السلام بنيدل ضمير المتكلم بضمير الخطاب وترجم هكذا (الرب الهك اله واحد). وضع بهذا التحريف المقصود الأعظم، لأن ضمير المتكلم هنا دالٌّ على أن عيسى ليس برب بل عبد مروب بخلاف ضمير الخطاب، والظاهر أن هذا التحريف قصدي.

ملكوتك ٢٢ فأجاب يسوع الخ ٢٣ الجلوس عن يميني وعن يساري فليس لي أن أعطيه إلا للذين أُعِدُّ لهم من أبي ». انتهى ملخصاً. فنفى عيسى عليه السلام ههنا عن نفسه القدرة وخصصها بالله، كما نفى عن نفسه علم الساعة وخصصه بالله، ولو كان الها لما صحح هذا.

**القول الخامس :** في الباب التاسع عشر من انجيل متى هكذا : « ١٦ وإذا واحد تقدم وقال له أيها المعلم الصالح، أي صلاح أعمل لتكون لي الحياة الأبدية ؟ » فقال له : لماذا تدعوني صالحاً، ليس أحد صالحاً إلا واحد وهو الله ». فهذا القول يقلع أصل التثليث، وما رضي تواضعاً أن يطلق عليه لفظ الصالح. أيضاً ولو كان الها لما كان لقوله معنى، ولكان عليه أن يبين لا صالح إلا الأب وأنا وروح القدس، ولم يؤخر البيان عن وقت الحاجة. وإذا لم يرض بقوله الصالح، فكيف يرضى بأقوال أهل التثليث التي يتفوهون بها في أوقات صلاتهم يا ربنا والها يسوع المسيح لا تضيع من خلقت يديك ؟ حاشا جناحه أن يرضى بها.

**القول السادس :** في الباب السابع والعشرين من انجيل متى هكذا : « ٤٦ ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً : ايلي ايلي لما شقيتني ؟ أي إلهي إلهي لماذا تركتني ؟ » ٥٠ فصرخ يسوع أيضاً بصوت عظيم وأسلم الروح ». وفي الآية السادسة والأربعين من الباب الثالث والعشرين من انجيل لوقا هكذا : « ونادى يسوع بصوت عظيم وقال : يا أبتاه في يديك أستودع روحي ». وهذا القول ينفي ألوهية المسيح رأساً، سيما على مذهب القائلين بالحلول أو الانقلاب، لأنه لو كان إلهاً لما استعانت باله آخر بأن قال إلهي إلهي لماذا تركتني، ولما قال يا أبتاه في يديك أستودع روحي، ولا منع العجز والموت عليه. الآية الثامنة والعشرون من الباب الأربعين من كتاب اشعيا هكذا : « أما عرفت أو ما سمعت إله سمرمدى الرب الذي خلق أطراف الأرض، لن يضعف ولن يتعب وليس فحصاً عن حكمته ». والآية السادسة من الباب الرابع والأربعين من الكتاب المذكور هكذا : « هكذا يقول الرب ملك اسرائيل وفاديه رب الجنود : أنا الأول وأنا الآخر وليس إله غيري ». والآية

العاشرة من الباب العاشر من كتاب ارمياء هكذا : « أما الرب هو اله حق هو  
 اله حي وملك سرمدي » الخ. وفي الآية الثانية عشر من الباب الأول من  
 كتاب حبقوق هكذا : « يا رب اله قدوسي ولا تموت ». وفي الآية السابعة  
 عشر من الباب الأول من الرسالة الأولى الى تيموثاوس هكذا : « وملك  
 الدهور الذي لا يفنى لا يرى الإله الحكيم وحده ». فكيف يعجز ويموت  
 الذي هو إله سرمدي بريء من الضعف والتعب، حي قدوس لا يموت ولا إله  
 غيره ؟ أيكون الفاني العاجز إلهاً ؟ حاشا وكلا. بل الإله الحقيقي هو الذي  
 كان عيسى عليه السلام يستغيث به في هذا الوقت على زعمهم والعجب أنهم  
 لا يكتفون بموت الإله، بل يعتقدون أنه بعدما مات دخل جهنم أيضاً. نقل  
 جواد بن ساباط هذه العقيدة من كتاب الصلاة المطبوع سنة ١٥٠٦ هكذا :  
 « كما أن المسيح مات لأجلنا ودفن، فكذا لا بد أن نعتقد أنه دخل جهنم ».  
 انتهى. وفيلس كوادنولس الراهب كتب في رد رسالة أحمد الشريف بن زين  
 العابدين الاصفهاني كتاباً بلسان العرب سماه بخيالات فيليس، وطبع هذا  
 الكتاب سنة ١٦٦٩ في الرومية الكبرى في بسلوقيت - وحصلت لي بطريق  
 العارية نسخة قديمة من هذا الكتاب من كتبخانة انكليز في بلدة دهلي -  
 فكتب الراهب المسطور في كتابه المذكور هكذا : « الذي تألم لخلاصنا  
 وهبط الى الجحيم تم في اليوم الثالث قام من بين الأموات ». انتهى. وفي  
 برنر بوك في بيان عقيدة انتهايش التي تؤمن بها المسيحيون لفظ ( هل )<sup>(١)</sup>  
 موجود ومعناه الجحيم. وقال جواد بن ساباط ان القسيس مارطيروس قال لي  
 في توجيه هذه العقيدة ان المسيح لما قبل الجسم الإنساني، فلا بد عليه أن  
 يتحمل جميع العوارض الإنسانية، فدخل جهنم وعذب أيضاً، ولما خرج من  
 جهنم أخرج منها كل من كان معذباً فيها قبل دخوله. فسألته هل لهذه العقيدة  
 دليل نقلي ؟ قال انها غير محتاجة الى الدليل. فقال رجل مسيحي من أهل  
 ذلك المحفل على وجه الظرافة : إن الأب كان قاسي القلب، وإلا لما ترك  
 الابن في الجحيم. فغضب القسيس وطرده من المحفل، فجاء هذا الرجل

(١) أي : الجحيم. وهي لفظة انكليزية Hell.

عندي وأسلم، لكن أخذ العهد مني أن لا أظهر حال إسلامه ما دام حيا. ودخل يوسف رلف في بلدة لكهنو سنة ١٢٤٨ من الهجرة سنة ١٨٣٣ من الميلاد وكان من القسيسين المشهورين، وكان يدعى الإلهام لنفسه، وكان يدعى أن نزول المسيح يكون في سنة ١٨٤٧ من الميلاد. وقعت المناظرة فيما بينه وبين مجتهد الشيعة تحريراً وتقريراً في هذا الباب. فسأله مجتهد الشيعة عن هذه العقيدة أيضاً، فقال : نعم دخل المسيح الجحيم وعُذِّب لكن لا بأس فيه، لأن هذا الدخول كان لنجاة أمته. وبعض فرقههم يعتقدونها بأشنع حالة. قال بل في تاريخه في بيان فرقة مارسيوني : « هذه الفرقة كانت تعتقد أن عيسى عليه السلام بعدما مات دخل جهنم ونجى أرواح قابيل وأهل سدوم لأنهم حضروا عنده وكانوا غير مطيعين لإله خالق الشر، وأبقى أرواح هابيل وتوح وإبراهيم والصلحاء الآخرين من القدماء في جهنم لأنهم خالفوا الفرقة الأولى — وهذه الفرقة كانت تعتقد أن خالق العالم ليس منحصراً في الإله الذي أرسل عيسى، ولذلك ما كانت تسلم كون كتب العهد العتيق الهامية — انتهى. فكانت عقيدة هذه الفرقة مشتملة على أمور : ١/ جميع الأرواح سواء كانت أرواح الأنبياء والصلحاء أو الأشقياء كانت معذبة في جهنم قبل دخول عيسى عليه السلام. ٢/ ان عيسى عليه السلام دخل جهنم. ٣/ ان عيسى عليه السلام نجى أرواح الأشقياء من العذاب وأبقى أرواح الأنبياء والصلحاء فيه ٤/ أن هؤلاء الصلحاء مخالفون لعيسى والأشقياء موافقون له ٥/ أن خالق العالم إلهان : خالق الخير وخالق الشر. وعيسى عليه السلام رسول الأول، والأنبياء الآخرون المشهورون رسل الثاني ٦/ كتب العهد العتيق ليست الهامية. وقال صاحب ميزان الحق في كتابه المسمى بحل الاشكال في جواب كشف الاستار هكذا : « الحق أنه توجد في العقيدة المسيحية أن المسيح دخل جهنم وقام في اليوم الثالث وعُرج الى السماء ولكن المراد ههنا من جهنم هاوس<sup>(١)</sup> وهو موضع ما بين جهنم والفلك الأصلي، والمعنى أنه دخل هاوس ليرى أهله جلالته وينبئهم على أي مالك

(١) House رسماً نقل المؤلف اللفظة من الانكليزية كما هي.

الحياة وأنا أعطيت كفارة الذنوب بالموت الصليبي وجعلت الشيطان وجهنم مغلوبين وللمؤمنين كالمعدومين ». انتهى ملخصاً.

أقول أولاً، ثبت من ظاهر كتاب الصلاة وكلام فيلبس كوادلوس، وثبت صراحة من إقرار مارطيروس ويوسف ولف، ومن عقيدة اتھاني سيش أن جهنم على معناه واعترف هو أيضاً أنه يوجد هذا في العقيدة. ثم أول فتاويله بدون الدليل لا يقبل، ولا بدّ عليه أن يثبت من كتبه أن ما بين جهنم والفلك الأصلي مكان يسمى بهائوس، ثم يثبت من هذه الكتب أن دخول المسيح في جهنم كان لأجل الإراءة والتنبيه المذكورين. على أنه لا وجود للافلاك عند حكماء أوروبا علماء يروستست من المتأخرين يتابعونهم في هذا الرأي، فكيف يصحح هذا التوجيه على زعمهم ؟ ثم أقول ثانياً، إن هذا الهائوس محل السرور والثواب أو محل المحن والعقاب. فإن كان الأول، فلا حاجة الى تنبيه أهله لأنهم كانوا قبل هذا في سرور وعيشة راضية. وإن كان الثاني، فلا فائدة في التأويل لأن جهنم الأرواح لا يكون إلا محلّ عذابها. ثم أقول ثالثاً، إن كون الموت الصليبي كفارة الذنب غير معقول يقيناً، لأن المراد بهذا الذنب، على زعمهم، الذنب الأصلي الذي صدر عن آدم عليه السلام، لا الذنب الذي يصدر عن أولاده. ولا يجوز أن يعاقب أولاده على هذا الذنب الأصلي، لأن الأبناء لا يؤخذون بذنوب الآباء ولا بالعكس، بل هو خلاف العدل. الآية العشرون من الباب الثامن عشر من كتاب حزقيال هكذا : « النفس التي تخطئ، فهي تموت والابن لا يحمل إثم الأب، والأب لا يحمل إثم الابن، وعدل العادل يكون عليه، ونفاق المنافق يكون عليه. ثم أقول رابعاً، ما معنى جعل الشيطان مغلوباً بالموت لأنه على حكم انجيلهم مقيد بقيود أبدية قبل ميلاد عيسى عليه السلام ؟ الآية السادسة من رسالة يهوذا هكذا : « والملائكة الذي لم يحفظوا رياستهم بل تركوا مسكنهم، حفظهم الى دينونة اليوم العظيم بقيود أبدية تحت الظلام ». ثم العجب أنهم لا يكتفون بموت الههم المزعوم ودخوله جهنم، بل يزيّدون عليهما أنه صار ملعوناً أيضاً، والعياذ بالله، وملعونيته مسلمة عند المسيحيين، ويسلمها صاحب ميزان الحق أيضاً بكمال

رضا الخاطر ويصرح بها في كتبه، وصرح بها مقدسهم بولس أيضاً. الآية الثالثة عشر من الباب الثالث من رسالته الى أهل غلاطية هكذا : « المسيح افعدنا من لعنة الثاموس إذ صار لعنة لأجلنا لأنه مكتوب ملعون كل من علق على خشبة ». وعندنا اطلاق مثل هذا اللفظ شنيع جداً، بل لاعتن الله واجب الرجم بحكم النوراة، ورجم واحد على هذا الخطأ في عهد موسى عليه السلام، كما هو مصرح به في الباب الرابع والعشرين من سفر الأخبار، بل لاعتن الأبوين أيضاً واجب القتل، فضلاً عن لاعتن الله، كما هو مصرح في الباب العشرين من السفر المذكور.

**القول السابع :** في الآية السابعة عشر من الباب العشرين من انجيل يوحنا قول المسيح عليه السلام في خطاب مريم المجدلية هكذا : « لا تلمسيني لأنني لم أصعد بعد الى أبي، ولكن اذهبي الى اخوتي وقولي لهم اني أصعد الى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم ». فسوى بينه وبين الناس في هذا القول ( أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم ) لكيلا يتفولوا عليه الباطل، فيقولوا انه إله أو ابن إله. فكما أن تلاميذه عباد الله وليسوا بأبناء الله حقيقة بل المعنى المجازي، فكذلك هو عبد الله وليس بابن الله حقيقة. ولما كان هذا القول بعدما قام عيسى عليه السلام من الأموات على زعمهم قبل العروج بقليل، ثبت أنه كان يصرح بأني عبد الله الى زمان العروج. وهذا القول يطابق ما حكى الله عنه في القرآن المجيد ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ آعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ﴾ (١).

**القول الثامن :** في الآية الثامنة والعشرين من الباب الرابع عشر من انجيل يوحنا قول المسيح عليه السلام هكذا : « ان أبي أعظم مني ». ففيه أيضاً نفى لألوهيته، لأن الله ليس كمثله شيء فضلاً عن أن يكون أعظم منه.

**القول التاسع :** في الآية الرابعة والعشرين من الباب الرابع عشر من انجيل يوحنا قول المسيح عليه السلام هكذا : « الكلام الذي تسمونه ليس لي بل

---

(١) سورة المائدة ( ١١٧ ) .

للآب الذي أرسلني ». ففيه أيضاً تصريح بالرسالة، وبأن الكلام الذي تسمعون  
وحى من جانب الله.

**القول العاشر :** في الباب الثالث والعشرين من انجيل متى قول المسيح  
عليه السلام في خطاب تلاميذه هكذا : « ولا تدعوا لكم أبا على الأرض لأن  
أباكم واحد الذي في السموات ١٠ ولا تدعوا معلمين لأن معلمكم واحد  
المسيح ». فهنا أيضاً صرح بأن الله واحد وأني معلم لكم.

**القول الحادي عشر :** في الباب السادس والعشرين من انجيل متى  
هكذا : « ٣٦ حينئذ جاء معهم يسوع الى ضيعة يقال لها جشيمانى فقال  
للتلاميذ اجلسوا ههنا حتى أمضي وأصلي هناك ٣٧ ثم أخذ معه بطرس وابني  
زبدي وابتدأ يحزن ويكتئب ٣٨ فقال لهم نفسي حزينة جدا حتى الموت  
امكثوا ههنا واسهروا معي ٣٩ ثم تقدم قليلا وخر على وجهه وكان يصلي  
قائلا يا أبتاه ان أمكن فلتعبر عني هذه الكأس ليس كما أريد بل كما تريد أنت  
٤٠ ثم جاء الى التلاميذ الخ. ٤٢ فمضى أيضاً ثانية وصلى قائلاً يا أبتاه إن لم  
يكن أن تعبر عني هذه الكأس الا أشربها فلتكن مشيئتك ٤٣ ثم جاء الخ ٤٤  
فتركهم ومضى أيضاً وصلى ثالثة قائلاً ذلك الكلام بعينه ». فاقواله وأحواله  
المندرجة في هذه العبارات، تدل على عبوديته ونفى ألوهيته. أبهز وأبواه  
الإله، ويموت ويصلي لإله آخر، ويدعو بغاية التضرع ؟ لا والله. ولما جاء  
جنازه الشريف الى العالم وتجسد ليخلص العالم بدعه الكريم من عذاب  
الجحيم، فما معنى الحزن والاكتئاب وما معنى الدعاء بأن أمكن فلتعبر عني  
هذه الكأس ؟

**القول الثاني عشر :** كان من عاداته الشريفة أنه إذا عبر عن نفسه كان يعبر  
بأبن الانسان غالباً، كما لا يخفى على ناظر هذا الانجيل المروج أيضاً مثلاً  
في الآية ٢٠ باب ٨، ٦ باب ٩، ١٣ و ٢٧ باب ١٦، ٩ و ١٢ و ٢٢ باب  
١٧، ١١ و ١٨، ٢٨ و ١٩، ١٨ و ٢٨ باب ٢٠، ٢٧ و ٢٤ باب ٢٤  
و ٢٤ و ٤٥ و ٦٤ باب ٢٦ من انجيل متى، وهكذا في غيره وظاهر أن ابن  
الانسان لا يكون إلا انساناً.





## الفصل الثالث

### [ في إبطال ألوهية المسيح ]

قد عرفت في الأمر الخامس من المقدمة أن كلام يوحنا مملوء من المجاز فلما تجد فقرة لا تحتاج الى التأويل. وقد عرفت في الأمر السادس، أن الإجمال يوجد كثيرا في أقوال المسيح عليه السلام، بحيث لم يفهمها معاصروه ولا تلاميذه في كثير من الأحيان ما لم يفسرها بنفسه. وقد عرفت في الأمر الثاني عشر أن عيسى عليه السلام ما بين ألوهيته الى العروج ببيان لا يبقى فيه شبهة ويفهم منه صراحة هذا المعنى. فالأقوال التي يتمسك بها المسيحيون غالبا مجملة منقولة عن انجيل يوحنا وعلى ثلاثة أقسام، بعضها لا يدل بحسب معانيها الحقيقية على مقصودهم، قاستباط الألوهية منها مجرد زعمهم. وهذا الاستبطان والزعم ليسا بمعتمدين ولا جائزين في مقابلة البراهين العقلية القطعية والنصوص العيسوية، كما عرفت في الفصلين المذكورين. وبعضها أقوال يفهم تفسيرها من الأقوال المسيحية الأخرى ومن بعض مواضع الانجيل، ففيها أيضا لا اعتبار لرأيهم. وبعضها أقوال يجب تأويلها عندهم أبضا، فإذا وجب التأويل فنقول لا بد أن يكون هذا التأويل بحيث لا يخالف البراهين والنصوص وأتى لهم ذلك، فلا حاجة الى نقل الكل، بل أنقل الأكثر لبتضح منه للناظر حال استدلالهم وقياس الباقي عليه.

الأول، من اطلاق لفظ ابن الله على المسيح عليه السلام، أقول هذا الدليل

في غاية الضعف بوجهين : أما أولاً، فلأن هذا الإطلاق معارض بإطلاق ابن الانسان، كما عرفت، وبإطلاق ابن داود. فلا بدّ من التطبيق بحيث لا يثبت المخالفة للبراهين العقلية ولا يلزم منه محال. وأما ثانياً، فلأنه لا يصح أن يكون لفظ الابن بمعناه الحقيقي، لأن معناه الحقيقي باتفاق لغة أهل العالم من تولد من نطفة الأبوين، وهذا محال ههنا. فلا بدّ من الحمل على المعنى المجازي المناسب لشأن المسيح. وقد علّم من الانجيل أن هذا اللفظ في حقه بمعنى الصالح. الآية التاسعة والثلاثون من الباب الخامس عشر من انجيل مرقس هكذا : « ولما رأى قائد المائة الواقف مقابله أنه صرح هكذا وأسلم الروح قال حقاً كان هذا الانسان ابن الله ». ونقل لوقا قول القائد في الآية السابعة والأربعين من الباب الثالث والعشرين من انجيله هكذا : « بالحقيقة كان هذا الانسان باراً ». ففي انجيل مرقس لفظ ابن الله وفي انجيل لوقا بدله لفظ البار واستعمل مثل هذا اللفظ في حق الصالح غير المسيح أيضاً، كما استعمل مثل ابن ابليس في حق الطالح في الباب الخامس من انجيل متى هكذا : « طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء الله يدعون ٤٤ وأما أنا فأقول لكم أحبوا أعداءكم باركوا لاعنيكم وأحسنوا الى مبغضيكم وصلوا لأجل الذين يسبونكم ٤٥ لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السموات » فأطلق عيسى عليه السلام على صانعي السلام والصلح وعلى العاملين بالأعمال المذكورة لفظ أبناء الله وعلى الله لفظ الآب بالنسبة اليهم. وفي الباب الثامن من انجيل يوحنا في المكالمة التي وقعت بين اليهود والمسيح هكذا : « ٤١ أنتم تعملون أعمال أبيكم. فقالوا له إننا لم نولد من زنا لنا أب واحد وهو الله ٤٢ فقال لهم يسوع لو كان الله أباكم لكنتم تحبونني الخ ٤٤ أنتم من أب هو ابليس وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا ذاك كان قتالا للناس من البدء ولم يثبت في الحق لأنه ليس فيه حق متى تكلم بالكذب فإنما يتكلم مما له لأنه كذاب وأبو الكذب ». فاليهود ادّعوا أن لنا أباً واحداً وهو الله، وقال المسيح عليه السلام لا بل أبوكم الشيطان. وظاهر أن الله والشيطان ليس أبا لهم بالمعنى الحقيقي. فلا بدّ من الحمل على المعنى المجازي، ففرض اليهود نحن صالحون ومطيعون لأمر الله، وغرض المسيح عليه السلام أنكم لستم كذلك بل أنتم

طالحون مطيعون للشيطان. وفي الباب الثالث من الرسالة الأولى ليوحنا هكذا : « ٩ كل من هو مولود من الله لا يفعل خطيئة لأن زرعته ثبت فيه ولا يستطيع أن يخطيء لأنه مولود من الله » ١٠ بهذا أولاد الله ظاهرون وأولاد ابليس الخ. وفي الآية السابعة من الباب الرابع من الرسالة المذكورة « وكل من يحب فقد ولد من الله ». وفي الباب الخامس من الرسالة المذكورة « كل من يؤمن أن يسوع هو المسيح فقد ولد من الله، وكل من يحب الوالد يحب الوالد يحب المولود منه أيضا ٢ بهذا نعرف أننا نحبه أولاد الله إذا أحببنا الله وحفظنا وصاياه ». والآية الرابعة عشر من الباب الثامن من الرسالة الرومية هكذا : « لأن كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله ». وفي الباب الثاني من رسالة بولس الى أهل فيليس هكذا : « افعلوا كل شيء بلا دمدمة ولا مجادلة ١٥ لكي تكونوا بلا لوم وبسطاء أولاد الله بلا عيب ». ودلالة هذه الأقوال، على ما قلت، غير خفية وإذا لم يفهم من اطلاق لفظ الله ومثله الألوهية، كما عرفت في الأمر الرابع من المقدمة، فكيف يفهم من لفظ ابن الله ومثله ؟ سيما إذا لاحظنا كثرة وقوع المجاز في كتب العهد العتيق والجديد، كما عرفت في المقدمة، وسيما إذا لاحظنا أن استعمال الأب والابن في كتب العهدين جاء في المواضع الغير المحصورة. وأنقل بعضها بطريق الانموذج :

١ — قال لوقا في الباب الثالث من انجيله في بيان نسب المسيح عليه السلام انه ابن يوسف وآدم ابن الله. وظاهر أن آدم عليه السلام ليس ابناً لله بالمعنى الحقيقي ولا إلهياً. لكن لما ولد بلا أبوين نسبته الى الله. والله در لوقا، لقد أجاد ههنا لأنه لما كان المسيح عليه السلام مولوداً بلا أب فقط نسبته الى الله.

٢ — في الباب الرابع من سفر الخروج قول الله هكذا : « ٢٢ وتقول له هذا ما يقول الرب لبني يكرى اسرائيل ٣٣ فقلت له أطلق ابني ليعبدني وان أُبَيِّت أن تطلقه هوذا أنا سأقتل ابنك بكرك ». فأطلق على اسرائيل لفظ ابن الله في الموضوعين، بل أطلق عليه لفظ الابن البكر.

٣ — في الزبور الثامن والثمانين قول داود عليه السلام في خطاب الله هكذا : ١٩ « حيثذ كلمت نبيك بالوحي وقلت اني وضعت عوناً على القوي ورفعت منتخبا من شعبي ٢٠ وجدت داود عبدي فمسحته بدهن قدسي ٢١ هو يدعوني أنت أبني وإلهي وناصر خلاصي ٢٢ وأنا أيضا أجعله بكرا أعلي من كل ملوك الأرض ». فأطلق على الله لفظ الأب، وعلى داود لفظ القوي والمنتخب والمسيح وابن الله البكر وأعلى من كل ملوك الأرض.

٤ — الآية التاسعة من الباب الحادي والثلاثين من كتاب أرمياء قول الله هكذا : « إني صرت أباً لاسرائيل وافرام هو بكري » فأطلق على افرام لفظ ابن الله البكر. فلو كان اطلاق مثل هذه الألفاظ موجباً للألوهية لكان اسرائيل وداود وافرام احقاء بالألوهية، لأن الابن البكر أحق بالإكرام من غيره بحسب الشرائع السابقة وبحسب الرواج العام أيضا. وإن قالوا جاء في حق عيسى عليه السلام لفظ الابن الوحيد، قلنا ان الوحيد لا يمكن أن يكون بمعناه لان الله أثبت له اخوة كثيرين، وقال في حق الثلاثة منهم لفظ الابن البكر، بل لا بد أن يكون بالمعنى المجازي مثل الابن.

٥ — في الباب السابع من سفر صموئيل الثاني قول الله تعالى في حق سليمان هكذا : « وأنا أكون له أباً وهو يكون لي ابناً ». فلو كان اطلاق هذا اللفظ سبباً للألوهية لكان سليمان عليه السلام أحق من المسيح عليه السلام لسبقه وكونه من آباء المسيح عليه السلام.

٦ — في الآية الأولى من الباب الرابع عشر، والآية التاسعة عشر من الباب الثاني والثلاثين من كتاب الاستثناء، والآية الثانية من الباب الأول والآية الأولى من الباب الثلاثين والآية الثامنة من الباب الثالث والستين من كتاب أشعيا، والآية العاشرة من الباب الأول من كتاب هوشع، جاء إطلاق إبناء الله على جميع بني اسرائيل.

٧ — في الآية السادسة عشر من الباب الثالث والستين من كتاب أشعيا، قول أشعيا في خطاب الله هكذا : « فانك أنت أبونا وإبراهيم لم يعرفنا واسرائيل جهلنا. أنت يا رب أبونا فخلصنا من الدهر اسمك ». الآية الثامنة من

الباب الرابع والستين من الكتاب المذكور هكذا : « والآن يا رب أنت أبونا »  
الخ. فصرح أشعيا عليه السلام في حقه وحق غيره من بني اسرائيل بأن الله  
أبونا.

٨ — الآية السابعة من الباب الثامن والثلاثين من كتاب أيوب هكذا : « إذا  
كان تسبح لي نجوم الصبح جميعا ويفرحون جميع بني الله ».

٩ — قد عرفت في صدر الجواب أنه جاء إطلاق أبناء الله على الصالحين  
وعلى المؤمنين بالمسيح وعلى المحبين وعلى المطيعين لأمر الله وعلى العاملين  
بالأعمال الحسنة.

١٠ — الآية الخامسة من الزبور السابع والستين هكذا : « ابو اليتامى  
وحاكم الأرمال الله في موضع قدسه ». فأطلق على الله لفظ أبي اليتامى.

١١ — في الباب السادس من سفر الحليقة هكذا : « ٢ فرأى بنو الله بنات  
الناس انهن حسنات واتخذوا لهن نساء من كل ما اختاروا ٤ فاما  
الجبابرة كانوا في تلك الأيام على الأرض لأن من بعد ما دخل أبناء الله على  
بنات الناس وولدن فهؤلاء هم أقوياء منذ الدهر مشهورون ». والمراد بأبناء الله  
بنو الأشراف وبنات الناس بنات العامة، ولذا ترجم مترجم الترجمة العربية  
المطبوعة سنة ١٨١١ الآية الأولى هكذا : « رأى بنو الأشراف بنات العامة  
حسانا فاتخذوا لهن نساء ». فجاء إطلاق أبناء الله على أبناء الأشراف مطلقا،  
وفهم منه صحة إطلاق الله على الشريف أيضا.

١٢ — جاء في المواضع الكثيرة من الانجيل إطلاق لفظ أبيكم على الله  
في خطاب التلاميذ وغيرهم.

١٣ — قد يُضاف لفظ الابن والأب الى شيء له مناسبة ما بمعناها،  
الحقيقي كإطلاق أبي الكذب على الشيطان كما عرفت، وإطلاق أبناء جهنم  
وأولاد اورشليم على اليهود في كلام المسيح عليه السلام في الباب الثالث  
والعشرين من انجيل متى. وجاء إطلاق أبناء الدهر على أهل الدنيا. وجاء  
إطلاق أبناء الله وأبناء القيامة على أهل الجنة في قول المسيح عليه السلام في  
الباب العشرين من لوقا. وفي الآية الخامسة من الباب الخامس من الرسالة

الأولى الى أهل تسالونيقي جاء اطلاق أبناء النور وأبناء النهار على أهل تسالونيقي.

**الثاني:** (١) في الآية الثالثة والعشرين من الباب الثامن من انجيل يوحنا هكذا : « فقال لهم أنتم من أسفل، أما أنا فمن فوق. أنتم من هذا العالم أما أنا فلست من هذا العالم ». يعني أنني إله نزلت من السماء وتجسست. أقول : لما كان هذا القول مخالفاً للطاهر لأن عيسى عليه السلام كان من هذا العالم، فأولوا بهذا التأويل، وهو غير صحيح بوجهين : الأول، أنه مخالف للبراهين العقلية والنصوص. والثاني، أن عيسى عليه السلام قال مثل هذا القول في حق تلاميذه أيضاً في الآية التاسعة عشر من الباب الخامس عشر من انجيل يوحنا هكذا : « لو كنتم من العالم لكان العالم يحب خاصته، ولكن انكم لستم من العالم، بل أنا اخترتكم من العالم لذلك يغيضكم العالم »، وفي الباب السابع من انجيل يوحنا هكذا : « ١٤ لأنهم ليسوا من العالم، كما أنني أنا لست من العالم ١٦ ليسوا من العالم كما أنني أنا لست من العالم ». فقال في حق تلاميذه أنهم ليسوا من العالم وسوى بينه وبينهم في عدم الكون من هذا العالم. فلو كان هذا مستلزماً للألوهية، كما زعموا، لزم أن يكونوا كلهم آلهة، والعباد بالله. بل التأويل الصحيح أنتم طالبوا الدنيا الدنية وأنا لست كذلك بل طالب الآخرة ورضاء الله، وهذا المجاز شائع في الألسنة. يقال للزهاد والصلحاء أنهم ليسوا من الدنيا.

**الثالث:** (٢) في الآية الثلاثين من الباب العاشر من انجيل يوحنا هكذا : « أنا والاب واحد ». فهذا يدل على اتحاد المسيح بالله. أقول هذا الاستدلال غير صحيح بوجهين : الأول، إن المسيح عليه السلام عندهم أيضاً انسان ذو نفس ناطقة، وليس بمشدد بهذا الاعتبار، فيحتاجون الى التأويل. فيقولون كما أنه انسان كامل فكذلك إله كامل. فيالاعتبار الأول مغاير، وبالاعتبار الثاني

---

(١) يتابع المؤلف هنا براهين وجوب التأويل وصولاً إلى إبطال الفوعة المسيح، تلك البراهين التي بدأها مع بداية الفصل الثالث هذا ص ١٥.

متحد. وقد عرفت أن هذا التأويل باطل. والثاني، أن مثل هذا وقع في حق الحواريين في الباب السابع عشر من انجيل يوحنا هكذا : ٢١ « ليكون الجميع واحدا كما أنك أنت أبها الأب في وأنا فيك ليكونوا هم أيضا واحدا فينا ليؤمن العالم أنك أرسلتني ٢٢ وأنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني ليكونوا واحدا كما أننا نحن واحد ٢٣ أنا فيهم وأنت فيّ ليكونوا مكملين الى واحد ، فقوله ( ليكون الجميع واحدا ) وقوله ( ليكونوا واحدا كما أننا نحن واحد ) وقوله ( ليكونوا مكملين الى واحد ) تدل على اتحادهم. وسوى في القول الثاني بين اتحاده بالله وبين اتحاده فيما بينهم. وظاهر أن اتحاده فيما بينهم ليس حقيقيا، فكذا اتحاده بالله. بل الحق أن الاتحاد بالله عبارة عن اطاعة أحكامه والعمل بالاعمال الصالحة. وفي نفس هذا الاتحاد المسيح والحواريون وجميع أهل الإيمان متساوية الاقدام، وإنما الفرق باعتبار القوة والضعف. فاتحاد المسيح بهذا المعنى أشد وأقوى من اتحاد غيره. والدليل على كون الاتحاد عبارة عن هذا المعنى قول يوحنا في الباب الأول من رسالته الأولى وهو هكذا : « وهذا هو الحبر الذي سمعناه منه ونخبركم به أن الله نور وليس فيه ظلمة البتة ٦ إن قلنا أن لنا شركة معه وسلكنا في الظلمة نكذب ولسنا نعمل الحق ٧ ولكن إن سلكنا في النور كما هو في النور فلنا شركة بعضنا مع بعض ». والآية السادسة والسابعة في التراجم الفارسية هكذا ( اكر كويم كه باوى متحديم ودر ظلمت رفتار نمايم در و غكويم ودر راستى عمل نتمايم ) ٧ ( واکر در روشنائى رفتار نمايم جنانجه اودر روشنائى مى باشد بايکد يکر متحد هستيم ) فوقع فيها بدل لفظ الشركة لفظ الاتحاد فعلم أن الاتحاد بالله أو الشركة بالله عبارة عما قلنا.

الرابع : في الباب الرابع عشر من انجيل يوحنا هكذا : « ٩ الذي رأي فقد رأى الأب فكيف تقول أنت أننا الاب ١٠ ألسنت تؤمن أنني أنا في الأب والأب فيّ. الكلام الذي أكلمكم به لست أكلمكم به من نفسي، لكن الأب الحال فيّ هو يعمل الأعمال » فقوله ( الذي رأي فقد رأى الأب ) وقوله ( أنا في الأب والأب فيّ ) وقوله ( الأب الحال فيّ ) دالة على اتحاد المسيح بالله. وهذا الاستدلال أيضا ضعيف بوجهين : أما الأول، فلأن رؤية الله في

الدنيا مستتعة عندهم، كما عرفت في الأمر الرابع من المقدمة، فيؤلوها بالمعرفة. ومعرفة المسيح باعتبار الجسمية أيضا لا تنفيذ الاتحاد، فيقولون ان المراد بالمعرفة باعتبار الألوهية. والحلول الذي وقع في القول الثاني والثالث واجب التأويل عند جمهور أهل التلثيت، فيقولون ان المراد به الاتحاد الباطني. فبعد هذه التأويلات يقولون انه لما كان انسانا كاملا وإلها كاملا صح أقواله الثلاثة بالاعتبار الثاني. وقد عرفت مرارا أنه باطل، لأن التأويل يجب أن لا يخالف البراهين والنصوص. وأما الثاني، فلأن الآية العشرين من الباب المذكور هكذا : « في ذلك اليوم تعلمون أنني أنا في أبي وأنتم فيّ وأني فيكم ». وقد عرفت في جواب الدليل الثالث أن المسيح قال في حق الحواريين : « أنا فيهم وأنت فيّ ». وبديهي أن حال الحال حال في محل الحال. والآية التاسعة عشر من الباب السادس من الرسالة الأولى الى أهل كورنثوس هكذا : « أم لستم تعلمون أن جسديكم هو هيكل للروح القدس الذي فيكم الذي لكم من الله وأنكم لستم لأنفسكم ». والآية السادسة عشر من الباب السادس من الرسالة الثانية الى كورنثوس هكذا : « وآية موافقة لهيكل الله مع الأوثان فإنكم أنتم هيكل الله الحي ». الخ. والآية السادسة من الباب الرابع من الرسالة الى أهل أفسس هكذا : « إله وآب واحد للكل الذي على الكل وبالكل وفي كلكم ». فلو كان الحلول مشعرا بالاتحاد ومثبنا للألوهية لزم أن يكون الحواريون، يل جميع أهل كورنثوس، وكذا جميع أهل أفسس، آلهة. بل الحق أن الأدنى إذا كان من أتباع الأعلى كان يكون رسوله أو عبده أو تلميذه أو قريبا من أقربائه. فالأمر المنسوب الى الأدنى من التعظيم والتحقير والمحبة وغيرها ينسب الى الأعلى مجازا. ولذلك قال المسيح عليه السلام في حق الحواريين « من يقبلكم يقبلني ومن يقبلني يقبل الذي أرسلني »، كما وقع في الآية الأربعين من الباب العاشر من انجيل متى. وقال في حق الولد الصغير « من قبل هذا الولد باسمي يقبلني ومن قبلني يقبل الذي أرسلني » كما هو مصرح في الآية الثامنة والأربعين من الباب التاسع من انجيل لوقا. وقال في حق السبعين الذين أرسلهم اثنين اثنين الى البلاد « الذي يسمع منكم يسمع مني والذي يرذلكم يرذلني والذي يرذلني يرذل الذي أرسلني » كما هو



مصرح في الآية السادسة عشر من الباب العاشر من انجيل لوقا. وهكذا وقع في حق أصحاب اليمين وأصحاب الشمال في الباب الخامس والعشرين من انجيل متى. ولذلك قال الله على لسان ارمياء « اكلني ابتلعني بختصر ملك بابل وجعلني كإناء فارغ كنتين ملاً بطنه من رخصتي وطردني » كما هو مصرح في الباب الحادي والخمسين من كتاب ارمياء. ومثل هذا وقع في القرآن المجيد أيضاً : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ قُوَّةٌ أُنْزِلَتْ بِهِمْ... ﴾ وقال مولانا المعنوي قدس سره في مثنويه :

كرتوخوا هي همنشيتي باغدا « رونشين تودر حضور اوليا  
فمعرفة المسيح بهذا الاعتبار بمنزلة معرفة الله. وأما حلول الغير في الله، أو حلول الله فيه، وكذا حلول الغير في المسيح، أو حلول المسيح فيه، فعبارة عن اطاعة أمرهما. في الباب الثالث من الرسالة الأولى ليوحنا هكذا : « من يحفظ وصاياہ ثبت فيه وهو فيه وبهذا نعرف أنه بثبت فينا من الروح الذي أعطانا ». وقد يتمسكون على ألوهيته ببعض حالاته فيستدلون قارة أنه ولد بلا أب. وهذا الاستدلال ضعيف جداً، لأن العالم حادث بأسره، وما مضى على حدوثه الى هذا الزمان ستة آلاف سنة على زعمهم. وكل مخلوق من السماء والأرض والجماد والنبات والحيوان وأدم خلق عندهم في أسبوع واحد، فجميع الحيوانات مخلوقة بلا أب وأم. فكل من هذه يشارك المسيح في كونه مخلوقاً بلا أب، ويفوق عليه في كونه بلا أم. وتتولد أصناف من الحشرات في كل سنة في موسم نزول المطر بلا أب وأم، فكيف يكون هذا الأمر سبباً للألوهية ؟ ولو نظرنا الى نوع الانسان فآدم عليه السلام يفوق عليه، وكذلك ملكي صادق الكاهن الذي هو معاصر ابراهيم عليه السلام. في الآية الثالثة من الباب السابع من الرسالة العبرانية حاله هكذا : « بلا أب بلا أم بلا نسب لا بداية أيام له ولا نهاية حياة ». فيفوق المسيح في كونه بلا أم، وفي كونه لا بداية له. ويستدلون قارة بمعجزاته. وهذا أيضاً ضعيف، لأن من أعظم معجزاته احياء الموتى. فمع قطع النظر عن ثبوته وعن أنه يفهم من هذا

الانجيل المتعارف تكذيبه، أقول ان عيسى عليه السلام، يحسب هذا الإنجيل، ما أحيا الى زمان الصلب إلا ثلاثة أشخاص، كما عرفت في الباب الأول. وأحيا حزقيال عليه السلام ألوفا، كما هو مصرح في الباب السابع والثلاثين من كتابه، فهو أولى بأن يكون الها. وأحيا ايلياء عليه السلام أيضا ميتا، كما هو مصرح في الباب السابع عشر من سفر الملوك الأول. وأحيا يشع عليه السلام أيضا ميتا، كما هو مصرح في الباب الرابع من سفر الملوك الثاني، وصدرت هذه المعجزة عن يشع بعد موته : أن ميتا ألقى في قبره فحيى باذن الله، كما هو مصرح في الباب الثالث عشر من السفر المذكور، وأبرأ الأبرص من برصه، كما هو مصرح في الباب الخامس من السفر المذكور. وقد يتمسكون ببعض آيات كتب العهد العتيق و ببعض أقوال الحوارين.

وإني قد نقلت هذه التمسكات مع أجوبتها في كتاب إزالة الأوهام. فمن أراد الاطلاع عليها فليرجع اليه. وتركت ذكرها في هذا الكتاب لأن التمسكات الأولية ضعيفة جدا ومع قطع النظر عن الضعف لا يثبت منها الألوهية، على زعمهم أيضا، ما لم يعترف أن المسيح انسان كامل وإله كامل. وهذا التأويل باطل، كما عرفت مرارا. والتمسكات الثانوية حالها كحال التمسكات بالأحوال المسيحية غالبا فيعامل بها معاملة أقوال المسيح من الحالات الثلاثة، كما عرفت في صدر هذا الفصل. ولو فرضنا أن بعض القول منهم نص على هذا الأمر، فيحمل على أنه بحسب اجتهادهم. وقد عرفت في الباب الأول أن جميع تحريراتهم ليست بالإلهام، وأنه قد وقع منهم الأغلاط والاختلافات والتناقض يقيناً. وقول مقدسهم بولس غير مسلم عندنا لأنه ليس بحواري ولا واجب التسليم عندنا، بل لا نسلم وثاقته. واعلم، أرشدك الله تعالى، إنما نقلت الأقوال المسيحية وأولتها لأجل إتمام الإلزام وإثبات أن تمسكهم بها ضعيف. وكذا ما قلت في أقوال الحوارين إنما هو على تقدير تسليم أنها أقوالهم، ولا يثبت عندنا أنها أقوال المسيح عليه السلام والحواريين لأجل فقدان اسناد هذه الكتب، كما عرفت في الباب الأول، ولأجل وقوع التحريف فيها عموما وهي هذه المسئلة خصوصا أيضا، كما عرفت في الباب الثاني أن عاداتهم في مثل هذه الأمور كانت كذلك. وعقيدتي أن المسيح

والحواريين كانوا برآء من هذه العقيدة الكفرية يقيناً، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وإن عيسى عبداً لله ورسوله، وأن الحواريين رسل رسول الله.

وروقت بين الإمام الهمام الفخر الرازي عليه الرحمة وبين بعض القسيسين مناظرة بخوارزم. ولما كان نقلها لا يخلو من فائدة، فانقلها. قال قدس سره في المجلد الثاني من تفسيره في سورة آل عمران تحت تفسير قوله تعالى : ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنْ أَلْعَلِّمْ...﴾ الآية (١).

«اتفق أي حين كنت بخوارزم، أخبرت أنه جاء نصراني يدعي التحقيق والتعمق في مذهبهم. فذهبت إليه، وشرعنا في الحديث. فقال لي : ما الدليل على نبوة محمد ﷺ ؟ فقلت له : كما نقل إلينا ظهور الخوارق على يد موسى وعيسى وغيرهما من الأنبياء عليهم السلام، نقل إلينا ظهور الخوارق على يد محمد ﷺ. فإن رددنا التواتر أو قبلناه لكننا قلنا إن المعجزة لا تدل على الصدق. فحينئذ بطلت نبوة سائر الأنبياء عليهم السلام. وإن اعترفنا بصحة التواتر واعترفنا بدلالة المعجزة على الصدق، ثم أنهما حاصلان في حق محمد ﷺ، وجب الاعتراف قطعاً بنبوة محمد عليه السلام ضرورة. إذ عند الاستواء في الدليل لا بد من الاستواء في حصول المدلول. فقال النصراني : لا أقول في عيسى عليه السلام أنه كان نبياً، بل أقول أنه كان الها. فقلت له : الكلام في النبوة لا بد وأن يكون مسبوقاً بمعرفة الإله، وهذا الذي تقوله باطل، ويدل عليه أن الإله عبارة عن موجود واجب الوجود لذاته، يجب أن لا يكون جسماً ولا متحيزاً ولا عرضاً. وعيسى عبارة عن هذا الشخص البشري الجسماني الذي وُجد بعد أن كان معدوماً، وقتل بعد أن كان حياً على قولكم، وكان طفلاً أولاً، ثم صار مترعراً، ثم صار شاباً، وكان يأكل ويشرب ويحدث وينام ويستيقظ. وقد تقرر في بدهة العقول أن المحدث لا يكون قديماً والمحتاج لا يكون غنياً والممكن لا يكون واجباً والمتغير لا

---

(١) سورة آل عمران (٦١).

يكون دائماً<sup>(١)</sup>. والوجه الثاني، في إبطال هذه المقالة، أنكم تعترفون بأن اليهود أخذوه وصلبوه وتركوه حياً على الخشبة وقد مزقوا ضلعه، وأنه كان يحتال في الهرب منهم وفي الاختفاء عنهم، وحين عاملوه بتلك المعاملات أظهر الجزع الشديد. فإن كان إلهاً أو كان الإله حالاً فيه أو كان جزء من الإله حالاً فيه، فَلِمَ لم يدفعهم عن نفسه، وَلِمَ لم يهلكهم بالكلية ؟ وأي حاجة به إلى اظهار الجزع منهم والاحتياط في الفرار منهم ؟ وبالله إنني لأتعجب جداً أن العاقل كيف يليق به أن يقول هذا القول ويعتقد صحته فتكاد أن تكون بداهة العقل شاهدة بفساده. والوجه الثالث، وهو أنه إما أن يقال بأن الإله هو هذا الشخص الجسماني المشاهد، أو يقال حل الإله بكليته، أو حل بعض الإله وجزء منه فيه. والأقسام الثلاثة باطلة. أما الأول فلأن إله العالم، لو كان هو الجسم، فحين قتله اليهود كان ذلك قولاً بأن اليهود قتلوا إله العالم. فكيف بقي العالم بعد ذلك من غير إله ؟ ثم إن أشد الناس ذلاً ودناءة اليهود، فالإله الذي تقتله اليهود إله في غاية العجز. وأما الثاني، وهو أن الإله بكليته حل في هذا الجسم، فهو أيضاً فاسد. لأن الإله، إن لم يكن جسماً ولا عرضاً، امتنع حلوله في الجسم، وإن كان جسماً فحينئذ يكون حلوله في جسم آخر عبارة عن اختلاط أجزائه بأجزاء ذلك الجسم، وذلك يوجب وقوع التفرق في أجزاء ذلك الإله، وإن كان عرضاً كان محتاجاً إلى المحل، وكان الإله محتاجاً إلى غيره وكل ذلك سخيف. وأما الثالث وهو أنه حل فيه بعض من أبعاد الإله وجزء من أجزائه، فذلك أيضاً محال. لأن ذلك الجزء، إن كان معتبراً في الإلهية فعند انفصاله عن الإله وجب أن لا يبقى الإله إلهاً، وإن لم يكن معتبراً في تحقيق الإلهية لم يكن جزءاً من الإله. فثبت فساد هذه الأقسام، فكان قول النصراني باطلاً. الوجه الرابع، في بطلان قول النصارى، ما ثبت بالتواتر من أن عيسى عليه السلام كان عظيم الرغبة في العبادة والطاعة لله تعالى ولو كان إلهاً لاستحال ذلك، لأن الإله لا يعبد نفسه. فهذه وجوه في غاية الجلاء والظهور دالة على فساد قولهم.

(١) ... وهو الوجه الأول في إبطال هذه المقالة.

« ثم قلت للنصراني : وما الذي دَلَّكَ على كونه إلهاً ؟ فقال : الذي دَلَّ عليه ظهور العجائب عليه من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص، وذلك لا يمكن حصوله إلا بقدرة الإله تعالى. فقلت له : هل تسلّم أنه لا يلزم من عدم الدليل عدم المدلول أم لا ؟ فإن لم تسلّم، لزمك من نفى العالم في الأزل نفى الصانع. وإن سلمت أنه لا يلزم من عدم الدليل عدم المدلول، فأقول لما جوزت حلول الإله في بدن عيسى عليه السلام، فكيف عرفت أن الإله ما حلّ بدني وبدنك وفي بدن كل حيوان ونبات وجماد ؟ فقال : الفرق ظاهر، وذلك لأنني إنما حكمت ذلك الحلول لأنه ظهرت تلك الأفعال العجيبة عليه، والأفعال العجيبة ما ظهرت على يدي ولا على يدك، فعلمنا أن ذلك الحلول مفقود ههنا. فقلت له : تبين الآن أنك ما عرفت معنى قولي أنه لا يلزم من عدم الدليل عدم المدلول، وذلك لأن ظهور تلك الخوارق دالة على حلول الإله في بدن عيسى عليه السلام. فعدم ظهور تلك الخوارق مني ومنك ليس فيه إلا أنه لم يوجد ذلك الدليل. فإذا ثبت أنه لا يلزم من عدم الدليل عدم المدلول لا يلزم من عدم ظهور تلك الخوارق مني ومنك عدم الحلول في حقي وفي حقك بل وفي حق الكلب والسنور والفأر. ثم قلت أن مذهبا يؤدي القول به إلى تجويز حلول ذات الله في بدن الكلب والذباب لفي غاية الخسة والركاكة. [ ثم ] إن قلب العصا حية أبعُد في العقل من إعادة الميت حيا لأن المشاكلة بين بدن الحي وبدن الميت أكثر من المشاكلة بين الخشبة وبين بدن الثعبان. فإذا لم يوجب قلب العصا حية، كون موسى عليه السلام إلهاً وابناً للإله، فيأبى لا يدل إحياء الموتى على الإلهية، كان ذلك أولى. وعند هذا انقطع النصراني، ولم يبق له كلام. والله أعلم ». انتهى كلامه بعبارة الشريفة.



## الباب الخامس

في إثبات كون القرآن كلام الله ومعجزا، ورفع شبهات القسيسين.  
وضممت الى مبحث القرآن مبحث اثبات صحة الأحاديث النبوية  
المروية في كتب الصحاح من كتب أهل السنة والجماعة.  
وجعلت هذا الباب مشتملا على أربعة فصول.





## الفصل الأول

[ في إثبات أن القرآن كلام الله ]

الأمر الذي تدلّ على أن القرآن كلام الله كثيرة أكتفي منها على اثني عشر أمراً على عدد حوارى المسيح، وأترك الباقي. مثل أن يقال أن الخائب المخالف وقت بيان أمر من الأمور الدنيوية والدينية أيضاً، يكون ملحوظاً في القرآن، وأن بيان كل شيء، ترغيباً كان أو ترهيباً، رافة كان أو عتاباً، يكون على درجة الاعتدال لا بالإفراط ولا بالتفريط. وهذان الأمران لا يوجدان في كلام الإنسان لأنه يتكلم في بيان كلّ حال بما يناسب ذلك الحال، فلا يلاحظ في العتاب حال الذين هم قابلون للرافة وبالعكس، ولا يلاحظ عند ذكر الدنيا حال الآخرة وبالعكس، ويقول في الغضب زائداً على الخطأ وهكذا أمور أخرى.

**الأمر الأول :** كونه في الدرجة العالية من البلاغة التي لم يعهد مثلها في تراكيبيهم، وتفاصرت عنها درجات بلاغتهم. وهي عبارة عن التعبير باللفظ المعجب عن المعنى المناسب للمقام الذي أورد فيه الكلام بلا زيادة ولا نقصان في البيان والدلالة عليه. وعلى هذا، كلما ازداد شرف الألفاظ ورونت المعاني ومطابقة الدلالة، كان الكلام أبلغ. وتدل على كونه في هذه الدرجة وجوه :

**أولها :** أن فصاحة العرب أكثرها في وصف المشاهدات، مثل وصف بعير أو فرس أو جارية أو ملك أو صربة أو طعنة أو وصف حرب أو وصف غارة. وكذا فصاحة العجم، سواء كانوا شاعرين أو كاتبين، أكثرها في أمثال هذه الأشياء، ودائرة الفصاحة والبلاغة فيها متسعة جداً، لأن طبائع أكثر الناس تكون مائلة إليها. وظهر من الزمان القديم في كل وقت وفي كل اقليم — من شاعر أو كاتب — مضمون جديد ونكتة لطيفة في بيان شيء من هذه الأشياء المذكورة، ويكون المتأخر المتتبع واقفاً على تدقيقات المتقدم غالباً. فلو كان الرجل سليم الذهن وتوجه إلى تحصيل ملكة في وصفها يحصل له بعد الممارسة والاشتغال ملكة البيان في وصف شيء من هذه الأشياء على قدر سلامة فكره وجودة ذهنه. وليس القرآن في بيان خصوص هذه الأشياء، فكان يجب أن لا تحصل فيه الألفاظ الفصيحة التي اتفقت عليها العرب في كلامهم.

**ثانيها :** أنه تعالى راعى فيه طريقة الصدقة وتنزهه عن الكذب في جميعه. وكل شاعر ترك الكذب والتزم الصدق نزل شعره ولم يكن جيداً. ولذلك قيل : أحسن الشعر أكذبه. وترى أن لبيد بن ربيعة وحسان بن ثابت، رضي الله عنهما، لما أسلما نزل شعرهما، ولم يكن شعرهما الإسلامي كسعرهما الجاهلي. والقرآن جاء فصيحاً مع التنزه عن الكذب والمجازفة.

**ثالثها :** أن الكلام النصيح إنما يتفق في القصيدة في البيت والبيتين والباقي لا يكون كذلك، بخلاف القرآن. فإنه، مع طوله، فصيح كله، بحيث يعجز الخلق عنه. ومن تأمل في قصة يوسف عليه السلام، عرف أنها مع طولها وقعت على الدرجة العالية من البلاغة.

**رابعها :** أن الشاعر أو الكاتب إذا كرّر مضموناً أو قصة لا يكون كلامه الثاني مثل الأول. وقد تكررت قصص الأنبياء وأحوال المبدأ والمعاد والأحكام والصفات الإلهية، واختلفت العبارة إيجازاً واطناً وتفنناً في بيانها غيبةً وخطاباً. ومع ذلك، كل واحد منها في نهاية الفصاحة، ولم يظهر التفاوت أصلاً.

خامسها : انه اقتصر على ايجاب العبادات وتحريم القبائح والحث على مكارم الأخلاق وترك الدنيا واختيار الآخرة، وأمثال هذه الأمور توجب تقليل الفصاحة. ولذلك إذا قيل لشاعر فصيح أو كاتب بليغ أن يكتب تسعة أو عشرة من مسائل الفقه أو العقائد في عبارة فصيحة مشتملة على التشبيهات البليغة والاستعارات الدقيقة، فانه، ولا بُد، يعجز في ذلك.

سادسها : إن كل شاعر يحسن كلامه في من فانه يضعف كلامه في غير ذلك الفن. كما قالوا في شعراء العرب ان شعر امرئ القيس يحسن عند الطرب وذكر النساء وصفة الخيل، وشعر النابغة عند الخوف، وشعر الأعشى عند الطلب ووصف الخمر، وشعر زهير عند الرغبة والرجاء. وقالوا في شعراء فارس ان النظامي والفردوسي وحيدان في بيان الحرب، والسعدي فريد في الغزل، والأنوري في القصائد. والقرآن جاء فصيحاً على غاية الفصاحة في كل فن ترغيباً كان أو ترهيباً زجراً أو وعظاً أو غيرها. وأورد ههنا بطريق الأنموذج من كل فن آية آية : ففي الترغيب قوله : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾<sup>(١)</sup> وفي الترغيب قوله : ﴿ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ مِّن زُرَّاتِهِ جَهَنَّمَ وَيُسْقَىٰ مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِعَيَّةٍ وَمِن زُرَّاتِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾<sup>(٢)</sup> وفي الزجر والتوبيخ قوله : ﴿ فَكَلَّا أَتَيْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَّن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ خَاصِيًا وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذْنَا الْفَصِيحَةَ وَمِنْهُمْ مَّنْ حَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ يَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾<sup>(٣)</sup> وفي الوعظ قوله : ﴿ أَفَرَأَيْتَ إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ ﴾<sup>(٤)</sup> وفي الإلهيات قوله : ﴿ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا

(١) سورة السجدة (١٧).

(٢) سورة إبراهيم (١٥ - ١٧).

(٣) سورة العنكبوت (٤٠).

(٤) سورة الشعراء (٢٠٥ - ٢٠٧).

تَبِيضُ الْأَرْحَامِ وَمَا تَرْذَاذُ وَكُلِّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ غَالِبُ الْغَيْبِ وَأَشْهَادُهُ  
الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴿١١﴾.

سابعها : الأغلب أنه إذا انتقل الكلام من مضمون الى مضمون آخر واشتمل على بيان أشياء مختلفة لا يبقى حسن ربط الكلام، ويسقط عن الدرجة العالية للبلاغة. والقرآن يوجد فيه الانتقال من قصة الى قصة أخرى، والخروج من باب الى باب، والاشتغال على أمر ونهي وخبر واستخبار ووعد ووعد واثبات النبوة وتوحيد الذات وتفريد الصفات، وترغيب وترهيب وضرب مثال وبيان حال. ومع ذلك يوجد فيه كمال الربط والدرجة العالية للبلاغة الخارجة عن العادة فتحير فيها عقول بلغاء العرب.

ثامنها : إن القرآن في أغلب المواضع يأتي بلفظ يسير متضمن لمعنى كثير ويكون اللفظ أعذب. ومن تأمل في سورة ( ص ) علم ما قلت : كيف صدرها وجمع فيها من أخبار الكفار وخلافهم، وتقريعهم باهلاك القرون من قبلهم، ومن تكذيبهم لمحمد ﷺ، وتعجبهم مما أتى به، والخير عن اجماع ملئهم على الكفر، وظهور الحسد في كلامهم، وتعجزهم وتحقيرهم ووعدهم بخزي الدنيا والآخرة، وتكذيب الأمم قبلهم وإهلاك الله لهم، ووعد فريش وأمثالهم مثل مصابهم وحمل النبي على الصبر على أذاهم وتسليته بكل ما تقدم بيانه عنهم، ثم شرع بعد تسليته في قصص الأنبياء مثل داود وسليمان وأيوب وإبراهيم ويعقوب وغيرهم عليهم السلام. وكل هذا الذكر ذكر من أولها الى آخرها في ألفاظ يسيرة متضمنة لمعان كثيرة. وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَصِ حِكَاةٌ ﴾ (١) فإن هذا القول لفظه يسير ومعناه كثير. ومع كونه بليغاً مشتمل على المطابقة بين المعنيين المتقابلين، وهما القصص والحياة، وعلى الغرابة بجعل القتل الذي هو مفوت للحياة ظرفاً لها، وأولى من جميع الأقوال المشهورة عند العرب في هذا الباب لأنهم عبروا عن هذا

(١) سورة الرعد ( ٨ - ٩ ) .

(٢) سورة البقرة ( ١٢٩ ) .

المعنى بقولهم : « قتل البعض أحياء للجميع » وقولهم « أكثروا القتل ليقبل القتل » وقولهم « القتل أنفى للقتل ». وأجود الأقوال المنقولة عن القول الأخير. ولفظ القرآن أفصح منه بستة أوجه : ١/ أنه أخصر من الكل لأن قوله ( ولكم ) لا يدخل في هذا الباب، لأنه لا بدّ من تقدير ذلك في الكل. لأن قول القائل قتل البعض أحياء للجميع لا بدّ فيه من تقدير مثله، وكذلك في قولهم القتل أنفى للقتل. ٢/ أن قولهم القتل أنفى للقتل ظاهره يقتضي كون الشيء سببا لانتفاء نفسه، بخلاف لفظ القرآن فإنه يقتضي أن نوعا من القتل وهو القصاص سبب لنوع من أنواع الحياة. ٣/ أن في قولهم الأجود تكرير لفظ القتل بخلاف لفظ القرآن. ٤/ أن قولهم الأجود لا يفيد إلا الردع عن القتل بخلاف لفظ القرآن ، فإنه يفيد الردع عن القتل والجرح، فهو أفيد. ٥/ أن قولهم الأجود دال على ما هو المطلوب بالاتباع بخلاف لفظ القرآن، فإنه دال على ما هو مقصود أصلي، لأن نفي القتل مطلوب تبعا من حيث أنه يتضمن حصول الحياة الذي هو مطلوب أصالة. ٦/ أن القتل ظلما أيضا قتل، مع أنه ليس بناف للقتل بخلاف القصاص، فظاهر قولهم باطل. وأما لفظ القرآن فصحيح ظاهرا وباطنا. وكذلك قوله تعالى ( ومن يطع الله ) في فرائضه ( ورسوله ) في سننه أو في جميع ما يأمرانه وينهيانه ( ويخش الله ) أي يخف خلفه وعقابه وحسابه ( ويتقه ) فيما بقي من عمره في جميع أمره ( فأولئك هم الفائزون ) بالمراد في المبدأ والمعاد فإن هذا القول مع وجازة لفظه جامع لجميع الضروريات. حكى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يوما نائما في المسجد، فإذا هو بقائم على رأسه يتشهد شهادة الحق. فأعلمه أنه من بطارقة الروم من جملة من يُحسن قَهْمَ الألسن من العرب وغيرها، وأنه سمع رجلا من أسراء المسلمين يقرأ آية من كتابكم، فتأملها فإذا هي جامعة لكل ما أنزل الله على عيسى بن مريم من أحوال الدنيا والآخرة. وهي قوله : ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ (١) الآية. وحكى أن طيبيا نصرانياً حاذقا سأل

(١) سورة النساء (١٣) .

الحسين بن علي الواقدي : لماذا لم ينفل شيء في كتابكم عن علم الطب والعلم علما علم الأبدان وعلم الأديان ؟ فقال الحسين : إن الله بين علم الطلب كله في نصف آية. فسأل الطبيب النصراني عن هذه الآية، فقال هي قوله : ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا ﴾<sup>(١)</sup> ما أحل الله لكم من المطعمات والمشروبات ﴿ وَلَا تُسْرِفُوا ﴾<sup>(٢)</sup> أي لا تتعدوا الى الحرام ولا تكثرُوا الاتفاق المستقبح، ولا تتناولوا مقدارا كثيرا يضركم ولا تحتاجون اليه. ثم سأل الطبيب : أقال نبيكم أيضا شيئا في هذا الأمر ؟ فقال الحسين : إن نبينا أيضا جمع الطب في ألفاظ يسيرة. فسأل الطبيب عنها فقال الحسين هي هذه : « المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء وأعط كل بدن ما عودته ». فقال الطبيب : الانصاف أن كتابكم ونبيكم ما تركا حاجة الى جالينوس. يعني بينا الأمر الذي هو رأس حفظ الصحة وإزالة المرض وأصلهما ومدارهما.

**تاسعها :** <sup>(٣)</sup> ان الجزالة والعذوبة بمنزلة الصفتين المتضادتين، واجتماعهما على ما هو ينبغي في كل جزء من الكلام الطويل بخلاف العادة المعتادة للبلغاء. فاجتماعهما في كل موضع من مواضع القرآن كله دليل على كمال بلاغته وفصاحته الخارجتين عن العادة.

**عاشرها :** أنه مشتمل على جميع فنون البلاغة، من ضروب التأكيد وأنواع التشبيه والتمثيل وأصناف الاستعارة، وحسن المطالع والمقاطع وحسن الفواصل، والتقديم والتأخير والفصل والوصل اللائق بالمقام، وخلوه عن اللفظ الركيك والشاذ الخارج عن القياس النافر عن الاستعمال، وغير ذلك من أنواع البلاغات. ولا يقدر أحد من البلغاء الكملاء من العرب العرباء إلا على نوع أو نوعين من الأنواع المذكورة. ولو رام غيره في كلامه لم يتأت له وكان مقصراً. والقرآن محتر عليها كلها. فذلك عشرة كاملة، وهذه الوجوه العشرة تدل على أن القرآن في الدرجة العالية من البلاغة الخارجة عن العادة يعرفه فصحاء العرب بسليقتهم وعلماء الفرق بمهارتهم في فن البيان واحاطتهم

(١) سورة الأعراف ( ٣١ ) .

(٢) يتابع المؤلف تفصيل الأمر الأول في كون القرآن مجزاً في البلاغة...

بأساليب الكلام، ومن كان أعرف بلغة العرب وفنون بلاغتها كان أعرف  
باعمجاز القرآن.

**الأمر الثاني :** " تأليفه العجيب وأسلوبه الغريب في المطالع والمقاطع  
والفواصل، مع اشتماله على دقائق البيان وحقائق العرفان وحسن العبارة ولطف  
الإشارة وسلاسة التركيب وسلامة الترتيب، فتحيرت فيه عقول العرب العرباء  
وفهوم الفصحاء، والحكمة في هذه المخالفة أن لا يبقى لمتعسف عنيد مظنة  
السرقة. ويمتاز هذا الكلام عن كلامهم ويظهر تفوقه، لأن البليغ، ناضلاً كان  
أو ناثراً، يجتهد في هذه المواضع اجتهاداً كاملاً ويمدح ويعاب عليه غالباً في  
هذه المواضع، كما عيَّبَ على مطلع امرئ القيس :

فقا نبك من ذكرى حبيب ومنزل يسقط اللوى بين الدخول فحومل  
بأن صدر البيت جمع بين عذوبة اللفظ وسهولة السبك وكثرة المعاني، فإنه  
وقف واستوقف وبكى واستبكى وذكر الحبيب والمنزل، وأن الشطر الثاني لا  
يوجد فيه شيء من ذلك. وعيَّبَ على مطلع أبي النجم الشاعر المشهور، فإنه  
دخل على هشام ابن عبد الملك فأنشده :

صفراء قد كدت ولما تفعل كأنها في أفق عينِ الأحول

وكان هشام أحول. فأخرجه وأمر بحبسه. وعيَّبَ على مطلع جرير، فإنه دخل  
على عبد الملك وقد مدحه بقصيدة حاثية أولها « أتصحو أم فؤادك غير  
صاح » فقال له عبد الملك فؤادك يا ابن الفاعلة. وعيَّبَ على مطلع البحتري،  
فإنه أنشد يوسف بن محمد قصيدته التي مطلعها « لك الويل من ليل تقاصر  
آخره \* فقال بل لك الويل والخزي. وعيَّبَ على مطلع اسحق الموصلي  
الأديب الحاذق، فإنه دخل على المعتصم وقد فرغ من بناء قصره بالميدان  
وأنشده قصيدته التي مطلعها :

---

(١) عودة إلى بداية إلى « الأمر الأول » من الفصل الأول من الباب الخامس، تترك الأمر السابق لهذا  
الأمر ص ٣١.

يا دار غيرك البلى ومحاك  
يا ليت شعري ما الذي أبلاك  
فتطير المعتصم من هذا المطلع وأمر بهدم القصر على الفور.

وهكذا قد خطيء أكثر الشعراء المشهورين في المواضع المذكورة. وأشرف العرب، مع كمال حداقتهم في أسرار الكلام وشدة عداوتهم للإسلام، لم يجدوا في بلاغة القرآن وحسن نظمه وأسلوبه مجالا، ولم يوردوا في القدح مقالا، بل اعترفوا أنه ليس من جنس خطب الخطباء وشعر الشعراء، ونسبوه تارة إلى السحر تعجبا من فصاحته وحسن نظمه، وقالوا تارة إنه إفك افتراه وأساطير الأولين، وقالوا تارة لأصحابهم وأحبابهم لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون. وهذه كلها دأب المحجوج المبهوت. فثبت أن القرآن معجز ببلagته وفصاحته وحسن نظمه. وكيف يتصور أن يكون الفصحاء والبلغاء من العرب العرباء كثيرين كثرة رمال الدهناء وحصى البطحاء، ومشهورين بغاية العصية والحمية والجاهلية وتهالكهم على المباراة والمباهاة والدفاع عن الاحساب، فيتركون الأمر الأسهل الذي هو الاتيان بمقدار أقصر سورة، ويختارون الأشد الأصعب مثل الجلاء وبذل المهج والأرواح، ويتلون بسبي الذراري ونهب الأموال، ومخالفهم المتحدي يقرعهم إلى مدة على رؤس الملا بامثال هذه الأقوال: ﴿ فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَن اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ ذُؤُنِ اللَّهِ إِنَّ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾<sup>(١)</sup>، ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّنْ ذُؤُنِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُقْرَضَتْهَا الْإِنسُ وَالْجِجَارَةُ ﴾<sup>(٢)</sup> ﴿ قُلْ لَّيْنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾<sup>(٣)</sup> ولو كانوا يظنون أن محمدا ﷺ استعان بغيره لامكنهم أيضا أن

(١) سورة يونس (٣٨).

(٢) سورة البقرة (٢٣ — ٢٤).

(٣) سورة الاحراء (٨٨).



يستعينوا بغيرهم لأنه كأولئك المنكرين في معرفة اللغة وفي المكنة من الاستعانة. فلما لم يفعلوا ذلك، وآثروا المقارعة على المعارضة والمقاتلة على المقالولة، ثبت أن بلاغة القرآن كانت مسلمة عندهم، وكانوا عاجزين عن المعارضة.

غاية الأمر أنهم صاروا مفترقين بين مصدق به وبين أنزل عليه وبين متحير في بديع بلاغته. رُوِيَ أنه سمع الوليد بن المغيرة من النبي ﷺ أن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون. فقال : والله إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أسفلهُ لمغْدق، وإن أعلاه لمثمر، ما يقول هذا بشر. ورُوِيَ أيضاً أنه لما سمع القرآن رق قلبه فجاءه أبو جهل — وكان ابن أخيه — منكراً عليه، قال : والله ما منكم أحدا أعلم بالأشعار مني. والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا. ورُوِيَ أيضاً أنه جمع قريشا عند حضور الموسم وقال : إن وفود العرب ترد العرب، فأجمعوا فيه رأياً لا يكذب بعضكم بعضاً. قالوا : نقول كاهن. قال : والله ما هو بكاهن بزمزمته ولا سجعته. قالوا : مجنون. قال : ما هو بمجنون ولا بحنقه ولا وسوسته. قالوا : فنقول شاعر. قال : ما هو بشاعر، قد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومبسوطه ومقبوضه. قالوا : فنقول ساحر. قال ما هو بساحر ولا نفثه ولا عقده. قالوا : فما نقول ؟ قال : ما أنتم بقائلين شيئاً من هذا إلا وأنا أعرف أنه باطل، وإن أقرب القول أنه ساحر. ثم قال : فإنه سحر يفرق به بين المرء وابنه، والمرء وأخيه، والمرء وزوجه، والمرء وعشيرته. ففارقوا وجلسوا على السبل يحذرون الناس عن متابعة النبي ﷺ. فانزل الله تعالى في الوليد : ﴿ ذُرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَجِداً ﴾ الآيات<sup>(١)</sup> ورُوِيَ أن عتبة كلم النبي ﷺ فيما جاء به من خلاف قومه، فتلا عليه : ﴿ حَمِ قُرَيْلٍ مِنَ الرُّحْمَنِ الرَّحِيمِ كِتَابَ فُصِّلَتْ ﴾ إلى قوله ﴿ أَلَذَّرُكُم صَاعِقَةٌ مِثْلُ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾<sup>(٢)</sup> فأمسك عتبة بيده على فيه وناشده الرحم أن

(١) سورة المدثر ( ١١ ) وما بعدها .

(٢) سورة فصلت ( ١ - ١٣ ) .

يكف. وفي رواية : فجعل النبي ﷺ يقرأ، وعتبة مصغ ملق بيديه خلف ظهره معتمد عليهما حتى انتهى الى السجدة، فسجد النبي ﷺ، وقام عتبة لا يدري بما يراجع. ورجع الى أهله ولم يخرج الى قومه حتى أتوه. فاعتذر لهم، وقال : والله لقد كلمني بكلام ما سمعت أذنائي بمثله قط، فما دريت ما أقول له. وذكر أبو عبيدة أن إعرابياً سمع رجلاً يقرأ ﴿فَأَصْدُغْ بِنَا نُؤْمِرُ﴾<sup>(١)</sup> فسجد، وقال سجدت لفصاحته. وسمع رجل آخر من المشركين رجلاً من المسلمين يقرأ ﴿فَلَمَّا أَسْتَأْذَنُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا﴾<sup>(٢)</sup> فقال : أشهد أن مخلوقاً لا يقدر على مثل هذا الكلام. وحكى الأصمعي أنه سمع جارية تتكلم بعبارة فصيحة وإشارة بليغة، وهي خماسية أو سداسية، وهي تقول أستغفر الله من ذنوبي كلها. فقال لها : مم تستغفرين ولم يجر عليك قلم ؟ فقالت :

أستغفر الله لذنبي كله      قلت انسانا بغير حله

مثل غزال ناعم في دله      انتصف الليل ولم أصله

فقال لها : قاتلك الله، ما أفصحك فقالت : أُوَيْعِدُ هذا فصاحة بعد قوله تعالى : ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا حَضَتْ عَلَيْهِ فَأَلْبِسْهُ فِي أَلْيَمٍ وَلَا تُخَافِي وَلَا تُخْزِي إِنَّا زَادُوهُ إِيَّاكَ وَجَاعَلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾<sup>(٣)</sup> فجمع في آية واحدة بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين. وفي حديث اسلام أبي ذر، وصف أخاه أنيساً فقال : والله، ما سمعت بأشعر من أخي أنيس. لقد ناقض إثني عشر شاعراً في الجاهلية أنا أحدهم. وإنه انطلق الى مكة وجاءني، قلت : فما يقول الناس ؟ قال : يقولون شاعر كاهن ساحر. ثم قال لقد سمعت ما قال الكهنة، فما هو قولهم ولقد وضعته على اقراء الشعر فلم يلتئم وما يلتئم على لسان أحد بعدي انه شعر وانه لصادق وانهم لكاذبون. وروي في الصحيحين عن جبير بن مطعم رضي الله عنه، قال : سمعت النبي ﷺ

(١) سورة الحجر ( ٩٤ ) .

(٢) سورة يوسف ( ٨٠ ) .

(٣) سورة القصص ( ٧ ) .

يقرأ في المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآية : ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴾ ﴿ أَمْ خُلِقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴾ ﴿ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ ﴾ (١) كاد قلبي أن يطير للإسلام. وقد حُكي أن ابن المقنع طلب معارضة القرآن وشرع فيه، فمر بصبي يقرأ ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ ﴾ (٢) فرجع، فمحا ما عمل، وقال : أشهد أن هذا لا يعارض وما هو من كلام البشر. وكان يحيى بن حكم الغزالي يبلغ الأندلس في زمنه، فحكى أنه رام شيئاً من هذا فنظر في سورة الإخلاص ليأتي على أسلوبها وينظم الكلام على متوالها، قال : فاعترتني منه خشية ورقة حملتني على التوبة والإنابة. وقال الناظم من المعزلة : اعجاز القرآن بالصرف على المعنى، إن العرب كانت قادرة على كلام مثل القرآن قبل مبعث النبي ﷺ، لكن الله صرفهم عن معارضته بسبب الدواعي بعد المبعث، فهذا الصرف خارق للعادة فيكون معجزاً. فهو أيضاً يسلم أن القرآن معجز لأجل الصرف، ومثله غير مقدور لهم بعد المبعث، وإنما نزاعه في كونه مقدوراً قبل المبعث وقوله غير صحيح بوجوه : الأول، أنه لو كان كذا لعارضوا القرآن بالكلام الذي صدر عنهم قبل المبعث ويكون مثل القرآن. والثاني، إن فصحاء العرب إنما كانوا يتعجبون من حسن نظمه وبلاغته وسلاسته في جزائه لا لعدم تأني المعارضة مع سهولتها في نفسها. والثالث، إنه لو قصد الإعجاز بالصرف لكان الأنسب ترك الاعتناء ببلاغته وعلو طبقته، لأن القرآن، على هذا التقدير، كلما كان أنزل في البلاغة وأدخل في الركافة كان عدم نيسر المعارضة أبلغ في خرق العادة. والرابع، ياباه قوله تعالى : ﴿ قُلْ لئن أَجْتَمَعَتِ الإنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾ (٣).

فإن قيل إن فصحاء العرب لما كانوا قادرين على التكلم بمثل مفردات السورة

(١) سورة الطور ( ٣٥ - ٣٧ ).

(٢) سورة هود ( ٤٤ ).

(٣) سورة الاسراء ( ٨٨ ).

ومركباتها القصيرة، كانوا قادرين على الإتيان بمثلها، قلت : هذه الملازمة ممنوعة لان حكم الجملة قد يخالف حكم الاجزاء. ألا ترى ان كل شعرة شعرة لا يصلح ان يُربطَ بها الفيلُ او السفينة، واذا سُوِّي من الشعرات حبل متين يصلح ان يُربطَ بهذا الحبل الفيلُ او السفينة، لأنها، لو صحت، لزم ان يكون كل واحد العرب قادراً على الإتيان بمثل فصحاتهم كما رى القيس واضرا به ٢١

الأمر الثالث: كون القرآن منظوياً على الاخبار عن الحوادث الآتية فوجدت في الأيام اللاحقة على الوجه الذي أخبر. /١/ كقوله تعالى: ﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ...﴾، فوقع كما أخبر ودخل الصحابة المسجد الحرام آمنين محلقين رؤوسهم ومقصرين غير خائفين /٢/ وكقوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ فكان الله وعد المؤمنين بجعل الخلفاء منهم وتمكين الدين المرضي لهم وتبديل خوفهم بالأمن، فوفى وعده في مدة قليلة بأن ظهر في حياة الرسول ﷺ أن أهل الإسلام تسلطوا على مكة وغيرها والبحرين ومملكة اليمن وأكثر ديار العرب، وأن إقليم الحبش صار دار الإسلام بإيمان النجاشي الملك، وأن أناساً من هجر وبعض المسيحيين من نواحي الشام قبلوا الإطاعة وأداء الجزية، وأن هذا التسلط زاد في خلافة الصديق الأكبر رضي الله عنه بأن تسلط أهل الإسلام على بعض ديار فارس وعلى بصرى ودمشق وبعض الديار الأخر من الشام أيضاً، ثم زاد هذا التسلط في خلافة الفاروق رضي الله عنه بأن تسلطوا على سائر ديار الشام وجميع مملكة مصر وعلى أكثر ديار فارس أيضاً، ثم زاد هذا التسلط في خلافة ذي النورين رضي الله عنه بأن تسلطوا في جانب الغرب الى أقصى الأندلس

(١) سورة الفتح (٢٧).

(٢) سورة النور (٥٥).

والقيروان وفي جانب الشرق الى حد الصين، ففي مدة ثلاثين سنة نسلط أهل الإسلام على هذه الممالك تسلطاً تاماً وغلب دين الله المرضي على سائر الأديان في هذه الممالك، فكانوا يعبدون الله آمنين غير خائفين. وفي خلافة أمير المؤمنين علي بن طالب كرم الله وجهه، وإن لم يتسلط أهل الإسلام على الممالك الجديدة، لكنه لا شبهة في ترفي الملة الإسلامية في عهده الشريف أيضاً. ٣/ وكفوله تعالى: ﴿... سَتُدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ...﴾<sup>(١)</sup> ووقع كما أخبر، لأن المراد به «قوم أولي بأس، على أظهر الوجوه وأشهرها بنو حنيفة، قوم مسيلمة الكذاب والداعي الصديق الأكبر رضي الله عنه». ٤/ وكفوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾<sup>(٢)</sup> وحال هذا القول كحال القول الثاني. وسيظهر الوفاء الكامل لهذا الوعد عن قريب على ما هو المرجو إن شاء الله، وهو على كل شيء قدير. ٥/ وكفوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ ﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ ﴿وَعَدَكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ ﴿وَالْآخَرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾<sup>(٣)</sup> والمراد به «الفتح القريب» فتح خيبر، وبه «المغانم الكثيرة» في الموضع الأول مغانم خير أو هجر. وبه «المغانم الكثيرة» في الموضع الثاني المغانم التي تحصل للمسلمين من يوم الوعد الى يوم القيامة، وبه «أخرى» مغانم هوازن أو فارس أو الروم. وقد وقع كما أخبر. ٦/ وكفوله تعالى: ﴿وَالْآخَرَى يُحِبُّونَهَا نَصْرَ مِنِ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ...﴾<sup>(٤)</sup> فقوله «أخرى» أي يعطيكم خصلة أخرى.

(١) سورة المتح (١٦).

(٢) سورة التوبة (٣٣).

(٣) سورة الفتح (١٨ — ٢١).

(٤) سورة الصف (١٣).

وقوله « نصرّ من الله » مفسّر للأخرى. وقوله « فتح قريب » أي عاجل، وهو فتح مكة، وقال الحسن هو فتح فارس والروم. وقد وقع كما أخبر. ٧/ وكقوله تعالى: ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝ ﴾، والمراد به الفتح « فتح مكة، لأن الأصح أن هذه السورة نزلت قبل فتح مكة، لأن « إذا » يقتضي الاستقبال، ولا يقال فيما وقع إذا جاء وإذا وقع. فحصل فتح مكة ودخل الناس في الإسلام فوجاً بعد فوج من أهل مكة والطائف وغيرها في حياته ﷺ. ٨/ وكقوله تعالى: ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَعْيُهُمْ... ﴾، وقد وقع كما أخبر فصاروا مغلوبين. ٩/ وكقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَعِدُّكُمْ — أي اذكروا إذ يعدكم — اللَّهُ إِخْدَى الْأَطْنَفَتَيْنِ — القافلة الراجعة من الشام والقافلة الآتية من بيت الله الحرام — أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَ — أي القافلة الراجعة — تُكُونَ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴾، فوقع كما أخبر. ١٠/ وكقوله تعالى: ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾. لما نزلت هذه الآية بشر النبي ﷺ أصحابه بأن الله كفاه شرهم وأذاهم، وكان المستهزون نفرأ بمكة ينفرون الناس عنه ويؤذونه فهلكوا بضرب البلاء وفنون العناء، فتمّ نوره وكملّ ظهوره. ١١/ وكقوله تعالى: ﴿ ... وَاللَّهُ يَغْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ... ﴾، وقد وقع كما أخبر مع كثرة مَنْ قصّد ضرره، فعصمه الله حتى انتقل من الدار الدنيا الى منازل الحسنى في العقبى. ١٢/ وكقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ غُلِبْتَ الْأَرُومُ فِي أَذْنَى الْأَرْضِ — أي أرض العرب — وَهُمْ — أي الروم — مِنْ بَعْدِ عَلَيْهِمْ سَيِّغْلِبُونَ — أي الفرس — فِي بَطْنِ سَبِينِ — أي ما بين الثلاثة والعشر — وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ مِنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ وَغَدَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ

(١) سورة النصر (١ - ٢).

(٢) سورة آل عمران (١٢).

(٣) سورة الأنفال (٢).

(٤) سورة الحجر (٩٥).

(٥) سورة المائدة (٦٧).

يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴿١١﴾  
 الفرس كانوا مجوسا والروم والنصارى، فورد خبر غلبة الفرس اباهم مكة،  
 ففرح المشركون وقالوا : أنتم والنصارى أهل الكتاب ونحن وفارس أميون لا  
 كتاب لنا وقد ظهر اخواننا على اخوانكم ولتظهروا عليكم. فنزلت هذه  
 الآيات. فقال أبو بكر رضي الله عنه : لا يقرن الله أعينكم، فوالله لتظهروا الروم  
 على فارس في بضع سنين. فقال أبي بن خلف : كذبت أحمل بيننا وبينك أجلا.  
 فراهنه على عشر قلائص من كل واحد منهما، وجعلا الأجل ثلاث سنين.  
 فأخبر أبو بكر رضي الله عنه رسول الله ﷺ، فقال : البضع ما بين الثلاث الى  
 التسع، فزايده في الإبل وماده في الأجل، فجعلها مائة قلوص الى تسع سنين.  
 ومات أبي بعدما رجع من أحد وظهرت الروم على فارس في السنة السابعة من  
 معلوبيتهم، فآخذ أبو بكر القلائص من ورثة أبي. فقال النبي ﷺ تصدق بها.

قال صاحب ميزان الحق في الفصل الرابع من الباب الثالث : « لو فرضنا  
 صدق ادعاء المفسرين أن هذه الآية نزلت قبل غلبة الروم الفرس، فنقول ان  
 محمدا ﷺ قال بظنه أو بصائب فكره لتسكين قلوب أصحابه. وقد سمع  
 مثل هذه الأقوال من أصحاب العقل والرأي في كل زمان ». انتهى. فقله ( لو  
 فرضنا صدق ادعاء المفسرين ) يشير الى أن هذا الأمر ليس بمسلم عنده.  
 وهذا عجيب، لأن قوله تعالى : ( سيغلبون في بضع سنين ) نص في أن هذا  
 الأمر يحصل في الزمان المستقبل القريب، في زمان أقل من عشرة سنين، كما  
 هو مقتضى لفظ السنين والبضع، وكذا قوله ( ويومئذ يفرح المؤمنون ) وقوله  
 ( وعد الله لا يخلف الله وعده ) لأنهما يدلان على حصول فرح في الزمان  
 الآتي، وحصول هذا الأمر فيه، ولا معنى للوعد وعدم الخلف في الأمر بعد  
 وقوعه. وقوله ان محمدا ﷺ قال بظنه أو بصائب فكره مردود بوجهين :  
 الأول، ان محمدا ﷺ كان من العقلاء عند المسيحيين أيضا. ويعترف بهذا  
 القسيس النبل ههنا، وفي المواضع الأخر من تصانيفه. وليس من شأن العاقل

(١) سورة الروم (١ - ٢).

المُدَّعي للنبوَّة أن يدَّعي ادعاء قطعياً أن الأمر الفلاني يكون في المدة القليلة هكذا البتة، ويأمر معتقديه بالرهان على هذا، سيما في مقابلة المنكرين الطالبيين لمذلتهم المتفحصين لمزلة أقدامه في أمر لا يكون وقوعه مفيداً فائدة يعتد بها : ويكون عدم وقوعه سبباً لمذلتهم وكذبهم عندهم، ويحصل لهم سند عظيم لتكذيبه. والثاني، أن العقلاء وإن كانوا يقولون في بعض الأمور بعقولهم ويكون ظنهم صحيحاً نارة وخطأ أخرى، لكن جرت العادة الإلهية بأن القائل، لو كان مدَّعي النبوَّة كذباً ويخبر عن الحادثة الآتية ويفتري على الله بنسبة هذا الخبر إلى الله، لا يكون هذا الخبر صحيحاً، بل يخرج خطأ وغلطاً البتة، كما ستعرف في آخر هذا المبحث إن شاء الله.

١٣/ وكقوله تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرُونَ سَيَهْزِمُ آلَ جَمُوحٍ وَيَقُولُونَ الْكُذِّبُ ﴾<sup>(١)</sup> وعن عمر، رضي الله تعالى عنه، أنه قال : لما نزلت لم أعلم ما هو حتى كان يوم بدر، سمعت رسول الله ﷺ وهو يلبس درعه ويقول : سيهزم الجمع، فعلمته. ١٤/ وكقوله تعالى : ﴿ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْرِجُهُمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾<sup>(٢)</sup>، وقد وقعت هذه الأقوال كما أخبر. ١٥/ وكقوله تعالى : ﴿ لَنْ يَضُرَّوْكُمْ إِلَّا أَذًى — إِمَّا بِالطَّلَعِ فِي مُحَمَّدٍ وَعِيسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَإِمَّا بِتَخْوِيفِ الضَّعْفَةِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ — وَإِنْ يَقَاتِلُوكُمْ يُولُوكُمْ الْأَذْيَارَ لَمْ لَا يَنْصُرُوا ﴾<sup>(٣)</sup>. فأخبر فيه عن ثلاث مغيبات : الأول، أن المؤمنين يكونوا آمنين من ضرر اليهود. والثاني، لو قاتلوا المؤمنين يهزمون. والثالث، أنه لا يحصل لهم قوة وشوكة بعد الانهزام. وكلها وقع. ١٦/ وكقوله تعالى : ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا تَلَقَّوْا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَخَيْلٍ مِنَ النَّاسِ رِبَاءً وَهُوَ بَعْضُ الَّذِي مِنْ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ... ﴾<sup>(٤)</sup>، وقد وقع كما أخبر. وليس لليهود

(١) سورة القمر (٤٤ — ٤٥).

(٢) سورة التوبة (١٤).

(٣) سورة آل عمران (١١١).

(٤) سورة آل عمران (١١٢).



وحكومة في موضوع من المواضيع، وفي كل اقليم يوجدون رعايا مضروباً عليهم الذلة. ١٧/ وكفوله تعالى : ﴿ سَتَلْقَى فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّغْبَ... ﴾<sup>(١)</sup>، وقد وقع يوم أحد بوجهين كما أخبر : الأول، أن المشتركين لما استولوا يوم أحد على المسلمين وهزمهم أوقع الله العرب في قلوبهم، فتركهم وفروا منهم من غير سبب. والثاني، أنهم لما ذهبوا الى مكة، فلما كانوا في بعض الطريق ندموا، فقالوا : يسما صنعتهم أنكم قتلتموهم، حتى إذا لم يبق إلا الشديدي تركتموهم. ارجعوا فاستأصلوهم قبل أن يجدوا قوة وشوكة. فقذف الله في قلوبهم الرعب، فذهبوا الى مكة. ١٨/ وكفوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُزَلُّنَا آذَكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾<sup>(٢)</sup> أي من التحريف والزيادة والنقصان مما نواتر عند علماء الأعيان من قراء الزمان. وقد وقع كما أخبر. فما قدر أحد من الملاحدة والمعطلة والقراطة أن يحرف شيئاً منه، لا حرفاً من حروف مبينة ولا من حروف معانية، ولا اعراباً من اعراباته الى هذه المدة التي نحن فيها، أعني ألفاً ومائتين وثمانين من الهجرة، بخلاف التوراة والانجيل وغيرهما، كما عرفت في الباب الأول والثاني. والحمد لله على إتمام هذه النعمة. ١٩/ وكفوله تعالى : ﴿ لَا يَأْتِيهِ أَتْبَاطِلٌ — أي التحريف بالزيادة والنقصان — مِنْ يَمِينِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾<sup>(٣)</sup>. وحال هذا القول كالقول السابق. ٢٠/ وكفوله تعالى : ﴿ إِنَّ آذَانَ عَرَبٍ عَلَى قَرْنٍ ﴾<sup>(٤)</sup> أي أحكامه وفرائضه — لَرَأْدُكَ إِلَى مَعَادٍ ﴾<sup>(٥)</sup> رُوِيَ أَنَّهُ، عليه السلام، لما خرج من الغار وسار في غير الطريق مخافة الطلب، فلما أمن، رجع الى الطريق ونزل بالجحفة بين مكة والمدينة، وعرف الطريق الى مكة، واشتاق اليها وذكر مولده ومولد أبيه. فنزل جبريل عليه السلام وقال : تشتاق الى بلدك ومولدك ؟ فقال عليه السلام : نعم. فقال

(١) سورة آل عمران ( ١٥١ ).

(٢) سورة الحجر ( ٩ ).

(٣) سورة فصلت ( ٤٢ ).

(٤) سورة القصص ( ٨٥ ).

جبريل عليه السلام : فإن الله تعالى يقول : إن الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد، يعني الى مكة، ظاهراً عليهم. ٢١/ وكن قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ — أي أيها اليهود — الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا — أي ما عاشوا — بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِأُفْعَالِ الْإِنْسَانِ ﴾<sup>(١)</sup> والمراد بالتمني بالقول ولا شك أنه، عليه الصلاة والسلام، ومع تقدمه في الرأي والحزم وحسن النظر في العاقبة، كما هو المسلم عند المخالف والموافق، والوصول الى المنزل الذي وصل اليه في الدارين، والوصول الى الرياسة العظيمة، لا يجوز له، وهو غير واثق من جهة الرب بالوحي، أن يتحدى أعدى الاعداء بامر لا يأمن عاقبة الحال فيه ولا يأمن من خصمه أن يقهره بالدليل والحجة، لأن العاقل الذي لم يجرب الأمور لا يكاد يرضى بذلك، فكيف الحال في أعقل العقلاء ؟ فثبت أنه ما أقدم على هذا التحدي إلا بعد الوحي واعتماده التام. وكذا لا شك أنهم كانوا من أشد أعدائه، وكانوا أحرص الناس في تكذيبه، وكانوا متفكرين في الأمور التي بها ينمحي الإسلام أو يحصل الذلة لأهله، وكان المطلوب منهم أمراً سهلاً لا صعباً. فلو لم يكن النبي ﷺ صادقاً في دعواه عندهم لبادروا الى القول به لشكزيه، بل أعلنوا هذا التمني بالقول مراراً وشهروا أنه كاذب يفترى على الله أنه قال كذا، ويدّعي من جانب نفسه ادعاء، ويقول تارة : والذي نفسي بيده لا يقولها رجل منهم إلا غصُّ بريقه، يعني مات مكانه، ويقول تارة : لو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا ونحن تمنينا مراراً وما متنا مكاناً. فظهر، بصرفهم عن تمنيههم مع كونهم على تكذيبه أحرص الناس، معجزته وبانت حجته. وفي هذه الآية اخباران عن الغيب : الأول، أن قوله ( لن يتموه ) يدل دلالة بينة على أن ذلك لا يقع في المستقبل من أحد منهم، فيفيد عموم الأشخاص. والثاني، إن قوله ( أبداً ) يدل على أنه لا يوجد في شيء من الأزمنة الآتية في المستقبل، فيفيد عموم الأوقات. فبالنظر الى

(١) سورة البقرة ( ٩٤ — ٩٥ )

العمومين هما غيبان. / ٢٢ / وكفوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُتِيَ بِهَا النَّاسُ وَالْحِجَابُ أَعْدَتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ (١). فأخبر بأنهم لا يفعلون البتة، ووقع كما أخبر. وهذه الآية دالة على الاعجاز من وجوه أربعة : أولها، أننا نعلم بالتواتر أن العرب كانوا في غاية العداوة لرسول الله ﷺ، وفي غاية الحرص على إبطال أمره، لأن مفارقة الأوطان والعشيرة وبذل النفوس والمهج من أقوى الأدلة على ذلك، فإذا انضاف إليه مثل هذا التقريع، وهو قوله ﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا ﴾ صار حرصهم أشد. فلو كانوا قادرين على الاتيان بمثل القرآن أو بمثل سورة منه لأتوا به، فحيث ما أتوا به ظهر الاعجاز. وثانيها، أن النبي ﷺ، وإن كان متهما عندهم في أمر النبوة، لكنه كان معلوم الحال في وفور العقل والفضل والمعرفة بالعواقب. فلو كان كاذبا لما تحلاهم بالغيا في التحدي الى النهاية، بل كان عليه أن يخاف مما يتوقعه من فضيحة يعود وبالها على جميع أموره. فلو لم يعلم بالوحي عجزهم عن المعارضة لما جاز أن يحملهم عليها بهذا التفريع. وثالثها، انه لو لم يكن قاطعا في أمره لما قطع في أنهم لا يأتون بمثله، لأن المزور لا يجزم بالكلام، فجزمه يدل على كونه جاز ما في أمره. ورابعها، أنه وجد مخبر هذا الخبر على ذلك الوجه لأنه من عهده عليه السلام الى عصرنا هذا لم يخل وقت من الأوقات ممن يعادي الدين والاسلام، وتشددوا عليه في الوقعة فيه، ثم أنه مع هذا الحرص الشديد لم توجد المعارضة قط. فهذه الوجوه الأربعة في الدلالة على الاعجاز مما تشتمل عليه هذه الآية. فهذه الأخبار وأمثالها تدل على كون القرآن كلام الله لأن عادة الله جارية على أن مدعي النبوة لو أخبر عن شيء ونسب الى الله كذبا لا يخرج خبره صحيحا. في الباب الثامن عشر من كتاب الاستثناء هكذا : « فان أحبيت وقلت في قلبك كيف أستطيع أن أميز الكلام الذي لم يتكلمه الرب، فهذه تكون لك آية إن ما قاله ذلك النبي باسم الرب ولم

يحدث، فهذا الرب لم يكن تكلم به، بل ذلك النبي صوره في تعظيم نفسه ولذلك لا تخشاه».

**الأمر الرابع:** (١) ما أخير من أعيان القرون السالفة والأمم الهالكة. وقد علم أنه كان اميا ما قرأ ولا كتب ولا اشتغل بمدرسة مع العلماء ولا مجالسة مع الفضلاء، بل تربى بين قوم كانوا يعيدون الأصنام ولا يعرفون الكتاب وكانوا عارين عن العلوم العقلية أيضا، ولم يغب عن قومه غيبة يمكن له التعلم فيها من غيرهم. والمواضع التي خالف القرآن فيها — في بيان القصص والحالات المذكورة — كتب أهل الكتاب، كقصة صلب المسيح عليه السلام وغيرها، فهذه المخالفة قصدية، اما لعدم كون بعض هذه الكتب أصلية كالنوراة والانجيل المشهورين، واما لعدم كونها الهامية. ويدل على ما ذكرت قوله تعالى إن هذا القرآن يقص على بني اسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون.

**الأمر الخامس:** ما فيه من كشف أسرار الصافقين حيث كانوا يتواطون في السر على أنواع كثيرة من المكر والكيد. وكان الله يطلع رسوله على تلك الأحوال حالا فحالا ويخبره عنها على سبيل التفصيل. فما كانوا يجدون في كل ذلك إلا الصدق. وكذا ما فيه من كشف حال اليهود وضماثرهم.

**الأمر السادس:** جمعه لمعارف جزئية وعلوم كلية لم تعهد العرب عامة ولا محمد ﷺ، خاصة من علم الشرائع والتنبيه على طرق الحجج العقلية والسير والمواعظ والحكم وأعيان الدار والآخرة ومحاسن الآداب والشيم وتحقيق الكلام.

في هذا الباب ان العلوم إما دينية أو غيرها. ولا شك أن الأولى أعظمها شأنًا وأرفعها مكانًا. فهي إما علم العقائد والأديان، وإما علم الأعمال. أما علم العقائد والأديان فهو عبارة عن معرفة الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، أما معرفة الله تعالى فهي عبارة عن معرفة ذاته ومعرفة صفات جلاله ومعرفة

---

(١) ينابيع المؤلف تفصيل الأمور المشتمل عليها الفصل الأول من الباب الخامس، والتي يتأيد بها أن القرآن كلام الله. وقد سبق تفصيل ثلاثة أمور...

صفات إكرامه وأفعاله ومعرفة أحكامه ومعرفة أسمائه. والقرآن مشتمل على دلائل هذه المسائل وتفاريحها وتفصيلها على وجه لا يسويه شيء من الكتب، بل لا يقرب منه. وأما علم الأعمال فهو إما أن يكون عبارة عن علم التكاليف المتعلقة بالظواهر، وهو علم الفقه، ومعلوم أن جميع الفقهاء إنما استنبطوا مباحثهم من القرآن، وإما أن يكون علم التصوف المتعلق بتصفية الباطن ورياضة القلوب. وقد حصل في القرآن من مباحث هذا العلم ما لا يوجد في غيره. كقوله: ﴿ تَجِدُ أَلْعَفَوَ وَأَمْرَ بِالْعُرْفِ وَأَعْرَضَ عَنِ الْخَاهِلِينَ ﴾<sup>(١)</sup>، وقوله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ... ﴾<sup>(٢)</sup>، وقوله: ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾<sup>(٣)</sup>. فقوله « ادفع بالتي هي أحسن » يعني ادفع سفاهتهم وجهالتهم بالخصلة التي هي أحسن، وهي الصبر ومقابلة السيئة بالحسنة. وقوله « فإذا الذي... الخ » يعني إذا قابلت إساءتهم بالإحسان، وأفعالهم الفبيحة بالأفعال الحسنة، تركوا أفعالهم القبيحة وانقلبوا من العداوة إلى المحبة، ومن البغضة إلى المودة. ونحو هذه الأقوال كثيرة فيه. فثبت أنه جامعٌ لجميع العلوم العقلية أصولها وفروعها، ويوجد فيه التنبيه على أنواع الدلالات العقلية، والرد على أرباب الضلال ببراہین قاهرة وأدلة باهرة، سهلة المباني، مختصرة المعاني، كقوله تعالى: ﴿ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ... ﴾<sup>(٤)</sup>، وكقوله تعالى: ﴿ ... يُخَيِّمُهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ... ﴾<sup>(٥)</sup>، وكقوله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا... ﴾<sup>(٦)</sup>. ولعنم ما قيل: جميع العلم في القرآن، لكن ناقصر عنه افهام الرجال.

(١) سورة الأعراف (١٩٩).

(٢) سورة النحل (٩٠).

(٣) سورة فصلت (٣٤).

(٤) سورة يس (٨١).

(٥) سورة يس (٢٩).

(٦) سورة الأنبياء (٢٢).

**الأمر السابع :** كونه بريقاً عن الاختلاف والتفاوت، مع أنه كتاب كبير مشتمل على أنواع كثيرة من العلوم. فلو كان ذلك من عند غير الله لوقع فيه أنواع من الكلمات المتناقضة، لأن الكتاب الكبير الطويل لا ينفك عن ذلك. ولما لم يوجد فيه ذلك، علمنا أنه ليس من عند غير الله كما قال الله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾<sup>(١)</sup>. وإلى هذه الأمور السبعة المذكورة أشار الله تعالى بقوله : ﴿ ... أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ... ﴾<sup>(٢)</sup>، لأن مثل هذه البلاغة والأسلوب العجيب والأخبار عن الغيوب والاشتمال على أنواع العلوم والبراءة عن الاختلاف والتفاوت، مع كون الكتاب كبيراً مشتملاً على أنواع العلوم لا يأتي إلا من العالم الذي لا يغيب عن علمه مثقال ذرة مما في السموات والأرض.

**الأمر الثامن :** كونه معجزة باقية متلوة في كل مكان مع تكفل الله بحفظه، بخلاف معجزات الأنبياء، فانها انقضت بانقضاء أوقانها، وهذه المعجزة باقية على ما كانت عليه من وقت النزول الى زماننا هذا. وقد مضت مدة ألف ومائتين وثمانين وحجتها القاهرة، ومعارضته ممسعة. وفي الأزمان كلها القرى والأمصار مملوءة بأهل اللسان وأئمة البلاغة، والملحد فيهم كثير، والمخالف العنيد حاضر ومهيأ، وتبقى إن شاء الله هكذا ما بقيت الدنيا وأهلها في خير وعافية. ولما كان المعجز منه بمقدار أقصر سورة، فكل جزء منه بهذا المقدار معجزة. فعلى هذا، يكون القرآن مشتملاً على أكثر من ألفي معجزة.

**الأمر التاسع :** إن قارئه لا يسأمه، وسامعه لا يمل، بل تكرراره يوجب زيادة محبة، كما قيل :  
وخير جليس لا يمل حديثه وترداده يزداد فيه تجملاً

(١) سورة النساء (٨٢).

(٢) سورة الفرقان (٦).

وغيره من الكلام. ولو كان بليغاً في الغاية يُمل مع التردد في السمع ويكره في الطبع. ولكن هذا الأمر بالنسبة الى مَنْ له قلب سليم، لا إلى مَنْ له طبع سقيم.

**الأمر العاشر :** كونه جامعاً بين الدليل ومدلوله، فالتالي له اذا كان ممن يدرك معانيه يفهم مواضع الحجة والتكليف معاً في كلام واحد باعتبار منطوقه ومفهومه، لأنه ببلاغة الكلام يُستدل على الاعجاز، وبالمعاني يقف على أمر الله ونهيه ووعدته ووعيته.

**الأمر الحادي عشر :** حفظه لمتعلميه بالسهولة، كما قال الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ...﴾ ، نحفظه مُيسراً على الأولاد الصغار في أقرب مدة. ويوجد في هذه الأمة في هذا الزمان أيضاً، مع ضعف الإسلام في أكثر الأقطار، أزيد من مائة ألف من حفاظ القرآن بحيث يمكن أن يكتب القرآن من حفظ كل منهم من الأول الى الآخر بحيث لا يقع الغلط في الإعراب، فضلاً عن الألفاظ. ولا يخرج في جميع ديار اوربا عدد حفاظ الانجيل بحيث يساوي الحفاظ في قرية من قرى مصر مع فراغ بال المسيحيين وتوجههم الى العلوم والصنائع منذ ثلثمائة سنة. وهذا هو الفضل البديهي لأمة محمد ﷺ وكتابهم.

**الأمر الثاني عشر :** الخشية التي تلحق قلوب سامعيه وأسماعهم عند سماع القرآن، والهيبة التي تعتري تاليه. وهذه الخشية قد تعتري مَنْ لا يفهم معانيه ولا يعلم تفسيره. فعنهم مَنْ أسلم لها لأول وهلة، ومنهم مَنْ استمر على كفره، ومنهم من كفر حيثئذ ثم رجع بعده الى ربه. رُوِيَ أن نصرانياً مرَّ بقارئ فوقف يبكي، فسئل عن سبب البكاء، فقال : الخشية التي حصلت له من أثر كلام الرب. وأن جعفر الطيار، رضي الله عنه، لما قرأ القرآن على النجاشي وأصحابه ما زالوا يبكون حتى فرغ جعفر، رضي الله عنه، من القراءة.

(١) سورة القمر (١٧ و ٢٢ و ٣٢ و ٤٠).

وان النجاشي أرسل سبعين عالما من العلماء المسيحية الى رسول الله ﷺ، فقرأ عليهم سورة يس فيكونوا وآمنوا، فنزل في حق الفريقين أو أحدهما قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنْ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ (١). وقد عرفت حال جبير بن مطعم، رضي الله عنه، وعتبة وابن المقفع ويحيى بن حكيم الغزالي. وقال نور الله الشوستري في تفسيره ان العلامة علي القوشجي لما راح من وراء النهر الى الروم، جاء اليه حبر من أحيار اليهود لتحقيق الإسلام، وناظره الى شهر وما سلم دليلاً من أدلة العلامة الى هذا الحين. فجاء يوماً وقت الصبح، كان العلامة مشتغلاً بتلاوة القرآن على سطح الدار وكان كربه الصوت في الغاية، فلما دخل الباب وسمع القرآن أثر القرآن في قلبه تأثيراً بليغاً. فلما وصل الى العلامة قال إني أدخل في الإسلام، فأدخله العلامة في الإسلام، ثم سأل عن السبب، فقال : ما سمعت مدة عمري كربه الصوت مثلك، فلما وصلت الى الباب سمعت منك القرآن وقد حصل تأثيره البليغ في فعلت أنه وحي. فثبت من الأمور المذكورة أن القرآن معجز وكلام الله. كيف لا، وحسن الكلام يكون لأجل ثلاثة أشياء : أن تكون ألفاظه فصيحة، وأن يكون نظمه مرغوباً، وأن يكون مضمونة حسناً. وهذه الأمور الثلاثة متحققة في القرآن بلا ريب.

ونختتم هذا الفصل ببيان ثلاث فوائد :

**الفائدة الأولى:** سبب كون معجزة نبينا من جنس البلاغة أيضاً، ان بعض المعجزات تظهر في كل زمان من جنس ما يغلب على أهله أيضاً، لأنهم يبلغون فيه الدرجة العليا، فيقفون فيه على الحد الذي يمكن للبشر الوصول اليه. فإذا شاهدوا ما هو خارج عن الحد المذكور، علموا أنه من عند الله. وذلك كالسحر في زمن موسى عليه السلام، فإنه كان غالباً على أهله وكاملين فيه. ولما علم السحرة الكلمة أن حد السحر تخيل لما لا ثبوت له حقيقة، ثم

(١) سورة المائدة (٨٣).



رأوا عصاه انقلبت ثعباناً يتلقف سحرهم الذي كانوا يقلبونه من الحق الثابت الى المتحيل الباطل من غير أن يزداد حجمها، علموا أنه خارج عن السحر ومعجزة من عند الله، فآمنوا به. وأما فرعون فلما كان قاصراً في هذه الصناعة ظن أنه سحر أيضاً، وإن كان أعظم من سحر سحرته. وكذا الطب لما كان غالباً على أهل زمن عيسى عليه السلام وكانوا كاملين فيه، فلما رأوا إحياء الميت وإبراء الأكفم علموا بعلمهم الكامل أنهما ليسا من حد الصناعة الطبية، بل هو من عند الله. والبلاغة قد بلغت في عهد الرسول عليه السلام الى الدرجة العليا، وكان بها فخارهم، حتى علقوا القصائد السبع بباب الكعبة تحدياً بمعارضتها، كما تشهد به كتب السير. فلما أتى النبي ﷺ بما عجز عن مثله جميع البلغاء، عُلِمَ أن ذلك من عند الله قطعاً.

**الفائدة الثانية :** نزول القرآن منجماً ومفرقاً ولم ينزل دفعة واحدة بوجوه : أحدها، ان النبي ﷺ لم يكن من أهل القراءة، فلو نزل عليه ذلك جملة واحدة كان لا يضبطه ولجاز عليه السهو. وثانيها، لو أنزل الله عليه الكتاب دفعة فربما اعتمد على الكتاب وتساهل في الحفظ. فلما أنزله الله منجماً حفظه وبقي سنّة الحفظ في أمته. وثالثها، في صورة نزول الكتاب دفعة. لو كان نزول جميع الأحكام دفعة واحدة على الخلق لكان ينقل عليهم ذلك ولما نزل مفرقاً لا جرم نزلت التكاليف قليلاً قليلاً فكان تحملها أسهل كما روي عن بعض الصحابة، أنه قال : لقد أحسن الله إلينا كل الإحسان. كنا مشركين، فلو جاء رسول الله بهذا الدين جملة وبالقرآن دفعة لثقلت هذه التكاليف علينا، فما كنا ندخل في الإسلام، ولكنه دعانا الى كلمة واحدة. فلما قبلناها وذقنا حلاوة الإيمان، قبلنا ما وراءها كلمة بعد كلمة، الى أن تمّ الدين وكملت الشريعة. ورابعها، أنه إذا شاهد جبريل حالاً بعد حال يقوى قلبه بمشاهدته. فكان أقوى على أداء ما حمل، وعلى الصبر على عوارض النبوة، وعلى احتمال أذية القوم. وخامسها، أنه لما تمّ شرط الإعجاز فيه، مع كونه منجماً، ثبت كونه معجزاً. فإنهم لو قدروا لوجب أن يأتوا بمثله منجماً مفرقاً. وسادسها، كان القرآن ينزل بحسب أسئلتهم والوقائع الواقعة لهم، فكانوا يزدادون بصيرة. لأن الاخبار عن الغيوب كان ينضم بسبب ذلك الى

الفصاحة. وسابعها، أن القرآن لما نزل منجماً مفرقاً وتحداهم النبي ﷺ من أول الأمر، فكأنه تحداهم بكل واحد من نجوم القرآن، فلما عجزوا عنه كان عجزهم من معارضة الكل أولى. فثبت بهذا الطريق أن القوم عاجزون عن المعارضة لا محالة. وثامنها، أن السفارة بين الله وبين أنبيائه وتبليغ كلامه اليهم منصب عظيم، فلو نزل القرآن دفعة واحدة كان زوال هذا المنصب عن جبريل عليه السلام محتملاً، فلما نزل مفرقاً منجماً بقي ذلك المنصب العظيم عليه.

**الفائدة الثالثة :** سبب تكرار بيان التوحيد وحال القيامة وقصص الأنبياء في مواضع، ان العرب كانوا مشركين وثنيين ينكرون هذه الأشياء. وغير العرب، بعضهم مثل أهل الهند والصين والمجوس، كانوا مثل العرب في الإنكار، وبعضهم كأهل التثليث كانوا في الإفراط والتفريط في اعتقاد هذه الأشياء. فلأجل التقرير والتأكيد كرر بيان هذه الأشياء. ولتكرار القصص أسباب أخر أيضاً، منها أن اعجاز القرآن، لما كان باعتبار البلاغة أيضاً وكان التحدي بهذا الاعتبار، فكررت القصص بعبارات مختلفة ايجازاً واطناً مع حفظ الدرجة العليا للبلاغة في كل مرتبة لِيُعْلَمَ أَنَّ القرآن ليس كلام البشر. لأن هذا الأمر عند البلغاء خارج عن القدرة البشرية، ومنها أنه كان لهم أن يقولوا ان الألفاظ الفصحى التي كانت مناسبة لهذه القصة استعمالها، وما بقيت الألفاظ الأخرى مناسبة لها، وأن يقولوا ان طريق كل بليغ يخالف طريق الآخر، فبعضهم يقدر على الطريق المطرب، وبعضهم على الموجز، فلا يلزم من عدم القدرة على نوع عدم القدرة مطلقاً، أو أن يقولوا ان دائرة البلاغة ضيقة في بيان القصص، وما صدر عنك بيانها مرة فمحمول على البخت والافناق، فلما كررت القصص ايجازاً واطناً لم يبق عذر من هذه الأعذار الثلاثة، ومما أنه، ﷺ، كان يضيق صدره بإيذاء القوم وشرهم، كما أخبر الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴾ (١)، فيقص الله قصة

من قصص الأنبياء مناسبة لحاله في ذلك الوقت لتثبيت قلبه، كما أخبر الله تعالى : ﴿ وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنَ الْأَنْبَاءِ الرَّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١)، ومنها أن المسلمين كانوا يحصل لهم الإيذاء من أيدي الكفار، أو أن فوما كانوا يسلمون، أو أن الكفار كان المقصود تنبيههم، فكان الله ينزل في كل موضع من هذه القصص ما يناسبه، لأن حال السلف تكون عبرة للخلف، ومنها أن القصة الواحدة قد تشتمل على أمور كثيرة فتذكر تارة ويقصد بها بعض الأمور قصدا وبعضها تبعا وتعمكس مرة أخرى.

---

(١) سورة هود ( ١٢٠ ) .



## الفصل الثاني

### في رفع شبهات القسيسين على القرآن

الشبهة الأولى : لا نسلم أن عبارة القرآن في الدرجة القصوى من البلاغة الخارجة عن العادة. ولو سلمنا ذلك فهو يكون دليلاً ناقصاً على الإعجاز لأنه لا يظهر إلا لمن كان له معرفة تامة بلسان العرب، ويلزم أن يكون جميع الكتب التي توجد في الألسن الأخرى مثل اليوناني واللاتيني وغيرهما في الدرجة العالية من البلاغة كلام الله. على أنه يمكن أن تؤدي المطالب الباطلة والمضامين القبيحة بألفاظ فصيحة وعبارات بليغة في الدرجة القصوى.

والجواب : عدم تسليم كون عبارة القرآن في الدرجة العليا مكابرة محضه، لما عرفت في الأمر الأول والثاني من الفصل الأول. وقولهم ( لأنه لا يظهر إلا لمن كان له معرفة تامة بلسان العرب ) حق، لكن التقريب غير تام. لأن هذه المعجزة، لما كانت لتعجيز البلغاء والفصحاء، وقد ثبت عجزهم ولم يعارضوا واعترفوا بها، وعرفها أهل اللسان بسليقتهم، وغيرهم من العلماء بمهارتهم في فن البيان وإحاطتهم بأساليب الكلام، وعرفها العوام من الفرق بشهادة ألوف ألوف من أهل اللسان والعلماء. فظهر أنها معجزة يفناً، ودليل كامل لا ناقص، كما زعموا، وصارت سبباً من الأسباب الكثيرة التي يُعلم بها أن القرآن كلام الله. ولا يدعى أهل الإسلام أن سبب كون القرآن كلام الله منحصر في كونه بليغاً فقط، وكذا لا يدعون أن معجزة النبي ﷺ منحصرة

في بلاغة القرآن فقط، بل يدعون أن هذه البلاغة سبب من الأسباب الكثيرة لكون القرآن كلام الله وأن القرآن بهذا الاعتبار أيضاً معجزة من المعجزات الكثيرة للنبي ﷺ، كما عرفت في الفصل الأول وستعرف في الباب السادس إن شاء الله تعالى. وهذه المعجزة ظاهرة في هذا الرمان أيضاً لألوف ألوف من أهل اللسان وماهري علم البيان، وعَجَزُ المخالفين ثابت من ظهورها إلى هذا الحين، وقد مضت مدة ألف ومائتين وثمانين من الهجرة. وقد عرفت في الأمر الثاني من الفصل الأول أن قول النظام مردود، وما قال أبو موسى — الملقب بمزدار راحب المعتزلة — أن الناس قادرون على مثل هذا القرآن فصاحة ونظماً وبلاغة فهو مردود أيضاً كقول النظام. على أن مزدار هذا كان رجلاً مجنوناً استولت على دماغه اليوسة بسبب كثرة الرياضة، فهذه أمثال هذه الهذيانات كثيراً. مثلاً كان يقول إن الله قادر على أن يكذب ويظلم ولو فعل لكان الهاً كاذباً ظالماً، وإن مَنْ لاهَسَ السلطانَ كافر لا يورث ولا يورث منه، وقوله يلزم أن يكون جميع الكتب الخ غير مسلم، لأن هذه الكتب لم تثبت بلاغتها في الدرجة القصوى باعتبار الوجوه التي مر ذكرها في الأمر الأول والثاني من الفصل الأول، ولم يثبت ادعاء مصنفها بالإعجاز ولا عجز مصحاء هذه الألسن عن معارضتها. فإن ادعى أحد هذه الأمور بالنسبة إلى هذه الكتب فعليه الإثبات، وإلا فلا بد أن يمتنع عن مثل هذا الادعاء الباطل. على أن شهادة بعض المسيحيين في حق الكتب المذكورة بأنها في هذه الألسن مثل القرآن في اللسان العربي في الدرجة العليا من البلاغة، غير مقبولة، لأنهم إذا لم يكونوا من أهل اللسان فلا يميزون غالباً في لسان الغير بين المذكر والمؤنث، ولا بين المفرد والثنية والجمع، ولا بين المرفوع والمنصوب والمجرور، فضلاً عن أن يميزوا الأبلغ عن البليغ. وعدم تمييزهم هذا لا يختص بالعربي، بل فيه وفي العبراني واليوناني واللاتيني على طريقة واحدة. ومنشأ عدم التمييز سذاجة كلامهم، سيما إذا كان هذا البعض من أهل انكساره. فإنهم يشاركون في هذه السذاجة غيرهم من المسيحيين ويمتازون عنهم بعادة أخرى أيضاً وهي أنهم إذا عرفوا ألفاظاً معدودة من لسان الغير يظنون أنهم تحرّروا في المعرفة، وإذا تعلموا مسائل معدودة من علم يحدّون

أنفسهم من علماء هذا العلم. والفرنساويون واليونانيون طاعنون عليهم في هذه العادة. ويشهد على الدعوى الأولى أن الأب سركيس الهاروني مطران الشام جمع باذن البابا اربانوس الثامن كثيراً من القسيسين والرهبان والعلماء ومعلمي اللسان العبراني والعربي واليوناني وغيرها ليصلحوا الترجمة العربية التي كانت مملوءة بالاعلاط الكثيرة والنقصانات الغزيرة، فاجتهدوا في هذا الباب اجتهداً ناماً في سنة ألف وستمئة وخمسة وعشرين من الميلاد، فأصلحوا. لكنه لما بقي بعد الاصلاح التام في تراجمهم النقصانات التي هي لازمة لسجية المسيحيين اعتذروا عنه في المقدمة التي كتبوها في أول تلك الترجمة. فانقل عذرهم عن المقدمة المذكورة بعبارتهم وألفاظهم وهي هذه : « ثم انك في هذا النقل تجد شيئاً من الكلام غير موافق لقوانين اللغة بل مضاداً لها، كالجنس المذكور بدل المؤنث، والعدد المفرد بدل الجمع، والجمع بدل المثنى، والرفع مكان الجر، والنصب في الاسم، والجزم في الفعل، وزيادة الحروف عوض الحركات، وما يشابه ذلك فكان سبباً لهذا كله سداجة كلام المسيحيين، فصار لهم نوع تلك اللغة مخصوصاً، ولكن ليس في اللسان العربي فقط، بل في اللاتيني واليوناني والعبراني تغافلت الأنبياء والرسل والآباء الأولون عن قياس الكلام لأنه لم يرد روح القدس أن نقيّد اتساع الكلمة الإلهية بالحدود المضيق التي حدثتها الفرائض النحوية، فقدم لنا الأسرار السماوية بغير فصاحة وبلاغة ». انتهى كلامهم.

ويشهد على الدعوى الثانية أن أبا طالب خان السباح ألف كتاباً باللسان الفارسي سماه بالمسير الطالبي، وهو مشتمل على أحوال سياحته، وكتب فيه من حالات كل اقليم ساح فيه ما رأى فيه من المحاسن والذمائم. فكتب محاسن أهل انكتره وذرائمهم، فاترجم الذميمة الثامنة من كتابه لتعلق الحاجة بها في هذا المقام فقال : « الثامنة خطوهم في معرفة حد العلوم ولسان الغير، لأنهم يحسبون أنفسهم عارفي كل لسان ومن أهل كل علم إذا عرفوا ألفاظاً معدودة من ذلك اللسان أو مسائل معدودة من ذلك العلم ويؤلفون الكتب فيهما وينشرون هذه المزخرفات بعد الطبع. ووقفت على هذا المعنى بشهادة الفرنساويين واليونانيين، لأن تحصيل أمتهم رائج في أهل انكتره، وحصل

لي اليقين بمشاهدة تصرفاتهم في اللسان الفارسي ». انتهى. ثم قال : « اجتمع في لندن الكتب الكثيرة من هذا النوع، بحيث كاد أن تبقى الكتب الحققة بعد برهة من الزمان غير مميزة ». انتهى كلامه. وقولهم ( على أنه يمكن أن تؤدي المطالب الباطلة الخ ) لا ورود له في حق القرآن لأنه مملوء من أوله الى آخره بذكر هذه الأمور السبعة والعشرين، ولا تجد آية طويلة فيه تكون خالية عن ذكر أمر من هذه الأمور : ١/ الصفات الكاملة الإلهية مثل كونه واحداً وقديماً وأزلياً وأبدياً وقادراً وعالمأً وسميعاً وبصيراً ومتكلمأً وحكيماً وخبيراً وخالق السموات والأرض ورحيماً ورحماناً وصبوراً وعادلاً وقُدوساً ومحياً ومميتاً وغيرها. ٢/ تنزيه الله عن المعائب والنقائص مثل الحدوث والعجز والجهل والظلم وغيرها. ٣/ الدعوة الى التوحيد الخالص والمنع عن الشرك مطلقاً وعن التثليث الذي هو شعبة الشرك يقيناً، كما علمت في الباب الرابع. ٤/ ذكر الأنبياء عليهم السلام. ٥/ تنزيههم عن عبادة الأوثان والكفر وغيرها. ٦/ مدح المؤمنين بالأنبياء. ٧/ ذم منكريهم. ٨/ تأكيد الإيمان بالأنبياء عموماً وبالمسيح خصوصاً. ٩/ الوعد بأن المؤمنين يغلبون المنكرين عاقبة الأمر. ١٠/ حقيقة القيامة وجزاء الأعمال في يومها. ١١/ ذكر الجنة والنار. ١٢/ ذم الدنيا وبيان عدم ثباتها. ١٣/ مدح العقبي وبيان ثباتها. ١٤/ بيان حل الأشياء وحرمتها. ١٥/ بيان أحكام تدبير المنزل. ١٦/ بيان أحكام سياسات المدن. ١٧/ التحريض على محبة الله وأهل الله. ١٨/ بيان الأشياء التي هي ذريعة الوصول الى الله. ١٩/ الزجر عن مصاحبة الفجار والفساق. ٢٠/ تأكيد خلوص النية في العبادات البدنية والمالية. ٢١/ التهديد على الرياء والسمعة. ٢٢/ التأكيد على تهذيب الأخلاق بالإجمال والتفصيل. ٢٣/ التهديد على الأخلاق الذميمة بالإجمال. ٢٤/ مدح الأخلاق الحسنة مثل الحلم والتواضع والكرم والشجاعة والعفة وغيرها. ٢٥/ ذم الأخلاق القبيحة مثل الغضب والتكبر والبخل والجبن والظلم وغيرها. ٢٦/ وعظ التقوى. ٢٧/ الترغيب الى ذكر الله وعبادته. ولا شك أن هذه الأمور محمودة عقلاً ونقلًا، وجاء ذكر هذه الأمور في القرآن مراراً للتأكيد والتقرير. ولو كانت هذه المضامين فيبيحة فأَي مضمون يكون حسناً.



نعم، لا يوجد في القرآن /١/ أن النبي الفلاني زنى بانيته /٢/ أو زنى  
بزوجة الغير وقتله بالحيلة /٣/ أو عبد العجل /٤/ أو ارتد في آخر عمره،  
وعبد الأصنام، وبنى المعابد لها /٥/ أو افترى على الله الكذب، وكذب في  
التبليغ وخدع بكذبه نبياً آخر مسكيناً وألقاه في غضب الرب /٦/ أو أن داود  
وسليمان وعيسى عليهم السلام كلهم من أولاد ولد الزنا وهو فارض بن يهودا  
/٧/ أو أن الرسول الأعظم ابن الله البكر أبا الأنبياء زنى ابنة الأكبر بزوجة أبيه  
/٨/ وإبنة الثاني بزوجة ابنه، وسع هذا النبي العظيم الشأن ما صدر عن إبنيه  
المحبوبين وما أجرى عليهما الحد، غير أنه دعا على الأكبر وقت موته لأجل  
هذه الحركة الشنيعة ولم ينقل في حق الآخر الغضب أيضاً، بل دعا له بالبركة  
التامة عند الموت /٩/ أو أن الرسول العظيم الآخر البكر الثاني أيضاً الزاني  
بزوجة الغير زنى إبنة الحبيب بينته الحبيبة، وسمع وما أجرى عليهما الحد.  
لعله امتنع عن الحد لأنه كان مبتلى بالزنا أيضاً في زعمهم، فكيف يجري على  
الغير سيما على أولاده ؟ وهذا القدر مسلم بين اليهود والنصارى ومصرح به  
في كتب العهد العتيق المسلمة عند الفريقين /١٠/ أو أن يحيى عليه السلام  
الرسول الذي هو أعظم الأنبياء الإسرائيلية بشهادة عيسى عليه السلام، وإن  
كان الأصغر في ملكوت السموات، أعظم منه بشهادة عيسى عليه السلام أيضاً  
لم يعرف إلهه الثاني ومرسله الذي هو عيسى — باعتبار العلاقة المجهولة —  
معرفة جيدة إلى ثلاثين سنة ما لم يصر هذا الإله مريداً لعبده هذا، وما لم  
يحصل الاصطباغ منه، وما لم ينزل على هذا الإله الثاني الإله الثالث في شكل  
الحمامة. وبعد ما رأى نزول الثالث على الثاني في الشكل المذكور تذكر أمر  
الإله الأول الأب أن الإله الثاني هو ربه ومالكة وخالق الأرض والسموات  
/١١/ أو أن الرسول الآخر السارق الذي كان عنده الكيس للمسقة — أعني  
يهودا الاسخريوطي الذي هو صاحب الكرامات والمعجزات وأحد الحوارين  
الذين هم أعلى منزلة من موسى بن عمران وسائر الأنبياء الإسرائيلية على  
زعمهم — باع دينه بدنياه بثلاثين درهماً، ورضي بتسليم إلهه بأيدي اليهود  
على هذه المنفعة القليلة حتى أخذوا إلهه وصلبوه. لعل هذه المنفعة كانت  
عظيمة عنده لأنه كان صياداً مفلوكاً لصاً، وإن كان رسولاً صاحب معجزات

أيضاً على زعمهم، فتلاثون درهماً عبده كانت أحب وأعظم رتبة من هذا الإله المصلوب ١٢/ أو أن قيافا رئيس الكهنة الذي ثبتت نبوته بشهادة يوحنا الانجيلي، أفضى بقتل إلهه وكذبه وكفره وأهانته، ووقع في حق هذا الإله المصلوب ثلاثة أمور عجيبة من ثلاثة أنبياء، عدد التثليث، ان أعظم أنبيائه الإسرائيلية لم يعرفه معرفة جيدة الى ثلاثين سنة، ما لم يصر هذا الإله مريدا له، ولم ينزل عليه الإله الثالث في شكل الحمامة، وأن نبيه الثاني رضي بتسليمه ورجع منفعة ثلاثين درهما على منزلة ألوهيته ووعدته، وأن رسوله الثالث أفضى بقتله وكذبه وكفره. أعادنا الله من أمثال هذه الاعتقادات السوء في حق الأنبياء عليهم السلام. ولا يؤاخذني على ما نقلت هذه المزخرفات على سبيل الإلزام. والله ثم بالله لا أعتقد في حق الأنبياء هذه الكذبات وهم بريئون منها. وأقول : القدر الذي نقلت من حال يحيى عليه السلام الى حال قيافا مصرح به في العهد الجديد.

وكذا لا يوجد في القرآن هذه المسائل الفخيمة التي عجزت في أكثرها عقولنا بل عقول العالم، ويعتقدها الفرقة القديمة العظيمة الشأن، أعني فرقة كاتلك التي عددها بحسب إدعاء بعض آبائها في هذا الزمان أيضا بقدر مائتي مليون ١/ ان مريم عليها السلام قد حبلت بها أمها بلا قرب الزوج، كما انكشفت هذه الحقيقة على البابويين من مدة قريبة. ٢/ ان مريم والدة الله حقيقة. ٣/ ان كل خير من الخيرات، وإن كانت بمقدار مليون غير متعددة، يستحيل في العشاء الرباني في آن واحد في أمكنة مختلفة الى المسيح الكامل بلاهوته وناسوته الذي تولد من العذراء، إذا فرض أن مليون من الكهنة في أطراف العالم شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً قدسوا في آن واحد. ٤/ ان خبزاً واحداً إذا كسره الكاهن، ولو إلى مائة ألف كسرة، يصير كل كسرة منه أيضاً مسيحاً كاملاً، وإن كان وجود الجيوب ثم الطحن ثم العجن ثم وجود الخبز ثم الكسرة كلها من الحوادث بمشاهدة، فتعطل حكم المحس عندهم في هذه الأمور كلها. ٥/ أنه لا بد أن يصطنع الصور والتماثيل ويسجد قدامهن. ٦/ انه لا خلاص بدون الإيمان بالبابا، وإن كان غير صالح في نفس الأمر ٧/ ان أسقف رومية هو البابا دون غيره، وهو رأس الكنيسة

ومعصوم من الغلط. /٨/ ان كنيسة رومية هي أم الكنائس كلها ومعلمتها. /٩/ إن للبابا ولتعلقه خزانة من قدر جزيل من استحقاقات القديسين أن يسمحوا الغفرانات، سيما إذا استوفوا ثمناً وافياً لاجلها، كما هو المروّج عندهم. /١٠/ إن البابا له منصب تحليل الحرام وتحريم الحلال. قال المعلم ميخائيل مشاقفة من علماء يروتسنت في الصفحة ٦٦ من كتابه المسمى بأجوبة الانجيليين على أباطيل التقليديين المطبوع سنة ١٨٥٢ في بيروت هذا : « والآن تراهم يزوّجون العم بابنة أخيه، والمخال بابنة أخته، والرجل بامرأة أخيه ذات الأولاد، خلافاً لتعليم الكتب المقدسة ولمجامعهم المعصومة. وقد أضحت هذه المحرمات حلالا عند أخذهم الدراهم عليها. وكم من التحديدات وضعوها على الاكليركيين بتحريم الزيجة الناموسية المأمور بها من رب الشريعة » انتهى كلامه بلفظه. ثم قال : « وكم حرموا أصناف الأطعمة ثم أباحوا ما حرموه، وفي عصرنا أباحوا أكل اللحوم في صومهم الكبير الذي طالما شددوا بتحريمها فيه ». انتهى كلامه بلفظه. وفي الرسالة الثانية من كتاب الثلاث عشرة رسالة في الصفحة ٨٨ : « فرنسيس ذا بادلا الكردينال يقول ان البابا مأذون أن يعمل ما يريد حتى ما لا يحل أيضاً، وهو أكبر من الله سبحانه الله عما يصفون ». انتهى كلامه بلفظه.

/١١/ ان أنفس الصديقين تتوجه الى العذاب في المطهر وتنقلب في نيرانه حتى يمنحها الباب الغفران، أو يخلصها القسوس بقداستهم بعد استيلائهم على أثمانها، وهو غير جهنم. وأهل هذه الفرقة يحصلون السندات من نواب البابا وخلفائه لتحصيل النجاة من عذابه. لكن العجب من هؤلاء العقلاء أنهم إذا إشتروا سندات من هذا خليفة الله النافذ أمره في الأرض والسماء، قَلِمَ لا يطلبون منه وصولات ممضية بختم الذين أعتقهم عن العذاب ؟ ولما كانت قدرة الباباوات تزيد يوماً قيوماً بفيض روح القدس، اخترع البابا لاون العاشر للمغفرة تذاكر تُعطى منه أو من وكيله للمشتري بمغفرة خطاياهم الماضية والمستقبلية أيضاً، وكان مكتوباً فيها هكذا : « ربنا يسوع المسيح يرحمك ويعفو عنك باستحقاقات آلامه المقدسة. وبعد فقد وهب لي بقدرة سلطان رسله بطرس وبولس والبابا الجليل في هذه النواحي أن أغفر لك أولاً عيوبك

الكليروسية مهما كانت، ثم خطاياك ونقائصك ولو مهما كانت تفوت الاحصاء، بل أيضا الخطايا المحفوظ حلها للبايا وبقدر امتداد مفاتيح الكنيسة الرومانية أغفر لك كل العذابات التي سوف تستحقها في المطهر، وأردك الى أسرار الكنيسة المقدسة وإلى اتحادها وإلى ما كنت حاصلا عليه عند عمادك من العفة والطهارة، حتى أنك متى مت تعلق في وجهك أبواب العذابات وتفتح لك أبواب الفردوس، وإن لم تمت الآن فهي باقية لك بفاعلية تامة الى آخر ساعة موتك باسم الاب والابن والروح القدس آمين». كتب بيد الأخ يوحنا تنزل الوكيل الثاني. /١٢/ ان مسافة جهنم فراغ مكعب في قلب الأرض كل من أضلعه مائتا ميل. /١٣/ ان الباب يرسم الصليب على نعليه، وغيره على وجهه لعل نعلي البايا ليسا أدون من الصليب ومن وحوه الأساقفة الآخرين. /١٤/ أن بعض القديسين وجهه كوجه الكلب وجسده كجسد الإنسان وهو يشفع لهم عند الله. قال المعلم المذكور في الصفحة ١١٤ من كتابه المذكور، طاعنا على تلك الفرقة : « وربما صوروا بعض قديسين على صورة لم يخلق الله مثلها كتصويرهم رأس كلب على جسم انسان يسمونه القديس خريستفورس، ويقدمون له أنواع العباداة، إذ يقولونه ويسجدون أمامه ويشعلون له الشموع ويطلقون البخور ويلتمسون شفاعته. فهل يليق بالمسيحيين الاعتقاد بوجود العقل النطقي والقداسة في أدمغة الكلاب ؟ أين هي من عصمة كنائسهم من الغلط ؟ انتهى كلامه بلفظه. وهذا القول ( هل يليق بالمسيحيين الخ ) صادق يقيناً. وهذا القديس مشابه لبعض قديسي مشركي الهند. ولعل محبة المسيحيين من أهل أوروبا للكلاب لأجل كونها على صورة هذا القديس المكرم.

/١٥/ ان خشبة الصليب ونصاوير الأب الأزلي والابن والروح القدس يسجد لها بالسجود الحقيقي العبادي، وان صور القديسين يسجد لها بالسجود الإكرامي. وإني متحير، ما معنى استحفاق الأشياء الأولية للسجود العبادي، لأن تعظيمهم لخشبة الصليب لا يخلو إما أن يكون ان مثلها قد مسّ جسد المسيح وهو ارتفع عليه بحسب زعمهم، واما لأجل أنها واسطة فدائه، واما لأجل أن دمه سال عليه. فإن كان الأول يلزم أن يكون نوع الحمير

معبوداً لهم أعلى من الصليب عندهم، لأن المسيح عليه السلام ركب على  
الأتان والجمش ومساجد المسيح وكان موضوعي راحته ودخوله معجداً إلى  
أورشليم، والجمار يشارك الإنسان في الجنس القريب والحيوانية، فهو جسم  
نام حساس متحرك بالإرادة بخلاف الخشب الذي ليس له قدرة الحس  
والحركة. وإن كان الثاني فيهودا الاسخريوطي الدافع أحق بالتعظيم، لأنه  
الواسطة الأولى والذريعة الكبرى للبقاء. فإنه لو لا تسليمه لما أمكن لليهود  
مسك المسيح وصلبه، ولأنه مسار للمسيح عليه السلام في الإنسانية وعلى  
صورة الإنسان الذي هو صورة الله، وكان ممثلاً بروح القدس صاحب  
الكرامات والمعجزات. فالعجب أن هذه الوسطة الأولى عندهم ملعونة،  
والصغرى مباركة معظمة. وأما الثالث فلأن الشوك المضفور اكليلاً على رأس  
المسيح عليه السلام قد فاز أيضاً بالمنصب الأعلى، وهو سيلان الدم عليه، فما  
باله لا يُعظم ولا يُعبد، ويُشعل بالنار؟ وهذا الخشب يُعبد إلا أن يقولوا أن  
هذا سر مثل سر التثليث، والاستحالة له خارج عن ادراك العقول البشرية.  
وأفحش منه تعظيم صورة أقنوم الأب، لأنك قد عرفت في الأمر الثالث والرابع  
من مقدمة الباب الرابع أن الله يريء عن الشبه وما رآه أحد، ولا يقدر أن يراه  
أحد في الدنيا. فإذا كان كذلك فأب من آباؤهم رآه فصوره؟ ومن أين  
علموا أن هذه الصورة مطابقة لصورته تعالى، وليست مطابقة لصورة شيطان  
من الشياطين، أو لصورة كافر من الكفار؟ ولم لا تعبدون كل إنسان سواء  
كان مسلماً أو كافراً لأن الإنسان على صورة الله بحسب نص التوراة؟  
العجب أن الباب يسجد لهذه الصورة الوهمية الجمادية التي لا حس ولا  
حركة لها، ويحقر صورة الله التي هي الإنسان، ويمد رجله لذلك الإنسان  
لكي يقبل حذاه. وما ظهر لي فرق بين هؤلاء أهل الكتاب ومشركي الهند.  
وجدت عوامهم كعوامهم، وخواصهم كخواصهم في هذه العبادة، وعلماء  
مشركي الهند يقولون مثل قول علمائهم في الاعتذار. /١٦/ أن البابا هو  
القاضي الأعلى في الحكم على تفسير معاني الكتب. واخترعت هذه العقيدة  
في الأجيال المتأخرة، وإلا لما قدر أكستائين وغم الذهب وغيرهما من القدماء،  
الذين لم يكونوا باباوات ولم يستأذنواهم، أن يفسروا جميع الكتب المقدسة

من تلقاء أنفسهم، وتفسيرهم قبلت عند جميع كنائس عصرهم. لعل الباباوات حصل لهم هذا القضاء الأعلى بمطالعة تفاسيرهم بعد ما صنفوها. /١٧/ إن الأساقفة والشمامسة ممنوعون من الزواج، ولذلك يفعلون ما لا يفعله المتزوجون، وقاوم في كثير من الأحيان بعض معلمهم اجتهد الباباوات. فأُنفِل بعض أقوالهم عن كتاب الثلاث عشرة رسالة في الرسالة الثالثة في الصفحة ١٤٤ و ١٤٥ : « القديس برنردوس يقول — وعظ عدد ٦٦ في نشيد الانشاد — نزعوا من الكنيسة الزواج المكرم والمضجع الذي هو بلا دنس، فملأوها بالزنا في المضاجع مع الذكور والأمهات والأخوات وبكل أنواع الأدناس. والفاروس بيلاجيوس أسقف سلفا في بلاد البورتكال سنة ١٣٠٠ يقول : يا ليت أن الكليروسيين لم يكونوا نذروا العفة، ولا سيما اكليروس سبانيا، لأن أبناء الرعية هناك أكثر عدداً يسير من أبناء الكهنوت. ويوحنا أسقف سالتزبرج في الجبل الخامس عشر كتب أنه وجد قسوساً قلائل غير معتادين على نجاسة متكاثرة مع النساء، وإن أديرة الراهبات متدنسة مثل البيوت المخصوصة للزنا ». انتهى كلامه بلفظه ملخصاً. وكيف يعتقد أن العصمة في حقهم إذا كانوا شاهين شاربِي الخمر ؟ وما نجا روييل بن يعقوب عليه السلام فزنى ببلهاء سرية أبيه، ولا يهوذا بن يعقوب عليه السلام فزنى بزوجته أبنته، ولا داود عليه السلام فزنى بزوجته أوريا مع كونه ذا زوجات كثيرة، ولا لوط عليه السلام فزنى في حالة خمار الخمر بابنتيه وهكذا. فإذا كان حال الأنبياء وأبنائهم على عقائدهم هكذا، فكيف يُرجى منهم العصمة ؟ بل الحق أن الفاروس بيلاجيوس ويوحنا صادقان في أن أبناء الرعية هناك أكثر عدداً يسير من أبناء الكهنوت، وأن أديرة الراهبات متدنسة مثل البيوت المخصوصة للزنا.

وأمثال هذه المسائل كثيرة أطوي الكشح عن بيانها خوفاً من التطويل فأقول :

لعل هذه المضامين العالية التي نقلتها وأمثالها لو وجدوها في القرآن لاعترفوا بأنه كلام الله وقبلوه، لكنهم لما وجدوه خالياً عنها وعن أمثالها

فكيف يعترفون ويقبلون ؟ لأن المضامين الحسنة المألوفة عندهم هي هذه المضامين وأمثالها، لا المضامين التي ذكرت في القرآن. وأما بعض المضامين التي توجد في القرآن في ذكر الجنة والنار وغيرهما ويزعمون أنها قبيحة فأذكرها إن شاء الله تعالى في الشبهة الثالثة بأجوبتها فانتظر.

**الشبهة الثانية :** إن القرآن مخالف لكتب العهد العتيق والجديد في مواضع فلا يكون كلام الله. **والجواب الأول،** أن هذه الكتب لما لم تثبت أسانيدھا المتصلة الى مصنفیھا، وكذا لم یثبت أن كل كتاب منها الهامی، وقد ثبت أنها مختلفة اختلافا معنویا في مواضع كثيرة ومملوءة بالأغلاط الكثيرة یقینا، كما عرفت هذه الأمور في الباب الأول، وقد ثبت التحريف فیھا أيضاً، كما عرفت في الباب الثاني، فلا تضّر مخالفتھا القرآن في المواضع المذكورة، بل تكون دليلاً على كون المواضع المذكورة غلطاً أو محرفة في الكتب المذكورة كسائر الأغلاط والتحريفات التي عرفتھا في البابين الأولین. وقد عرفت في الأمر الرابع من الفصل الأول من هذا الباب ان هذه المخالفة قصدية لأجل التنبيه على أن مخالف القرآن غلط أو محرف لا أنها سهوية. **والجواب الثاني،** ان المخالفة التي بین القرآن و بین كتب العهدین في ذم القسمین على ثلاثة أنواع : الأول باعتبار الأحكام المنسوخة والثاني باعتبار بعض الحالات التي جاء ذكرها في القرآن ولا يوجد ذكرها في العهدین ؟ والثالث باعتبار أن بیان بعض الحالات في القرآن يخالف بیان هذه الكتب، ولا مجال لهم أن يطعنوا على القرآن باعتبار هذه الأنواع.

**أما الأول،** فلأنك قد عرفت في الباب السادس بما لا مزيد عليه أن النسخ لا يختص بالقرآن، بل وجد في الشرائع السابقة بالكثرة، وانه لا استحالة فیھ، وان الشريعة العيسوية نسخت جميع أحكام التوراة إلا تسعة أحكام من الأحكام العشرة المشهورة. وقد وقع فیھا التكمیل أيضاً على زعمهم، والتكمیل أيضاً نوع من أنواع النسخ، فصارت هذه الأحكام أيضاً منسوخة بهذا الوجه. فبعد ذلك ليس من شأن المسيحي العاقل أن يطعن على القرآن باعتبار هذا النوع.

وأما الثاني، فهو كالأول أيضاً، وشواهد كثيرة أكتفي منها على ثلاثة عشر شاهداً : **الشاهد الأول** الآية التاسعة من رسالة يهوذا هكذا : « وأما ميخائيل رئيس الملائكة فلما خاصم إبليس محتاجاً عن جسد موسى لم يجسر أن يورد حكم افتراء بل قال ليتهرك الرب ». فمخاصمة ميخائيل إبليس عن جسد موسى لم تذكر في كتاب من كتب العهد العتيق. **الشاهد الثاني** ثم في تلك الرسالة هكذا : « ١٤ وتنبأ عن هؤلاء أيضاً اخنوخ السابع من آدم قاتلاً هوذا قد جاء الرب في ربوات قديسة ١٥ ليصنع دينونة على الجميع ويعاقب جميع فجارهم على جميع أعمال فجورهم التي فجروا بها، وعلى جميع الكلمات الصعبة التي تكلم بها عليه خطاط فجار ». ولا أثر لهذا الخبر أيضاً في كتاب من كتب العهد العتيق. **الشاهد الثالث** الآية الحادية والعشرون من الباب الثاني عشر من الرسالة العبرانية هكذا : « وكان المنظر هكذا مخيفاً حتى قال موسى أنا مرتعب ومرتعد ». وهذا الحال مذكور في الباب التاسع عشر من سفر الخروج لكن لا يوجد فيه ولا في كتاب من كتب العهد العتيق هذه الفقرة « حتى قال موسى أنا مرتعب ومرتعد ». **الشاهد الرابع** الآية الثامنة من الباب الثالث من الرسالة الثانية إلى تيموثاوس هكذا : « وكما قاوم بيتس وييمريس موسى » الخ. وهذا الحال مذكور في الباب السابع من سفر الخروج، ولا أثر لهذين الاسمين في هذا الباب ولا في باب آخر ولا في كتاب آخر من كتب العهد العتيق. **الشاهد الخامس** الآية السادسة من الباب الحامس عشر من الرسالة الأولى إلى أهل قورنثوس هكذا : « وبعد ذلك ظهر دفعة واحدة لأكثر من خمسمائة أخ أكثرهم باقى إلى الآن ولكن بعضهم قد رقدوا ». ولا يوجد لهذا أثر في انجيل من الأناجيل الأربعة ولا في كتاب أعمال الحورين، مع أن لوقا أحرص الناس على تحرير أمثال هذه الأحوال. **الشاهد السادس** في الآية الخامسة والثلاثين من الباب العشرين من كتاب الأعمال هكذا : « متذكرين كلمات الرب يسوع أنه قال مغبوط هو العطاء أكثر من الأخذ ». وهذا القول لا يوجد له أثر في انجيل من الأناجيل الأربعة. **الشاهد السابع** لا سيما التي ذكرت في الباب الأول من انجيل متى بعد زربابل لا توجد في كتاب من كتب العهد العتيق. **الشاهد الثامن** في الباب



السابع من كتاب الأعمال هكذا : « ٢٣ ولما كملت له مدة أربعين سنة خطر على باله أن يفتقد إخوته بني اسرائيل ٢٤ وإذا رأى واحداً مظلوما حامى عنه وأنصف المغلوب إذ قتل المصري ٢٥ فظن أن إخوته يفهمون ان الله على يده يعطيهم نجاة وأما هم فلم يفهموا ٢٦ وفي اليوم الثاني ظهر لهم وهم يتخاصمون فساقهم الى السلام قائلاً أيها الرجال أنتم إخوة لماذا تظلمون بعضكم بعضاً ٢٧ فالذي كان يظلم قريه دفعه قائلاً من أقامك رئيساً وقاضياً علينا ٢٨ أتريد أن تقتلني كما قتلت أمس المصري ؟ وهذا الحال مذكور في الباب الثاني من كتاب الخروج، لكن بعض الأشياء ذكرت في كتاب الأعمال وما جاء ذكرها في كتاب الخروج. وعبارة الخروج هكذا : « ١١ وفي تلك الأيام لما شب موسى خرج الى إخوته وأبصر تعبدهم ورأى رجلاً من أهل مصر يضرب رجلاً من إخوته العبرانيين ١٢ فالتفت الى الجانبين فلم ير أحد فقتل المصري ودفعه في الرمل ١٣ وإنه خرج من اليوم الثاني ونظر الى رجلين عبرانيين يختصمان فقال للظالم منهما لم تضرب صاحبك ؟ ١٤ فقال له ذلك الرجل من جعلك سلطانا علينا أو قاضياً لعلك تريد قتلي كما بالأمس قتلت المصري ؟ » **الشاهد التاسع** الآية السادسة من رسالة يهوذا هكذا : « والملائكة الذين لم يحفظوا رياستهم، بل تركوا مسكنهم، حفظهم الى دينونة اليوم العظيم بقيود أودية تحت الظلام ». **الشاهد العاشر** في الآية الرابعة من الباب الثاني من الرسالة الثانية لبطرس : « الله لم يشفق على ملائكة قد أخطؤا بل في سلاسل الظلام طرحهم في جهنم وسلمهم محرومين للقضاء ». وهذا الحال الذي نقله بطرس ويهوذا الحواريان لا يوجد في كتاب من كتب العهد العتيق، بل الظاهر أنه كاذب. لأن الظاهر أن المراد بهؤلاء الملائكة المحبوسين، الشياطين. والشياطين ليسوا بمحبوسين بقيود أبدية، كما يشهد عليه الباب الأول من كتاب أيوب، والآية الثانية عشر من الباب الأول من انجيل مرقس، والآية الثامنة من الباب الخامس من الرسالة الأولى لبطرس، وغيرها من الآيات. **الشاهد الحادي عشر** الآية الثامنة عشر من الزبور المائة والرابع على وفق الترجمة العربية، ومن الزبور المائة والخامس على وفق التراجم الاخر هكذا : « وذلت بالقيود رجلاه، وبالحديد عبرت نفسه » وحال

كون يوسف مسجوناً مذكور في الباب التاسع والثلاثين من سفر التكوين، وليس (ذلت رجلية بالقيود) و(عبثت نفسه بالحديد) مذكورين فيه. ولا يلزم هذان الأمران للمسجون وإن كانا غالين. الشاهد الثاني عشر : في الآية الرابعة من الباب الثاني عشر من كتاب هوشع هكذا : « وغلِب الملاك وتقوى وبكى وسأله » الخ. وحال مصارعة الملك يعقوب مذكور في الباب الثاني والثلاثين من سفر التكوين ولا يوجد فيه بكاء يعقوب. الشاهد الثالث عشر يوجد في الانجيل ذكر الجنة والجحيم والقيامة وجزاء الأعمال فيها، وإن كان بالإجمال. ولا أثر لهذا في الكتب الخمسة لموسى، بل لا يوجد فيها سوى المواعيد الدنيوية للمطيعين، والتهديدات الدنيوية للعاصين.

وهكذا يوجد مواضع كثيرة. فظهر مما ذكرنا انه اذا ذكر بعض الأحوال في كتاب ولا يوجد ذكره في الكتاب المتقدم، لا يلزم منه تكذيب الكتاب المتأخر، وإلا يلزم أن يكون الانجيل كاذباً لاشتماله على الحالات التي لم تذكر في التوراة ولا في كتاب آخر من كتب العهد العتيق. فالحق أن الكتاب المتقدم لا يلزم أن يكون مشتملاً على الحالات كلها. ألا ترى أن أسماء جميع أولاد آدم وشيث وأنوس وغيرهم، وكذا أحوالهم ليست مذكورة في التوراة ؟ وفي تفسير دوالي رجردمينت ذيل شرح الآية الخامسة والعشرين من الباب الرابع عشر من سفر الملوك الثاني هكذا : « لا يوجد ذكر هذا الرسول يونس إلا في هذه الآية وفي البلاع المشهور الذي كان الى أهل نينوى، ولا يوجد في كتاب من الكتب اخباراته عن الحوادث الآتية التي جرى بها يورعام السلطان على محاربة سلاطين السرياء، وسببه ليس منحصراً في أن الكتب الكثيرة للأنبيا لا توجد عندنا، بل سببه هذا أيضاً أن الأنبياء لم يكتبوا كثيراً من أخبارهم عن الحوادث الآتية ». انتهى. فهذا القول يدل صراحة على ما قلت. والآية الثلاثون من الباب العشرين من انجيل يوحنا هكذا : « وآيات أخر كثيرة صنع يسوع قدام تلاميذه لم تكتب في هذا الكتاب » والآية الخامسة والعشرين من الباب الحادي والعشرين من انجيل يوحنا هكذا : « وأشياء أخر كثيرة صنعها يسوع ان كتبت واحدة واحدة فلست أظن أن العالم نفسه يسع الكتب المكتوبة ». وهذا الكلام، وإن لم يخل عن المبالغة

الشاعرية لكنه لا شك أنه يفيد أن جميع حالات عيسى عليه السلام ما كتبت. فالطاعن باعتبار النوع الثاني على القرآن حاله كحال الطاعن باعتبار النوع الأول بلا تفاوت.

وأما النوع الثالث<sup>(١)</sup>، فلأن مثل هذه الاختلافات يوجد بين كتب العهد العتيق بعضها مع بعض، وبين الأنجيل بعضها مع بعض، وبين الأنجيل والعهد العتيق، كما عرفت في الفصل الثالث من الباب الأول، ويوجد في النسخ الثلاث للتوراة أعني العبرانية واليونانية والسامرية. وقد حصل لك الاطلاع على بعض الاختلافات أيضا في الباب الثاني، لكن القسمين من عاداتهم انهم يخلطون عوام المسلمين في كثير من الأوقات بهذه الشبهة. فالأنسب أن أذكر بعض هذه الاختلافات، ولا أعاف من التطويل اليسير لأنه لا يخلو عن الفائدة المهمة.

**الاختلاف الأول :** إن الزمان من خلق آدم الى زمن الطوفان، باعتبار العبرانية ألف وستمائة وست وخمسون سنة ( ١٦٥٦ )، وباعتبار اليونانية ألفان ومائتان واثنان وستون سنة ( ٢٢٦٢ )، وعلى وفق السامرية ألف وثلثمائة وسبع سنين ( ١٣٠٧ ). **الاختلاف الثاني :** إن الزمان من الطوفان الى ولادة ابراهيم عليه السلام، باعتبار العبرانية مائتان واثنان وتسعون سنة ( ٢٩٢ ) وباعتبار اليونانية ألف واثنان وسبعون سنة ( ١٠٧٢ ) وباعتبار السامرية تسعمائة واثنان وأربعون سنة ( ٩٤٢ ). **الاختلاف الثالث :** يوجد في النسخة اليونانية بين ارفخشذ وشالح بطن واحد وهو قينان، ولا يوجد في العبرانية والسامرية ولا في السفر الأول من أخبار الأيام وفي تاريخ يوسف. لكن لوقا الانجيلي اعتمد على اليونانية فزاد قينان في بيان نسب المسيح. فيجب على المسيحيين أن يعتقدوا صحة اليونانية وكون غيرها غلطاً لئلا يلزم كذب انجيلهم. **الاختلاف الرابع :** إن موضع بناء الهيكل، أعني المسجد،

---

(١) ذكر المؤلف في جوابه الثاني على الشبهة الثانية ثلاثة اعتبارات تقول دون طعن الطاعن في القرآن. وقد مضى الكلام في اعتبارين، وهذا هو الاعتبار الثالث.

باعتبار العبرانية جبل عيبال، وباعتبار السامرية جبل جرزيم، وقد عرفت حال هذه الاختلافات في الباب الثاني فلا أطول الكلام في توضيحها. **الخلاصة** : إن الزمان من خلق آدم الى ميلاد المسيح باعتبار العبرانية ( ٤٠٠٤ ) وباعتبار اليونانية ( ٥٨٧٢ )، وباعتبار السامرية ( ٤٧٠٠ )، وفي المجلد الأول من تفسير هنري واسكات : « إن اهليز أخذ التاريخ بعد تصحيح أغلاط يوسفس واليونانية، وعلى تحقيقه من خلق العالم الى ميلاد المسيح ( ٥٤١١ ) ومن الطوفان الى الميلاد ( ٣١٥٥ ) ». انتهى. وجارلس روجر في كتابه الذي قابل فيه التراجم الانجيلية نقل خمسة وعشرين قولاً من أقوال المؤرخين في بيان المدة التي من خلق العالم الى ميلاد المسيح والى سنة ألف وثمانمائة وسبع وأربعين. ثم اعترف أنه لا يطابق قولان منها، وإن تميز الصحيح عن العلط محال. وأنا أنقل ترجمة كلامه وأكتفي على بيانها الى ميلاد المسيح، لأن المدة التي بعدها لا اختلاف فيها للمؤرخين فلا حاجة الى نقل الغاية الأخرى :

أسماء المؤرخين المدة التي من خلق أسماء المؤرخين المدة التي من خلق  
آدم الى ميلاد المسيح آدم الى ميلاد المسيح

(١) ماريابوس سكونوس	٤١٩٢	(٢) لارنت بوس كودوماتوس	٤١٤١
(٣) توماليديت	٤١٠٣	(٤) ميكائيل مستلي نوس	٤٠٧٩
(٥) جي بايشت رك كيولس	٤٠٦٢	(٦) جيكب سليانوس	٤٠٥٣
(٧) هنري كوس بوندانوس	٤٠٥١	(٨) ولهم لينك	٤٠٤١
(٩) ارلزوس روبن هولت	٤٠٢١	(١٠) جيكونوس كيبالوس	٤٠٠٥
(١١) ارج يشب اش	٤٠٠٣	(١٢) ديوني سيوس پتاويوس	٣٩٨٣
(١٣) يشب بلك	٣٩٧٤	(١٤) كرون زيم	٣٩٧١
(١٥) ايلي اس ريوس نيروس	٣٩٧٠	(١٦) جوهانيس كلاوريوس	٣٩٦٨
(١٧) كرميتانوس لونكر مونتانوس	٣٩٦٦	(١٨) قلب ملاتخون	٣٩٦٤
(١٩) جيكب هين لي نوس	٣٩٦٣	(٢٠) الفون سوس سال مرون	٣٩٥٨
(٢١) اسكي ليكر	٣٩٤٩	(٢٢) ميهيوس برول ديوس	٣٩٢٧
(٢٣) اندرياس هل وي كيوس	٢٨٣٦	(٢٤) الرواج العام لليهود	٣٧٦٠
(٢٥) الرواج العام للمسيحيين	٤٠٠٤		

« ولا يطابق قولان من هذه الأقوال. ومن لم يتأمل في هذا الأمر في حين من

الأحيان يفهم أن هذا الأمر العجيب في غاية الاشكال، لكن الظاهر أن المؤرخين المقدسين لم يريدوا في حين من الأحيان أن يكتبوا التاريخ بالنظم، ولا يمكن الآن لأحد أن يعلم العدد الصحيح ». انتهى كلام چارلس روجر، فظهر من كلامه أن معرفة الصحيح الآن محال جداً، وأن المؤرخين من أهل العهد العتيق أيضاً كتبوا ما كتبوا رجماً بالغيب، وأن الرائج العام في اليهود يخالف الرائج العام في المسيحيين. فأنصف أيها اللبيب أنه لو فهمت مخالفة القرآن المجيد لتاريخ من تواريخهم المقدسة التي حالها كما عرفت لا نشك لأجل هذه المخالفة في القرآن. لا والله. بل نقول ان مقدسيهم غلطوا وكتبوا ما كتبوا، سيما إذا لاحظنا تواريخ العالم جزئياً أن تحرير مقدسيهم في أمثال هذه الأمور ليس له إلا رتبة الظن والتخمين. ولذلك لا نعتمد على هذه الأقوال الضعيفة.

قال العلامة ثقي الدين أحمد بن المقرئ في المجلد الأول من تاريخه ناقلاً عن الفقيه الحافظ أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حرم : « وأما نحن — يعني أهل الإسلام — فلا نقطع على علم عدد معروف عندنا. ومن ادعى في ذلك سبعة آلاف سنة أو أكثر أو أقل فقد قال ما لم يأت قط عن رسول الله ﷺ فيه لفظة تصح. بل صح عنه عليه الإسلام خلافه، بل نقطع على أن للدنيا أمداً لا يعلمه إلا الله تعالى. قال الله تعالى : ﴿ مَا أَشْهَدُهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ الْمُسِيَّمِ ﴾ وقال رسول الله ﷺ : « ما أنتم في الأمم قبلكم إلا كالشعرة البيضاء في الثور الأسود أو الشعرة السوداء في الثور الأبيض ». وهذه نسبة من تدبرها وعرف مقدار عدد أهل الإسلام ونسبة ما بأيديهم من معمور الأرض، وأنه الأكثر علماً أن للدنيا أمداً لا يعلمه إلا الله تعالى ». انتهى كلامه بالفظه، وهو مختار الفقير أيضاً. والعلم التام عند الله وهو أعلم.

**الاختلاف السادس :** إن الحكم الحادي عشر الرائد على الأحكام العشرة المشهورة يوجد في السامرية ولا يوجد في العبرانية. **الاختلاف السابع :** الآية الأربعون من الباب الثاني عشر من سفر الخروج في العبرانية هكذا : « فكان جميع ما سكن بنو اسرائيل في أرض مصر أربعمئة وثلاثين سنة ». وفي السامرية واليونانية هكذا : « فكان جميع ما سكن بنو اسرائيل وآباؤهم وأجدادهم في أرض كنعان وأرض مصر أربعمئة وثلاثين سنة ». والصحيح ما فيهما، وما في العبرانية غلط يقيناً. **الاختلاف الثامن :** في الآية الثامنة من الباب الرابع من سفر التكوين في العبرانية هكذا : « وقال قاثين لهابيل أخيه، ولما صار في الحقل ». وفي السامرية واليونانية هكذا : « وقال قاثين لهابيل أخيه تعالى نخرج الى الحقل. ولما صاروا في الحقل ». والصحيح ما فيهما عند محققيهن. **الاختلاف التاسع :** في الآية السابعة عشر من الباب السابع من سفر التكوين في العبرانية هكذا : « وصار الطوفان أربعين يوماً على الأرض ». وفي اليونانية هكذا : « وصار الطوفان أربعين يوماً وليلة على الأرض ». والصحيح ما في اليونانية. **الاختلاف العاشر :** في الآية الثامنة من الباب التاسع والعشرين من سفر التكوين في العبرانية هكذا : « حتى تجتمع الماشية ». وفي السامرية واليونانية وكني كات والترجمة العربية لهيوي كينت هكذا : « حتى تجتمع الرعاة ». والصحيح ما في هذه الكتب لا ما في العبرانية. **الاختلاف الحادي عشر :** في الآية الثانية والعشرين من الباب الخامس والثلاثين من سفر التكوين في العبرانية هكذا : « وضاجع بلها سرية أبيه فسمع اسرائيل ». وفي اليونانية هكذا : « وضاجع بلها سرية أبيه فسمع اسرائيل وكان فيهما في نظره ». والصحيح ما في اليونانية. **الاختلاف الثاني عشر :** في أول الآية الخامسة من الباب الرابع والأربعين من سفر التكوين توجد في اليونانية هذه الجملة ( لما سرقتم صواعي ) ولا توجد في العبرانية والصحيح ما في اليونانية. **الاختلاف الثالث عشر :** في الآية الخامسة والعشرين من الباب الخمسين من سفر التكوين في العبرانية هكذا : « فآذهبوا بعظامي من ههنا ». وفي اليونانية والسامرية هكذا : « فآذهبوا بعظامي من ههنا معكم ». **الاختلاف الرابع عشر :** في آخر الآية الثانية والعشرين من الباب الثاني من

سفر الخروج في اليونانية هذه العبارة : « وولدت أيضا غلاماً ثانياً ودعا اسمه لعازار فقال من أجل أن اله أبي أعانني وخلصني من سيف فرعون ». ولا توجد في العبرانية. والصحيح ما في اليونانية، وأدخلها مترجمو العبرية في تراجمهم. **الاختلاف الخامس عشر** : في الآية العشرين من الباب السادس من سفر الخروج في العبرانية هكذا : « فولدت له هرون وموسى ». وفي السامرية واليونانية هكذا : « فولدت له هرون وموسى ومريم أختهما ». والصحيح ما فيهما. **الاختلاف السادس عشر** : توجد في آخر الآية السادس من الباب العاشر من سفر العدد في الترجمة اليونانية هذه العبارة : « وإذا نفخوا مرة ثالثة ترفع الخيام الغربية للارتحال، وإذا نفخوا مرة رابعة ترفع الخيام الشمالية للارتحال ». ولا توجد في العبرانية. والصحيح ما في اليونانية. **الاختلاف السابع عشر** : توجد في النسخة السامرية في الباب العاشر من سفر العدد ما بين الآية العاشرة والحادية عشر هذه العبارة : « قال الرب مخاطباً لموسى انكم جلستم في هذا الجبل كثيراً، فارجعوا وهلموا الى جبل الامورانيين وما يليه الى العرباء وإلى أماكن الطور والأسفل قبالة التيمن، وإلى شط البحر أرض الكنعانيين ولبنان، وإلى النهر الأكبر نهر الفرات. هوذا أعطيتكم الأرض فادخلوا ورثوا الأرض التي حلف الرب لآبائكم ابراهيم واسحق ويعقوب أنه سيعطيكم إياها ولخلفكم من بعدكم ». انتهت. ولا توجد هذه العبارة في العبرانية. قال المفسر هارسلي في الصفحة ١٦١ من المجلد الأول من تفسيره : « توجد في النسخة السامرية ما بين الآية العاشرة والحادية عشر من الباب العاشر من سفر العدد العبارة التي توجد في الآية السادسة والسابعة والثامنة من الباب الأول من سفر الاستثناء وظهر هذا الأمر في عهد بروكوبس ».

**الاختلاف الثامن عشر** : في الباب العاشر من كتاب الاستثناء في العبرانية هكذا : « ٦ ثم ارتحل بنو اسرائيل من بيروت بني يعقن الى موشرا، ومات هناك هرون، وقبر هناك ثم قبر بعده العازار ابنه ٧ ومن ثم أتوا الى غدغاد، وارتحلوا من هناك، وحلوا في يطبشا أرض المياه والسواقي ٨ في ذلك الزمان اعتزل سبط لاوي ليحمل التابوت الذي فيه ميثاق الرب، ويقوم قدامه في

الخدمة، ويبارك باسمه حتى الى هذا اليوم». وهذه العبارة تخالف عبارة الباب الثالث والثلاثين من سفر العدد في تفصيل المراحل. وتوجد في السامرية في كتاب الاستثناء أيضا العبارة التي في سفر العدد. وعبارة سفر العدد هكذا :  
 د ٣٠ وارتحلوا من حشمونا واتوا مشروت ٣١ ومن مشروت نزلوا في بني عقان ٣٢ وارتحلوا من بني عقان، وأتوا جبل جدجاد ٣٣ وارتحلوا من ثم ونزلوا في يبطث ٣٤ ومن يبطث أتوا عفرونا ٣٥ وارتحلوا من عفرونا ونزلوا في عصينجير ٣٦ وارتحلوا من ثم وأتوا برية سين، فهذه هي قادس ٣٧ وارتحلوا من قادس في هور الطور الذي في أقصى أرض أدوم ٣٨ ثم صعد هرون الحبر الى هور الجبل عن أمر الرب، فمات هناك في سنة أربعين من خروج بني اسرائيل من مصر في الشهر الخامس في اليوم الأول من الشهر ٣٩ وهرون يومئذ ابن مائة وثلاث وعشرين سنة ٤٠ وسمع الكتعاني ملك غارد الذي كان يسكن التيمن في أرض كتعان أن جاء بنو اسرائيل ٤١ ثم ارتحلوا من هور الطور ونزلوا في صلمونا ٤٢ وارتحلوا من ثم وأتوا فينون «. الخ. ونقل آدم كلارك في الصفحة ٧٧٩ و ٧٨٠ من المجلد الأول من تفسيره في شرح الباب العاشر من كتاب الاستثناء تقرير كتي كات في غاية الاطناب وخلاصته : « أن عبارة العتن السامري صحيحة، وعبارة العبري غلط، وأربع آيات ما بين الآية الخامسة والعاشرة أعني الآية السادسة الى التاسعة ههنا أجنبية محضة، لو أسقطت ارتبط جميع العبارة ارتباطا حسنا. فهذه الآيات الأربع كتبت من غلط الكاتب ههنا. وكانت من الباب الثاني من كتاب الاستثناء «. انتهى. وبعد نقل هذا التقرير أظهر رضاه عليه وقال : « لا يعجل في انكار هذا التقرير ». أقول : يدل على الحاقية الآيات الأربع الجملة الأخيرة التي توجد في آخر الآية الثامنة.

الاختلاف التاسع عشر : الآية الخامسة من الباب الثاني والثلاثين من كتاب الاستثناء في العبرانية هكذا : « هم أخبروا نفوسهم، عيهم ليس عيباً يكون على أبنائه، هم الجيل الأعوج المتعسف ». وفي اليونانية والسامرية هكذا : « أخبروهم ليسوا له هم أبناء الغلط والعيب ». وفي تفسير هنري واسكات : « هذه العبارة أقرب الى الأصل ». انتهى. وقال المفسر هارسلي



في الصفحة ٢١٥ من المجلد الأول هكذا : « فلتقرأ هذه الآية على وفق السامرية واليونانية. وهينولي كينت وكنتي كات والمتن العبري محرف ههنا ». انتهى. وهذه الآية في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٣١ وسنة ١٨٤٤ وسنة ١٨٤٨ هكذا : « أخطوا اليه وهو بريء من أبناء القبائح أيها الجيل الأعوج الملتوي ».

**الاختلاف العشرون :** الآية الثانية من الباب العشرين من سفر التكوين في العبرانية هكذا : « وقال عن سارة امرأته انها أختي ووجه أبي ملك ملك جرارا وأخذها ». وفي تفسير هري واسكات ان هذه الآية في اليونانية هكذا : « وقال عن سارة امرأته انها أختي، لأنه كان خالفاً من أن يقول انها امرأته ظاناً أن أهل البلدة يقتلونه بسببها، فوجه أبي ملك سلطان فلسطين أناساً وأخذها ». انتهى. فهذه العبارة ( لأنه كان خالفاً من أن يقول انها امرأته ظاناً أن أهل البلدة يقتلونه بسببها ) لا توجد في العبرانية.

**الاختلاف الحادي والعشرون :** توجد في الباب الثلاثين من سفر التكوين بعد الآية السادسة والثلاثين هذه العبارة في السامرية : « وقال ملك الرب لبعقوب : يا يعقوب، فقال : لبيك. قال الملك : ارفع طرفك وانظر الى الثيوس والفحول التي تضرب النعاج والمعز، فإنهم بقاء ومشمة ومنقطعة. فقد رأيت ما فعل بك لابان أنا إله بيت ابل حيث مسحت قائمة الحجر ونذرت لي نذراً. والآن قم فاخرج من هذه الأرض الى أرض ميلادك ». ولا توجد في العبرانية.

**الاختلاف الثاني والعشرون :** توجد بعد الجملة الأولى من الآية الثالثة من الباب الحادي عشر من سفر الخروج هذه العبارة في النسخة السامرية « وقال موسى لفرعون الرب : يقول اسراييل ابني بل بكري، فقلت لك اطلق ابني ليعبدي، وأنت أيت أن تطلقه ها أناذا سأقتل إبنك بكرك ». ولا توجد في العبرانية.

**الاختلاف الثالث والعشرون :** الآية السابعة من الباب الرابع والعشرين من سفر العدد في العبرانية هكذا : « يجري الماء من دلو وذريته بماء كثير،

فيتعالى من أجاج ملكه وترفع مملكته ». وفي اليونانية : « ويظهر منه انسان وهو يحكم على الأقوام الكثيرة وتكون مملكته أعظم من مملكة أجاج وترتفع مملكته ».

**الاختلاف الرابع والعشرون :** توجد في الآية الحادية والعشرين من الباب التاسع من سفر الأخبار في العبرانية هذه الجملة : « كما أمر موسى ». وتوجد بدلها في اليونانية والسامرية هذه الجملة : « كما أمر الرب موسى ».

**الاختلاف الخامس والعشرون :** الآية العاشرة من الباب السادس والعشرين من سفر العدد في العبرانية هكذا : « ففتحت الأرض فاهها وابتلعت قورح في موت الجماعة مع المائتين والخمسين الذين أحرقتهم النار وكانت آية عظيمة ». وفي السامرية هكذا : « وابتلعتهم الأرض ولما ماتت الجماعة وأحرقت النار قورح مع المائتين والخمسين فصار عبرة ». وفي تفسير هنري واسكات : « أن هذه العبارة مناسبة للسياق وللآية السابعة عشر من الزبور المائة والسادس ». انتهى.

**الاختلاف السادس والعشرون :** استخرج محققهم المشهور ليكلرك اختلافات بين السامرية والعبرانية وقسمها الى ستة أقسام : **القسم الأول**، الاختلافات التي فيها السامرية أصح من العبرانية وهي أحد عشر اختلافًا. **والقسم الثاني**، الاختلافات التي تقتضي القرينة والسياق فيها صحة ما في السامرية، وهي سبعة اختلافات. **والقسم الثالث**، الاختلافات التي توجد فيها زيادة في السامرية، وهي ثلاثة عشر اختلافًا. **والقسم الرابع**، الاختلافات التي فيها حرفت السامرية والمحرف محقق فطن، وهي سبعة عشر اختلافًا. **والقسم الخامس**، الاختلافات التي فيها السامرية ألطف مضمونًا، وهي عشرة اختلافات. **والقسم السادس**، الاختلافات التي فيها السامرية ناقصة، وهما اختلافان. وتفصيل الاختلافات المذكورة هكذا :

القسم الأول، أحد عشر اختلافاً

القسم الثاني، سبعة اختلافات

في سفر التكوين ٩	في سفر الخروج ٢	سفر التكوين ٩	سفر الاستثناء ١
درس ٤ باب ٢	٢ باب ١ و ٢ باب ٤	٤٩ باب ٣١ و ٢٦	٥ باب ٣٢
٣ و ١٩ باب ٧		١٧ و ٣٥ باب	
باب ١٩ و ٢ باب		٣٧ و ٣٤ و ٤٣	
٢٠ و ١٦ باب		باب ٤١ و ٣ باب ٤٧	
٢٣ و ١٤ باب			
٣٤ و ١٠ و ١١			
باب ٤٩ و ٢٦			
باب ٥٠			

القسم الثالث، ثلاثة عشر اختلافاً

القسم الرابع، سبعة عشر اختلافاً

في سفر التكوين ٣	في سفر الخروج ٧	في سفر التكوين ١٣	في سفر الخروج ٣
١٥ باب ٢٩ و ٣٦	١٨ باب ٧ و ٢٣	٢ باب ١٠ و ١٠ باب	٥ باب ٦ و ١٣ باب
باب ٣٠ و ١٦ باب	باب ٨ و ٥ باب	٤ و ٥ باب ٩ و ١٩	٥ و ١٥ باب
٤١	٩ و ٢٠ باب ٢١ و ٥	باب ١٠ و ٢١ باب	
	باب ٢٢ و ١٠ باب	١١ و ٣ باب ١٨	
	٢٣ و ٩ باب ٣٢	١٢ و ١٩ باب ١٦	
في سفر الأحبار ٢	في سفر الاستثناء ١	باب ٢٠ و ٣٨	في سفر العدد ١
١٠ باب ٦ و ٤ باب	٢١ باب ٥	٥٥ و ٢٤ و ٧	٣٢ باب ٢٢
١٧		باب ٣٥ و ٦ باب	
		٣٦ و ٥٠ باب ٤١	

القسم الخامس، عشرة اختلافات

القسم السادس، اختلافان

في سفر التكوين ٦	في سفر الخروج ٢	في سفر التكوين ٢	
٨ باب ٥ و ٣١ باب	٤٠ باب ١٢ و ١٧	١٦ باب ٢٠ و ١٤	
١١ و ٩ باب ١٩	باب ٤٠	باب ٢٥	
٣٤ و ١٧ باب ١٧			
باب ٣٩ و ١٥ باب			
٤٣			
في سفر العدد ١	في سفر الاستثناء ١		
١٤ باب ٤	١٦ باب ٢٠		

قال محققهم المشهور هورن في المجلد الثاني من تفسيره المطبوع سنة ١٨٨٢ : « إن المحقق المشهور ليكلرك قابل العبرانية بالسامرية بالحد

والتدقيق واستخرج هذه المواضع، وفي هذه المواضع للسامرية بالنسبة الى العبرانية نوع صحة . انتهى. ولا يظن أحد انحصار مواضع المخالفة بين العبرانية والسامرية في الستين، على ما حقق ليكلرك. لأن الاختلاف الرابع والثامن والعاشر والخامس عشر والسابع عشر والثامن عشر والثاني والعشرين والرابع والعشرين والخامس والعشرين ليست بداخلة في هذه الستين، بل مقصود ليكلرك ضبط المواضع التي فيها مخالفة كثيرة بين النسختين عنده. ولم يدخل في هذه الستين مما ذكرت إلا أربعة اختلافات. فإذا أخذنا جميع الاختلافات المذكورة في الشواهد الستة والعشرين بعد اسقاط المشترك صار اثنين وثمانين شاهدا من الاختلافات التي بين النسخ الثلاث للتوراة. فاكثفي عليها، ولا أذكر الاختلافات التي بين العبرانية واليونانية بالنسبة الى الكتب الأخرى من العهد العتيق خوفا من التطويل. وهذا القدر يكفي للبيب. وظهر أن قول الطاعن باعتبار النوع الثالث أيضا ساقط عن الاعتبار بمثل سقوطه باعتبار النوعين الأولين<sup>(١)</sup>.

**الشيبة الثالثة :** يوجد في القرآن أن الهداية والضلال من جانب الله تعالى، وأن الجنة مشتملة على الأنهار والحدود والقصور، وأن الجهاد على الكفار مأمور به. وهذه المصامين قبيحة تدل على أن القرآن ليس كلام الله. وهذه الشيبة أيضا من أقوى شبههم قلما تخلو رسالة من رسائلهم تكون في رد أهل الإسلام ولا توجد فيها هذه الشيبة، ولهم في بيانها، على قدر اختلاف أذهانهم، تقريرات عجيبة يتحير الناظر من تعصباتهم بعد ملاحظة هذه التقريرات.

**أقول في الجواب عن الأمر الأول،** أنه قد وقع في مواضع من كتبهم المقدسة أمثال هذا المضمون، فيلزم عليهم أن يقولوا ان كتبهم المقدسة ليست من جانب الله يقيناً. وأنا أنقل بعض الآيات عنها ليظهر الحال للناظر.

(١) انتهى المؤلف هنا من تعداد الاختلافات الواردة في كتب العهد القديم والتي ينصحتها الاعتراف الثالث، وذلك في متن جوابه الثاني على الشيبة الثانية. وها هو، في الفقرة التالية، يستأنف ذكر الشبهات والرد عليها.

الآية الحادية والعشرون من الباب الرابع من سفر الخروج هكذا : « وقال له الرب وهو راجع إلى مصر : انظر جميع العجائب التي وضعتها بيدك، أعملها قدام فرعون، فأنا أقسى قلبه فلا يطلق الشعب ». ثم قول الله في الآية الثالثة من الباب السابع من سفر الخروج هكذا : « اني أقسى قلب فرعون واكثر آياتي وعجائبي في أرض مصر ». وفي الباب العاشر من سفر الخروج هكذا : « ١ وقال الرب لموسى أدخل عند فرعون لأنني قسيت قلبه وقلوب عبيده لكي أصنع به آياتي هذه ٢٠ وقسى الرب قلب فرعون ولم يطلق بني اسرائيل ٢٧ فقسى الرب قلب فرعون ولم يشأ أن يرسلهم ». وفي الآية العاشرة من الباب الحادي عشر من سفر الخروج هكذا : « وقسى الرب قلب فرعون فلم يرسل بني اسرائيل من أرضه ». فظهر من هذه الآيات أن الله كان قد قسى قلوب فرعون وعبيده لتكثير معجزات موسى عليه السلام في أرض مصر. والآية الرابعة من الباب التاسع والعشرين من كتاب الاستثناء هكذا : « ولم يعطكم الرب قلبا فهيما ولا عيوننا تنظرون بها ولا آذاننا نسمعون بها حتى اليوم ». والآية العاشرة من الباب السادس من كتاب اشعيا هكذا : « أعم قلب هذا الشعب وثقل آذانه وعمض عيونه، لئلا يبصر بعينه ويسمع بأذنه ويفهم بقلبه ويتوب، فأشفيه ». والآية الثامنة من الباب الحادي عشر من الرسالة الرومية هكذا : « كما هو مكتوب أعطاهم الله روح سبات وعيوننا لا يبصرون بها وآذاننا لا نسمعون بها حتى اليوم ». وفي الباب الثاني عشر من انجيل يوحنا هكذا : « لم يقدروا أن يؤمنوا، لأن اشعيا قال أيضا قد عمى عيونهم وأغلط قلوبهم لئلا يبصروا بعيونهم ويشعروا بقلوبهم ويرجعوا فأشفيهم ». فعلم من التوراة وكتاب اشعيا والانجيل أن الله أعمى عيون بني اسرائيل وأغلط قلوبهم وأثقل آذانهم لئلا يتوبوا فيشفيهم. فلذلك لا يبصرون الحق ولا يتفكرون فيه ولا يسمعون، ولا يزيد معنى ختم الله على القلوب والسمع على هذا. والآية السابعة عشر من الباب الثالث والستين من كتاب اشعيا في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٦٧١ وسنة ١٨٣١ وسنة ١٨٤٤ هكذا : « لماذا أضللنا يا رب عن طرقك، أقسيت قلوبنا أن لا نخشاك، فالتفت بسبب عبيدك سبط ميراثك ». والآية التاسعة من الباب الرابع عشر من كتاب حزقيال في التراجم

المسطورة هكذا : « والنبي إذا ضلّ وتكلم بكلام، فأنا الرب أضللت ذلك النبي وأمد يدي عليه وأهلكه من بين شعبي اسرائيل ». فوقع في كلام اشعيا صراحة ( أضللتنا يا رب وأفسيت فلونا )، وفي كلام حزقيال ( انا الرب أضللت ذلك النبي ). وفي الباب الثاني والعشرين من سفر الملوك الأول هكذا : « ثم قال ميخا أيضا من أجل هذا فاسمع قول الرب رأيت الرب جالسا على كرسيه وجميع أجناد السماء فيما حوله عن يمينه وعن شماله ٢٠ فقال الرب من يخدع أخاب ملك اسرائيل فيصعد ليستقط براموث جلعاد، وقال بعضهم قولا، وقال بعضهم قولا آخر ٢١ فخرج روح وقام قدام الرب، وقال أنا أخدعه، فقال له الرب بماذا ؟ ٢٢ فقال أنا أخرج فأكون روح ضلالة في أفواه جميع أنبيائه. فقال له الرب نخدع وتقدر على ذلك، اخرج وافعل كذلك ٢٣ والآن قد جعل الرب روح ضلالة في أفواه جميع أنبيائك — وكانوا نحر أربعمائة — هؤلاء، والرب قال عليك بالشر ». وهذه الرواية صريحة في أن الله تعالى يجلس على كرسيه وينعقد عنده محفل المشاورة للاغواء والخدع ( كما ينعقد محفل يارلمنت في لندن لأجل بعض أمور السلطنة ) فيحضر جميع أجناد السماء. فبعد المشاورة يرسل روح الضلالة فبقع هذا الروح في الأفواه ويضل الناس. فانظر أيها اللبيب إذا كان الله وأجناد السماء يربدون إغواء الانسان، فكيف ينجو الانسان الضعيف ؟ وههنا عجب آخر، وهو أن الله شاور وأرسل روح الضلالة بعد المشاورة ليخدع أخاب، فكيف أظهر ميخا الرسول سر محفل الشورى ونبه أخاب عليه ؟

وفي الباب الثاني من الرسالة الثانية الى أهل نسالونيقي هكذا : ١١ « ولأجل هذا — أي لعدم قبولهم محبة الحق — سيرسل إليهم عمل الضلال حتى يصدقوا الكذب ١٢ لكي يدان جميع الذين لم يصدقوا الحق بل سروا بالإثم ». فمقدسهم ينادي أن الله يرسل الى الهالكين عمل الضلال أولا، فيصدقون الكذب فيدينهم، وإذا فرغ المسيح عليه السلام من توبيخ المدن التي لم يتب أهلها فقال : « أحمذك أيها الآب رب السماء والأرض، لأنك أخفيت هذه عن الحكماء والفهماء وأعلنتها للأطفال. نعم أيها الآب لأن هكذا صارت المسرة أمامك ». كما هو مُصرَّح في الباب الحادي عشر من انجيل

متى. فالمسيح عليه السلام يصرح أن الله أخفى الحق عن الحكماء، فأظهره للأطفال، ويحمد على هذا الأمر، ويقول وكان رضا الله هكذا. والآية السابعة من الباب الخامس والأربعين من كتاب اشعيا في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٦٧١ وسنة ١٨٣١ وسنة ١٨٤٤ هكذا : « المصورّ النور والخالق الظلمة الصانع السلام والخالق الشر أنا الرب الصانع هذه جميعها ». وفي الترجمة الفارسية المطبوعة سنة ١٨٣٨ هكذا : ( سازنده نور وآفريننده تاریکی من صلح دهنده وظاهر کننده شرمنکه خداوند من همه آشیارابو جودمی آم ). وفي الآية الثامنة والثلاثين من الباب الثالث من مراثي ارمياء هكذا : « أمن فم الرب لا يخرج الشر والخير ؟ » وفي الترجمة الفارسية المطبوعة سنة ١٨٣٨ : ( ایاخیر وشر از دهان خدا صادر نمی شود ؟ ). والاستفهام انكاري، والمراد ان الخير والشر كلاهما يصدران عن الله تعالى. وفي الآية الثانية عشر من الباب الأول من كتاب ميخا في التراجم المذكورة هكذا : « فإن الشر نزل من قبل الرب الى باب اورشليم ». وفي الترجمة الفارسية المطبوعة سنة ١٨٣٨ : ( أماهربدي بر دروازه اورشليم ازخداوند نازل شد ). فظهر أن خالق الشر هو الله تعالى، كما هو خالق الخير. وفي الباب الثامن من الرسالة الرومية هكذا : « ٢٩ لأن الذين عرفهم بسبق علم قصدهم أن يكونوا شركاء لشبه ابنه ليكون هو بكر الاخوة كثيرين ٣٠ والذين سبق فعينهم فهؤلاء دعاهم أيضاً » الخ. وفي الباب التاسع من الرسالة المذكورة : « ١١ وهما لم يولدا بعد، ولا فعلا خيرا وشرا لكي يثبت قصد الله حسب الاختيار، ليس من الأعمال بل من الذي يدعو ١٢ قيل لها ان الكبير يستعبد للصغير ١٣ كما هو مكتوب أحببت يعقوب وأبغضت عيسو ١٤ فماذا نقول ؟ أعلل عند الله ظلماً ؟ حاشا ١٥ لأنه يقول لموسى ارحم من ارحم وترأف على من اترأف ١٦ فاذا ليس لمن يشاء ولا لمن يسعى، بل الله الذي يرحم ١٧ لأنه يقول الكتاب لفرعون إني لهذا بعينه أقمتك لكي أظهر فيك قوتي ولكي يُنادى باسمي في كل الأرض ١٨ فاذن هو يرحم من يشاء ويقسي من يشاء ١٩ فستقول لي لماذا يلوم بعد لأن من يقاوم مشيئته ٢٠ بل من أنت أيها الانسان الذي تجاوب الله لعل الجيلة تقول لجابيلها لماذا صغعتني هكذا ؟ ٢١ أم ليس

للخزاف سلطان على الطين أن يصنع من كتلة واحدة اثناء للكرامة وآخر للهوان ٥٩. فهذه العبارة من مقدسهم كافية لاثبات القدر، وكون الهداية والضلال من جانبه. وَلْيَعْمَ ما قال أشعيا عليه السلام في الآية التاسعة من الباب الخامس والأربعين من كتابه : « الويل لمن يخالف جابله خزف من خزاف الأرض. هل يقول الطين لجابله ماذا تصنع ؟ هل يقول عملك ليس البدان لك ؟ » وبالنظر الى هذه الآيات لعل مقندي فرقة پروتستنت لوطر مال الى الجبر كما يدل عليه ظاهر كلامه. ذكر في الصفحة ٢٧٧ من المجلد التاسع من كاتلك هرلد أقوال المقتدى الممدوح. فانقل عنها قولين ١ « طبع الانسان كالفرس ان ركبه الله يمشي كما يريد الله، وإن ركبه الشيطان يمشي كما يمشي الشيطان. وهو لا يختار راكباً من نفسه، بل يجتهد الركبان أن أيا منهم يحصله ويتسلط عليه . ٢ « إذا وجد أمر في الكتب المقدسة بأن افعلوا هذا الأمر، فافهموا أن هذه الكتب تأمر عدم فعل هذا الأمر الحسن لأنك لا تقدر على فعله . » انتهى. فالظاهر من كلامه أنه يعتقد الجبر. وقال القسيس طامس انكلس كاتلك في الصفحة ٢٣ من كتابه المسمى بمرآة الصديق المطبوع سنة ١٨٥١ طاعنا على فرقة پروتستنت هكذا : « وعاظهم القدياء علموهم هذه الأقوال المكروهة : ١/ إن الله موجد العصيان /٢/ وإن الانسان ليس مختاراً على أن يجتنب عن الائم /٣/ وإن العمل على الأحكام العشرة غير ممكن /٤/ وإن الكبائر وإن كانت عظيمة لا توصل الانسان الى النقص في نظر الله /٥/ وإن الايمان فقط ينحي الانسان لأننا ندان بالإيمان فقط، وهذا التعليم أنفع، وتعليم مملوء بالطمأنينة /٦/ وإن أب اصلاح الدين — يعني لوطر — قال آمنوا فقط واعلموا يقيناً أنه يحصل لكم النجاة بلا مشقة الصوم، وبلا مؤنة التقوى، وبلا مشقة الاعتراف، وبلا مشقة الأمور الحسنة، ولكم نجاة نفيسة بلا شبهة كما للمسيح نفسه. أذنوا بالحرارة التامة، أذنوا وآمنوا فقط، وينجيكم الايمان. وإن ابتليتم في يوم واحد ألف مرة بالزنا أو القتل آمنوا فقط. أنا أقول ان إيمانكم ينجيكم . » انتهى. فظهر أن ما قال علماء پروتستنت في الأمر الأول في حق القرآن مردود بلا شبهة مخالف لكتبهم المقدسة، ولقول مقتداهم. ولا يلزم من خلق الشر أن يكون الله شريراً، كما لا يلزم من



خلق السواد والبياض وغيرهما من الأعراض أن يكون أسود أو أبيض. والحكمة في خلق الشر كما هي في خلق الشيطان الذي هو أصل الشرور ورأس المفسد، مع علم الله الأزلي بأن الشيطان يصدر عنه كذا وكذا، وكما هي في خلق الشهوة والحرص في طبع الانسان مع علمه الأزلي بما يترتب عليهما في كل فرد من افراد الانسان، وكما كان الله قادراً على أن لا يخلق الشيطان أو يخلقه ولا يعطيه القدرة على الإغواء ويمنعه عن الشر، ومع ذلك خلق ولم يمنعه عن الشر لحكمة ما، فكذلك قادر على أن لا يخلق الشر، لكنه في خلقه له حكمة ما.

وأما الجواب عن الأمر الثاني، فهو أنه لا قبح في كون الجنة مشتملة على الحور والقصور وسائر المعيم عند العقل. ولا يقول أهل الإسلام أن لذات الجنة مقصورة على اللذات الجسمانية فقط، كما يقول علماء پروتستنت غلطاً أو تغليطاً للعوام، بل يعتقدون بنص القرآن أن الجنة تشتمل على اللذات الروحانية والجسمانية، والأولى أفضل من الثانية، ويحصل كلا النوعين للمؤمنين. قال الله في سورة التوبة: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٍ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾<sup>(١)</sup>. فقوله ورضوان من الله الآية، معناه أن رضوانا من الله أكبر منزلة من كل ما سلف ذكره من الجنات والأنهار والمسكن الطيبة. وهذا القول يدل على أن أفضل ما يعطي الله في الجنة هي اللذات الروحانية، وإن كان يعطي اللذات الجسمانية أيضاً. ولذلك قال ذلك هو الفوز العظيم، لأن الإنسان مخلوق من جوهرين لطيف علوي وكثيف سفلي جسماني، وانضم اليهما حصول سعادة وشقاوة. فإذا حصلت الخيرات الجسمانية وانضم اليها حصول السعادات الروحانية، كان الروح فائزاً بالسعادات الالائقة به، والجسد واصلاً الى السعادات الالائقة به، ولا شك أن ذلك هو الفوز العظيم. وإن قال علماء پروتستنت أن اجتماعهما أيضاً في الجنة

(١) سورة التوبة (٧٢).

قيح في عقولنا، أقول لهم : لا تضطربوا فإنه لا يحصل لكم إن شاء الله. وقد عرفت في الباب الأول أن الانجيل عندنا عبارة عما أنزل على عيسى عليه السلام فقط، فلو وُجد في قول من الأقوال المسيحية ما يخالف ظاهره حكم القرآن، فمع قطع النظر عن أنه مروي برواية الآحاد، وعن أن مخالفة كتبهم المقدسة لا تضر القرآن، كما عرفت في جواب الشبهة الثانية، أقول إن ذلك القول يكون مؤولاً بالجنة. وكون أهل الجنة كالملائكة في زعمهم لا يتنافي الأكل والشرب على حكم كتبهم. ألا يرون أن الملائكة الثلاثة الذين ظهرُوا لآبراهيم وأحضر لهم إبراهيم عليه السلام عجلاً حينذا وسمنا ولبنا أكلوا هذه الأشياء كما صرح به في الباب الثامن عشر من سفر التكوين ؟ وإن الملاكين اللذين جاءا إلى لوط عليه السلام وصنع لهما وليمة وخبزاً فطيراً أكلوا، كما صرح به في الباب التاسع عشر من سفر التكوين ؟ والعجب أنهم لما اعترفوا بالحشر الجسماني، فأَي استبعاد في اللذات الجسمانية ؟ نعم لو كانوا منكرين للحشر مطلقاً كمشركي العرب، أو كانوا منكرين للحشر الجسماني، ومعتزفين بالحشر الروحاني، كأتباع أرسطو، لكان لاستبعادهم وجه بحسب الظاهر. وعندهم تجسد الله وما انفك عنه الأكل والشرب وسائر اللوازم الجسدانية، باعتبار أنه إنسان. ولما لم يكن عيسى عليه السلام مرتاضاً مثل يحيى في الاجتناب عن الأطعمة النفيسة وشرب الخمر كان المنكرون يقطعون عليه بأنه أكل وشرب، كما هو مُصرَّح به في الباب الحادي عشر من انجيل متى. وعندنا هذا الطعن مردود لكننا نقول إنه لا شك أن عيسى عليه السلام، باعتبار الجسمية، كان انساناً فقط. فكما أن الأطعمة النفيسة وشرب الخمر ما كانا مانعين في حقه عليه السلام عن اللذات الروحانية مع كونه في هذه الدار الدنيا، بل كان على حضرته غلبة الأحكام الروحانية، فكذلك اللذات الجسمانية لا تكون مانعة عن اللذات الروحانية لأهل الجنة مع كونهم في النشأة الأخرى.

**وأما الجواب عن الأمر الثالث :** فيجيب في الباب السادس إن شاء الله، لأن الجهاد في مطاعن النبي ﷺ عندهم من أعظم المطاعن فاذا ذكره في المطاعن هناك.

الشبهة الرابعة : إن القرآن لا يوجد فيه ما يقتضيه الروح ويتمناه.

والجواب : إن ما يقتضيه الروح ويتمناه أمر أن الاعتقادات الكاملة والأعمال الصالحة والقرآن مشتمل على بيان كلا النوعين على أكمل وجه، كما عرفت في جواب الشبهة الأولى. ولا يلزم من عدم بعض الأمور التي هي مقتضيات الروح على زعم علماء پروتستنت نقصان القرآن، كما لا يلزم نقصان التوراة والانجيل والقرآن من عدم الأمر الذي هو مقتضى الروح، على زعم علماء مشركي الهند من البراهمة، كما سمعت منهم أنهم يقولون إن ذئب الحيوان لأجل الأكل والتلذذ بخلاف مقتضى الروح وغير مستحسن عند العقل جداً، ولا يتصور أن يحصل له الإجازة فيه من جانب الله، فالكتاب المشتمل عليه لا يكون من جانب الله.

الشبهة الخامسة : يوجد في القرآن الاختلافات المعنوية. مثلاً قوله : ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ... ﴾<sup>(١)</sup>، وقوله في سورة الغاشية : ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ﴾<sup>(٢)</sup>، وقوله في سورة النور : ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوا تُهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَاسُ أَلْمِيبِينَ ﴾<sup>(٣)</sup>. وهذه الآيات تخالف الآيات التي فيها أمر الجهاد. ووقع في أكثر الآيات أن المسيح انسان ورسول فقط، ووقع في موضع بضدها أنه ليس من جنس البشر، بل منزلته أعلى منه. الأول قوله في سورة النساء : ﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ... ﴾<sup>(٤)</sup>، والثاني قوله في سورة التحريم : ﴿ وَمَرْيَمُ ابْنَتْ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا ... ﴾<sup>(٥)</sup> وهذا الاختلافان من أعظم الاختلافات في زعم القسيسين.

(١) سورة البقرة ( ٢٥٦ ) .

(٢) سورة الغاشية ( ٢١ - ٢٣ ) .

(٣) سورة النور ( ٥٤ ) .

(٤) سورة النساء ( ١٧١ ) .

(٥) سورة التحريم ( ١٢ ) .

ولذا اكتفى عليهما صاحب ميزان الحق في الفصل الثالث من الباب الثالث منه.

وأقول : في الجواب عن الاختلاف الأول، أن هذا ليس باختلاف بل هذا الحكم كان قبل الجهاد، فلما نزل حكم الجهاد نسخ هذا الحكم. والنسخ ليس باختلاف معنوي، وإلا يلزم أن يكون بين الانجيل والتوراة في جميع الأحكام المنسوخة اختلاف معنوي، وكذا في نفس أحكام التوراة، وكذا في نفس أحكام الانجيل، كما عرفت في الباب الثالث بما لا مزيد عليه. على أن قوله تعالى ( لا إكراه في الدين ) ليس بمنسوخ. وقد عرفت الجواب عن الاختلاف الثاني في الأمر السابع من مقدمة الكتاب. وظهر لك هناك أن القولين المذكورين لا يدلان على أن عيسى بن مريم ليس من جنس البشر، وفَهْمُ هذا المعنى وَهْمٌ صرف وظنٌ فاسد. والعجب من هؤلاء العقلاء أنهم لا يرون الاختلافات والاغلاط التي وقعت في كتبهم، كما علمت بعضاً منها في الفصل الثالث من الباب الأول.

## الفصل الثالث

في إثبات صحة الأحاديث النبوية المروية  
في كتب الصحاح من كتب أهل السنة والجماعة

وهذا الفصل مشتمل على ثلاث فوائد.

**الفائدة الأولى :** جمهور أهل الكتاب من اليهود والمسيحيين كانوا يعتبرون سلفاً وخلفاً الروايات اللسانية كالمكتوب، بل جمهور اليهود يعتبرونها اعتباراً أزيد من المكتوب، وفرقة كانتك تعتبرها مساوية له، وتعتقد أن كليهما واجبا التسليم، واصلاً للإيمان. وجمهور يروتستت من المسيحيين أنكروها، كما أنكروا الصادوقيون من فرقة اليهود. وهؤلاء المنكرون من يروتستت كانوا مضطرين في إنكارها، لأنهم لو لم ينكروها لما أمكن لهم بيان أصول ملتهم وعقائدهم الجديدة. لكنهم مع ذلك يحتاجون إليها في مواضع كثيرة، ويوجد سند اعتبارها من كتبهم المقدسة، كما سيظهر لك جميع هذه الأمور إن شاء الله تعالى.

قال آدم كلارك في شرح دياحة كتاب عزرا في المجلد الثاني من تفسيره المطبوع سنة ١٧٥١ : « قانون اليهود كان منقسماً على نوعين : مكتوب، ويقولون له التوراة، وغير مكتوب، ويقولون له الروايات اللسانية التي وصلت إليهم بواسطة المشايخ ويدعون أن الله كان أعطى موسى كلا النوعين على

جبل الطور، فوصل إلينا أحدهما بواسطة الكتابة، وثانيهما بواسطة المشايخ بأن  
 نقلوها جيلاً بعد جيل ولهذا يعتقدون أن كليهما مساويان في المرتبة ومن  
 جانب الله واجبا التسليم، بل يرححون الثاني، ويقولون إن القانون المكتوب  
 ناقص مغلق في كثير من المواضع، ولا يمكن أن يكون أصل الإيمان على  
 الوجه الكامل بدون اعتبار الرواية اللسانية. وهذه الرواية واضحة وأكمل  
 وتشرح القانون المكتوب وتكمّله. ولهذا يردون معاني القانون المكتوب إذا  
 كانت مخالفة للروايات اللسانية. واشتهر فيما بينهم أن العهد المأخوذ من بني  
 إسرائيل ما كان لأجل القانون المكتوب، بل كان لأجل هذه الروايات اللسانية.  
 فكأنهم بهذه الحيلة نبذوا القانون المكتوب وجعلوا الروايات اللسانية مبنى  
 دينهم وإيمانهم. كما أن الرومانيين الكاثوليكين في ملتهم اختاروا هذه  
 الطريقة، ويفسرون كلام الله على حسب هذه الروايات. وإن كان هذا المعنى  
 الروائي مخالفاً لمواضع كثيرة ووصلت حالتهم في زمان ربنا إلى مرتبة  
 الزمهم الرب في هذا الأمر بأنهم يبتلون كلام الله لأجل سنتهم ومن عهد  
 الرب، أفرطوا فيه جداً حتى عظموا هذه الروايات أزيد من المكتوب. وفي  
 كتبهم أن ألفاظ المشايخ أحب من ألفاظ التوراة، وألفاظ التوراة بعضها جيدة،  
 وبعضها غير جيدة، وألفاظ المشايخ كلها جيدة، وألفاظهم أجود جداً من  
 ألفاظ الأنبياء. ومرادهم بألفاظ المشايخ هذه الروايات اللسانية التي وصلت  
 إليهم بواسطة المشايخ. وأيضاً في كتبهم أن القانون المكتوب كالماء، ومسنا  
 وطالموت الذين رواياتهم مضبوطة فيهما مثل الخمر ذات الالبازير. وأيضاً في  
 كتبهم أن القانون المكتوب كالملح، ومسنا وطالموت مثل الفلفل والالبازير  
 العذبة. ومثلها أقوال آخر يُعلم منها أنهم يعظمون الروايات اللسانية أزيد من  
 القانون المكتوب، ويفهمون كلام الله على ما يفهم شرحه من هذه الروايات.  
 فكان القانون المكتوب عندهم بمنزلة الجسد الميت، والروايات اللسانية  
 بمنزلة الروح الذي به الحياة. ويقولون في كون هذه الروايات أصلاً أن الله  
 أعطى موسى التوراة فأعطاه معاني التوراة أيضاً، وأمر أن يكتب الأول ويحفظ  
 الثاني ويبلغه بالرواية اللسانية فقط. وهكذا تنقل جيلاً بعد جيل. ولذلك  
 يطلقون على الأول لفظ القانون المكتوب، وعلى الثاني لفظ القانون اللساني.

والفتاوى التي تكون مطابقة لهذه الروايات يسمونها قوانين موسى التي حصلت على جبل سيناء. ويدعون كما أن موسى حصل له التوراة في الأربعين يوماً التي كانت المكالمة بينه وبين الله على جبل سيناء، فكذاك حصلت له هذه الروايات اللسانية أيضاً، وجاء بهما موسى من الجبل وبلغهما الى بني اسرائيل، بأن طلب هرون في الخيمة بعد ما رجع عن الجبل، فعلمه القانون المكتوب أولاً، ثم الروايات اللسانية التي هي معاني القانون المكتوب، كما وجدهما من الله. وقام هرون بعدما تعلم وجلس على يمين موسى، ودخل العازار وابتاعار ابنا هرون وتعلما، كما تعلم أبوهما وقال، فجلس أحدهما على يسار موسى والآخر على يمين هرون. فدخل المشايخ السبعون وتعلموا القانونين وجلسوا في الخيمة، ثم تعلم الناس الذين كانوا مشتاقين للتعليم. ثم قام موسى وقرأ هرون ما تعلم وقام، ثم قرأ العازار وابتاعار وقام، ثم قرأ المشايخ السبعون ما تعلموا على الناس، فسمع كل من هؤلاء الناس هذا القانون أربع مرات وحفظوا حفظاً جيداً. ثم أخبر هؤلاء بعدما خرجوا سائر بني اسرائيل فبلغوا القانون المكتوب بواسطة الكتابة وبلغوا معانيها بالرواية الى الجيل الثاني. وكانت الأحكام في المتن المكتوب ستمائة وثلاثة عشر، فقسموا القانون بحسبها. ويقولون ان موسى جمع بني اسرائيل كلهم في أول الشهر الحادي عشر من السنة الأربعين من خروج مصر وأخبرهم بموته وأمر بأن احدا ان نسي قولاً من القانون الإلهي الذي وصل بواسطتي اليه يجيء اليّ ويسألني، وكذلك إن كان لأحد اعتراض على قول من أقوال القانون يجيء إليّ لأرفع ذلك الاعتراض. وكان مشتغلاً بالتعليم الى حياته الباقي، يعني من أول الشهر الحادي عشر الى السادس من الشهر الثاني عشر، وعلم القانون المكتوب وغير المكتوب وأعطى بني اسرائيل من القانون المكتوب ثلاث عشرة نسخة مكتوبة بيده، بأن أعطى كل فرقة فرقة نسخة نسخة لتبقى محفوظة فيما بينهم جيلاً بعد جيل، وأعطى بني لاوي نسخة أخرى أيضاً لتبقى محفوظة أيضاً في الهيكل، وقرأ القانون الغير المكتوب أعني الروايات اللسانية على يوشع وصعد على جبل نبو في اليوم السابع من الشهر ومات هناك وفوّض يوشع بعد موت موسى هذه الروايات الى المشايخ، وهم فوّضوا الى الأنبياء. فكان نبي يوصلها

الى نبي آخر الى أن أوصل ارمياء الى باروخ، وباروخ الى عزرا، وعزرا الى مجمع العلماء الذين كان شمعون صادق آخرهم، وهو أوصل الى اينتي كونوس، وهو الى يوثي بن يختان، وهو الى يوسي بن يوسير، وهو الى تنهان الاريلي ويوشع ابن برخيا، وهما الى يهودا بن يحيى وشمعون بن شطاف، وهما الى شمايا وابي طليون، وهما الى هلل وهو الى ابنه شمعون، والمظنون أن شمعون هذا هو شمعون الذي أخذ ربنا المنجي على اليمين إذ جاءت مريم به الى الهيكل بعدما تمت أيام تطهيرها، وهو أوصل الى كملثيل ابنه، وكملثيل هذا هو الذي تعلم منه نولس، وهو أوصل الى شمعون ابنه، وهو الى كملثيل ابنه، وهو الى شمعون ابنه وهو الى رب يهودا حتى دوش ابنه. وجمع يهودا هذا هذه الروايات في كتاب سماه مسنا ٥. انتهى. ثم قال : ٥ ان اليهود يعظمون هذا الكتاب تعظيماً بليغاً ويعتقدون أن ما فيه هو كله من جانب الله أوحى الى موسى على جبل سيناء، مثل القانون المكتوب. ولهذا هو واجب التسليم مثله. ومنذ صنف هذا الكتاب صار رائجاً بينهم رواجاً تاماً بالدرس والتدريس، وكتب عليه علماءهم الكبار شرحين أحدهما في القرن الثالث في أورشليم، والثاني في ابتداء القرن السادس في بابل واسم كل من هذين الشرحين كمرالان — معنى كمرأ في اللغة الكمال — وقد حصل التوضيح التام للمتن في هذين الشرحين في ظنهم، وإذا جمع الشرح والمتمن يقال هذا المجموع طالموت، ويقال للتمييز طالموت أورشليم وطالموت بابل. وكان مذهبهم الراجح الآن كله مندرجاً في هذين الطالموتين اللذين كتب الأنبياء خارجة عنهما. ولما كان طالموت أورشليم مغلفاً، فلذلك الآن اعتبار طالموت بابل عندهم زائد ٥. انتهى.

وقال هرون في الباب السابع من الحصة الأولى من المجلد الثاني من تفسيره المطبوع سنة ١٨٢٢ : ٥ مسنا كتاب مشتمل على روايات اليهود المختلفة وشروح متون الكتب المقدسة وظنهم في حقه أن الله لما أعطى موسى التوراة على جبل طورسيناء أعطاه هذه الروايات أيضاً في ذلك الحين ووصلت من موسى الى هرون والعازار ويوشع، ومنهم الى الأنبياء الآخرين، ومن هؤلاء الأنبياء الى المشايخ الآخرين. وهكذا وصلت من جيل الى جيل،



الى أن وصلت الى شمعون. وهذا شمعون هو شمعون الذي أخذ ربنا المنجي على يديه، ووصلت منه الى كملثيل، ومنه الى يهودا حق دوش أي المقدس، وهو جمعها في آخر القرن الثاني بمشقة في أربعين سنة في كتاب، وهذا الكتاب من هذا الوقت بظنا بعد بطن مستعمل في اليهود. وكثيرا ما يكون عزة هذا الكتاب زائداً على الثانون المكتوب». انتهى. ثم قال : « على مسنا شرحان يسمى منهما كمرأ. أحدهما كمرأ أورشليم الذي كتب في أورشليم على رأي بعض المحققين في القرن الثالث وعلى رأي فادرمون في القرن الخامس، والثاني كمرأ بابل الذي كتب في القرن السادس في بابل. وكمرأ هذا مملوء بالحكايات الواهية. لكنه عند اليهود معتبر عظيم. ودرسه وتدرسه رائجان فيهم، ويرجعون اليه في كل مشكل مذعنين بأنه مرشد لهم. ويقال كمرأ لأن معنى كمرأ الكمال. وظنهم أن هذا الشرح كمال التوراة، ولا يمكن أن يكون شرح أفضل منه، ولا حاجة الى شرح آخر. وإذا انضم بالمتن كمرأ أورشليم يقال للمجموع طالموت أورشليم، وإذا انضم به كمرأ بابل يقال للمجموع طالموت بابل ». انتهى.

فظهر من تحرير هذين المفسرين أربعة أشياء : الأول : ان اليهود يعتبرون الرواية اللسانية كالتوراة، بل كثيرا ما يعظمونها تعظيماً زائداً عليه، ويفهمون أنها بمنزلة الروح والتوراة بمنزلة الجسد. وإذا كان حال التوراة هكذا فكيف حال الكتب الأخر ؟ والثاني : إن هذه الروايات جمعها يهودا حق دوش في آخر القرن الثاني، وكانت محفوظة بالحفظ اللساني الى ألف وسبعمئة سنة. ووقع على اليهود في أثناء هذه المدة آفات عظيمة ودواهي جسيمة مثل حادثة بختنصر وانتيوكس ويططوس وغيرها، بحيث انقطع التواتر في هذه الحوادث وضاعت الكتب، كما عرفت في الباب الثاني، ومع ذلك عندهم اعتبارها أزيد من التوراة. والثالث : إن هذه الروايات في أكثر الطبقات مروية برواية واحد واحد مثل كملثيل الأول والثاني، وشمعون الثاني والثالث، وهؤلاء ما كانوا من الأنبياء عند اليهود، وكانوا عند المسيحيين من أشد الكفار المنكرين للمسيح، ومع ذلك هذه الروايات عند اليهود مبنى الإيمان وأصل العقائد، وعندنا الحديث الصحيح المروي برواية الآحاد لا يكون مبنى العقائد.

**والرابع :** إن كمرا بابل لما كتب في القرن السادس فحكاياته الواهية، على قول هورن، كانت محفوظة بالرواية اللسانية فقط الى مدة هي أزيد من ألفين. فإذا عرفت حال اليهود باعتراف محققي فرقة پروتستنت، فاعلم الآن حال جمهور القدماء المسيحية. قال يوسي بيس الذي تاريخه معتبر عند علماء كاتلك وپروتستنت في الباب التاسع من الكتاب الثاني من تاريخه المطبوع سنة ١٨٤٨ في الصفحة ٨٧ في بيان حال يعقوب الحواري : « إن كليمنس نقل حكاية قابلة للحفظ في كتابه السابع في بيان حال يعقوب هذا. والظاهر أن كليمنس نقل هذه الحكاية عن الروايات اللسانية التي وصلت اليه من الآباء والأجداد ». ثم نقل في الباب الثالث والعشرين من الكتاب الثالث قول أرينوس في الصفحة ١٢٣ : « كنيسة أفسس التي بناها بولس، وأقام فيها يوحنا الحواري الى عهد سلطنة ترجان شاهد ذو إيمان لأحاديث الحواريين ». ثم نقل في تلك الصفحة قول كليمنس : « إسمعوا في حق يوحنا الحواري حكاية ليست بكاذبة، بل هي صادقة محققة بقيت في الصدور محفوظة ». ثم قال في الباب الرابع والعشرين من الكتاب الثالث في الصفحة ١٢٦ : « تلاميذ المسيح مثل الحواريين الاثني عشر والسبعين رسولا وكثير من أناس آخرين لم يكونوا غير واقفين على الحالات المذكورة — أي الحالات التي كتبها الانجيليون — لكن كتبها منهم متى ويوحنا فقط. وعلم من الرواية اللسانية أن تحريرهما أيضا كان لأجل الضرورة ». ثم قال في الباب الثامن والعشرين من الكتاب الثالث في الصفحة ١٣٢ : « كتب أرينوس في كتابه الثالث حالا هو حري بأن يكتب ووصل اليه هذا الحال من بوليكارب بالرواية اللسانية ». ثم قال في الباب الخامس من الكتاب الرابع في الصفحة ١٤٧ : « لم أر حال أساقفة أورشليم بالترتيب في كتاب، لكنه ثبت بالرواية اللسانية أنهم بقوا مدة قليلة ». ثم قال في الباب السادس والثلاثين من الكتاب الثالث في الصفحة ١٣٨ : « وصل الينا بالرواية اللسانية أنهم لما أذهبوا اكنائيوث الى الروم ليقتلوه باللقائه بين أيدي السباع لأجل كونه مسيحيا، ومراً ياشيا في حفاظة العسكريين فقوى الكنائس المختلفة في اثناء الطريق بنصائحه وأقواله، وأغبرهم عن البدعات التي كانت منتشرة في تلك الأيام أو كانت حدثت،

ووصاهم باللصوق بالروايات اللسانية لصرفاً قوياً، واستحسن أيضاً لأجل زيادة الحفظ أن كتب هذه الروايات وأثبت شهادته عليها. ثم قال في الباب التاسع والثلاثين من الكتاب الثالث في الصفحة ١٤٢ : « قال بي يس في دياجة كتابه : أكتب لانتفاعكم جميع الأشياء التي وصلت من المشايخ التي وحفظتها بعد التحقيق التام ليثبت زيادة تحقيقها بشهادتي عليها، لأنني ما رضيت من قديم الزمان بسماع الأحاديث من الذين يلغون كثيراً ويعلمون نصائح أخرى أيضاً، بل سمعت الأحاديث من الذين لا يعلمون ألا النصائح الحقّة التي هي مروية من ربنا الصادق، ومن لقيته من متبعي المشايخ سألته عن هذا أن اندراوس أو بطرس أو فيلبس أو نوما أو يعقوب أو متى أو شخص آخر من تلاميذ ربنا أو أرسطيون أو القسيس يوحنا مريد ربنا ماذا قال، لأن الفائدة التي حصلتها من ألسنة الأحياء ما حصلتها من الكتب ». ثم قال في الباب الثامن من الكتاب الرابع في الصفحة ١٥١ : « هجيسي بوس من مؤرخي الكنيسة مشهور، وتقلت عن تأليفاته أشياء كثيرة نقلها عن الحوارين بالروايات اللسانية، وكتب هذا المصنف مسائل الحوارين التي وصلت إليه بالرواية اللسانية بعبارة سهلة في خمس كتب ». ثم نقل في الباب الرابع عشر من الكتاب الرابع عشر من الكتاب الرابع قول أرينيوس في بيان حال بوليكارب في الصفحة ١٥٨ : « علّم بوليكارب دائماً ما تعلمه من الحوارين وبلغته الكنيسة بالرواية وكانت مسئلة صادقة ». ثم نقل في الباب السادس من الكتاب الخامس عن قول أرينيوس فهرست أساقفة الروم، وقال في الصفحة ٢٠١ : « الآن إلى تهيروس اسقفها الثاني عشر من السلسلة التي وصل إلينا بواسطتها الصديق والروايات اللسانية من الحوارين ». ثم نقل في الباب الحادي عشر من الكتاب الخامس قول كليمنس في الصفحة ٢٠٦ : « ما كتبت هذه الكتب لطلب الرفعة بل لظن كبرسني، ولأن تكون تزيّقات لئساني جمعتها على طريق التفسير كأنها شروح للمسائل الإلهامية التي صرت بها معظماً بعد ما تعلمتها من الصادقين المباركين، ومنهم بوني كوس الذي كان في يونان والثاني الذي كان يقيم في ميكنيا كريشيا، كان أحدهما سريانيا والآخر مصرياً، وكان الباقيون من سكان المشرق. كان واحد منهم أموريا،

وواحد منهم عبرانيا من أهل فلسطين، والشيخ الذي وصلت آخرها إلى خدمته كان مختفياً في مصر وكان أفضل من المشايخ كلهم، وما طلبت شيخاً آخر بعده لأن أحداً ما كان أفضل منه. وهؤلاء المشايخ حفظوا الروايات الصادقة التي هي منقولة من بطرس ويعقوب ويوحنا وبولس جيلا بعد جيل ٥. ثم نقل في الباب العشرين من الكتاب الخامس قول أرينيوس في الصفحة ٢١٩ : « سمعت بفضل الله هذه الأحاديث بالإمعان التام وكتبها في صصري لا في القرطاس وعادتي من قديم الأيام أنني أكررها بالديانة ٥. » ثم قال في الباب الرابع والعشرين من الكتاب الخامس من الصفحة ٢٢٢ : « كتب بولي كراتيس الأسقف رواية وصلت إليه بالرواية اللسانية في كتابه الذي أرسله إلى وكتر وكنيسة الروم ٥. » ثم قال في الباب الخامس والعشرين من الكتاب الخامس في الصفحة ٢٢٦ : « ناركثوس وتهيوفلوس وكاسيوس من أساقفة فلسطين، وأسقف كنيسة اسورو اسقف تولمائي كلاروس، والأشخاص الآخرون الذين جاؤا مع هؤلاء الأساقفة، قدموا أموراً كثيرة في حق الرواية التي وصلت إليهم في باب عيد الفصح من الحوارين منقولة بالرواية اللسانية جيلا بعد جيل، وكتبوا في آخر الكتاب أن أرسلوا نقوله إلى الكنائس لئلا يبقى للذين يضلون عن الصراط المستقيم سريعا موضع الفرار ٥. » ثم قال في الباب الثالث عشر من الكتاب السادس في بيان حال كليمنس اسكندريانوس الذي كان من أتباع تابعي الحوارين في الصفحة ٢٤٦ : « انه قال في كتابه الذي ألف في بيان عيد الفصح، ان الأحياء طلبوا مني أن أكتب لنفع الأجيال الآتية الروايات التي سمعتها من الأساقفة ٥. » ثم قال في الباب الحادي والثلاثين من الكتاب السادس في الصفحة ٢٦٣ : « ايفريكاتيوس في رسالته التي هي موجودة إلى هذا الحين وكان أرسلها إلى ارستيديس، يبين التطبيق بين بياني متى ولوقا في نسب المسيح باعتبار الرواية التي وصلت إليه من الآباء والأجداد ٥. » انتهى كلامه. وغلم من أقوال السبعة عشر أن القدماء المسيحية كانوا يعتبرون الرواية اللسانية اعتباراً عظيماً.

قال جان ملتر كانلك في كتابه الذي طبع في بلد دربي سنة ١٨٤٣ في رسالته العاشرة التي أرسلها إلى جيمس برون : « إنني كتبت فيما قبل أيضاً أن

مبنى إيمان كاتلك ليس كلام الله الذي هو مكتوب فقط، بل أعم مكتوبا كان أو غيره مكتوب، يعني الكتب المقدسة والروايات اللسانية على ما شرحتهما كنيسة كاتلك به ٥. ثم قال في تلك الرسالة : « إن أرينيوس قال في الباب الخامس من المجلد الثالث من كتابه انه لا يوجد لطالبي الحق أمر أسهل من أن يتفحصوا في كل كنيسة عن الروايات اللسانية التي هي منقولة عن الحوارين وأظهروها في العالم كله ٥. ثم قال في تلك الرسالة : « أن أرينيوس قال في الباب الثالث من المجلد الأول من كتابه ان ألسنة الأقسام وإن كانت مختلفة لكن حقيقة الرواية اللسانية في كل موضع متحدة. كنائس الجرمن ليست مخالفة في التعليم والعقائد لكنائس فرانس واسبانيا والمشرق ومصر وليبيا ٥. ثم قال في تلك الرسالة : « ان أرينيوس قال في الباب الثاني من المجلد الثالث، ولما كان تحرير حال سلاسل الكنائس كلها يفضي الى التطويل، فلذلك نرجع الى رواية وعقيدة كنيسة الروم التي هي قديمة وعظيمة ومشهورة جدا وبناها بطرس وبولس، والكنائس كلها موافقة لها، لأن الروايات اللسانية المنقولة عن الحوارين جيلا بعد جيل كلها محفوظة فيها ٥. ثم قال في تلك الرسالة : « إن أرينيوس قال في الباب الرابع والسبعين من الكتاب الرابع : ولو فرضنا أن الحوارين لم يتركوا الكتب لنا، فنقول انه اما كان لازما علينا أن نطيع الأحكام التي ثبتت بالرواية اللسانية التي هي منقولة عن الحوارين وكانوا سلموها للناس الذين سلموها للكنيسة، وهذه الروايات هي التي يعمل بحسبها الوحشيون الذين آمنوا بالمسيح بلا استعمال الحروف والمداد ٥. ثم قال في تلك الرسالة : « ان ترتوليس قال في كتابه الذي ألفه في رد أهل البدعة وطبع في بلد رهنان في الصفحة ٣٦ و ٣٧ إن عادة أهل البدعة أنهم يتمسكون بالكتب المقدسة ويستدلون ويقولون انه ليس غير الكتب المقدسة المكتوبة شيئا قابلا لأن يجعل مبنى الإيمان ويقال بحسبه، ويعجزون بهذه الحيلة الأقوياء ويلفون الضعفاء في شبكاتهم ويقعون المتوسطين في الشك. ولذا نقول لا تجيزوا هؤلاء أبداً أن يناظروا مستدلين بالكتب المقدسة، لأنه لا تترتب على المباحثة التي تكون بالكتب المقدسة فائدة ما غير أن يصير الدماغ والبطن خاليين. فلذلك طريقة الرجوع الى الكتب المقدسة غلط، لأنه

لا يحصل انفصال أمر من هذه الكتب، وإن حصل شيء يكون على الوجه الناقص. ولو لم يكن هذا الأمر أيضا كانت طريقة المباحثة في تلك الصورة أيضا أن يحقق أولا أن الكتب المقدسة علاقتها من أي الناس وبلغ أي شخص إلى أي شخص في أي وقت الرواية التي صرنا بسببها مسيحيين، لأن الموضوع الذي يوجد فيه أحكام الدين المسيحي وعقائده يوجد فيه صدق الانجيل ومعانيه وجميع روايات الدين المسيحي التي هي لسانية. ثم قال في تلك الرسالة: « إن أرجن قال انه لا يليق بنا أن نعتبر الناس الذين ينقلون عن الكتب المقدسة، ثم يقولون ان الكلام في بيتكم فانظروا فيه، لأنه لا يليق بنا أن نترك الرواية الأولى التي في الكنيسة، أو نعتقد غير ما بلغ الينا كنائس الله برواية مسلسلّة. ثم قال في تلك الرسالة: « كتب باسيليوس أن المسائل الكثيرة محفوظة في الكنيسة يوعظ بها، أخذت بعضها من الكتب المقدسة، وبعضها من الروايات اللسانية، وقوتها في الدين مساوية. ومن كان له وقوف ما على الشريعة العيسوية لا يعترض على هذا. ثم قال في تلك الرسالة: « قال أبي فابيس في كتابه الذي ألفه في مقابلة المبتدعين: ولنستعمل الرواية اللسانية لأن جميع الأشياء لا توجد في الكتب المقدسة. ثم قال في تلك الرسالة: « ان كيريزاستم صرح في شرح الآية الرابعة عشر من الباب الثاني من الرسالة الثانية إلى أهل تسالونيقي: ظهر من هذا صراحة أن الحوارين لم يبلغوا الأشياء كلها الينا بواسطة التحرير، بل بلغوا أشياء كثيرة بدون التحرير أيضا وكتائهما متساويتان في الاعتبار. ولذلك فلنلاحظ أن رواية الكنيسة منشأ الإيمان. وإذا ثبت شيء بالرواية اللسانية فلا نطلب زائدا عليه. ثم قال في تلك الرسالة: « ان اكستائن كتب في حق الشخص الذي حصل له الاصطباغ من المبتدعين انه وإن لم يوجد السند التحريري في هذا الباب — لكنه فليلاحظ أن هذا الرسم أحد من الرواية اللسانية، لأن الأشياء الكثيرة تسلم الكنيسة العامة أن الحوارين قرروها وهي ليست بمكتوبة. ثم قال في تلك الرسالة: « إن الأسقف ون سنت قال: فليفسر المبتدعون الكتب المقدسة على وفق رواية الكنيسة العامة. انتهى كلامه. وعلم من أقواله الاثني عشر أن الروايات اللسانية مبنية إيمان فرقة كاتلك، وكانت معتبرة عند القدماء. وفي

الصفحة ٦٣ من المجلد الثالث من كاتلك هرلد : « أورد رب موسى قدسي شواهد كثيرة على أن متن الكلام المقدس لا يفهم بدون معونة الحديث والرواية اللسانية. واقتدى مشايخ كاتلك بهذه القاعدة في كل وقت. وقال ترتولين : فليرجع لادراك الشيء الذي علم المسيح والحواريين الى الكنائس التي بناها الحواريون وعلموها بتحريراتهم ورواياتهم اللسانية ». انتهى.

فعلم من هذه العبارات المذكورة أن اليهود عندهم تعظيم الروايات والأحاديث أزيد من تعظيم التوراة، وأن جمهور القدماء المسيحية مثل كليمنس وأرينيوس وهجيسي بوس وبوليكارب وبولي كراتيس وتاركثوس وتهيوفلوس وكاسيوس وكلاروس وكليمنس اسكندريانوس وايفريكانوس وترتولين وارجن وباسلنوس وابي فانيس وكريزاستم واكستين وون سنت الأسقف وغيرهم كانوا يحفظون الروايات اللسانية ويعتبرونها. واكتنايوس كان من وصاياه في آخر عمره التشبث بالروايات اللسانية تشبثا قويا. وكليمنس قال في وصف مشايخه : انهم حفظوا الروايات الصادقة المروية عن بطرس ويعقوب ويوحنا ويولس جبلا بعد جبل. وأبي فانيس قال : الفائدة التي حصلتها من ألسنة الاحياء ما حصلتها من الكتب. وارينيوس قال سمعت الأحاديث بفضل الله بالامعان التام وكتبتها في صدري لا في القراطس وعادتي من قديم الأيام أنني أكررها دائما بالديانة. وقال أيضا : إنه لا يوجد لطالبي الحق أمر أسهل من أن يتفحصوا في كل كنيسة عن الروايات اللسانية التي هي منقولة عن الحواريين وأظهروها في العالم كله. وقال أيضا : لو فرضنا أن الحواريين لم يتركوا الكتب لنا فنقول انه أما كان لازما علينا أن نطيع الأحكام التي ثبتت بالروايات اللسانية التي هي منقولة عن الحواريين. وارجن وترتولين يلومان على منكري الأحاديث وباسليوس قال المسائل المأخوذة من الكتب المقدسة والمأخوذة من الأحاديث كلتاها متساويتان في القوة. وكريزاستم قال كلتاها متساويتان في الاعتبار، ورواية الكنيسة منشأ الإيمان، وإذا ثبت شيء بالرواية اللسانية فلا نطلب رائدا عليه. واكستائن صرح أن الأشياء الكثيرة تسلم الكنيسة العامة أن الحواريين قرروها، وأنها ليست بمكتوبة. فالانصاف أن رد الجميع لا يخلو عن تعصب وجهل ويكذب هذا الأمر

انجيلهم أيضا : في الآية الرابعة والثلاثين من الباب الرابع من انجيل مرقس هكذا : « وبدون مثل لم يكن يكلمهم، وأما على انفراد فكان يفسر لتلاميذه كل شيء ». ويبدو أن لا يكون هذه التفسيرات كلها أو بعضها مروية، وأن يكون الحواريون محتاجين الى التفسير، ومعاصرونا لا يكونون كذلك. والآية الخامسة والعشرون من الباب الحادي والعشرين من انجيل يوحنا هكذا : « وأشياء أخر كثيرة صنعها يسوع ان كتبت واحدة واحدة فلست أظن أن العالم نفسه يمع الكتب المكتوبة ». وكلام الانجيل، وإن لم يحل عن المبالغة والغلو، لكنه لا شك أن قوله وأشياء أخر كثيرة يشمل جميع أفعال المسيح، معجزات كانت أو غيرها، ويبدو أن لا يكون شيء منها مروياً بالرواية اللسانية. والآية الخامسة عشر من الباب الثاني من الرسالة الثانية الى أهل تسالونيقي هكذا : « فاثبتوا اذا أيها الاخوة وتمسكوا بالعالم التي تعلمتموها سواء كان بالكلام أم برسالتنا ». وقوله ( سواء كان بالكلام أم برسالتنا ) يدل صراحة على أن بعض الأشياء وصلت اليهم بواسطة التحرير، وبعضها بالكلام مباشرة. فلا بد أن يكون كلاهما معتبرين عند المسيحيين، كما صرح كريزاستم في شرح هذا الموضع على ما عرفت. وفي الآية الرابعة والثلاثة من الباب الحادي عشر من الرسالة الأولى الى أهل فونيشوس في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٤٤ هكذا : « فأما سائر الأشياء فسأوصيكم بها إذا قدمت اليكم ». ومن البين أن هذه الأشياء الباقية أوصاهم بها شفاهاً عندما جاء اليهم، وهذه لم تكتب ويبدو أن لا يكون شيء منها مروياً. والآية الثالثة عشر من الباب الأول من الرسالة الثانية الى تيموثاوس هكذا : « نمسك بصورة الكلام الصحيح الذي سمعته مني في الإيمان والمحبة التي في المسيح يسوع ». فقوله ( الذي سمعته مني ) يدل على أنه سمع بعض الأشياء شفاهاً. والآية الثانية من الباب الثاني من الرسالة المذكورة هكذا : « وما سمعته مني بشهود كثيرين أودعه أناساً أمناء يكونون كفؤاً أن يعلموا آخرين أيضاً ». فهنا مقدسهم يأمر تيموثاوس أن يعلم الأناس الأمناء الأحاديث التي سمعها منه، وأن يعلم الأمناء أناساً آخرين فلا بد أن تكون هذه الروايات مروية. وفي آخر الرسالة الثانية ليوحنا هكذا : « إذ كان لي كثير لأكتب اليكم لم أرد أن يكون بورك وحير،



لأنني أرجو أن آتي اليكم وأتكلم بالضم لكي يكون فرحنا كاملاً». وفي آخر الرسالة الثالثة هكذا: «وكان لي كثير لأكتبه لكنني لمست أريد أن أكتب اليك بحبر وقلم ولكنني أرجو أن أراك عن قريب فتكلم بالضم». فهاتان الآيتان تدلان على أن يوحنا قال في المشافهة أشياء كثيرة على ما وعد، ويعد أن لا تكون هذه الأشياء كلها أو بعضها مروية برواية.

فظهر مما ذكرنا أن مَنْ أنكر من فرقة پروتستنت اعتبار الأحاديث مطلقا في الملة المسيحية فهو إما جاهل أو متعسف عنيد، وقوله مخالف لكتبه المقدسة ولجمهور علمائه من القدماء، وهو داخل في زمرة المبتدعين على قول بعض القدماء. ومع ذلك لا يذله من اعتبارها في كثير من هوسات فرقته مثل أن الابن مساو للاب في الجوهر، وأن الروح القدس منشق من الأب والابن، وأن المسيح ذو طبيعتين واقتوم واحد، وأنه ذو ارادتين الهية وانسانية، وأنه بعدما مات نزل الجحيم وغيرها من هوساتهم. مع أن هذه الكلمات لا توجد بعينها في العهد الجديد، وما اعتقدوا هذه الأمور إلا من الأحاديث والتقليدات. وأيضاً يلزم عليه أن ينكر كثيرا من أجزاء كتبه المقدسة، مثل أن ينكر انجيل مرقس ولوقا، وتسعة عشر بابا من كتاب أعمال الحواريين لأنها كتبت بالروايات اللسانية لا بالمشاهدة ولا بالوحي، كما عرفت في الباب الأول، ومثل أن ينكر خمسة أبواب من الخامس والعشرين الى التاسع والعشرين من سفر الامثال، لأنها جمعت في عهد حزقيا من الروايات اللسانية التي كانت جارية بينهم، وما بين زمان الجمع وموت سليمان عليه السلام مدة مائتين وسبعين سنة. الآية الأولى من الباب الخامس والعشرين من السفر المذكور هكذا: «هذه أيضا أمثال سليمان التي استكتبها أصدقاء حزقيا ملك يهوذا». قال آدم كلارك المفسر في تفسيره المطبوع سنة ١٨٥١ ذيل شرح هذه الآية: «يُعلم أن في آخر هذا السفر أمثالا جمعت بأمر حزقيا السلطان من الروايات اللسانية التي كانت جارية من عهد سليمان، فجمعوا هذه الأمثال منها، وجعلوها ضميمه هذا السفر. ويمكن أن يكون المراد باحباء حزقيا اشعيا وشعيا وغيرهما من الأنبياء الذين كانوا في ذلك العهد. فتكون تلك الضميمه مثل السفر الباقي سنفا، وإلا كيف ضموها بالكتاب المقدس». انتهى. فقلوه

( جُمعت بأمر حرقيا السلطان من الروايات اللسانية ) صريح فيما قلت. وقوله ( ويمكن أن يكون المراد الخ ) مردود لأنه مجرد احتمال لا يتم على المخالف بدون السند الكامل وليس عنده سند، بل يقول احتمالا ورجما بالغيب. وقوله ( كيف ضموها بالكتاب المقدس ) مردود، لأن اليهود كان عندهم اعتبار الروايات أزيد من اعتبار التوراة. فإذا صارت التوراة سندا عندهم معتبرا مع أنها جُمعت من روايات المشايخ بعد ألف وسبعمائة سنة تقريبا، وكذا صارت قصص كمرأ بابل معتبرة، مع أنها جُمعت بعد ألفي سنة، فأى مانع من اعتبار الأبواب الخمسة التي جُمعت بعد مائتين وسبعين سنة ؟ ولقد أنصف بعض المحققين من علماء پروتستنت واعترف أن الروايات اللسانية أيضا معتبرة مثل المكتوبة. في الصفحة ٦٣ من المجلد الثاني من كاتلك هرلد هكذا : « إن دأكر بریت الذي هو من فضلاء پروتستنت قال في الصفحة ٧٣ من كتابه إن هذا الأمر ظاهر من الكتب المقدسة أن الدين العيسوي صار مفوضا إلى الأساقفة الأولين وتابعي الحواريين بالرواية اللسانية، وكانوا مأمورين بأن يحافظوا عليه، ويفوضوه إلى الجيل المتأخر. ولا يثبت من كتاب مقدس، سواء كان كتاب بولس أو غيره من الحواريين، أنهم كتبوا متفقين أو منفردين جميع الأشياء التي لها دخل في النجاة، وجعلوا قانونا يفهم منه أنه لا يوجد فيه شيء ضروري له دخل في النجاة غير المكتوب ». وقال في الصفحة ٣٢ و ٣٣ من الكتاب المذكور : « ترى بولس وغيره من الحواريين أنهم كما بلغوا إلينا الأحاديث بواسطة التحرير، كذلك بلغوا بواسطة الرواية اللسانية أيضا. والويل للذين لا يحافظونهما. والأحاديث العيسوية في أمر الإيمان سند كالمكتوب ». انتهى كلام دأكر بریت. وقال أسقف مون نيك : « إن أحاديث الحواريين سند كمكتوباتهم، ولا ينكر أحد من پروتستنت أن تقرير الحواريين اللساني أزيد من تحريرهم ». وقال جلنك ورتهم : « إن هذا النزاع — أن أي انجيل قانوني وأي انجيل ليس قانوني — يزول بالرواية اللسانية التي هي قاعدة الانصاف لكل نزاع ». انتهى كلام كاتلك هرلد وقال القسيس طامس انكلس كاتلك في الصفحة ١٨٠ و ١٨١ من كتابه المسمى بمرآة الصديق المطبوع سنة ١٨٥١ : « يشهد أسقف ماني سيك من علماء پروتستنت أن ستمائة أمر

قررها الله في الدين، وتؤمر الكنيسة بها، ويُقبل في حقها أن الكتاب المقدس ما بُيِّنَها في موضوع وما علَّمها ٥. انتهى. فعلى اعتراف هذا الفاضل ستمائة أمر ثبتت بالرواية اللسانية وواجبة التسليم عند فرقة پروتستنت.

**الفائدة الثانية:** (١٠) هذا الأمر ظاهر بالتجربة الصحيحة أن الأمر العجيب أو المهمم بشأنه يكون محفوظاً لأكثر الناس، وخلافه لا يبقى محفوظاً غالباً لعدم الاهتمام. ولذلك إذا سألت الناس، الذين لا يكونون متعودين على أكل طعام واحد مخصوص أو أطعمة مخصوصة، ماذا أكلتم أمس أو قبل أمس، لا يكون هذا محفوظاً لأكثرهم غالباً لعدم الاهتمام بهذا الأمر وعدم كونه عجباً أو عظيماً. وهكذا الحال في أكثر الأفعال العامة والأقوال العامة. وإذا سألت عن حال الكوكب الذي كان من ذوات الأذنان وظهر في شهر صفر سنة ١٢٥٩ من الهجرة وشهر مارس سنة ١٨٤٣ من الميلاد وكان ظاهراً في الجو إلى شهر وكان في غاية الطول، يكون محفوظاً للكثيرين من ناظره، وإن لم يكن شهر ظهوره وعامه محفوظين لهم، وقد مضت عليه مدة تزيد من إحدى وعشرين سنة. وكذلك حال الزلازل العظيمة والمحاربات الشديدة والأمر النادرة. ولما كان اهتمام المسلمين بحفظ القرآن في كل قرن، يوجد فيهم من حفاظ القرآن في هذا العصر أيضاً يزيد من مائة ألف في الديار الإسلامية كلها، وإن زالت سلطنة أهل الإسلام من أكثر أقطار الممالك، ووقع الفتور في الأمور الدينية في أكثر أقطارهم ومن كان شاكاً في هذا الأمر من المسيحيين فليجرب وليدخُل في الجامع الأزهر فقط، فيجد في كل وقت أكثر من ألف حافظ من حفاظ القرآن الذي حفظوه بالتجويد التام. ولو تتبع قرى مصر لا يجد قرية من قرى أهل الإسلام تكون خالية عن حفاظ القرآن ووجد كثيراً من البغاليين والحمارين من أهل مصر أيضاً حافظين للقرآن. فإن أنصف اعترف البتة أن هؤلاء الحمارين والبغاليين فائقون في هذا الباب على الباب والأساقفة

---

(١٠) جعل المؤلف هذا الفصل ثلاث فوائد. وما سبق كان تفصيلاً للفائدة الأولى، وهي ذي الفائدة الثابتة. فلتمامه.

والقسوس الذين يوجدون شرقاً وغرباً في هذا الزمان الذي هو زمان شيوع العلم في المسيحيين، فضلاً عن القرون السالفة المسيحية من الجيل السابع الى الجيل الخامس عشر التي كان الجهل فيها بمزلة شعار العلماء في تلك القرون، على اعتراف علماء پروتستنت. وظني أنه لا يوجد في جميع ديار أوروبا كلها عشرة من حفاظ الانجيل أو التوراة أو كليهما، بحيث يساوي حفظهم لأحدهما أو لكليهما حفظ هؤلاء البغالين والحمارين للقرآن. وقد عرفت في الفائدة الأولى قول اريينوس أنه قال : « سمعت بفضل الله هذه الأحاديث بالإمعان التام وكتبها في صدري لا في قرطاس، وعادتي من قديم الأيام أني أكررها بالديانة ». وقال أيضاً : « ألسنة الأقوام وإن كانت مختلفة، لكن حقيقة الرواية اللسانية متحدة في كل موضع. فإن كنائس الجرمن ليست مخالفة في التعليم والعقائد لكنائس فرانس واسبانيا والمشرق ومصر وليبيا ». وقال وليم ميور في الباب الثالث من تاريخ كليسيا المطبوع سنة ١٨٤٨ : « القدماء المسيحية ما كان عندهم عقيدة مكتوبة من عقائد الإيمان التي اعتقادها ضروري للنجاة. وكانت تُعَلَّم للأطفال وللذين كانوا يدخلون في الملة المسيحية تعليماً لسانياً. وهذه العقائد كانت متحدة قريباً وبعداً، ثم لما ضبطوها بالكتابة وقابلوها ووجدوها مطابقة، وما وجدوا فيها غير الاختلاف القليل اللفظي، وما كان فرق في أصل المطلب ». انتهى كلامه. فَعَلِمَ أن الأمر الذي يكون مهتماً بشأنه يكون محفوظاً ولا يتطرق فيه خلل بمرور مدة طويلة. وهذا الأمر ظاهر في القرآن. وقد مضت مدة ألفين ومائتين وثمانيين سنة، وهو كما أنه محفوظ بواسطة الكتابة في كل قرن، فكذلك محفوظ في كل قرن أيضاً بواسطة صدور ألفوف من الرجال. وأكثر فرق المسيحيين في هذا الزمان أيضاً، بحيث لو لاحظنا حال كبار علمائهم وخواصهم فضلاً عن عوامهم، وجدناهم أنه لا يحصل لهم تلاوة كتبهم المقدسة. قال المعلم ميخائيل مشافة من علماء پروتستنت في خاتمة كتابه المسمى بالدليل الى طاعة الانجيل المطبوع سنة ١٨٤٩ في الصفحة ٣١٦ : « إنني ذات يوم سألت كاهناً — من كهنة كاثلك — أن يجيبني بالصدق عن مطالعة الكتاب المقدس، وكم مرة قرأه في مدة حياته، فقال انه كان يقرأ أحياناً، وربما جملة

أسفار لم يقرأها. ولكن منذ اثنتي عشرة سنة لأجل انهماكه في خدمة الرعية لم يبق له فرصة المطالعة فيه. ولا يخلو أن كثيرين من الشعب يعرفون جهالة هؤلاء الاكليس، ولكنهم مع ذلك ينقادون الى ارشادهم في المنع عن مطالعة الكتب المفيدة التي ترشدهم اليها. انتهى كلامه بلفظه.

**الفائدة الثالثة :** الحديث الصحيح أيضا معتبر عند أهل الإسلام على الوجه الذي سنفصله. ولما كان قول رسول الله ﷺ « اتقوا الحديث عني إلا ما علمتم فمن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » متواتراً رواه اثنان ومثون صحابيا منهم العشرة المبشرة، كان أهل الإسلام مهتمين بالأحاديث النبوية من القرن الأول، وكان اهتمامهم في حفظ الأحاديث أزيد من اهتمام المسيحيين، كما أن اهتمامهم في حفظ القرآن في كل قرن أشد من إهتمام المسيحيين في حفظ كتبهم المقدسة. لكن الصحابة لم يدونوها في الكتب في عهدهم لبعض الأعذار، منها الاحتياط الثام لأجل أن لا يختلط كلام الرسول بكلام الله. وتابعوا الصحابة، كالزهري والريعي بن صبيح وسعيد وغيرهم رحمهم الله، شرعوا في تدوينها، لكنهم ما كتبوها مرتبة على ترتيب أبواب الفقه. ولما كان هذا الترتيب حسنا، ضبط تبع التابعين على هذا الترتيب. فالإمام مالك رحمه الله، الذي ولد سنة خمس وتسعين من الهجرة، صنف الموطأ في المدينة وصنف أبو محمد عبد الملك بن عبد العزيز بن حريج في مكة، وعبد الرحمن بن الأوزاعي في الشام، وسفيان الثوري في الكوفة، وحماد بن سلمة في البصرة، ثم صنف البخاري ومسلم صحبهما واقتصرا فيهما على ذكر الأحاديث الصحيحة وترك غيرها من الضعاف. واجتهد الأئمة المحدثون في أمر الأحاديث اجتهداً عظيماً، وقد صنف فن عظيم الشأن في أسماء الرجال يُعلم به حال كل راوٍ من رواة الحديث بأنه كيف كان حاله في الديانة والحفظ. وروى كل من أصحاب الصحاح الأحاديث بالاسناد منهم الى رسول الله ﷺ. وبعض أحاديث البخاري ثلاثيات تصل بثلاث وسائط الى رسول الله ﷺ وينقسم الحديث الصحيح الى ثلاثة أقسام : متواتر، ومشهور، وخبر الواحد. فالمتواتر ما نقله جماعة عن جماعة لا يجوز العقل توافقه على الكذب مثاله، كتنقل أعداد ركعات الصلاة ومقادير الزكاة

ونحوهما. والمشهور، ما كان في عصر الصحابة كأخبار الآحاد، ثم اشتهر في عصر التابعين أو عصر تبع التابعين، وتلقته الأمة بالقبول في أحد العصرين الأخيرين، فصار كالتواتر، كالرجم في باب الزنا. وخبر الواحد ما نقله واحد عن واحد، أو واحد عن جماعة، أو جماعة عن واحد. والمتواتر منها يوجب العلم القطعي، ويكون إنكاره كفرةً. والمشهور يوجب علم الظمائية، ويكون إنكاره بدعة وفسقاً. وخبر الواحد لا يوجب أحد العلمين المذكورين، ويُعتبر في العمل لا في إثبات العقائد وأصول الدين، وإذا خالف الدليل القطعي، عقلياً كان أو نقلياً، يؤول إن أمكن التأويل، وإلا يُترك ولا يُعمل به ويُعمل بالدليل القطعي. والفرق بين الحديث الصحيح والقرآن بثلاثة أوجه : الأول، أن القرآن كله منقول بالتواتر، كما نزل على رسول الله ﷺ، وما يَدُل ناقلوه لفظاً بلفظ آخر مرادف له، بخلاف الحديث الصحيح لأن نقله بالمعنى أيضاً كان جائزاً للناقل الثقة الماهر بلغة العرب وأسلوب كلامهم. والثاني، أن القرآن لما كان كله متواتراً يلزم الكفر بإنكار جملة منه أيضاً، بخلاف الحديث الصحيح فإنه لا يلزم الكفر إلا بإنكار قسم منه، وهو المتواتر دون المشهور وخبر الواحد. والثالث أن الأحكام تتعلق بألفاظ القرآن ونظمه أيضاً، كصحة الصلاة وكون عبارته معجزة، بخلاف الحديث، فإنه لا تتعلق الأحكام بألفاظه. وإذا عرفت ما ذكرت في الفوائد الثلاثة تحقق لك أنه لا يلزم من اعتبارنا الحديث الصحيح بالطريق المذكور شيء من القبائح والاستبعادات.

## الفصل الرابع

### في دفع شبهات القسيسين الواردة على الأحاديث

وهي خمس شبهات.

**الشبهة الأولى :** إن رواة الحديث أزواج محمد ﷺ وأقرباؤه وأصحابه، ولا اعتبار لشهادتهم في حقه.

**والجواب :** إن هذه الشبهة ترد عليهم بأدنى تغير، بأن يقال أن رواة الحالات المسيحية وأقواله المندرجة في هذه الأناجيل أم عيسى عليهما السلام وأبوه الجعلي يوسف النجاري وتلاميذه، ولا اعتبار لشهادتهم في حقه. وإن قالوا أنه يحتمل أن إيمان أقارب محمد ﷺ وأصحابه كان لأجل الرئاسة الدنيوية، قلنا إن هذا الاحتمال ساقط لأنه، إلى ثلاث عشرة سنة، كان في غاية الألم من إيذاء الكفار، وأصحابه رضي الله عنهم كانوا أيضا مبتلين بغاية إيذائهم إلى المدة المذكورة حتى تركوا الأوطان وهاجروا إلى الحبشة والمدينة. ولا يتصور أن يتخيل أحد منهم إلى هذه المدة طمع الدنيا. على أن هذا الاحتمال قائم في الحواريين أيضا، لأنهم كانوا مساكين صيادين، وكانوا سمعوا من اليهود أن المسيح يكون سلطاناً عظيم الشأن، فلما ادعى عيسى بن مريم عليهما السلام أنه هو المسيح الموعود آمنوا به وفهموا أنه يحصل لهم بانياعه المناصب الجليلة وينجون عن مشقة الشبكة والاصطياد. ولما وعدهم

عيسى عليه السلام « بأنني إذا جلست على السرير تجلسون أنتم أيضا على اثني عشر سريرا تديسون أسباط اسرائيل الاثني عشر »، كما هو مُصرَّح في الباب التاسع عشر من الانجيل متى، وكذا وعدهم « إن مَنْ ترك لأجلي ولأجل الانجيل شيئا يجد مائة ضعف الآن في هذا الزمان ويجد الحياة الأبدية في الدهر الآتي »، كما هو مُصرَّح به في الباب العاشر من انجيل مرقس، وكذا وعد بأشياء أخرى، فتيقنوا أنهم يصيرون سلاطين يحكم كل منهم على سبط من أسباط اسرائيل، وإن فات منهم شيء لأجل إتباعه يحصل لهم في هذه الدنيا بدله مائة ضعف هذا الشيء، ورسخ في أذهانهم هذا الأمر حتى طلب يعقوب ويوحنا إبننا زبدي أو طلبت أمهما، على اختلاف رواية الانجيليين، منصب الوزارة العظمى بأن يجلس أحدهما على يمين عيسى عليه السلام والآخر على يساره في ملكوته، كما هو مُصرَّح به في الباب العشرين من انجيل متى والباب العاشر من انجيل مرقس، لكنهم لما رأوا أنه لم يحصل لهم السلطنة الخيالية ولا مائة ضعف في هذه الدنيا، بل لم يحصل له أيضا شيء من الدولة الدنيوية، وهو مسكين كما كان يخاف من اليهود ويغر من موضع الى موضع، ورأوا أن اليهود في صدد أن يأخذوه ويقتلوه، تنبهوا أن فهمهم كان خطأ والمواعيد المذكورة كسراب يحسبه الظمآن ماء، فرضي واحد منهم، بدل هذه السلطنة الخيالية وهذه الأضعاف الموهومة، بثلاثين درهما أخذها من اليهود على شرط تسليمه لهم، وتركه سائرهم حين ما أخذه اليهود، وفروا. وأنكره ثلاث مرات ولعنه أرشد الحواريين وأعظمهم الذي كان مبنى كنيسة وراعي خرافه وخليفته أعني حضرة بطرس، وحلف أنني لا أعرفه. وصاروا آيسين مطلقا عن متخيلاتهم بعدما صلب على زعمهم. ثم لما رأوه مرة أخرى بعد القيام، رجع رجائهم مرة أخرى، وظنوا أنهم يصيرون سلاطين في هذه المرة، فسألوه مجتمعين في وقت صعوده قائلين هل في هذا الوقت ترد الملك الى اسرائيل، كما هو مُصرَّح في الباب الأول من كتاب الأعمال ؟ وبعد الصعود وقعوا في خيال آخر، هو أعظم من السلطنة الدنيوية التي لم تحصل لهم الى زمان الصعود، وهو أن المسيح ينزل في عهدهم من السماء، وأن القيامة قريبة، كما عرفت مفصلا في الفصل الثالث والرابع من



الباب الأول، وأنه بعد نزوله يقتل الدجال ويحبس الشيطان الى ألف سنة، وأنهم يجلسون على الأسرة بعد نزوله ويعيشون عيشة مرضية الى المدة المذكورة في هذه الدنيا، كما يُفهم من الباب التاسع عشر والعشرين من كتاب المشاهدات، والآية الثانية من الباب السادس من الرسالة الأولى الى أهل قورنثوس، ثم يحصل لهم السرور الدائمي في الجنة الى الأبد عند القيامة الثانية. فلأجل هذه الأمور بالغوا في مدحه وتقرير حالاته كما قال الانجيلي الرابع في آخر انجيله : « إن أشياء أخر كثيرة صنعها يسوع إن كتبت واحدة واحدة فلست أظن أن العالم نفسه يسع الكتب ». ولا شك أنه كذبٌ محض ومبالغة شاعرية قبيحة. فكانوا يبالغون بأمثال هذه الأقوال ليقعوا السفهاء في شبكاتهم حتى ماتوا غير واصلين الى مرادهم. فلا اعتبار لشهادتهم في حقه. وهذا التقرير على سبيل الإلزام لا الاعتقاد، كما صرحنا به مراراً. فكما أن هذا الاحتمال في حق عيسى وحواريه الحق عليهم السلام ساقط، فكذلك احتمالهم في حق أصحاب محمد ﷺ ساقط.

وقد يشير القسيسون لأجل تغليط العوام الى ما يتفوه به الفرقة الإمامية الاثني عشرية في حق الصحابة رضي الله عنهم أجمعين. والجواب عنه الزاماً وتحقيقاً هكذا : أما الزاماً فلأن موشيم المؤرخ قال في المجلد الأول من تاريخ : « إن الفرقة الأبيونية التي كانت في القرن الأول كانت تعتقد أن عيسى عليه السلام إنسان فقط تولد من مريم ويوسف النجار مثل الناس الآخرين. وطاعة الشريعة الموسوية ليست منحصرة في حق اليهود فقط، بل تجب على غيرهم أيضاً، والعمل على أحكامه ضروري للنجاة. ولما كان بولس ينكر وجوب هذا العالم ويخاصمهم في هذا الباب مخاصمة شديدة، كانوا يذمونهُ ذمّاً شديداً أو يحقرون تحريراته تحقيراً بليغاً ». انتهى. وقال لاردنر في الصفحة ٢٧٦ من المجلد الثاني من تفسيره : « إن القدماء أخبرونا أن هذه الفرقة كانت ترد بولس ورسائله ». انتهى. وقال بل في تاريخه في بيان هذه الفرقة : « هذه الفرقة كانت تسلم من كتب العهد العتيق التوراة فقط، وكانت تنسفر عن اسم داود وسليمان وارميا وحرقيال عليهم السلام. وكان من العهد الجديد عندها انجيل متى فقط، لكنها كانت حرفة في كثير من المواضع

وأخرجت البابين الأولين منه ». انتهى. وقال بل في تاريخه في بيان الفرقة المارسيونية : « إن هذه الفرقة كانت تعتقد أن الإله الهان أحدهما خالق الخير وثانيهما خالق الشر. وكانت تقول أن التوراة وسائر كتب العهد العتيق من جانب الإله الثاني، وكلها مخالف للعهد الجديد. ثم قال إن هذه الفرقة كانت تعتقد أن عيسى نزل الجحيم بعد موته وأنجى أرواح قابيل وأهل سدوم من عذابها، لأنهم حضروا عنده وما أطاعوا الإله خالق الشر، وأبقى أرواح هابيل ونوح وإبراهيم والصالحين الآخرين في الجحيم لأنهم كانوا خالفوا الفريق الأول. وكانت تعتقد أن خالق العالم ليس منحصراً في الإله الذي أرسل عيسى، ولذلك ما كانت تسلم أن كتب العهد العتيق الهامية، وكانت تسلم من العهد الجديد أنجيل لوقا فقط، لكنها ما كانت تسلم البابين الأولين منه. وكانت تسلم من رسائل بولس عشرة رسائل، لكنها كانت ترد ما كان مخالفاً لخيالها ». انتهى. ونقل لاردنر في المجلد الثالث من تفسير قول اكستائن في بيان فرقة ماني كيز هكذا : « هذه الفرقة تقول إن الإله الذي أعطى موسى التوراة وكلم الأنبياء الإسرائيلية ليس بإله بل شيطان من الشياطين، وتسلم كتب العهد الجديد، لكنها ترفض بوقوع الإلحاق فيها، وتأخذ ما رضى به، وتترك الباقي وترجح بعض الكتب الكاذبة عليها، وتقول أنها صادقة البينة ». ثم قال لاردنر في المجلد المذكور : « اتفق المؤرخون أن هذه الفرقة كلها ما كانت تسلم الكتب المقدسة للعهد العتيق في كل وقت ». وكتب في أعمال اركلاص عقيدة هذه الفرقة هكذا : « خدع الشيطان أنبياء اليهود، والشيطان كلم موسى وأنبياء اليهود، وكانت تتمسك بالآية الثامنة من الباب العاشر من انجيل يوحنا بأن المسيح قال لهم سراق ولصوص، وكانت أخرجت العهد الجديد ». انتهى. وهكذا حال الفرق الأخرى. لكي اكتفيت على نقل مذاهب الفرق الثلاثة المذكورة على عدد التثليث، وأقول هل يتم أقوال هذه الفرقة على علماء يروستنت، أم لا ؟ فإن تمت، فيلزم عليهم الاعتقاد بهذه الأمور العشرة : ١/ أن عيسى عليه السلام إنسان فقط تولد من يوسف النجار. ٢/ وإن العمل على أحكام التوراة ضروري للنجاة. ٣/ وإن بولس شرير ورسائله واجبة الرد. ٤/ وإن الإله الهان خالق الخير وخالق الشر. ٥/

وإن أرواح قابيل وأهل سدوم حصل لها النجاة من عذاب جهنم بموت عيسى عليه السلام، وأرواح هابيل ونوح وإبراهيم والصلحاء القدماء معذبة في جهنم بعد موته أيضا. /٦/ وإن هؤلاء كانوا مطيعين للشيطان. /٧/ وإن التوراة وسائر كتب العهد العتيق من جانب الشيطان. /٨/ وإن الذي كلم موسى والأنبياء الإسرائيلية ليس بآله بل شيطان. /٩/ وإن كتب العهد الجديد وقع فيها التحريف بالزيادة. /١٠/ وإن بعض الكتب الكاذبة صادقة البتة. وإن لم تتم أقوال هذه الفرق عليهم، فلا يتم قول بعض الفرق الإسلامية على جمهور أهل الإسلام، سيما إذا كان هذا القول مخالفا للقرآن ولأقوال الأئمة الطاهرين رضي الله عنهم أيضا، كما ستعرف.

وأما الجواب عنه تحقيقا، فلأن القرآن المجيد عند جمهور علماء الشيعة الإمامية الاثني عشرية محفوظ عن التغير والتبدل. ومن قال منهم بوقوع النقصان فيه فقلوبه مردود غير مقبولة عندهم. /١/ قال الشيخ الصدوق أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه الذي هو من أعظم علماء الإمامية الاثني عشرية في رسائله الاعتقادية : « اعتقادنا في القرآن أن القرآن الذي أنزل الله تعالى على نبيه هو ما بين الدفتين، وهو ما في أيدي الناس ليس بأكثر من ذلك، ومبلغ سورة عند الناس مائة وأربعة عشر سورة وعندنا والضحى وألم تُشرح سورة واحدة، ولا يلاف وألم تر كيف سورة واحدة، ومَن نسب إلينا أنا نقول أنه أكثر من ذلك فهو كاذب ». انتهى. /٢/ وفي تفسير مجمع البيان الذي هو تفسير معتبر عند الشيعة : « ذكر السيد الأجل المرتضى علم الهدى ذو المجد أبو القاسم علي بن الحسين الموسوي أن القرآن كان على عهد رسول الله ﷺ مجموعا مؤلفا على ما هو الآن، واستدل على ذلك بأن القرآن كان يُدرس ويُحفظ جميعه في ذلك الزمان حتى عين على جماعة من الصحابة في حفظهم، وإن كان يُعرض على النبي ﷺ ويُتلى عليه، وإن جماعة من الصحابة كعبدالله بن مسعود وأبي بن كعب وغيرهما ختموا القرآن على النبي ﷺ عدة ختمات. وكل ذلك بأدنى تأمل يدل على أنه كان مجموعا مرتبا غير منشور ولا مبعوث. وذكر أن من خالف من الإمامية والحشوية لا يعتد بخلافهم، فإن الخلاف مضاف إلى قوم من أصحاب

الحديث نقلوا أخباراً ضعيفة ظنوا صحتها لا يرجع بمثلها عن المعلوم المقطوع على صحته». انتهى. /٣/ وقال السيد المرتضى أيضاً «إن العلم بصحة القرآن كالعلم بالبلدان والحوادث الكبار والوقائع العظام المشهورة وأشعار العرب المسطورة، فإن العناية اشتدت والدواعي توفرت على نقله وبلغت إلى حد لم تبلغ إليه فيما ذكرناه. لأن القرآن معجزة النبوة ومأخذ العلوم الشرعية والأحكام الدينية، وعلماء المسلمين قد بلغوا في حفظه وعنايته الغاية حتى عرفوا كل شيء فيه من إعرابه وقراءته وحروفه وآياته. فكيف يجوز أن يكون مغيراً أو منقوصاً مع العناية الصادقة والضبط الشديد». انتهى. /٤/ وقال القاضي نور الله الشوستري الذي هو من علمائهم المشهورين في كتابه المسمى بمصائب النواصب «ما نسب إليه الشيعة الأمامية بوقوع التغير في القرآن ليس مما قال به جمهور الأمامية، إنما قال به شريحة قليلة منهم لا اعتداد بهم فيما بينهم». انتهى. /٥/ وقال الملا صادق في شرح الكليني: «يظهر القرآن بهذا الترتيب عند ظهور الإمام الثاني عشر ويشهر به». انتهى. /٦/ وقال محمد بن الحسن الحر العاملي الذي هو من كبار المحدثين في الفرقة الإمامية في رسالة كتبها في ردّ بعض معاصريه (هرسكيه) تتبع أخبار وتفحص تواريخ وآثار نموده بعلم يقيني ميدانك قرآن درغايه وأعلى درجة تواتر بوده وآلاف صحابه حفظ ونقل ميكردندآن روادر عهد رسول خدا ﷺ مجموع ومؤلف بود». انتهى. فظهر أن المذهب المحقق عند علماء الفرقة الإمامية الاثني عشرية أن القرآن الذي أنزله الله على نبيه هو ما بين الذخين وهو ما في أيدي الناس ليس بأكثر من ذلك وأنه كان مجموعاً مؤلفاً في عهد رسول الله ﷺ، وحفظه ونقله ألوف من الصحابة وجماعة من الصحابة كعبدالله بن مسعود وأبي بن كعب وغيرهما ختموا القرآن على النبي عدة ختمات. ويظهر القرآن ويشهر بهذا الترتيب عند ظهور الإمام الثاني عشر رضي الله عنه، والشريحة القليلة التي قالت بوقوع التغير فقولهم مردود ولا اعتداد بهم فيما بينهم. وبعض الأخبار الضعيفة التي رويت في مذهبهم لا يرجع بمثلها عن المعلوم المقطوع على صحته، وهو حق. لأن جبر الواحد إذا اقتضى علماً ولم يوجد في الأدلة القاطعة ما يدل عليه، وجب رده، على ما

صرح ابن المطهر الحلي في كتابه المسمى ببيدء الوصول الى علم الأصول. وقد قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُزِّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾<sup>(١)</sup>. في تفسير الصراط المستقيم الذي هو تفسير معتبر عند علماء الشيعة : « أي انا لحافظون له من التحريف والتبديل والزيادة والنقصان ». انتهى.

وإذ عرفت هذا، فأقول ان القرآن ناطق بأن الصحابة الكبار رضي الله عنهم لم يصدر عنهم شيء يوجب الكفر ويخرجهم عن الإيمان :

(١) قال الله تعالى في سورة التوبة : ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَزَوَّجَهُمْ الْوَدَّ لَهُمْ جَنَّاتُ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾<sup>(٢)</sup>. فقال الله في حق السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار أربعة أمور : الأول رضوانه عنهم. والثاني رضوانهم عنه. والثالث تبشيرهم بالجنة. والرابع وعد حلودهم فيها. ولا شك أن أبا بكر الصديق وعمر الفاروق وعثمان ذا النورين رضي الله عنهم من السابقين الأولين من المهاجرين، كما أن أمير المؤمنين علياً رضي الله عنه منهم، فثبت لهم هذه الأمور والأربعة، وثبت صحة خلافتهم. فقول الطاعن في الثلاثة رضي الله عنهم مردود، كما أن قول الطاعن في حق الرابع رضي الله عنه مردود.

(٢) وقال الله تعالى في سورة التوبة أيضاً : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ يُشْرَهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾<sup>(٣)</sup>. فقال الله في حق المؤمنين المهاجرين المجاهدين في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أربعة أمور : الأول كون درجتهم أعظم عند الله. والثاني كونهم فائزين بمرادهم. والثالث كونهم

(١) سورة الحجر (٩)

(٢) سورة التوبة (١٠٠).

(٣) سورة التوبة (٢٠ - ٢٢).

مبشرين بالرحمة والرضوان والجنات. والرباع وخلودهم في الجنات أبداً. وأكد الأمر الرابع غاية التأكيد بثلاث عبارات، أعني قوله (مقيم) وقوله (خالدين فيها) وقوله (أبداً). ولا شك أن الخلفاء الثلاثة رضي الله عنهم من المؤمنين المهاجرين المجاهدين في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، كما أن علياً رضي الله عنه منهم فثبت لهم الأمور الأربعة.

(٣) وقال الله تعالى في سورة التوبة أيضاً: ﴿لَكِنَّ الرُّسُولَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ أَعِدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ أَفْوَزُ الْعَظِيمِ﴾<sup>(١)</sup>. فقال الله في حق المؤمنين المجاهدين أربعة أمور: الأول كون الخيرات لهم. والثاني كونهم مفلحين. والثالث وعد الجنات. والرابع خلودهم فيها. ولا شك أن الثلاثة رضي الله عنهم من المؤمنين المجاهدين، فثبت هذه الأمور الأربعة لهم.

(٤) وقال الله تعالى في سورة التوبة أيضاً: ﴿إِنْ اللَّهُ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقٌّ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنْ اللَّهِ فَاسْتَشِيرُوا بِرَأْيِكُمْ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ أَفْوَزُ الْعَظِيمِ اتَّابِعُوا أَلْعَابِدُونَ الْخَائِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٢)</sup>. فوعد الله الجنة للمؤمنين وعداً موثقاً وذكر تسعة أوصاف لهم، فثبت أنهم كانوا كذلك ويفوزون بالجنة.

(٥) وقال الله في سورة الحج: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَانَهُمْ فِي الْأَرْضِ أُقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ غَافِقٌ

(١) سورة التوبة (٨٨ - ٨٩)

(٢) سورة التوبة (١١١ - ١١٢)

الْأُمُور ﴿١﴾ ف قوله « الذين إن مكناهم » صفة لمن تقدم، وهو قوله ( الذين أخرجوا ) فيكون المراد به المهاجرين لا الأنصار، لأنهم ما أخرجوا من ديارهم. فوصف الله المهاجرين بأنه إن مكنهم في الأرض وأعطاهم السلطنة، أتوا بالأمور الأربعة، وهي إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. لكن قد ثبت أن الله مكن الخلفاء الأربعة رضي الله عنهم في الأرض فوجب كونهم آتين بالأمور الأربعة. وإذا كانوا كذلك ثبت كونهم على الحق. وفي قوله ( لله عاقبة الأمور ) دلالة على أن الذي تقدم ذكره من تمكينهم في الأرض كائن لا محالة ثم إن الأمور ترجع إلى الله تعالى بالعاقبة فإنه هو الذي لا يزول ملكه.

(٦) وقال الله تعالى في سورة الحج : ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فِئْتُمُ الْمُؤْمِلِينَ وَنِعْمَ الْفَصِيرُ ﴾ ففسى الله في هذه الآية الصحابة بالمسلمين.

(٧) وقال الله في سورة النور : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (١). ولفظ (من) في قوله ( منكم ) للتبعض ( وكم ) ضمير الخطاب، فيدلان على أن المراد بهذا الخطاب بعض المؤمنين الموجودين في زمان نزول هذه السورة لا الكل. ولفظ الاستخلاف يدل على أن حصول ذلك الوعد يكون بعد الرسول ﷺ. ومعلوم أنه لا نبي بعده لأنه خاتم الأنبياء، فالمراد بهذا الاستخلاف

(١) سورة الحج ( ١٤١ ).

(٢) سورة الحج ( ٧٨ ).

(٣) سورة النور ( ٥٥ ).

طريقة الإمامة، والضمائر الراجعة إليهم في قوله ( ليستخلفهم ) الى قوله ( لا يشركون ) وقعت كلها على صيغة الجمع، والجمع حقيقة لا يكون محمولا على أقل من ثلاثة، فدل على أن هؤلاء الأئمة الموعود لهم لا يكونون أقل من ثلاثة. وقوله ( ليسكن لهم ) الى آخره، وعد لهم بحصول القوة والشوكة والنفوذ في العالم فيدل على أنهم يكونون أقوى ذوي شوكة نافذ أمرهم في العالم. وقوله ( ديهم الذي ارتضى لهم ) يدل على أن الدين الذي يظهر في عهدهم يكون هو الدين المرضي لله. وقوله ( ليعدلهم من بعد خوفهم أمنا ) يدل على أنهم في عهد خلافتهم يكونون آمنين غير خائفين ولا يكونون في الخوف والتقية. وقوله ( يعبدوني لا يشركون بي شيئا ) يدل على أنهم في عهد خلافتهم أيضاً يكونون مؤمنين لا مشركين. فدللت الآية على صحة إمامة الأئمة الأربعة رضي الله عنهم، سيما الخلفاء الثلاثة أعني أبا بكر الصديق وعمر الفاروق وعثمان ذا النورين رضي الله عنهم، لأن الفتوحات العظيمة والتمكين التام وظهور الدين والأمن الذي كان في عهدهم لم يكن في عهد أمير المؤمنين علي رضي الله عنه لاشتغاله بمحاربة أهل الصلاة في عهده الشريف. فثبت أن ما يتقوه به الشيعة في حق الثلاثة رضي الله عنهم أو الخوارج في حق عثمان وعلي رضي الله عنهما قول غير قابل للالتفات.

(٨) وقال الله تعالى في سورة الفتح في حق المهاجرين والأنصار الذين كانوا مع رسول الله ﷺ، في صلح الحديبية : ﴿ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ۝ ﴾ فقال في حقهم أربعة أمور : الأول إنهم شركاء للرسول في نزول السكينة. والثاني إنهم مؤمنون. والثالث إن كلمة التقوى لازمة غير منفكة عنهم. والرابع إنهم كانوا أحق بكلمة التقوى وأهلها. ولا شك أن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما في هؤلاء المهاجرين، فثبت لهما ولسائرهم هذه الأمور الأربعة. ومن اعتقد في حقهم غير هذه فعقيدته باطلة مخالفة للقرآن.



(٩) وقال الله تعالى أيضاً في سورة الفتح : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَتَذَكَّرُونَ فَضَلَّاهُمْ مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ... ﴾ (١) فمدح الصحابة بكونهم أشداء على الكفار رحماء فيما بينهم وكونهم راكعين وساجدين ومتبعين فضل الله ورضوانه. فمن اعتقد من مدعي الإسلام في حقهم غير هذا فهو مخطئ.

(١٠) وقال الله تعالى في سورة الحجرات : ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبُ الْيَكْمِ الْإِيمَانِ وَرِثَتُهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ الْيَكْمِ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴾ (٢). فعلم أن الصحابة كانوا محبي الإيمان كارهي الكفر والفسق والعصيان وكانوا راشدين. فاعتقاد ضد هذه الأشياء في حقهم خطأ.

(١١) وقال الله تعالى في سورة الحشر : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَتَذَكَّرُونَ فَضَلَّاهُمْ مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَتَصَرَّوْنَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ غَصَصَةٌ وَمَنْ يُوَفِّ شَيْئًا نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٣). فمدح الله المهاجرين والأنصار بستة أوصاف : الأول أن هجرة هؤلاء المهاجرين ما كانت لأجل الدنيا بل كانت لأجل ابتغاء مرضات الله. والثاني أنهم كانوا ناصرين لدين الله ورسوله. والثالث أنهم كانوا صادقين قولاً وفعلاً. والرابع أن الأنصار كانوا يحبون من هاجر إليهم. والخامس أنهم كانوا يسرون إذا حصل شيء للمهاجرين. والسادس أنهم كانوا يقدمونهم على أنفسهم مع احتياجهم. وهذه الأوصاف الستة تدل على كمال الإيمان. ومن اعتقد في حقهم غير هذا فهو مخطئ. وهؤلاء الفقراء من المهاجرين كانوا

(١) سورة الفتح ( ٢٩ ) .

(٢) سورة الحجرات ( ٧ ) .

(٣) سورة الحشر ( ٨ - ٩ ) .

يقولون لأبي بكر رضي الله عنه : يا خليفة رسول الله. والله يشهد على كونهم صادقين، فوجب أن يكونوا صادقين في هذا القول أيضا. ومتى كان الأمر كذلك وجب الجزم بصحة إمامته.

(١٢) وقال الله تعالى في سورة آل عمران : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (١). فمدح الله الصحابة بثلاثة أوصاف : الأول أنهم خير أمة. والثاني أنهم كانوا يأمرُونَ بالمعروف وينهون عن المنكر. والثالث أنهم كانوا مؤمنين بالله. وهكذا الآيات الأخرى. لكنني لخوف التطويل اكتفي على اثني عشر موضعا على عدد الحواريين لعيسى عليه السلام وعدد الأئمة الطاهرين الاثني عشر رضي الله عنهم أجمعين. وأنفل خمسة أقوال من أقوال أهل البيت عليهم السلام على عدد الخمسة الطاهرين عليهم السلام.

١ — في نهج البلاغة الذي هو كتاب معتبر عند الشيعة قول علي رضي الله عنه هكذا : « لله در فلان فلقد فوم الأولاد، وداوى العمد، وأقام السنة، وخلف البدعة. ذهب نقي الثوب، قليل العيب، أصاب خيرها، وسبق شرها، أذى الى الله طاعته، واتقاه بحقه. رحل وتركهم في طرق متشعبة لا يهتدي فيه الضال ويستيقن المهتدي ». انتهى. والمراد بفلان، علي مختار أكثر الشارحين منهم البحراني أبو بكر الصديق رضي الله عنه وعلي مختار بعض الشارحين، عمر الفاروق رضي الله عنه. فذكر علي رضي الله عنه عشرة أوصاف من أوصاف أبي بكر أو عمر رضي الله عنه. فلا بد من وجودها فيه. ولما ثبتت هذه الأوصاف له بعد معانته، بإقرار علي رضي الله عنه. فما بقي في صحة خلافته شك.

٢ — وفي كشف الغمة الذي هو تصنيف علي بن عيسى الأردبيلي الاثني عشري الذي هو من الفضلاء المعتمدين عند الامامية : « سئل الإمام جعفر عليه السلام عن حلية السيف هل يجوز ؟ فقال : نعم، قد حلى أبو بكر

(١) سورة آل عمران (١١٠).

الصدّيق سيفه. فقال الراوي : أتقول هكذا ؟ فوثب الإمام عن مكانه فقال : نعم الصدّيق، نعم الصدّيق، نعم الصدّيق، فمن لم يقل له الصدّيق فلا صدق الله قوله في الدنيا والآخرة . فثبت باقرار الإمام الهمام أن أبا بكر الصدّيق رضي الله عنه صدّيق حق، مُنكره كاذب في الدنيا والآخرة .

٣ — ووقع في بعض مكاتيب علي رضي الله عنه على ما نقل شارحو نهج البلاغة في حق أبي بكر وعمر رضي الله عنهما هكذا : « لعمرى ان مكانهما من لإسلام العظيم وإن المصاب بهما لخرج في الإسلام شديد رحمهما الله وجزاهما الله بأحسن ما عملا » .

٤ — ونقل صاحب الفصول الذي هو من كبار علماء الإمامية الاثني عشرية عن الإمام الهمام محمد الباقر رضي الله عنه هكذا : « إنه قال لجماعة خاضوا في أبي بكر وعمر وعثمان ألا تخبروني أنتم من المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله. قالوا لا. قال فأنتم من الذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم. قالوا لا. قال إما أنتم فقد برئتم أن تكونوا أحد هذين الفريقين، وأنا أشهد أنكم لستم من الذين قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ » (١) فالخائض في الصدّيق والقاروق وذو النورين رضي الله عنهم خارج عن الفرق الثلاث الذين مدحهم الله بشهادة الإمام الهمام رضي الله عنه.

٥ — وفي التفسير المنسوب الى الإمام الهمام الحسن العسكري رضي الله عنه وعن آبائه الكرام : « أن الله أوحى الى آدم ليغضض على كل واحد من محبي محمد وآل محمد وأصحاب محمد ما لو قسمت على كل عدد ما خلق الله من طول الدهر الى آخره وكانوا كفاراً لأذاهم الى عاقبة محبودة

(١) سورة الحشر ( ١٠ ) .

وإيمان بالله حتى يستحقوا به الجنة. وإن من يبغي آل محمد وأصحابه أو واحداً منهم يعذبه الله عذاباً لو قسم على مثل خلق الله لأهلكهم أجمعين. فعلم أن المحبة ما يكون بالنسبة إلى الآل والأصحاب رضي الله عنهم لا بالنسبة إلى أحدهما، وإن بغض واحد من الآل والأصحاب كاف للهلاك. نجانا الله من سوء الاعتقاد في حق الصحابة والآل رضوان الله عليهم أجمعين، وأماننا على حبيهم. ونظراً إلى الآيات الكثيرة والأحاديث الصحيحة اتفق أهل الحق على وجوب تعظيم الصحابة رضي الله عنهم.

**الشبهة الثانية:** "إن مؤلفي كتب الحديث ما رأوا الحالات المحمدية والمعجزات الأحمدية بأعينهم، وما سمعوا أقوال محمد ﷺ منه بلا واسطة، بل سمعوها بالتواتر بعد مائة سنة أو مائتي سنة من وفاة محمد ﷺ، وجمعوها وأسقطوا مقدار نصفها لعدم الاعتبار.

**الجواب:** قد عرفت في الفصل الثالث أن الرواية اللسانية معبرة عند جمهور أهل الكتاب، واعتبارها ثابت من هذا الانجيل المتداول، وإن فرقة پروتستنت تحتاج إلى اعتبارها في أمور كثيرة هي — على إقرار ماني سيك الأسقف — بمقدار ستمائة، وإن خمسة أبواب من سفر الأمثال جمعت من الروايات اللسانية في عهد حزقيا بعد مدة مائتين وسبعين سنة من موت سليمان عليه السلام، وأن انجيل مرقس ولوقا وتسعة عشر باباً من كتاب الأعمال كتبت بالرواية اللسانية، وأن الأمر المهم بشأنه يكون محفوظاً ولا يطرُق فيه خلل بمرور مدة، وأن التابعين كانوا شرعوا في تدوين الأحاديث في الكتب لكنهم دونوها على غير ترتيب أبواب الفقه، وأن طبقة تبع التابعين دونوها على ترتيبها. ثم أن البخاري وباقي مؤلفي الكتب الصحاح اقتصروا على ذكر الأحاديث الصحيحة وتركوا الضعاف. وروى كل من أصحاب الصحاح الأحاديث بالإسناد منهم إلى رسول الله ﷺ وقد صنّف في أسماء الرجال فن عظيم الشأن يُعلم به حال كل راوٍ من رواة الحديث. وكذا قد

(١) ينفع المؤلف مطالعته في دفع شبهات القسيسين الواردة على الأحاديث (الفصل الرابع).

عرفت أن أهل الإسلام كيف يعتبرون الحديث الصحيح فلا يرد عليهم شيء. وقولهم ( سمعوا بالتواتر وأسقطوا مقدار النصف لعدم الاعتبار )، غلط، لأنهم ما أسقطوا لعدم الاعتبار حديثاً من الأحاديث التي سمعوا بالتواتر، لأن الحديث المتواتر عندهم واجب الاعتبار. نعم تركوا الضعاف التي لم تكن أسانيداً كاملة وتركها لا يضر، كما قد عرفت في الباب الثاني من قول آدم كلارك : « إن هذا الأمر محقق إن الأناجيل الكثيرة الكاذبة كانت رائجة في أول القرون المسيحية. وكثرة هذه الأحوال الكاذبة الغير الصحيحة هيجت لوقا على تحرير الإنجيل ويوجد ذكر أكثر من سبعين من هذه الأناجيل الكاذبة، والأجزاء الكثيرة من هذه الأناجيل باقية. وكان نابري سيوس جمع هذه الأناجيل الكاذبة وطبعها في ثلاث مجلدات ». انتهى.

**الشبهة الثالثة :** إن كل عاقل إذا ترك التعصب علم أن أكثر الأحاديث لا يمكن أن يكون معانيها صادقة مطابقة لما في نفس الأمر.

**والجواب :** لا يوجد في الأحاديث الصحيحة شيء يكون مضمونه ممتنع عند العقل وأما بعض المعجزات التي هي خلاف العادة، وبعض أحوال الجنة والجحيم أو الملائكة التي لا يوجد لها نظائر في هذه الدنيا فإن كان استبعادهم لها لأجل أنها ممتنعة بالبرهان فعليهم ذكر هذا البرهان وعلينا جوابه. وإن كان لأجل أنها خلاف العادة أولاً يوجد لها نظائر في هذا العالم، فلا يضرها، لأن المعجزة لو كانت على مجرى العادة لا تكون معجزة. أليس صيرورة العصا ثعباناً وابتلاعها جميع تنانين السحرة، ثم صيرورتها كما كانت بلا زيادة حجم، وهكذا جميع معجزات موسى عليه السلام، على خلاف مجرى العادة ؟ وقياس العالم الآخر على هذا العالم قياس مع الفارق. نعم لو قام البرهان القطعي على امتناع شيء يقطع بامتناعه في العالم الآخر أيضاً،

وبدون قيام البرهان لا يتجاسر على إنكاره في العالم الآخر. ألا يرون إلى اختلاف أحوال الأقاليم ؟ فإن بعض الأشياء توجد في بعض دون بعض. فمن كان من إقليم وسمع حال بعض الأشياء العجيبة المختصة بإقليم آخر يستبعد، بل كثيراً ما ينكر بشرط أن لا يكون سماعه بالتواتر. وقد يكون بعض الأمور

مستبعدة في بعض الأحيان دون بعض، كما أن قطع المسافة البحرية بهذه السرعة التي تقطع بالمراكب الدخانية، أو البرية التي تقطع بالعربات الدخانية، كان من المستبعدات عند الناس قبل إيجاد المراكب الدخانية والعربات الدخانية. وكذا وصول الخير في دقيقة أو دقيقتين إلى مسافة بعيدة بواسطة السلك المعروف كان من المستبعدات قبل إيجاده، وما بقيت مستبعدة بعد اختراع هذه الأشياء وامتحانها. لكن الانصاف أن عادة المنكرين أنهم يغمضون عين الانصاف ويحكمون على كل شيء يرى مستبعدا في آرائهم أنه محال. وتعلم علماء يروتستنت هذه العادة من أبناء صنفهم الذين يسمونهم الملاحدة. لكن العجب من هؤلاء العلماء أنهم لا يرون أن كتبهم مملوءة بالأغلاط الصريحة، كما نقلت بعضها على سبيل الأنموذج في الفصل الثالث من الباب الأول. وإنهم ما تنبهوا باستعدادات أبناء صنفهم وعاملوا المسلمين بما عاملتهم أبناء صنفهم. وقد كانت استعدادات أبناء صنفهم غالبا أقوى من استعداداتهم الناقصة. وأنا أنقل بعض المواضع من المواضع التي يستهزؤون بها ويستعبدونها مثلا :

١ — وقع في الباب الثاني والعشرين من كتاب العدد هكذا : ٢٨ ففتح الرب فم الأتانة وقالت لبلعام ما الذي فعلت بك هذه ثلاث مرات قد ضربتني ٢٩ فقال لبلعام للأتان لأنك استأهلت ذلك مني الخ. ٣٠ فقالت الأتانة لبلعام لست أنا أتانك التي تركب منذ كنت غلاما إلى يومك هذا. فهل فعلت بك مثل هذا فقال لا. قال هورن في الصفحة ٦٣٦ من المجلد الثاني من تفسيره المطبوع سنة ١٨٢٢ : ٥ إن الكفار من زمان قليل يستهزؤون بتكلم أتان بلعام ٥ انتهى.

٢ — ووقع في الباب السابع عشر من سفر الملوك الأول أن الغريان : « كانت نجيب اللحم والخبز لآيلياء الرسول إلى مدة ». وهذا الأمر ضحكة عند أبناء صنفهم، حتى مال محققهم المشهور هورن إلى رأيهم وسفه مفسريهم و مترجميهم بوحوه ثلاثة، كما عرفت في الفصل الثالث من الباب الأول.

٣ — ووقع في الباب الرابع من كتاب حزقيال هكذا، وأنقل عبارته عن

الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٤٤ : « ٤ وأنت تنام على جانبك الأيسر تجعل آثام بيت اسرائيل عليها على عدد أيام ترقد عليها وتتخذ اثمهم ٥ أما أنا أعطيتك سني آثامهم على عدد أيام ثلثمائة وتسعين يوماً ونحمل اثم آل اسرائيل ٦ ثم إذا كملت هذا تنام على جانبك اليمين ثانية وتتخذ اثم آل يهوذا أربعين يوماً. إن يوماً عوض سنة جعلته لك ٧ وتقبل بوجهك الى محاصرة اورشليم وذراعك تكون مشدودة وتبني عليها ٨ هوذا شددتك بوثاق ولا تلتفت من جانبك الى الجانب الآخر حتى تتم أيام محاصراتك ٩ وأنت تحذ لك حنطة وشعيراً وفولاً وعدساً ودخناً وحاورس وتجعلهن في إناء واحد وتخبز لك خبزاً على عدد الأيام التي ترقد فيها على جانبك ثلثمائة وتسعين يوماً تأكله ١٠ وطعامك الذي تأكله يكون بالوزن عشرين مثقالاً في كل يوم من وقت الى وقت تأكله ١١ وتشرب ماء بسقار السدس من القسط من وقت الى وقت تشربه ١٢ وكخبز ملة من شعير تأكله وتلطخه بزل يخرج من الانسان في عيونهم ». فأمر الله حزقيال عليه السلام بثلاثة أحكام : الأول أن يرقد على جانبه الأيسر ثلثمائة وتسعين يوماً، ويحمل اثم آل اسرائيل، ثم يرفد على جانبه الأيمن أربعين يوماً ويحمل اثم آل يهوذا. والثاني أن يقبل بوجهه الى محاصرة اورشليم ويكون ذراعه مشدودة ولا يلتفت من جانب الى جانب آخر حتى تتم أيام المحاصرة. والثالث أن يأكل الى ثلثمائة وتسعين يوماً كل يوم خبزاً ملطخاً ببراز الانسان. وابناء صنفهم يستهزؤن بهذه الأحكام ويستبعدون أن تكون من جانب الله، ويقولون انها واهية بعيدة عن العقل، ولا يأمر الله أن يأكل نبيه المقدس الى مدة ثلثمائة وتسعين يوماً خبزاً ملطخاً ببراز الانسان. أما كان الادم غير هذا، إلا أن يقال ان البراز في حق الظاهرين يكون طاهراً، كما يفهم من ظاهر كلام مقدسهم بولس في الآية الخامسة عشر من الباب الأول من رسالته الى تيطس على أن الله قد أخبر بواسطته « ان النفس التي تحطى فهي تموت، والابن لا يحمل اثم الأب، والأب لا يحمل اثم الابن، وعدل العادل يكون عليه، ونفاق المنافق يكون عليه ». كما هو مُصرح به في الآية العشرين من الباب الثامن عشر من كتابه. فكيف أمره أن يحمل آثام اسرائيل ويهوذا الى أربعمائة وثلاثين يوماً ؟

٤ - ووقع في الباب العشرين من كتاب أشعيا أن الله أمره أن يكون عريانا حافياً الى ثلاث سنين ويمشي على هذه الحالة. وأبناء صنفهم يستهزؤن بهذا الحكم، ويقولون استهزاء بأمر الله نبيه الذي يكون في قيد العقل ولا يكون مجنوناً أن يمشي مكشوف العورة الغليظة بين النساء والرجال الى ثلاث سنين.

٥ - ووقع في الباب الأول من كتاب هوشع ان الله أمره أن يأخذ لنفسه زوجة زانية وأولاد الزنا. ثم وقع في الباب الثالث من الكتاب المذكور أن يتعشق بامرأة فاسقة محبوبة لزوجها. وقد وقع في الآية الثالثة عشر من الباب الحادي والعشرين من سفر الأخبار هكذا : « ولا يتزوج الكاهن إلا امرأة عذراء، ولا يتزوج أرملة ولا مطلقة ولا منجسة بالزنا ولا يتزوج من هؤلاء البتة، بل يتزوج عذراء من قومه ». وفي الباب الخامس من اتجيل متى هكذا : « كل من ينظر الى امرأة ليشتبهها فقد زنى بها في قلبه ». فكيف أمر الله نبيه بما ذكر ؟ وهكذا استبعادات أخر. فمن شاء فليرجع الى كتب أبناء صنفهم.

الشبهة الرابعة : الأحاديث الكثيرة مخالفة للقرآن، لأنه وقع في القرآن أن محمداً ﷺ ما ظهر منه معجزة. وفي الأحاديث أنه صدر منه معجزات كثيرة، وأنه وقع في القرآن أن محمداً ﷺ كان مذنّباً، وفي أكثر الأحاديث أنه كان معصوماً. وأنه وقع في القرآن أن محمداً ﷺ كان في الابتداء في الجهل والضلالة كقوله في سورة الضحى ﴿رَوْحُكَ ضَالًّا فَهْدَى﴾<sup>(١)</sup> وكقوله في سورة الشورى ﴿مَا كُنْتُ ثَلَدِي مَا أَلْكَتَابُ وَلَا إِلِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾<sup>(٢)</sup> وفي الأحاديث أنه تولد في الإيمان، ولذلك ظهرت منه معجزات كثيرة. هذا غاية جهدهم في إثبات المخالفة بين القرآن والأحاديث.

والجواب : ان الأمرين الأولين لما كانا من أعظم مطاعن النبي ﷺ، أردت أن أتعرض لهما في الباب السادس في المطاعن وأجيب عنهما هناك.

(١) سورة الضحى ( ٧ ).

(٢) سورة الشورى ( ٥٢ ).



فاتنظر. والجواب عن الثالث، أن الضال في الآية الأولى ليس المراد به الضال عن الإيمان ليكون بمعنى الكافر، فَيَرُدُّ اعتراضهم. بل في تفسير هذه الآية وجوه : الأول، ما رُوِيَ مرفوعاً أنه عليه الصلاة والسلام قال : ضللت عن جدي عبد المطلب وأنا صبي ضائع وكاد الجوع يقتلني فهداني الله. والثاني، أن معناها : وحدك ضالاً عن شريعتك، أي لا تعرفها إلا بالهام أو وحي، فهداك إليها تارة بالوحي الجلي وأخرى بالخفي. وهو مختار البيضاوي والكشاف والجلالين. في البيضاوي : ووجدك ضالاً عن علم الحكم والأحكام، فهدى، فعلمك بالوحي والإلهام والتوفيق للنظر. وجاء بهذا المعنى في حق موسى عليه السلام أيضاً في قوله تعالى : ﴿ فَعَلَّهَا إِذَا أَنَا مِنَ الْفُضَّيْنِ ﴾<sup>(١)</sup>. والثالث، أنه يقال ضل الماء في اللبن، إذا صار مغموراً. فمعنى الآية : كنت مغموراً بين الكفار بمكة ففوّك الله تعالى حتى أظهرت دينه. وجاء بهذا المعنى في قوله تعالى ﴿ أَتَدْرَأُ ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَثَا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾<sup>(٢)</sup>. والرابع، أن معناها : كنت ضالاً عن النبوة ما كنت تطمع فيها ولا خطر شيء في قلبك منها. فإن اليهود والنصارى كانوا يزعمون أن النبوة في بني إسرائيل فهديتك إلى النبوة التي ما كنت تطمع فيها البتة. والخامس، أن معناها : وجدك ضالاً عن الهجرة لعدم نزول الأذن فهداك بالاذن. والسادس، أن العرب تسمى الشجرة في الفلاة ضالة كأنه تعالى يقول : كانت تلك البلاد كالمفازة ليس فيها شجرة تحمل ثمر الإيمان، إلا أنت فأنت شجرة فريدة في مفازة الجهل، فوجدتك ضالاً فهديت بك الخلق. ونظيره قوله عليه السلام « الحكمة ضالة المؤمن ». والسابع، أن معناها وجدك ضالاً عن القبلة، فإنه كان يتمنى أن تجعل الكعبة قبلة له، وما كان يعرف أن ذلك يحصل له أم لا، فهدى الله بقوله ﴿ فَلَتَوَلَّيْنَاكَ قِبَلَةً تَرْضَاهَا ﴾<sup>(٣)</sup> فكانه سمي ذلك التحير بالضلال. والثامن، الضلال بمعنى المحبة كما في قوله تعالى :

(١) سورة الشعراء ( ٢٠ ) .

(٢) سورة السجدة ( ١٠ ) .

(٣) سورة البقرة ( ١٤٤ ) .

﴿إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ مُتَقَبِّدٍ﴾<sup>(١)</sup> أي محبتك. ومعناه أنك محب فهديتك إلى الشرائع التي بها تتقرب إلى خدمة محبوبك. والتاسع، أن معناها وجدك ضالاً، أي ضائعاً في قومك كانوا يؤذونك لا يرضون بك رعية، فقوى أمرك وهداك إلى أن صرت والياً عليهم. والعاشر، أن معناها ما كنت تهتدي على طريق السموات فهديتك إذ عرجت بك إليها ليلة المعراج والحادي عشر، إن معناها وجدك ضالاً، أي ناسياً، فهدى، أي ذكرك. وذلك أنه ليلة المعراج نسي ما يجب أن يقال بسبب الهيبة، فهداه الله تعالى إلى كيفية الثناء حتى قال لا أحصي ثناء عليك. وجاء الضلال بهذا المعنى في قوله تعالى: ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا﴾<sup>(٢)</sup>. والثاني عشر، قال الجنيد قدس سره: وجدك متحيراً في بيان ما أنزل عليك، فهداك لبيانه لقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾<sup>(٣)</sup>، ويؤيده قوله تعالى: ﴿لَا تُخْرِكَ بِهِ لِسَانُكَ لَتَعْجَلَ بِهِ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيِّنَاتٍ﴾<sup>(٤)</sup>، وقوله عز وجل: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ زِدْنِي عِلْماً﴾<sup>(٥)</sup>، وعلى كل تقدير لا تمسك لهم بهذه الآية. ويجب تفسير الآية بالوحدة التي ذكرتها وبأمثالها التي ذكرها المفسرون لقوله تعالى ﴿مَا ضَلَّ صَاجِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾<sup>(٦)</sup> إذ المراد به نفي الضلالة والغواية في أمور الدين بلا شبهة، ومعناه ما كفر، ولا أقل من ذلك فما فسق. والمراد في الآية الثانية بالكتاب القرآن، وبالإيمان تفاصيل شرائع الإسلام. ومعنى الآية: ما كنت تدري قبل الوحي أن تقرأ القرآن ولا الفرائض والأحكام، وهذا حق. لأن النبي، ﷺ، كان قبل الوحي مؤمناً بتوحيد الرب اجمالاً، وما كان عارفاً

(١) سورة يوسف (٩٥).

(٢) سورة البقرة (٢٨٢).

(٣) سورة النحل (٤٤).

(٤) سورة القیامة (١٦ — ١٩).

(٥) سورة طه (١١٤).

(٦) سورة النجم (٢).

بتفاصيل شرائع الإسلام، بل صار عارفاً بعد الوحي، أو المراد بالإيمان الصلاة كما في قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ﴾<sup>(١)</sup> أي صلاتكم فمعنى الآية: ما كنت تدري ما الكتاب أي القرآن، ولا الإيمان أي الصلاة، وما كان رسول الله ﷺ، عالماً بكيفية هذه الصلاة المشروعة في مآته قبل النبوة. أو المراد بالإيمان أهل الإيمان على حذف المضاف، أي: ما كنت تدري ما الكتاب ومن أهل الإيمان، يعني من الذي يؤمن بك، وحذف المضاف كثير في كتبهم المقدسة أيضاً. الآية الثانية والعشرون من الزبور الثامن والسبعين هكذا: «من أجل ذلك سمع الرب فغضب واشتعلت النار في يعقوب وطلع السخط على اسرائيل». وفي الآية الرابعة من الباب السابع عشر من كتاب اشعيا هكذا: «يضعف مجد يعقوب ويهزل سمن جسمه». وفي الباب الثالث والأربعين من كتاب اشعيا هكذا: «٢٢ لا دعوتني يعقوب ولم تتعب لأجلي اسرائيل ٢٨ فنجست الرؤساء القديسين وجعلت يعقوب قتلا واسرائيل تجديفا». وفي الباب الثالث من كتاب ارميا هكذا: «٦ وقال لي الرب في أيام يوسيا الملك هل رأيت ما فعلته معاصية اسرائيل؟ انطلقت لنفسها الى كل جبل رفيع وتحت كل شجرة مورقة وزنت هناك ٧ فقلت بعدما فعلت هذه جميعها ارجعي الي، ولم ترجع، فرأت أختها يهوذا الفاجرة ٨ لأن من أجل ان زنت اسرائيل المعاصية فانا طلققتها ودفعنا اليها كتاب طلاقها، قلم نخف يهوذا أختها الفاجرة، بل ذهب وزنت هي أيضا ١١ وقال لي الرب قد بررت نفسها اسرائيل المعاصية بمقابلة يهوذا الفاجرة ١٢ ارجعي يا اسرائيل المعاصية». وفي الباب الرابع من كتاب هوشع هكذا: «١٥ إن كنت يا اسرائيل أنت تزني فلا يأثم يهوذا الخ ١٦ لأن اسرائيل كبقرة شاعبة الخ ١٧ صاحب الأوثان افرام». الخ. وفي الباب الثامن من كتاب هوشع هكذا: «٣ أرذل اسرائيل الخير الخ. ٨ ابتلع اسرائيل الآن صار في الأمم كائن نجس افرام أكثر مذابح للخطية الخ. ونسي اسرائيل خالقه الخ. ففي هذه العبارات يجب حذف

(١) سورة البقرة (١٤٣).

المضاف، وإلا يلزم، والعياذ بالله، أن يكون يعقوب عليه السلام مغضوباً عليه وضعيف المجد وغير داع لله، وقتلا وتجديفا، ومعاصية زانية تحت كل شجرة، وغير راجع الى الله، وكبقرة شاذية ومرذل الخير، وكاناء نجس وناسيا لخالفه.

**الشبهة الخامسة :** الأحاديث مختلفة. **والجواب :** ان الاعتبار عندنا للأحاديث الصحيحة المروية في كتب الصحاح، والأحاديث التي هي مروية في كتب غير معتبرة لا اعتبار لها عندنا ولا تعارض الصحيحة. كما أن الأناجيل الكثيرة الزائدة على السبعين في القرون الأولى لا تعارض عند المسيحيين هذه الأناجيل الأربعة. والاختلاف الذي يوجد في الأحاديث الصحيحة يرتفع غالبا بأدنى تأويل وليس ذلك الاختلاف مثل الاختلاف الذي يوجد في روايات كتبهم المقدسة الى الآن، كما عرفت مائة وأربعة وعشرين منها في الباب الأول. ولو نقلنا عن كتبهم المقبولة الاختلافات التي تكون مثل اختلاف يشبونه في بعض الأحاديث الصحيحة قلما يخرج باب يكون خاليا عن مثل هذا الاختلاف. والذين نسميها علماء پروتستنت ملاحدة نقلوا كثيرا من هذه الاختلافات في كتبهم واستهزؤا بها. فمن شاء فليرجع الى كتبهم. وأنقل أيضا بطريق النموذج عن كتاب جان كلارك المطبوع سنة ١٨٣٩ في لندن، وكتاب كيهومو المطبوع سنة ١٨١٣ في لندن، وغيرهما خمسين اختلافا نقلوها في ذات الله وصفاته عن كتب العهدين، واكتفي على نقل هذه الاختلافات. لأن المعارضين، هدامهم الله تعالى، وإن جاوزوا فيها حد الأدب لكن هذه المجاوزة أقل من المجاوزة التي توجد في كلامهم عند التشيع على الأنبياء عليهم السلام، سيما وقت التشيع على مريم وعيسى عليهما السلام، كما ستعرفه في الاختلاف الرابع والعشرين من القول الذي أنقله طرداً وإنما نقلت هذه الاعتراضات لتحصل البصيرة للناظر أن اعتراضات علماء پروتستنت على الأحاديث النبوية أضعف من اعتراضات أنباء صفهم على مضامين كتبهم المقدسة. وما نقلتها لأجل أنها مستحسنة عندي بل أتبرأ من أكثر خرافات الفرقين. ونقل الكفر ليس بكفر.

١ — الآية الثامنة من الزبور المائة والخامس والأربعين هكذا : « الرب

حنان رحوم بطيء عن الغضب وعظيم النعمة ». والآية التاسعة عشر من الباب السادس من سفر صموئيل الأول هكذا : « وضرب الرب من أهل بيت شمس لأنهم رأوا تابوت الرب وضرب من الشعب خمسين ألف رجل وسبعين ». فانظروا الى شدة رحمته وبطء غضبه، أنه قتل خمسين ألف رجل وسبعين من قومه الخاص على خطأ خفيف.

٢ — الآية العاشرة من الباب الثاني والثلاثين من سفر الاستثناء هكذا : « وحده في الأرض القفر في المكان المخيف والبرية المتسعة طاف به وعلمه وحفظه مثل حدقة عينه ». وفي الباب الخامس والعشرين من سفر العدد : « ٣ وقال الله لموسى : انطلق برؤساء الشعب كلهم واصليهم قدام الله تلقاء الشمس، فترد شدة غضبي عن اسرائيل ٩ وكان من مات أربعة وعشرون ألفا من البشر ». فانظروا الى حفظه الشعب مثل حدقة عينه، أنه أمر موسى بصلب رؤساء الشعب كلهم وأهلك منهم أربعة وعشرين ألفا.

٣ — الآية الخامسة من الباب الثامن من سفر الاستثناء هكذا : « أحسب في قلبك أنه كما أن الرجل يودب ابنه كذلك أدبك الرب الهك ». والآية الثانية والثلاثون من الباب الحادي عشر من سفر العدد هكذا : « واللحم الى هذا الحين كان بين أسنانهم ولم يفرغوا من أكله فاذا غضب الرب اشتد على الشعب فضربه ضربة عظيمة جدا ». فانظروا الى تأديبه كتأديبه الأب ابنه ان هؤلاء المفلوكين لما حصل لهم اللحم وشرعوا في الأكل ضربهم ضربة عظيمة.

٤ — في الآية الثامنة عشر من الباب السابع من كتاب ميخا في حق الله هكذا : « إنه مريد الرحمة ». وفي الباب السابع من سفر الاستثناء في حق سبعة شعوب عظيمة هكذا : « ٢ يسلمهم الرب الهك يديك فاضربهم حتى أنك لا تبقى منهم بقية فلا توائفهم ميثاقا ولا ترحمهم ١٦ فتبتلع الشعوب جميعهم الذين الرب الهك يعطيك اياهم فلا تعف عنهم عينك ». الخ فانظروا الى كونه مريد الرحمة أنه أمر بني اسرائيل بقتل سبعة شعوب عظيمة وعدم الرحمة عليهم وعدم العفو عنهم.

٥ — في الآية الحادية عشر من الباب الخامس من رسالة يعقوب هكذا : « ورأيتم عاقبة الرب لأن الرب كثير الرحمة ورؤف » . والآية السادسة عشر من الباب الثالث عشر من كتاب هوشع هكذا : « فلتهلك سامرة لأنها بغت على إلهها فيبادون بالسيف وأطفالهم ينطرحون وحبالهم تُشقق بطونهن » . فانظروا الى كثرة رأفته في حق الأطفال والحبالي .

٦ — في الآية الثالثة والثلاثين من الباب الثالث من مراثي أرمياء هكذا : « في الآية الثالثة والثلاثين من الباب الثالث من مراثي أرمياء هكذا : » إنه من قلبه لا يؤذي بني آدم ولا يحزنهم . لكن عدم إيدائه بني آدم وعدم تحزينهم بمرتبة أنه أهلك الأشدوديين بالبواسير ، كما هو مُصرح به في الباب الخامس من سفر صموئيل الأول ، وأهلك ألوفاً من عساكر الملوك الخمسة بامطار الحجارة الكبيرة من السماء ، حتى كان الذين ماتوا بالحجارة أكثر من الذين قتلهم بنو اسرائيل بالسيف ، كما هو مصرح به في الباب الحادي والعشرين من سفر العدد .

٧ — في الآية الحادية والأربعين من الباب السادس عشر من سفر الأيام الأول هكذا : « إن فضله أبدي » . والآية التاسعة من الزبور المائة والخامس والأربعين هكذا : « الرب صالح لكل ورأفته على جميع خلقه » . لكن أبدية فضله وعموم رأفته على جميع الخلق بمرتبة أنه أهلك جميع الحيوانات والانسان غير أهل السفينة في عهد نوح عليه السلام بإرسال الطوفان ، وأهلك أهل سادوم وعامورة ونواحيها بامطار الكبريت والنار من السماء ، كما هو مُصرح به في الباب السابع والتاسع عشر من سفر التكوين .

٨ — الآية السادسة عشر من الباب الرابع والعشرين من سفر الاستثناء هكذا : « لا تقتل الآباء عوض الأبناء ، ولا الأبناء بدل الآباء ، ولكن كل واحد يموت بذنبه » . وفي الباب الحادي والعشرين من سفر صموئيل الثاني أن داود عليه السلام سلم سبعة أشخاص من أولاد شاول بأمر الرب بأيدي أهل جيعون ليقتلوهم بخطأ شاول فضليوهم ، وقد كان داود عليه السلام عاهد شاول

وحلف أن لا يهلك خزيته بعد موته، كما هو مصرح به في الباب الرابع والعشرين من سفر صموئيل الأول. فوجد نَقْضُ العهد أيضاً بأمر الله.

٩ — في الآية السابعة من الباب الرابع والثلاثين من سفر الخروج هكذا : ه يجازى الأبناء وأبنائهم باثم آبائهم الى ثلاثة وأربعة أجيال . وفي الآية العشرين من الباب الثامن عشر من كتاب حزقيال هكذا : « النفس التي لا تخطيء فهي نموت، والابن لا يحمل إثم الأب، والأب لا يحمل إثم الابن، وعدل العادل يكون عليه، وشر الشرير يقع عليه . فيُعلم منه أن الأبناء لا يحملون إثم الآباء الى جيل واحد فضلا عن أربعة أجيال، وهذا الحمل لو كان الى أربعة أجيال فقط كان مغتصما. لكن الإله الأب نقطض هذا الحكم أيضاً، وأمر بحمل إثم الآباء على الأبناء بعد أجيال كثيرة. أيضا في الباب الخامس عشر من سفر صموئيل الأول هكذا : « هكذا يقول الرب الصباووت اني ذكرت كل ما صنع عماليق باسرائيل أنه قاومه في الطريق حيث صعدوا من مصر. فالآن اذهب فاضرب عماليق وأهلك جميع ما لهم ولا ترحمهم ولا ترغب من مالهم شيئا، بل اقتل من الرجال والنساء والعلماء حتى الأطفال والبقر والغنم والابل والحمير أيضاً . فانظروا أنه ذكر بقوة حافظته بعد أربعمئة سنة ما صنع عماليق باسرائيل، فأمر بعد هذه المدة بالانتقام من أولادهم وقتل رجالهم ونسائهم وأطفالهم الصغار جدا ومواشيهم من البقر والغنم والحمير. ولما لم يعمل شاول على أمره الشريف ندم على جعله ملكا وترقى ابنه الوحيد الإله الثاني فأمر بحمل إثم الآباء على الأبناء بعد أربعة آلاف سنة. في الباب الثالث والعشرين من انجيل متى قول هذا الإله الثاني في خطاب اليهود هكذا : « يأتي عليكم كل دم زكي سفك على الأرض من دم هابيل الصديق الى دم زكريا بن برخيا الذي قتلتموه بين الهيكل والمذبح. الحق أقول لكم ان هذا كله يأتي على هذا الجيل . ثم ترقى الأب الإله الأول وتخيّل أن إثم آدم محمول على أولاده الى هذه المدة، وقد مضت أزيد من أربعة آلاف وثلاثين سنة، وقد مضى من آدم الى يسوع خمس وسبعون جيلا، على ما صرح به لوقا في الباب الثالث من انجيله، ورأى أن أولاد آدم كلهم مستحقون للنار لو لم تكن الكفارة كاملة جيدة، وما رأى غير ابنه الإله الثاني

حرية بها بأن يُصلب من أيدي أقوام الدنيا — وهم اليهود — وما ظهر له طريق النجاة غير هذا. فأمره أن يصلب وتركه ولم يغثه من شدته، حتى صرخ لأجل شدة العذاب، ونادى الأب قائلاً: إلهي إلهي لماذا تركتني؟ ثم صرخ ثانياً ومات. وبعد موته صار ملعوناً ودخل الجحيم، والعياذ بالله. على أنه لم يثبت من كتاب من كتب العهد العتيق أن زكريا بن برخيا قتل بين الهيكل والمذبح. نعم صُرح في الباب الرابع والعشرين من سفر الأيام الثاني أن زكريا بن يهوياذاح الحبر قتل في صحن بيت الرب في عهد يواش الملك، ثم عبيد الملك قتلوه بانتقام دم زكريا. فحرف الانجيل يهوياذاح ببرخيا، ولعل لوقا لأجل ذلك اكتفى في الباب الحادي عشر من انجيله على اسم زكريا ولم يذكر اسم أبيه. فانظروا الى هذه الأمور التسعة كيف يثبت منها رحمة الله تعالى.

١٠ — في الآية الخامسة من الزبور الثلاثين هكذا: «ان غضبه لحظة». وفي الآية الثالثة عشر من الباب الثاني والثلاثين من سفر العدد هكذا: «فاشد غضب الرب على بني اسرائيل فاتاههم في القفار أربعين سنة حتى باد ذلك الخلف كله وهلك أولئك الذين أسأوا قدامه». فانظروا الى غضبه اللحظي أنه كيف عامل بني اسرائيل.

١١ — في الآية الأولى من الباب السابع عشر من سفر التكوين: «أنا الله القادر». وفي الآية التاسعة عشر من الباب الأول من كتاب القضاة هكذا: «وكان الرب مع يهوذا وورث الجبال ولم يستطع يستأصل أهل الوادي، لأن كانت لهم مراكب كثيرة من حديد». فانظروا الى قدرته أنه لم يقدر على استئصال أهل الوادي لكونهم ذوي مراكب كثيرة من حديد.

١٢ — في الآية السابعة عشر من الباب العاشر من سفر الاستثناء هكذا: «إن الرب إلهكم هو إله الآلهة ورب الأرباب إله عظيم جبار». والآية الثالثة عشر من الباب الثاني من كتاب عاموص هكذا ترجمة عربية سنة ١٨٤٤: «ها أنا ذا أصر من تحتكم كما تصر العجلة المحملة حثيثاً». ترجمة فارسية سنة ١٨٣٨ (ابنك من درزير شما جسيده شدم چنانچه ارايه پرازا



قد جسيده مى شود ) انظروا الى عظمته وجباريته انه صر تحت بني اسرائيل  
كما تصر العجلة المحملة حشيشا.

١٣ — في الآية الثامنة والعشرين من الباب الأربعين من كتاب اشعيا  
هكذا : « الرب الذي خلق أطراف الأرض لا يضعف ولا يتعب ». والآية  
الثالثة والعشرون من الباب الخامس من كتاب القضاة هكذا : « العنوا أرض  
ماروض قال ملاك الرب، العنوا سكانها لأنهم لم يأتوا الى معونة الرب في مقابلة  
الأقوياء ». فانظروا الى عدم ضمه أنه كان محتاجا الى الإعانة في مقابلة  
الأقوياء، ويلعن من لم يجيء لاعانته. ووقع في الآية التاسعة من الباب الثالث  
من كتاب ملاحيا هكذا : « صرتم ملعونين باللعنة لأنكم نعم هذا القوم كلهم  
يهبوني ». وهذا أيضا يدل على أن بني اسرائيل نهبوه، فبلعنهم وظهر من هذه  
الأمثلة الأربعة حال قدرته.

١٤ — الآية الثالثة من الباب الخامس عشر من سفر الأمثال هكذا : « عينا  
الرب في كل مكان يترقبان الصالحين والظالمين ». وفي الآية التاسعة من  
الباب الثالث من سفر التكوين هكذا : « فدعا الرب الإله آدم وقال له أين  
أنت ». فانظروا الى ترقب عينه في كل مكان أنه احتاج الى الاستفهام من آدم  
حين اختفى في وسط شجرة الفردوس.

١٥ — في الآية التاسعة من الباب السادس عشر من سفر الأيام الثاني  
هكذا : « عينا الرب محيطتان بكل الأرض ». والآية الخامسة من الباب  
الحادي عشر من سفر التكوين هكذا : « فنزل الرب لينظر المدينة والبرج  
الذي كان بينيه بنو آدم ». فانظروا الى احاطة عينيه بكل الأرض انه احتاج الى  
النزول والنظر ليعلم حال المدينة والبرج.

١٦ — الآية الثانية من الزبور المائة والتاسع والثلاثين هكذا : « وميزت  
سعيي وسكوني واطلعت على طريقي كلها ». يُعلم منه ان الله عالم طرق العباد  
كلها وأفعالهم. وفي الباب الثامن عشر من سفر التكوين هكذا : « ٢٠ فقال  
الرب ان صراخ سادوم وعاموره قد كثر وخطيتهم ثقلت جدا ٢١ انزل أنظر  
إن فعلهم يشاكل الصراخ الآتي أم لا لأعلم ذلك ». فانظروا الى كونه عالم

طرق العباد وأفعالهم كلها أنه احتاج الى النزول والنظر ليعلم أن فعل أهل  
سادوم وعموره يشاكل الصراخ الواصل إليه أم لا.

١٧ — الآية الخامسة من الزبور هكذا : « فما أعجب هذا العلم عندي  
فهو أرفع من أن أدركه ». وفي الآية الخامسة من الباب الثالث والثلاثين من  
سفر الخروج هكذا : « أما الآن فاعزلوا عنكم زيتكم فاعلم ما أفعله بكم ».   
فانظروا الى علمه الخارج عن الادراك انه لم يعلم ما يفعله بهم ما لم يعزلوا  
زيتهم. والآية الرابعة من الباب السادس عشر من سفر الخروج هكذا :  
« فقال الرب لموسى إني أمطر عليكم حيزا من السماء، فليخرج الشعب  
ويلقطوا يوما بيوم طعامهم من أجل أنني امتحنهم ». والآية الثانية من الباب  
الثاني من سفر الاستثناء هكذا : « وادكر كل الطريق الذي ساسك به الرب  
الهك أربعين سنة في القفار ليعذبك ويبتليك وبيان كل ما في قلبك أتحتفظ  
وصاياهم أم لا ». فالرب محتاج الى الامتحان ليعلم ما في قلوبهم، فامتنحهم  
بامطار الخبز وبسياستهم أربعين سنة في القفار. فَعُلم من هذه الأمثلة الستة  
حال كونه عالم الغيب.

١٨ — في الآية السادسة من الباب الثالث من كتاب ملاحيا هكذا :  
« فاني أنا الرب ولا أغير ». وفي الباب الثاني والعشرين من سفر العدد  
هكذا : « ٢٠ فاني الله بلعام في الليل وقال له إن كان هؤلاء القوم إنما جاؤا  
ليدعوك، فانطلق معهم ولكن لا تفعل إلا الذي أقوله لك ٢١ فقام بلعام غدوة  
وركب اتانه وانطلق مع عظماء مواب ٢٢ فغضب الله عليه لما ذهب ». الخ.  
فانظروا الى عدم تغيره، أنه أتى في الليل وأمر بلعام بالانطلاق مع عظماء  
مواب، ولما فعل بلعام ما أمر غضب عليه.

١٩ — في الآية السابعة عشر من الباب الأول من رسالة يعقوب هكذا :  
« ليس عنده تغير ولا ظل دوران ». وقد أمر بمحافظة السبت في أكثر  
المواضع من كتب العهد العتيق، وصرح في كثير منها أنه أبدي، والقسيسيون  
مدلوا السبت بالأحد. فبلزم عليهم الاعتراف بأنه متغير.

٢٠ — في الباب الأول من سفر التكوين وقع في حق السماء والكواكب

والحيوانات أنها حسنة، وفي الآية الخامسة عشر من الباب الخامس عشر من كتاب أيوب هكذا : « والسماء ليست بظاهرة قدامه ». وفي الآية الخامسة من الباب الخامس والعشرين هكذا : « والكواكب لا تزكو بين يديه ». ووقع في الباب الحادي عشر من سفر الأخبار في حق كثير من البهائم والطيور وحشرات الأرض أنها قبيحة محرمة.

٢١ — في الآية الخامسة والعشرين من الباب الثامن عشر من كتاب حزقيال هكذا : « فاسمعوا يا بيت اسرائيل طريقي ليس بمستقيم أم لا، ليس بالحرى أن طرقكم خبيثة ». وفي الباب الأول من كتاب ملاخيا هكذا : « ٢ اني أجبثكم قال الرب وقلتم في أي شيء أجبثنا أليس أنه عيسو أخ يعقوب يقول الرب وأحببت يعقوب ٣ وبغضت عيسو وجعلت جباله قفرا وميراثه لتنانين البرية ». انظروا الى استقامة طريقة أنه بغض عيسو بلا سبب، وجعل جباله قفرا وميراثه لتنانين البرية.

٢٢ — في الآية الثالثة من الباب الخامس عشر من المشاهدات هكذا : « أيها الرب الإله القادر على كل شيء طرقك عادلة وحق ». والآية الخامسة والعشرون من الباب العشرين من كتاب حزقيال هكذا : « إذا أعطيتهم أنا وصايا غير حسنة وأحكاما لا يعيشون بها ».

٢٣ — الآية الثامنة والستون من الزبور المائة والتاسع عشر هكذا : « رب إنك صالح ومصلح، فعلمي سنك ». والآية الثالثة والعشرون من الباب التاسع من كتاب القضاة هكذا : « وسلط الرب روحاً ردياً بين أبي مالك وسكان شخيم وبدوا يعضوه ». فانظروا الى اصلاحه أنه سلط الروح الرديء لهيجان الفتنة.

٢٤ — يوجد في الآيات الكثيرة حرمة الزنا. ولو فرض أن القسيسين صادقون في قولهم، يلزم أن الرب نفسه زنى بزوجة يوسف النجار المسكين، فحملت من هذا الزنا، والعباد بالله. والملاحدة في هذا الموضوع يتجاوزون عن الحد، ويستتهزون استهزاء بلغياً بحيث تقشعر منه جلود المؤمنين. وأنا أنقل لتنبه الناظر ما قال صاحب اكسيهومو وأحذف استهزائه. قال هذا الملحد في

الصفحة ٤٤ من كتابه المطبوع سنة ١٨١٣ « ذكر في انجيل اسمه تي وتي اف ميري، وبعد في هذا الزمان من الأنجيل الكاذبة، أن مريم عليها السلام كانت محررة لخدمة بيت المقدس. وكانت هناك الى أن بلغت ست عشرة سنة. واختار فادر جيروم زاويز هذا المذكور بعدما اعتقد صحته. فحيث يُحتمل أن مريم حبلت من كاهن من كهنة البيت، وهو علمها أن تقول أنني حبلت من روح القدس ». انتهى. ثم استهزأ هذا الملحد بتحرير لوقا استهزاءً بليغا فقال : « إن هذا الحال ثبت عند اليهود هكذا : إن ولد عسكري كان يحبها، ومن حركته الشنيعة تولد مسيح يسوعيين. فسخط عليها يوسف النجار لأجل هذا الأمر، وترك هذه الزوجة الخائنة، وذهب الى بابل. وذهبت مريم مع يسوع الى مصر، وتعلم يسوع هناك النيرانجات، وجاء بعد تعلمها الى اليهودية ليربها الناس ». انتهى. ثم قال : « اشتهرت الحكايات الكذائية الواهية الكثيرة بين الوثنيين مثل أنهم يعتقدون أن إلههم منرو تولد من دماغ جوبتر، وكان بي كس في فخذ جوبتر واله أهل الصين فتولد من العذراء التي حبلت من شعاع الشمس ». انتهى ملخصا. ويناسب هذا المقام حكاية نقلها جان ملتر في كتابه المطبوع سنة ١٨٣٨ « ادعت جؤانا سؤات كوت الإلهام قبل هذا الزمان بمدة قليلة وقالت اني أنا الإمرأة التي قال الله في حقها في الآية الخامسة عشر من الباب الثالث من سفر التكوين هي تستحق رأسك. ووقع في حقها في الباب الثاني عشر من المشاهدات هكذا : « ١ وظهرت آية عظيمة في السماء امرأة متسريلة بالشمس والقمر تحت رجلها وعلى رأسها إكليل من اثني عشر كوكبا ٢ وهي حبلت بتمنخضة ومتوجعة لتلد، وإني حبلت من عيسى عليه السلام. وتبعها كثير من المسيحيين. وحصل لهم من هذا الحمل قرح كثير وصنعوا ظرف الذهب والفضة ». انتهى كلامه. لكننا ما سمعنا أنها ولدت من هذا الحمل ولدا مباركا أم لا ؟ وفي الصورة الأولى، هل حصلت رتبة الألوهية لهذا الولد السعيد مثل أبيه أم لا ؟ وفي صورة الحصول، هل بدل في معتقده اعتقاد التثليث بالتربيع أم لا ؟ وكذا هل يدل لقب الله الأب بالجد أم لا ؟

٢٥ — في الآية التاسعة عشر من الباب الثالث والعشرين من سفر العدد

هكذا : « ليس الله برجل فيكذب ولا ابن الانسان فيندم ». وفي الباب السادس من سفر التكوين هكذا : « ٦ فندم على عمله الانسان على الأرض فتأسف بقلبه داخلا ٧ وقال فامحو البشر الذي خلقتة عن وجه الأرض من البشر، حتى الحيوانات من الديب حتى طير السماء لأنني نادم أني عملتهم.

٢٦ — الآية التاسعة والعشرون من الباب الخامس عشر من سفر صموئيل الأول هكذا : « فإن عزيز اسرائيل لا يكذب ولا يندم لأنه ليس بانسان فيندم ». وفي الباب المذكور هكذا : « ١٠ وكان قول الرب على صموئيل قائلا ١١ ندمت على أني صيرت شاول ملكا الخ ٣٥ الرب أسف على أنه ملك شاول.

٢٧ — في الآية الثانية والعشرين من الباب الثاني عشر من سفر الأمثال هكذا : « من الشفة الكاذبة نفرة للرب ». وفي الباب الثالث من سفر الخروج هكذا : « ١٧ وقلت اني أصعدكم من استعباد أهل مصر الى أرض الكنعانيين والحشيين والأموريين والفرزيين والهوريين واليابوسيين الى الأرض التي تجري لبنا وعسلا ١٨ وهم يسمعون صوتك وتدخل أنت وشيوخ اسرائيل الى ملك مصر وتقول له : الرب إله العبرانيين دعانا فقمضي مسيرة ثلاثة أيام في البرية لكي نذبح ذبيحة للرب الهنا ». والآية الثالثة من الباب الخامس من السفر المذكور : فقالا — أي موسى وهرون — له — أي الفرعون — : إله العبرانيين دعانا لنذهب مسيرة ثلاثة أيام في البرية ونذبح ذبائح للرب إلهنا لئلا يصيبنا وباء أو حرب ». وفي الآية الثانية من الباب الحادي عشر من السفر المذكور، قول الله تعالى في خطاب موسى عليه السلام هكذا : « فتحدث في مسمع الشعب أن يسأل الرجل صاحبه والمرأة من صاحبها أواني فضة وأواني ذهب ». والآية الخامسة والثلاثون من الباب الثاني عشر من سفر الخروج هكذا : « وفعل بنو اسرائيل كما أمر موسى واستعاروا من المصريين أواني فضة وذهب وشيئا كثيرا من الكسوة ». فانظروا الى نفرة من الكذب، أنه أمر موسى وهرون أن يكذبا عند فرعون فكذبا، وكذلك كذب كل رجل وكل امرأة، وأمر بالخداع وأخذ كل مال جاره بالخديعة وتصرف

به. وقد أمر في مواضع من التوراة بأداء حق الجار. أليكون أداء حقه كما أمر وقت خروجهم ؟ وأليق بالله أن يعلمهم العذر والخيانة ؟ وفي الباب السادس عشر من سفر صموئيل الأول : « قال الرب لصموئيل املا فرنك دهنًا وتعال أبعثك الى ايسى الذي من بيت لحم، فاني قد رأيت لي في بينه ملكاً. قال صموئيل كيف أذهب فيسمع شاول فيقتلني. فقال الرب خذ يديك عجلة من القمح وقل أنني جئت لأقرب ذبيحة للرب. فصنع صموئيل كما أمر الرب وأتى الى بيت لحم ». انتهى ملخصاً. فأمر الله صموئيل أن يكذب لأنه كان أرسله لمسح داود وجعله سلطاناً لا للذبح. وعرفت في حوالب الشبهة الثالثة في الفصل الثاني من هذا الباب أن الله أرسل روح الضلالة ليقع في أنواه نحو أربعائة نبي كذبة ويضلهم فيكذبون. فمن هذه الأمثلة الأربعة يظهر نفرته من الشقة الكاذبة.

٢٨ — الآية السادسة والعشرون من الباب العشرين من سفر الخروج هكذا : « لا تصعد على مذبحي بدرج لئلا تنكشف عليه عورتك ». فعلم منه أنه لا يجب انكشاف عورة الرجل فضلاً عن عورة المرأة. وفي الآية السابعة عشر من الباب الثالث من كتاب أشعيا : « الرب يقطع عورات بنات صهيون ». وفي الباب السابع والأربعين من كتاب اشعيا هكذا : « اخذي الرحي واطحني دقيقاً أعري عارك اكشفي كفك اظهري ساقيك جوزي الأنهار ٣ ينكشف عيبك ويظهر عارك. انتقم ولا يقاومني بشر ». والآية الثامنة عشر من الباب العشرين من سفر التكوين هكذا : « لأن الرب أعقم جميع من في بيت أبي مالك من أجل سارة امرأة ابراهيم ». والآية الحادية والثلاثون من الباب التاسع والعشرين هكذا : « فلما رأى الرب أن ليا ميغوضة فتح رحمها وكانت راحيل عاقراً ». والآية الثانية والعشرون من الباب الثلاثين من السفر المذكور هكذا : « فذكر الرب راحيل واستجاب لها وفتح رحمها ». فانظروا الى نفرته من كشف عورة الرجال، ورغته الى فلع عورات النساء واعرائهن وفتح أرحامهن وسدّها.

٢٩ — في الآية الرابعة والعشرين من الباب التاسع من كتاب أرمياء هكذا : « أنا الرب الصانع الرحمة والقضاء والعدل في الأرض ». وقد عرفت حال ارتضاؤه بالرحمة والصدق، فاعرف حال عدله. في الباب الحادي

والعشرين من كتاب حزقيال هكذا : « ٣ وتقول لأرض اسرائيل هكذا يقول الرب إلهه ها أناذا إليك وأسل سيفي من غمده وأقتل فيك البار والمنافق ٤ ومن أجل أنني قتلت فيك باراً ومنافقاً فلماذا يخرج سيفي من غمده الى كل جسد من التيمن الى الشمال ٥. فلو سلم أن قتل المنافق عند علماء يروتستنت عدل، لكن كيف يكون قتل البار عدلاً عندهم ؟ وفي الباب الثالث عشر من كتاب ارمياء هكذا : « ١٣ فنقول لهم هكذا يقول الرب ها أناذا أُملي سكرًا لجميع سكان هذه الأرض والملوك الجالسين من ذرية داود على كرسية والكهنة والأبياء وجميع سكان اورشليم ١٤ وأبدهم رجالاً عن أخيه والآباء والأبناء جميعاً يقول الرب لست أرحم ولا أعفي ولا أتحنن حتى أهلكهم ١. فأُملا جميع سكان هذه الأرض سكرًا ثم قتلهم. أي عدل ! والآية التاسعة والعشرون من الباب الثاني عشر من سفر الخروج هكذا : « ولما انتصف الليل قتل الرب كل أبكار أهل مصر من بكر فرعون الجالس على كرسية حتى الى بكر المسبية التي في السجن وكل أبكار البهائم ٢. فقتل جميع أبكار أهل مصر وأبكار البهائم. أي عدل ! لأن الوفا من أبكار أهل مصر كانوا أطفالاً معصومين، وكان أبكار البهائم أيضاً غير مذنبين.

٣٠ — الآية الثالثة والعشرون من الباب الثامن عشر من كتاب حزقيال هكذا : « العلي مرضاتي هو موت المنافق يقول الرب الإله، إلا أن يتوب من طريقه فيعيش ١. والآية الحادية عشر من الباب الثالث والثلاثين هكذا : « فقل لهم حي أنا يقول الرب الإله لست أريد موت المنافق، بل أن يتوب المنافق من طريقه ويعيش ٢. الخ. فعلم من هاتين الآيتين أن الله لا يحب موت الشرير، بل يحب أن يتوب الشرير وينجو. والآية العشرون من الباب الحادي عشر من كتاب يوشع هكذا : « فقسى الرب قلوبهم وأهلكهم ٣.

٣١ — الآية الرابعة من الباب الثاني من الرسالة الأولى الى تيموثاوس هكذا : « الذي يريد أن جميع الناس يخلصون، وإلى معرفة الحق يقبلون ١ وفي الباب الثاني من الرسالة الثانية الى أهل تسالونيقيي هكذا : « ١١ ولأجل هذا سيرسل إليهم الله عمل الضلال حتى يصدقوا الكذب ١٢ لكي يبدأ جميع الذين لم يصدقوا الحق بل ساروا بالانتم ٣.

٣٢ — الآية الثامنة عشر من الباب الحادي والعشرين من سفر الامثال هكذا : « عوض الصديق يسلم المتناق، وعوض المستقيمين الاثم ». والآية الثانية من الباب الثاني من الرسالة الأولى ليوحنا هكذا : « وهو كفارة لخطايانا ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم أيضا ». ففهم من الآية الأولى أن الأشرار يكونون كفارات للصلحاء، ومن الثاني أن المسيح عليه السلام الذي هو معصوم عند المسيحيين صار كفارة للأشرار<sup>(١)</sup>.

٣٣ — وقع في الباب العشرين من سفر الخروج لا تقتل ولا تزني. والآية الثانية من الباب الرابع عشر من كتاب زكريا هكذا : « وأجمع جميع الأمم إلى أورشليم للقتال وتؤخذ المدينة وتخرب البيوت وتفضح النساء ». فوعده الرب أن يجمع الأمم ليقتلوا قومه الخاص ويفضحوا نساءهم ويزنوا بها.

٣٤ — في الآية الثالثة عشر من الباب الأول من كتاب حقوق هكذا : « نقتب عينك لئلا ترى سوء ولا تقدر أن تنظر إلى الإثم ». والآية السابعة من الباب الخامس والأربعين من كتاب اشعيا : « المصور النور والخالق الظلمة الصانع السلام والخالق الشر أنا الرب الصانع جميعا ».

٣٥ — في الزبور الرابع والثلاثين هكذا : « ١٥ فإن عيني الرب إلى الأبرار ومسامحه إلى صراخهم ١٧ أولئك الذين صرخوا فاستجاب لهم ونجاهم من جميع اضرارهم ١٨ فإن الرب قريب من منكسري القلب ومخلص متواضعي الروح ». وفي الزبور الثاني والعشرين هكذا : « ١ الهى الهى لماذا تركتني بعيدا عن خلاصي وكلام صراخي ٢ الهى الهى إني فى

---

(١) ما ادعى بعض التفسيرين من أن المسلمين ليس لهم كفارة جيدة، غلط. لأننا لو تأملنا في حكم عارة الأمثال ونظرنا إلى طوائف بني آدم وجدنا أن الكفارات المتعددة من المتكبرين، لمحمد ﷺ، موجودة لكل فرد من المسلمين على أن المسيح، عليه السلام، لما كان كفارة لخطايا كل العالم، على ما اعترف يوحنا، فكيف لا يكون كفارة للمسلمين الذين يترفون بتوحيد الله ونبوته وصدقه وكون أنه صادقة مرة ٢ بل لو أنصف أحد عرف أن أعلى الحفاة الأدبية هؤلاء المسلمون لا غيرهم، كما عرف في الباب الرابع (٢).



النهار أَدْعُو وَأَنْتِ لَا تَسْتَجِيبِ، وَفِي اللَّيْلِ وَلَا سَكُوتٌ لِي ١. وَالآيَةُ السَّادِسَةُ وَالْأَرْبَعُونَ مِنَ الْبَابِ السَّابِعِ وَالْعَشْرِينَ مِنْ أَنْجِيلِ مَتَّى هَكَذَا : « وَنَحْنُ السَّاعَةُ الْتَّاسِعَةُ صَرَخَ يَسُوعُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ قَائِلًا إِيَّايَ إِيَّايَ لِمَا شِيقْتَنِي، أَيُّ الْهَيِّ الْهَيِّ لِمَاذَا تَرَكْتَنِي ». أَمَّا كَانَ دَاوُدَ وَعِيسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ مِنَ الْأَبْرَارِ وَمُنْكَسِرِي الْقُلُوبِ وَمَتَوَاضِعِي الرُّوحِ ؟ فَلَمْ تَرَكُهُمَا وَلَمْ يَسْمَعْ صَرَاحَهُمَا ؟

٣٦ — الْآيَةُ الثَّلَاثَةُ عَشَرَ مِنَ الْبَابِ الثَّاسِعِ وَالْعَشْرِينَ مِنْ كِتَابِ أَرْمِيَاءَ هَكَذَا : « تَطْلُبُونَنِي وَتَجِدُونَنِي، إِذَا طَلَبْتُمُونِي بِكُلِّ قُلُوبِكُمْ ». وَالْآيَةُ الثَّلَاثَةُ مِنَ الْبَابِ الثَّلَاثِ وَالْعَشْرِينَ مِنْ كِتَابِ أَيُّوبَ هَكَذَا : « مَنْ يَعْطِينِي أَنْ أَعْرِفَ فَأُجِدَّهُ، وَأَسْتَطِيعَ الْبُلُوغَ إِلَى مَجْلِسِهِ ». وَقَدْ شَهِدَ اللَّهُ فِي حَقِّ أَيُّوبَ إِنَّهُ صَالِحٌ مُسْتَقِيمٌ خَائِفٌ مِنَ اللَّهِ بَعِيدٌ مِنَ السُّوءِ، كَمَا هُوَ مُصْرَحٌ بِهِ فِي الْبَابِ الْأَوَّلِ وَالثَّانِي مِنْ كِتَابِهِ. فَهَذَا الْمُقَدَّسُ لَمْ يَحْصُلْ لَهُ عِلْمٌ طَرِيقَ وَجْدَانِ اللَّهِ فَضْلًا عَنْ وَجْدَانِهِ.

٣٧ — فِي الْآيَةِ الرَّابِعَةِ مِنَ الْبَابِ الْعَشْرِينَ مِنْ سَفَرِ الْخُرُوجِ هَكَذَا : « لَا تَتَّخِذْ لَكَ صُورَةً وَلَا تَنْثِيلَ مِنْ كُلِّ مَا فِي السَّمَاءِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا فِي الْمَاءِ مِنْ تَحْتِ الْأَرْضِ ». وَالْآيَةُ الثَّامِنَةُ عَشَرَ مِنَ الْبَابِ الْخَامِسِ وَالْعَشْرِينَ مِنْ السَّفَرِ الْمَذْكُورِ هَكَذَا : « وَاصْنَعْ كَارُوبِينَ مِنْ ذَهَبٍ سِيكَ تَجْعَلُ عَلَى كُلِّ جَانِبِي الْغِشَاءِ ».

٣٨ — الْآيَةُ السَّادِسَةُ مِنْ رِسَالَةِ يَهُوذَا هَكَذَا : « وَالْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ لَمْ يَحْفَظُوا رِيَاسَتَهُمْ، بَلْ تَرَكَوْا مَسْكَنَهُمْ، حَفَظْتُهُمْ إِلَى ذَهْنُونَةِ الْيَوْمِ الْعَظِيمِ بِقِيُودِ أَيْدِيَةٍ تَحْتَ الظَّلَامِ » فَعُلِمَ مِنْهَا أَنَّ الشَّيَاطِينَ مَرْبُوطَةٌ بِقِيُودِ عَظِيمَةٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. وَيَعْلَمُ مِنَ الْبَابِ الْأَوَّلِ وَالثَّانِي مِنْ كِتَابِ أَيُّوبَ أَنَّ الشَّيْطَانَ لَيْسَ بِمُقَيَّدٍ، بَلْ هُوَ مُطْلَقٌ وَيَحْضُرُ عِنْدَ اللَّهِ.

٣٩ — فِي الْآيَةِ الرَّابِعَةِ مِنَ الْبَابِ الثَّانِي مِنْ الرِّسَالَةِ الثَّانِيَةِ لِبَطْرُسَ هَكَذَا : « إِنْ اللَّهُ لَمْ يَشْفِقْ عَلَى مَلَائِكَةٍ قَدْ أَخْطَؤُوا بَلْ فِي سَلَاسِلِ الظَّلَامِ طَرَحَهُمْ فِي جَهَنَّمَ وَسَلَّمَهُمْ مُحْرُوسِينَ لِلْقَضَاءِ ». وَفِي الْبَابِ الرَّابِعِ مِنْ أَنْجِيلِ مَتَّى أَنَّ الشَّيْطَانَ جَرَّبَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

٤٠ — الآية الرابعة في الزبور التسعين هكذا : « فان ألف سنة لديك كالأمس الغابر وكهجميع من الليل ». والآية الثامنة من الباب الثالث من الرسالة الثانية لبطرس هكذا : « إن يوما واحدا عند الرب كألف سنة وألف سنة كيوم واحد ». ومع ذلك قال في الآية السادسة عشر من الباب التاسع من سفر التكوين هكذا : « ويكون القوس في الغمام وأراه واذكر الميثاق الأبدي الذي قام بين الله وبين كل نفس حية من كل ذي جسد هو على الأرض ». على أن كون القوس علامة العهد لا يحسن، لأن القوس لا يكون في كل غمام بل في قليل من أوقات الغمام وهو وقت رقة الغمام غالبا. وهذا الوقت لا يكون موجبا لكثرة الأمطار التي يخاف منها الطوفان، فلا تحصل العلامة وقت الحاجة إليها، بل وقت الاستغناء عنها.

٤١ — في الآية العشرين من الباب الثالث والثلاثين من سفر الخروج قول الله في خطاب موسى عليه السلام هكذا : « إنك لا تقدر على النظر الى وجهي لأنه لا يراني بشراً قبيحا ». وفي الآية الثلاثين من الباب الثاني والثلاثين من سفر التكوين قول يعقوب عليه السلام هكذا : « رأيت الله وجهاً لوجه وتخلصت نفسي ». فرأى يعقوب عليه السلام الله وجهاً لوجه وبقي حيا. وفي القصة التي وقع فيها هذا القول أشياء أخرى أيضا لا نليق : الأول، ذكر المصارعة بين الله وبين يعقوب. والثاني، كونها ممتدة الى طلوع الفجر. والثالث، انه لم يقر أحدهما بالآخر. والرابع، ان الله لم يقدر أن ينطلق بذاته فقال اطلقني. والخامس، أن يعقوب لم يطلقه إلا بعوض، وهو أن يباركه. والسادس، ان الله سأله عن اسمه فعلم أنه ما كان يعلم اسمه.

٤٢ — الآية الثانية عشر من الباب الرابع من الرسالة الأولى ليوحنا هكذا : « الله لم ينظره أحد قط ». وفي الباب الرابع والعشرين من سفر الخروج هكذا : « وصعد موسى وهرون وناداب وأيهو وسبعون رجلا من شيوخ اسرائيل ١٠ ونظروا الى إله اسرائيل وتحت رجله مثل الحجر السمانجوني وكمثل لون السماء ونور ظاهر ١١ فلم يسط يد على شيوخ اسرائيل وابصروا الله واكلوا وشربوا ». فموسى وهرون والمشايخ السبعون عليهم

السلام قد أصبحوا الله وأكلوا وشربوا معه. أقول أولا ان الجملة الأخيرة بحسب الظاهر تدل على أنهم أكلوا الله وشربوه. لكن المقصود لعله ما فهمه المعترضون، وثانيا أن إله بني اسرائيل — والعايز بالله — كان على صورة آلهة مشركي الهند مثل رامحندر وكركش لأن ألوانهم على ما صرح به في كتبهم على لون السماء.

٤٣ — في الآية السادسة عشر من الباب السادس من الرسالة الأولى الى تيموثاوس هكذا : « الذي لم يره أحد من الناس ولا يقدر أن يراه ». وفي الباب الرابع من المشاهدات أن يوحنا رآه حالسا على العرش، وكان الجالس في المنظر شبه حجر اليشب والعقيق.

٤٤ — الآية السابعة والثلاثون من الباب الخامس من انجيل يوحنا قول يسوع في خطاب اليهود هكذا : « لم نسمعوا صوته قط ولا أبصرتم هيئته ». وقد علمت حال رؤية الله في المثال السابق، بقي حال سماع صوته. في الآية الرابعة والعشرين من الباب الخامس من سفر الاستثناء هكذا : « قد أرانا الرب الهنا مجده وعظمته وسمعنا صوته من وسط النار ».

٤٥ — في الآية الرابعة والعشرين من الباب الرابع من انجيل يوحنا هكذا « الله روح ». وفي الآية التاسعة والثلاثين من الباب الرابع والعشرين من انجيل لوقا هكذا : « إن الروح ليس له لحم وعظام ». ويُعلم من هاتين العبارتين أن الله ليس له لحم وعظام. وقد ثبت له في كتبهم كل عضو من الرأس الى الرجل. ونقول أمثلة لإثبات هذه الأعضاء، وقد عرفتها في مقدمة الباب الرابع. ثم قالوا استهزاء لم يُعلم الى الآن انه يستاني أم بناء أو خراف أو خياط أو جراح أو حلاق أو قابلة أو جزار أو فلاح أو تاجر أو غيره، لأن أقوال كتبهم مضطربة. في الآية الثامنة من الباب الثاني من سفر التكوين هكذا : « وغرس الرب الإله فردوس النعيم من البدء » فَيُعلم منه أنه يستاني. وكذا يعلم من الآية التاسعة عشر من الباب الحادي والأربعين من كتاب اشعيا وفي الآية الخامسة والثلاثين من الباب الثاني من سفر صموئيل الأول هكذا : « وبني له بيتا آمينا ». وهكذا في الآية ١١ و ٢٧ من الباب السابع من سفر صموئيل

الثاني والآية ٣٨ من الباب الحادي عشر من سفر الملوك الأول والآية ١ من الزبور ١٢٧، ويعلم من هذه الآيات أنه بناء. والآية الثامنة من الباب الرابع والستين من كتاب أشعيا هكذا : « والآن يا رب أنت أبونا ونحن الطين وأنت جابلنا ونحن جميعا أعمال يديك ». فيُعلم منها أنه خزاف. والآية الحادية والعشرون من الباب الثالث من سفر التكوين هكذا : « وصنع الرب الإله لآدم وزوجته ثيابا من جلود وألبسهما ». فيُعلم أنه خياط. وفي الآية ١٧ من الباب الثلاثين من كتاب أرميا هكذا : « أشفي جرحك ». فيُعلم أنه جراح. والآية العشرون من الباب السابع من كتاب أشعيا هكذا : « في ذلك اليوم يخلق الرب بموسى مستنكرا في أولئك الذين هم عبروا النهر بملك الآثوريين الرأس وأوبار الرجلين واللحية كلها ». فيُعلم أنه حلاق. ويعلم من الآية ٣١ من الباب التاسع والعشرين والآية ٢٢ من الباب الثلاثين من سفر التكوين أنه قابله. وقد مر نقلهما عن قريب في بيان الاختلاف الثامن والعشرين. والآية السادسة من الباب الرابع والثلاثين من كتاب أشعيا هكذا : « سيف الرب امتلأ دماً سمن من شحم من دم الخرفان والتيوس من دم الكباش المعلوفة ». فيُعلم أنه حزار. والآية الخامسة عشر من الباب الحادي والأربعين من كتاب أشعيا هكذا : « ها جعلتك مثل البكرات الجدد التي للعجلة شبه المناشير التي تدوس فتدوس الجبال وتستحق الآكام وتصنعهم مثل التراب ». فيُعلم أنه فلاح. وفي الآية الثامنة من الباب الثالث من كتاب يوشيا هكذا : « وأبيع نبيكم وبنانكم في أيدي بني يهوذا ». فيُعلم أنه تاجر. وفي الآية الثالثة عشر من الباب الرابع والخمسين من كتاب أشعيا هكذا : « يتعلم جميع بنيك من الرب ». فيُعلم أنه معلم. ويعلم من الباب الثاني والثلاثين من سفر التكوين أنه مصارع.

٤٦ — الآية التاسعة من الباب الثاني والعشرين من سفر صموئيل الثاني هكذا : « ارتفع دحان من أنفه والتهبت النار من فمه تأكل والجمر اشتعل منها ». والآية العاشرة من الباب السابع والثلاثين من كتاب أيوب هكذا : « يكون الثلج من نفس الله ويجمد الماء السائل ».

٤٧ — الآية الثانية عشر من الباب الخامس من كتاب هوشع هكذا :

« وأنا مثل السوس لأفترام ومثل الدودة لبيت يهوذا ». والآية السابعة من الباب الثالث عشر من الكتاب المذكور هكذا : « وأنا أكون لهم مثل أسد مثل نمر في طريق الآثوريين ». فتارة مثل السوس والدودة وتارة مثل الأسد والنمر.

٤٨ — الآية العاشرة من الباب الثالث من مراثي أرمياء هكذا : « دياً راصداً صار لي أسداً في الخفية ». والآية الحادية عشر من الباب الأربعين من كتاب أشعيا هكذا : « مثل الراعي هو يرعى قطيعه ». الخ. فتارة مثل الدب والأسد وتارة كالراعي.

٤٩ — في الآية الثالثة من الباب الخامس عشر من سفر الخروج هكذا : « الرب مثل الرجل المقاتل ». وفي الآية العشرين من الباب الثالث عشر من الرسالة العبرانية هكذا : « وإله السلام ».

٥٠ — في الآية الثامنة من الباب الرابع ليوحنا هكذا : « الله محبة ». والآية الخامسة من الباب الحادي والعشرين من كتاب أرمياء هكذا : « وأنا أغليكم بيد ممدودة وبذراع قوية وبزجر وبغضب وبسخط شديد ». ولما وصلت النبوة إلى الخمسين، اكتفى في نقل هذه الاختلافات على هذا القدر خوفاً من التطويل. فمن شاء أزيد منه فليتنصّح كتب المعترضين المذكورين يجد فيها اختلافات أخرى. والآية الخامسة عشر من الباب الحادي والعشرين من سفر الاستثناء هكذا : « وإن كانت لرجل امرأتان الواحدة محبوبة والأخرى مغوضة ». الخ. والآية السابعة والعشرون من الباب التاسع من كتاب يوشع هكذا : « وفرض عليهم — أي أهل جبعون — اليوم أن يكونوا في خدمة الشعب بأسره وخدمة مذبح الرب محططين حطباء ومستقيين ماء في الموضع الذي يختاره الرب ». وفي الباب السادس والخمسين من كتاب أشعيا هكذا : « يقول الرب للخصيين الذين يحفظون سيوتي ويختارون ما أنا شتته ويمسكون بعهدي، أعطيتهم في بيتي وفي حيطاني موضعاً واسماً أفضل من البتين والبنات. أعطيتهم اسماً أبدياً لا يبدى ». يُعلم من هذه الآيات أن الله مجوِّز لتزوُّج زوجتين واحد القوم في العبودية والرق وراض عن الخصيين. وهذه الأشياء كلها مذمومة عند الانكليز شرعاً أو عقلاً. والآية الخامسة

والعشرون من الباب الأول من الرسالة الأولى الى أهل كورنثيوس هكذا : « لأن جهالة الله أحكم من الناس وضعف الله أقوى من الناس ». والآية التاسعة من الباب الرابع عشر من كتاب حزقيال هكذا : « والنبي اذا ضلّ وتكلم بكلام فأنا الرب أصللت ذلك النبي ». الخ. ويُعلم من هاتين الآيتين جهل الله وأضلاله لأنبيائه — والعياذ بالله —. وقال جان كلارك الملحد بعدما نقل بعض الأقوال المنقولة فيما قبل : « إن إله بني اسرائيل هذا ليس قاتلا ظالما كاذبا أحقق مضلا فقط، بل هو نار محرقة أيضا، كما قال بولس في الآية التاسعة والعشرين من الباب الثاني عشر من الرسالة العبرانية : الهنا نار آكلة والوقوع في يدي هذا الإله مخيف، كما قال بولس في الآية الحادية والثلاثين من الباب العاشر من الرسالة العبرانية : مخيف هو الوقوع في يدي الله الحي. فتحصيل الحرية من رقية مثل هذا الإله بالعجلة المقدورة أحسن. لأنه إذا لم يُنَجِّ ابنه الوحيد، فمن يرجو منه الرحمة واللفظ. وهذا الإله الذي تحكم هذه الكتب أنه ليس بقابل أن يعتمد عليه بل هو شيء غير محقق جامع للاضداد والأوهام مضل أنبيائه ». انتهى. فانظروا الى أبناء صنف القسيسين الى أين وصلت نوبتهم وليعلم أن اعتراضاتهم على ما وقع في تراجمهم الانكليزية وغيرها. فإن وجد الناظر في بيان عدد الآية أو في بعض المضامين ما يخالف الترجمة العربية فهو لأجل اختلاف التراجم.

## الباب السادس

في إثبات نبوة محمد ﷺ ودفع مطاعن  
القسيسين وهو مشتمل على فصلين





## الفصل الأول

في إثبات نبوته ﷺ  
وفيه ستة مسالك

**المسلك الأول :** إنه ظهرت معجزات كثيرة على يده ﷺ. وأذكر نبذا منها في هذا المسلك من القرآن والأحاديث الصحيحة بحذف الأسناد، وأوردها في نوعين. وقد عرفت في الفصل الثالث من الباب الخامس، على أتم تفصيل، إنه لا شناعة عقلا ونقلا في اعتبار الروايات اللسانية المشتملة على شروط الرواية المعتبرة عند علمائنا رحمهم الله تعالى.

**أما النوع الأول،** ففي بيان أخباره عن المغيبيات الماضية والمستقبلية. أما الماضية فكقصص الأنبياء عليهم السلام، وقصص الأم البالية من غير سماع من أحد ولا تلقن من كتاب، كما عرفت في الأمر الرابع من الفصل الأول من الباب الخامس. وقد أشير إليه بقوله تعالى : ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا ﴾<sup>(١)</sup>. والمخالفة التي وقعت بين القرآن وكتب أهل الكتاب في بيان بعض هذه القصص، فقد عرفت حالها في الفصل الثاني من الباب الخامس من جواب الشبهة الثانية.

---

(١) سورة هود ( ٤٩ ) .



نطحة أو نطحتان ثم لا فارس بعد هذا أبداً، والروم ذات قرون كلما هلك  
 قرن خلف مكانه قرن، أهل صخر وبحر هيهات آخر الدهر ». والمراد بالروم  
 الفرنج والنصارى. وكان كما أخبر. ما بقي من سلطنة الفرس أثر ماء، بخلاف  
 الروم فإن سلطنتهم، وإن زالت عن الشام في عهد خلافة عمر رضي الله عنه  
 وانهزم هرقل من الشام إلى أقصى بلاده، لكن لم تزل سلطنتهم بالكلية، بل  
 كلما هلك قرن خلفه قرن آخر. / ٨ / « وإن الله زوى لي الأرض، فرأيت  
 مشارقها ومغاربها وسيلغ ملك أمتي ما زوى لي منها ». والمعنى جمع الله لي  
 الأرض مرة واحدة بتقريب بعيدا إلى قريبها، حتى اطلعت على ما فيها،  
 وستفتحها أمتي جزأ فجزأ حتى تملك جميع أجزائها. ولأجل تقييدها  
 بمشارقها ومغاربها انتشرت ملته في المشارق والمغارب ما بين أرض الهند،  
 التي هي أقصى المشرق، إلى بحر طنجة الذي في أقصى المغرب. ولم تنتشر  
 في الجنوب والشمال مثل انتشارها في المشرق والمغرب. ولعل في اتیانها  
 بلفظ الجمع وفي تقديم المشارق إيماء إلى ما هالك، وإلى ظهور كثرة  
 العلماء منها بالنسبة إلى غيرهما. وإن علماء المشرق أكثر وأظهر من علماء  
 المغرب. / ٩ / « وإنه لا يزال أهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم  
 الساعة ». وهي حديث آخر من رواية أبي أمامة « لا تزال طائفة من أمتي  
 ظاهرين على الحق حتى يأتيتهم أمر الله وهم كذلك. وقيل يا رسول الله وأين  
 هم قال ببيت المقدس ». والمراد عند جمهور العلماء بأهل العرب أهل الشام  
 لأنه غرب الحجاز بدلالة رواية وهم بالشام. / ١٠ / « وإن الفتن لا تظهر ما دام  
 عمر حيا وكان كما أخبر وكان عمر رضي الله عنه سد باب الفتنة. / ١١ / وأن  
 المهدي رضي الله عنه يظهر. / ١٢ / « وإن عيسى عليه السلام ينزل. / ١٣ / وأن  
 الدجال يخرج. وهذه الأمور الثلاثة ستظهر إن شاء الله تعالى، والله أعلم.  
 / ١٤ / « وإن عثمان يُقتل وهو يقرأ في المصحف. / ١٥ / « وإن أشقى الآخرين  
 من يصيغ هذه من هذه ». يعني لحية علي من دم رأسه، يعني يقتله. وهما  
 رضي الله عنهما استشهدا، كما أخبر. وإن عمارا تقتله الفتنة الباغية فقتله  
 أصحاب معاوية. / ١٦ / « وإن الخلافة بعدي في أمتي ثلاثون سنة، ثم تصير  
 ملكا عضوضاً بعد ذلك ». فكانت الخلافة الحقة كذلك بمضي مدة خلافة

الحسن بن علي رضي الله عنهما، لأن خلافة أبي بكر رضي الله عنه كانت ستين وثلاثة أشهر وعشرين يوماً، وخلافة عمر رضي الله عنه عشر سنين وستة أشهر وأربعة أيام، وخلافة عثمان رضي الله عنه إحدى عشرة سنةً وواحد عشر شهراً وثمانية عشر يوماً، وخلافة علي رضي الله عنه أربع سنين وعشرة أشهر أو تسعة، وبتمامها خلافة الحسن رضي الله عنه. / ١٨ / « وإن هلاك أمتي على يدي أغلِمت من فريش » والمراد يزيد وبنو مروان. / ١٩ / وإن الأنصار يلقون حتى يكونوا كالمِلح في الطعام فلم يزل أمرهم يتفرق حتى لم يبق لهم جماعة. ووقع كما أخبر. / ٢٠ / وإنه يكون في ثقيف كذاب ومبير أي مهلك. فأروهما المختار والحجاج. / ٢١ / وإن الموتين أي الوباء والطاعون يكون بعد فتح بيت المقدس. وكان هذا الوباء في خلافة عمر رضي الله عنه بعمواس من قرى بيت المقدس وبها كان عسكره، وهو أول طاعون وقع في الإسلام مات به سبعون ألفاً في ثلاثة أيام. / ٢٢ / وإنهم يغزون في البحر كالمملوك على الأسرة. ففي الصحيحين : « كان رسول الله ﷺ يدخل على أم حرام بنت ملحان من خالات النبي ﷺ من الرضاع وكانت تحت عبادة بن الصامت، فدخل عليها يوماً فأعلمته ثم جلست تغلي رأسه فنام. ثم استيقظ بضحك، فقال : مم تضحك ؟ قال : ناس من أمتي عرضوا علي غزاة في سبي الله يركبون ثجج هذا البحر ملوكاً على الأسرة أو كالمملوك على الأسرة فقال ادع الله أن يجعلني منهم، فقال أنت من الأولين. فركبت البحر لي زمن معاوية فصرعت عن دابنها بعد خروجها منه فهلكت ». / ٢٣ / وإن الإيمان لو كان منوطاً بالثريا لئاله رجال من أبناء فارس. وفيه إشارة إلى الإمام الأعظم أبي حنيفة الكوفي رحمه الله تعالى أيضاً. / ٢٤ / وإن فاطمة أول أهله لحوقاً به، فمات رضي الله عنها بعد ستة أشهر من وفاته ﷺ. / ٢٥ / « وإن ابني هذا — أي الحسن بن علي رضي الله عنهما — سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين ». ووقع كما أخبر، فأصلح الله به بين أتباعه وأهل الشام. / ٢٦ / وإن أبا ذر يعيش وحيداً ويموت وحيداً. فكان كما أخبر. / ٢٧ / « وإن أسرع أزواجه لحوقاً به أطولهن يداً ». فكانت زينب بنت جحش رضي الله عنها أسرع لحوقاً به لطول يديها بالصدقة. / ٢٨ / وإن الحسين بن علي رضي الله

عنهما يُقتل بالطف — وهو، بفتح الطاء وتشديد الفاء، مكان بناحية الكوفة على شط نهر الفرات والآن اشتهر بكر بلاء — فاستشهد الحسين رضي الله عنه في الطف، كما أخبر. / ٢٩ / وقال لسراقة بن جهم : كيف بك إذا لبست سوارِي كسرى. فلما أتى بهما عمر رضي الله عنه ألبسهما إياه، وقال : الحمد لله الذي سلبهما كسرى وألبسهما سراقة. / ٣٠ / وقال لخالد رضي الله عنه حين وجهه لأكيدر، إنك تجده يصيد البقر. فكان كما أخبر. وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند الشيخين : « أن رسول الله ﷺ قال : لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز بضيء لها أعناق الابل ببصري ». وقد خرجت نار عظيمة على قرب مرحلة من المدينة وكان ابتداءها يوم الأحد مستهل جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستمائة وكانت خفيفة الى ليلة الثلاثاء بيومها. ثم ظهرت ظهوراً اشترك فيه الخاص والعام. ولعدم ظهورها ظهوراً معتداً الى يوم الثلاثاء، خفي عن البعض، وقال : ابتداءها كان ثالث الشهر. وفي يوم الأربعاء ظهرت ظهوراً شديداً، واشتدت حركتها واضطربت الأرض بمن عليها وارتفعت الأصوات لخالقها، ودامت آثار الحركة حتى أبقت أهل المدينة بوقوع الهلاك وزلزلوا زلزلاً شديداً. فلما كان يوم الجمعة نصف النهار ثار في الجو دخان متراكم أمره متفاقم، ثم شاع النار وعلا حتى غشى الأبصار، فسكنت بقريظه عند فاع التنعيم بطرف الحرة. ترى في صورة البلد العظيم عليها سور محيط عليه شراريف كشراريف الحصون وأبراج ومآذن، ويرى رجال يقودونها لا تمر على جبل إلا دكته وأذاجته، ويخرج من مجموع ذلك نهر أحمر ونهر أزرق له دوي كدوي الرعد يأخذ الصخور والجبال بين يديه. وكان يأتي المدينة ببركة النبي ﷺ نسيم بارد، وكان انطفأوا في السابع والعشرين من شهر رجب ليلة الأسراء والمعراج. وللشيخ قطب الدين القسطلاني تأليف في بيان حال هذه النار سماه بحمل الإيجاز في الاعجاز بنار الحجاز. فهذا الخبر من الأخبار العظيمة أيضاً لأن النبي ﷺ أخبر بخروج هذه النار قبل ظهورها بمقدار ستمائة وخمسين سنة تقريباً. وكتب في البخاري قبل ظهورها بمقدار أربعمائة سنة، وصحيح البخاري في غاية درجة القبول من زمان التأليف الى هذا الحين، حتى أخذ

تسعون ألف رجل سنده من الإمام المرحوم بلا واسطة في مدة حياته، فلا مجال لعناد معاند في تكذيب هذا الخبر الصريح الصادق. وروى مسلم في كتاب الفتن من حديث ابن مسعود رضي الله عنه في أمر الدجال من طريق أبي قتادة عن يسير بن جابر قال : هاجت ريح حمراء بالكوفة، فجاء رجل ليس له هجيرى، فقال : ألا يا عبدالله بن مسعود جاءت الساعة. قال : فقمه وكان متكئا، فقال : إن الساعة لا تقوم حتى لا يقسم ميراث ولا يفرح بغنيمة. ثم قال بيده هكذا ونحاشا نحو الشام، فقال : عدو يجتمعون لأهل الشام ويجتمع لهم أهل الشام قلت : الروم يعني. قال : نعم، ويكون عند ذلك القتال ردة شديدة، أي هزيمة، فيشترط المسلمون شرطة الموت لا ترجع إلا غالبية، فيقتلون حتى يحجز بينهم الليل، فيبقى هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب وتفتى الشرطة. ثم يشترط المسلمون شرطة الموت لا ترجع إلا غالبية، فيقتلون حتى يحجز بينهم الليل، فيبقى هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب وتفتى الشرطة. ثم يشترط المسلمون شرطة الموت لا ترجع إلا غالبية، فيقتلون حتى يمسا فيبقى هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب وتفتى الشرطة. فإذا كان اليوم الرابع نهض اليهم نية الإسلام فيجعل الله الدبرة عليهم — أي الروم — فيقتلون مقنلة، إما قال لا يرى مثلها وإما قال لم ير مثلها، حتى أن الطائر ليمر بجانبهم فما يحلفهم حتى يخرمينا. فيتعاد بنو الأب، كانوا مائة فلا يجدون بقي منهم إلا الرجل الواحد. فبأي غنيمة يفرح أو أي ميراث يقاسم ؟ فبينما هم كذلك إذ سمعوا بناس هم أكثر من ذلك، فجاءهم الصريح أن الدجال قد خلفهم في ذرايعهم فيرفضون ما في أيديهم ويقبلون الحديث عصمنا الله من فتنة الدجال.

واعلم أن علماء پروتستنت، على ما هو عادتهم، يغفلون العوام باعتراضات موهمة على الأخبارات المستقبلية المندرجة في القرآن والحديث. فأنقل هنا بعض الإخبارات المنسوبة إلى الأنبياء الأسريالية، عليهم السلام، عن كتبهم المقدسة ليعلم المخاطب أن اعتراضاتهم ليست بنبيء وليس غرضي سوء الاعتقاد في أقوال الأنبياء عليهم السلام، لأنها ليست بثابتة الاسناد اليهم ثبوتا قطعيا، بل حكمها حكم الروايات الضعيفة المروية بروايات الأحاد. فالغلط

منها ليس بقولهم يقيناً، والاعتراض عليه حق. فأقول : الأول الخبر المنقول في الباب السادس من سفر التكوين. والثاني الخبر المنقول في الآية الثامنة من الباب السابع من كتاب أشعيا. والثالث الخبر المنقول في الباب التاسع والعشرين من كتاب ارمياء. والرابع الخبر المندرج في الباب السادس والعشرين من كتاب حزقيال. والخامس الخبر المندرج في الباب الثامن من كتاب دانيال. والسادس الخبر المندرج في الباب التاسع من الكتاب المذكور. والسابع الخبر المندرج في الباب الثاني عشر من الكتاب المذكور. والثامن الخبر المندرج في الباب السابع من سفر صموئيل الثاني. والتاسع الخبر المندرج في الآية ٣٩ و ٤٠ من الباب الثاني عشر من انجيل متى. والعاشر الخبر المندرج في الآية السابعة والعشرين والثامنة والعشرين من الباب السادس عشر من انجيل متى. والحادي عشر الخبر المندرج في الباب الرابع والعشرين من انجيل متى. والثاني عشر الخبر المندرج في الباب العاشر من انجيل متى. وكلها غلط، كما عرفت هذه الأمور في الباب الأول. فإن أراد أحد منهم أن يعترض على أخبار من الاختيارات المستقبلية المندرجة في القرآن والحديث فعليه أن يبين أولاً صحة هذه الاختيارات المندرجة في كتبهم التي أشرت إليها الآن، ثم يعترض<sup>(١)</sup>.

وأما النوع الثاني، ففي الأفعال التي ظهرت منه عليه السلام على خلاف العادة، وهي تريد على ألف وأكتفي على ذكر أربعين : ١ — قال الله تعالى : في سورة بنى اسرائيل : ﴿ سَبَّحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ﴾<sup>(٢)</sup>. فهذه الآية والأحاديث الصحيحة تدل على أن المعراج كان في اليقظة

(١) ما ذكرنا في المثلث الأول من الفعل الأول من الباب السادس. وكان المؤلف قد نُه إلى أنه سوف يورد معجرات محمد — ﷺ — على نوعين : الإخبار والأفعال. وكان النوع الأول — أي الإخبار — قد انتهى. وهو يتابع لبراد المعجزات، على النوع الثاني، أي الأفعال، وهذا ما تتضمنه الفقرات الآتية.

(٢) سورة الاسراء ( ١ ) .

بالجسد. أما دلالة الأحاديث ففي غاية الظهور، وأما دلالة الآية فلأن لفظ «العبد» يُطلق على مجموع الجسد والروح. قال الله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى﴾<sup>(١)</sup>، وقال أيضا في سورة الجن: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدَ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾<sup>(٢)</sup>. ولا شك أن المراد في الموضوعين من العبد مجموع الروح والجسد، فكذا المراد بالعبد ههنا. ولأن الكفار استبعدوا هذا المعراج وأنكروه، وارتد بسماعه ضعفاء المسلمين، واقتنوا به، فلو لم يكن المعراج بالجسد وفي اليقظة، لما كان سببا لاستبعاد الكفار وإنكارهم، وارتداد ضعفاء المسلمين واقتنائهم. إذ مثل هذا في المنامات لا يعد من المحال ولا يستبعد ولا ينكر. ألا ترى أن أحدا لو ادعى أنه سار في نومه مرة في الشرق ومرة في الغرب وهو لم يتحول عن مكانه ولم تتبدل حاله الأولى لم ينكره أحد ولم يستبعد ولا استحالة فيه عقلا ونفلا؟ أما عقلا، فلأن خالق العالم قادر على كل الممكنات، وحصول الحركة البالغة في السرعة إلى هذا الحد في جسد محمد ﷺ ممكن. فوجب كونه تعالى قادرا عليه. وغاية ما في الباب أنه خلاف العادة. والمعجزات كلها تكون كذلك. وأما نفلا، فلأن صعود الجسم العنصري إلى الأفلاك ليس بممتنع عند أهل الكتاب. قال القسيس وليس اسمت في كتابه المسمى بطريق الأولياء في بيان حال اختوخ الرسول الذي كان قبل ميلاد المسيح بثلاث آلاف سنة وثلاثمائة واثنين وثمانين سنة هكذا: «إن الله نقله حيا إلى السماء لئلا يرى الموت، كما هو مرقوم أنه لم يوجد لأن الله نقله فترك الدنيا من غير أن يحمل المرض والوجع والألم والموت ودخل بجسده في ملكوت السماء». انتهى. وقوله (كما هو مرقوم) إشارة إلى الآية الرابعة والعشرين من الباب الخامس من سفر التكوين. وفي الباب الثاني من سفر الملوك الثاني هكذا: «وكان لما أراد الرب أن يصعد إيليا بالعجاج إلى السماء انطلق إيليا واليسع من الجلجلال

(١) سورة العلق (٩ - ١٠).

(٢) سورة الجن (١٣).



١١ وبينما هما يسيران ويتكلمان، إذ بعجلة من نار وخيل من نار فافتربت فيما بينهما وصعدا إيليا بالعجاج إلى السماء. وقال آدم كلارك المفسر في شرح هذا المقام : « لا شك أن إيليا رُفِعَ إلى السماء حياً ». انتهى كلامه. والآية التاسعة عشر من الباب السادس عشر من إنجيل مرقس هكذا : « ثم إن الرب بعدما كلمهم ارتفع إلى السماء وجلس عن يمين الله ». وقال بولس في حال معراجيه في الباب الثاني عشر من رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس هكذا : « ٢ أعرف انساناً في المسيح قبل أربع عشرة سنة، أفي الجسد لست أعلم، أم خارج الجسد لست أعلم، الله يعلم اختطف هذا إلى السماء الثالثة ٣ واعرف هذا الانسان أفي الجسد أم خارج الجسد لست أعلم الله يعلم أنه اختطف إلى الفردوس ٤ وسمع كلمات لا ينطق بها ولا يسوغ لإنسان أن يتكلم بها ». فأدعى معراجيه إلى السماء الثالثة وإلى الفردوس بسماع كلمات لا ينطق بها وليس لإنسان أن يتكلم بها. وقال يوحنا في الباب الرابع من المكاشفات : « ١ وبعد هذا نظرت، وإذا باب مفتوح في السماء والصوت الأول الذي سمعته كبوق يتكلم معي قائلاً اصعد إلى ههنا فأريك ما لا بد أن يصير بعد هذا ٢ وللوقت صرت في الروح وإذا عرش موضوع في السماء وعلى العرش جالس ». فهذه الأمور مسلمة عند المسيحيين. فلا مجال للفيسمين أن يعترضوا على معراج النبي ﷺ عقلاً أو نقلاً. نعم يُردُّ عليهم أنه لا وجود للسوات على حكم علم الهيئة الجديد، فكيف يصدق عندهم أن أخنوخ وإيليا والمسيح عليهم السلام رفعوا إلى السماء، وجلس المسيح على يمين الله، واختطف مقدسهم إلى السماء الثالثة وإلى الفردوس ؟ وقد عرفنا مظهر البابويين وجهنهم، كما مر في الفصل الثاني من الباب الخامس، لكننا ما عرفنا فردوس المسيحيين : أهو على السماء الثالثة الموهومة كآنياب الأخوال عندهم أو فوقها، أو هو عبارة عن جهنم، كما يفهم بملاحظة الإنجيل وكتاب عقائدهم ؟ لأن المسيح قال للسارق المصلوب معه وقت الصلب أنك اليوم تكون معي في الفردوس. وهم يصرحون في العقيدة الثالثة من عقائدهم أنه نزل إلى جهنم. فإذا لاحظنا الأمرين يُعلم أن الفردوس عندهم جهنم. قال جواد بن ساباط في البرهان السادس عشر من المقالة الثانية من

كتابه ان القسيس كياروس سألني في حضور المترجمين : ماذا يعتقد المسلمون في معراج محمد ﷺ ؟ قلت انهم يعتقدون أنه من مكة الى اورشليم ومنه الى السماء. قال لا يمكن صعود الجسم الى السماء. قلت سألت بعض المسلمين عنه، فأجاب أنه يمكن كما أمكن لجسم عيسى عليه السلام. قال القسيس لم لم تستدل بامتناع الخرق والالتصام على الأفلاك ؟ قلت استدلت به، لكنه أجاب انهما ممكنان لمحمد ﷺ، كما كانا ممكنين لعيسى عليه السلام. قال القسيس : لم لم نقل ان عيسى إله له أن يتصرف ما يشاء في مخلوقاته ؟ قلت قد قلت ذلك لكنه قال ان ألوهية عيسى باطلة، لأنه يستحيل أن يطرأ على الله علامات العجز كالمضروبية والمصلوبية والموت والدفن. انتهى. ونقل بعض الأجباء أن قسيساً في بلد بنارس من بلاد الهند كان يقول في بعض المجامع تغليطاً لجهال المسلمين البنويين كيف تعتقدون المعراج وهو أمر مستبعد ؟ فأجابه مجوسي من مجوس الهند أن المعراج ليس ياشد استبعاداً من كون العذراء حاملة من غير زوج. فلو كان مطلق الأمر المستبعد كاذباً، فهذا أيضاً يكون كاذباً. فكيف تعتقدونه ؟ بهت القسيس.

٢ — قال الله تعالى : ﴿ أَفْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَآلَشِقِيَ الْقَمَرُ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ ﴾. " أخبر الله بوقوع الانشقاق بلفظ الماضي، فيجب تحقُّقه. وخمَلُهُ على معنى سينشق بعدد لأربعة أوجه : الأول أن قراءة حذيفة وقد انشق القمر وهي صريحة في الزمان الماضي، والأصل توافق القرائتين. والثاني أن الله أخبر باعراضهم عن آياته، والاعراض الحقيقي عنها لا يتصور قبل وقوعها. والثالث ان المفسرين المشهورين صرحوا بأن انشق بمعناه ورد، وأقول من قال بمعنى سينشق. والرابع أن الأحاديث الصحيحة تدل على وقوعه قطعاً. ولذلك قال شارح المواقف : « وهذا متواتر قد رواه جمع كثير من الصحابة كابن مسعود وغيره ». انتهى كلامه. وقال العلامة أبو نصر عبد الوهاب ابن الامام علي بن عبد الكافي بن تمام الأنصاري السبكي

في شرحه لمختصر بن الحاجب في الأصول : « والصحيح عندي أن انشقاق القمر متواتر منصوص عليه في القرآن مروي في الصحيحين وغيرهما ». انتهى كلامه. وأقوى شبهات المنكرين أن الأجرام العلوية لا يتأثر فيها الخرق والالتئام، وإن هذا الانشقاق لو وقع لم يخف على أهل الأرض كلها، ونقله مؤرخو العالم. والجواب أن هذه الشبهة ضعيفة جدا نقلا وعقلا. أما نقلا، فلسبعة أوجه :

**الوجه الأول :** إن حادثة طوفان نوح عليه السلام كانت ممتدة الى سنة وفني فيه كل ذي حياة من الطيور والبهائم والحشرات والانسان غير أهل السفينة، وما نجا من الانسان غير ثمانية أشخاص، على ما هو موضح به في الباب السابع والثامن من سفر التكوين. وفي الآية العشرين من الباب الثالث من الرسالة الأولى لبطرس هكذا : « في أيام نوح إذ كان القلث بيني الذي فيه خلص قليلون أي ثمانية أنفس بالماء ». والآية الخامسة من الباب الثاني من رسالته الثانية هكذا : « ولم يشفق على العالم القديم، بل إنما حفظ نوحا ثامنا كازراً للبر إذ جلب طوفاناً على عالم الفجار ». وما مضت على هذه الحادثة مدة الى هذا اليوم على زعم أهل الكتاب إلا مقدار أربعة آلاف ومائتين واثنى عشرة سنة شمسية. ولا يوجد هذا الحال في تواريخ مشركي الهند وكتبهم، وهم ينكرون هذا الأمر انكاراً بليغاً، ويستهزئ به علماءهم كافة، ويقولون لو قطع النظر عن الزمان السالف ونظر الى زمان كرش الأوتار الذي كان قبل هذا اليوم بمقدار أربعة آلاف وتسعمائة وستين سنة على شهادة كتبهم، لا مجال لصحة هذه الحادثة العامة. لأن الأمصار العظيمة الكثرة من ذلك العهد الى هذا الحين مغمورة، وثبت بشهادة تواريخهم أنه يوجد من ذلك الحد الى هذا الحين في إقليم الهند مليونات كثيرة في كل زمان من الأزمنة ويدعون أن حال زمان كرش لوجود كثرة التواريخ كحال أمس. وقال ابن خلدون في المجلد الثاني من تاريخه : « واعلم أن الفرس والهند لا يعرفون الطوفان وبعض الفرس يقولون كان بابل فقط ». انتهى كلامه بلفظه. وقال العلامة تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد المعروف بالمقريزي في المجلد الأول من كتابه المسمى بكتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط

والآثار : « الفرس وسائر المجوس والكلدانيون أهل بابل والهند وأهل الصين وأصناف الأمم المشرقية ينكرون الطوفان، وأقرَّ به بعض الفرس. لكنهم قالوا لم يكن الطوفان بسوى الشام والمغرب ولم يعم العمران كله ولا غرق إلا بعض الناس ولم يجاوز عقبة حلوان ولا بلغ الى ممالك المشرق ». انتهى كلامه بلفظه. وأبناء صنف القسيسين ينكرون هذا الطوفان ويستهزؤون به. وانقل كلام جان كلارك الملحد عن رسالته الثالثة المندرجة في كتابه المطبوع سنة ١٨٣٩ في ليدس فقال في الصفحة ٥٤ : « هذا — يعني الطوفان — غير صحيح على شهادة علم الفلسفة. وأنا أتعجب أُمات الحيتان في ماء هذا الطوفان ؟ ولما كان بحكم الآية الخامسة من الباب السادس من سفر التكوين أفكار قلوب الإنسان ذميمة، فلماذا أبقى الله ثمانية أشخاص ؟ لِمَ لَمْ يخلق الانسان مرة أخرى بعد إهلاك الكل ؟ ولماذا أبقى بضاعته القديمة التي بقيت الأفكار الذميمة باقية بسببها ؟ لأن الشجرة الرديئة لا تثمر ثمرة جيدة، كما قال متى في الآية السادسة عشر من الباب السابع. هل يجتنون من الشكوك عنياً أو من الحمك تيناً ؟ ونوح كان شارب الخمر وبهيمة وظالماً — والعباد بالله — كما يفهم من الآية ٢١ و ٢٥ من الباب التاسع من سفر التكوين، فكيف يُرحى منه أن يكون نسله صالحاً ؟ وانظروا أنه لم يكن صالحاً كما يظهر من الآية الثانية من الباب الثاني من رسالة بولس الى أهل أفسيس، والآية الثالثة من الباب الثالث من رسالته الى تيطس، والآية الثالثة من الباب الرابع من الرسالة الأولى لبطرس والآية الخامسة من الزبور الحادي والخمسين ». انتهى كلامه. ثم استهزأ في هذه الصفحة ٩٣ استهزاء بليغا جاوز الحد في إساءة الأدب. فلا أرضى بنقل كلامه القبيح.

**الوجه الثاني :** في الباب العاشر من كتاب يوشع على وفق الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٤٤ هكذا : ١٢ « حينئذ تكلم يسوع أمام الرب في اليوم الذي دفع الأمور في يدي بني اسرائيل، وقال أمامهم : أيتها الشمس مقابل جيعون لا تتحركي، والقمرُ مقابل قاع يلون ١٣ فوقك الشمس والقمر حتى انتقم الشعب من اعدائهم. أليس هذا مكتوباً في سفر الأبرار ؟ فوقفت الشمس في كبد السماء ولم تكن تعجل الى الغروب يوماً تاماً ». وفي الباب الرابع من

الصفة الثالثة من كتاب تحقيق الدين الحق المطبوع سنة ١٨٤٦ في الصفحة ٣٦٢ هكذا : « أما غربت الشمس بدعاء يوشع الى أربع وعشرين ساعة ؟ » انتهى كلامه. وهذه الحادثة عظيمة. وكانت على زعم المسيحيين قبل ميلاد المسيح بألف وأربعمائة وخمسين سنة. فلو وقعت لظهرت على الكل، ولا يمنع السحاب الغليظ علمه أيضا وهو ظاهر، ولا اختلاف الآفاق. لأننا لو فرضنا أن بعض الأمكنة كان فيها الليل في هذا الوقت لأجل الاختلاف، فلا بد أن تظهر لامتداد ليلهم بقدر أربع وعشرين ساعة. وهذه الحادثة العظيمة ليست مكتوبة في كتب تواريخ أهل الهند ولا أهل الصين ولا الفرس. وأنا سمعت من علماء مشركي الهند تكذيبها، وهم يجزمون بانها غلط يقيناً. وأبناء صنف الفسيسين يكذبونها ويستهزؤن بها، وأوردوا عليها اعتراضات : **الاعتراض الأول** أن قول يوشع ( أيتها الشمس، لا تتحركي ) وقوله ( فوقفت الشمس ) يدلان على أن الشمس متحركة والأرض ساكنة. وإلا كان عليه أن يقول : أيتها الأرض لا تتحركي، فوقفت الأرض. وهذا الأمر باطل بحكم علم الهيئة الحديد الذي يعتمد عليه حكماء أوروبا كلهم الآن، ويعتقدون ببطلان القديم. لعل يوشع ما كان يعلم هذه الحال أو هذه القصة كاذبة. **والاعتراض الثاني** أن قوله ( فوقفت الشمس في كبد السماء ) يدل على أن هذا الوقت كان نصف النهار. وهذا مخدوش أيضا بوجوه : أما أولا، فلأن بني اسرائيل كانوا قتلوا من المخالفين ألّوفا وهزموهم، ولما هربوا أمطر الرب عليهم حجارة كبارا من السماء. وكان الذين ماتوا بالحجارة أكثر من الذين قتلهم بنو اسرائيل. وهذه الأمور حصلت قبل نصف النهار، على ما هو مصرح به في الباب. فلا وجه لأضطراب يوشع عليه السلام في هذا الوقت، لأن المظفرين من بني اسرائيل كانوا كثيرين جدا، والباقون من المخالفين قليلين جدا، وكان الباقي من النهار مقدار النصف، فقتلهم قبل الغروب كان في غاية السهولة. وأما ثانيا، فلأن الوقت، لما كان نصف النهار، فكيف رأوا القمر في هذا الوقت ؟ على أن توقيفه لغو على قواعد الفلسفة. وأما ثالثا، فلأن الوقت، لما كان نصف النهار وكان بنو اسرائيل مشغولين بالمحاربة والاضطراب وما كان لهم شك في المقدار الباقي من النهار وما كانت الساعات عندهم في

ذلك الزمان، فكيف علموا أن الشمس قامت على دائرة نصف النهار بمقدار اثنتي عشرة ساعة، وما مالت إلى هذه المدة إلى جانب المغرب ؟ والاعتراض الثالث قال جان كلارك : « إن الله كان وعد أن جميع أيام الأرض زرع وحصاد، برد وحر، صيف وشتاء، ليل ونهار، لا تهدأ، كما هو مصرح به في الآية الثانية والعشرين من الباب الثامن من سفر التكوين. فإذا لم تغرب الشمس إلى المدة المذكورة هداً الليل في ذلك الوقت ».

**الوجه الثالث :** في الآية الثامنة من الباب الثامن والثلاثين في بيان رجوع الشمس بمعجزة أشعيا هكذا : « فرجعت الشمس عشر درجات في السراقي التي كانت قد انحدرت. وهذه الحادثة عظيمة. ولما كانت في النهار فلا بد أن تظهر لأكثر أهل العالم. وكانت قبل ميلاد المسيح بسبعمائة وثلاث عشرة سنة شمسية. وهذه الحادثة ليست مكتوبة في تواريخ أهل الهند والصين والفرس. وأيضاً يفهم منها حركة الشمس وسكون الأرض. وهذا أيضاً باطل على حكم علم الهيئة الجديد، على أن لو قطعنا النظر عن هذا، فنقول أن ههنا ثلاثة احتمالات : أما أن رجعت النهار فقط بمقدار عشر درجات، أو الشمس رجعت في السماء بهذا المقدار، كما هو الظاهر، أو رجعت حركة الأرض من المشرق إلى المغرب بهذا المقدار. وهذه الاحتمالات الثلاثة باطلة بحكم الفلسفة. وهذه الحوادث الثلاثة مسلمة عند اليهود والنصارى. والحوادث الباقية التي أذكرها تختص بالنصارى.

**الوجه الرابع :** في الباب السابع والعشرين من انجيل متى : <sup>١</sup> وإذا حجاب الهيكل قد انشق إلى اثنين من فوق إلى أسفل، والأرض زلزلت، والصخور تشقق ٥٢ والقبور تفتحت، وقام كثيرة من أجساد القديسين الراقدين ٥٣ وخرجوا من القبور بعد قيامه، ودخلوا المدينة المقدسة وظهروا لكثيرين ». وهذه الحادثة كاذبة يقيناً، كما عرفت في الفصل الثالث من الباب الأول، ولا توجد في تواريخ المخالفين القديمة من الرومانيين واليهود، ولم يذكر مرقس ولوقا تشقق الصخور وتفتح القبور وخروج كثير من أجساد القديسين ودخولهم في المدينة المقدسة، مع أن ذكرها كان أولى من ذكر صراخ عيسى عليه السلام عند الموت الذي قد اتفقا على ذكره. وتشقق الصخور من الأمور

التي يتبقى أثرها بعد الوقوع. والعجب أن متى لم يذكر أمر هؤلاء الموتى بعد انبعاثهم لأي الناس ظهوراً؛ وكان اللائق ظهورهم على اليهود ويلاطس ليؤمنوا بعيسى عليه السلام، كما كان اللائق على عيسى عليه السلام أن يظهر على هؤلاء بعد قيامه من الأموات ليزول الاشتباه ولا يبقى المجال لليهود أن تلاميذه أنوا ليلاً وسرقوا جثته. وكذا لم يذكر أن هؤلاء الموتى بعد الانبعاث رجعوا إلى أجدادهم، وأبقوا في الحياة. وقال بعض الظرفاء لعل متى فقط رأى هذه الأمور في المنام. على أنه يفهم من عبارة لوقا أن انشقاق حجاب الهيكل كان قبل وفاة عيسى عليه السلام خلافاً لمتى ومرقس.

**الوجه الخامس :** كتب متى ومرقس ولوقا في بيان صلب المسيح أن الظلمة كانت على الأرض كلها من الساعة السادسة إلى الساعة التاسعة. وهذه الحادثة لما كانت في النهار على الأرض كلها وممتدة إلى أربع ساعات، فلا بد أن لا يخفى على أكثر أهل العالم. ولا يوجد ذكرها في نوارىخ أهل الهند والصين والفرس.

**الوجه السادس :** إن متى كتب في الباب الثاني قصة قتل الأطفال، ولم يكتبها غيره من الانجيليين والمؤرخين.

**الوجه السابع :** في الباب الثالث من انجيل متى ولوقا، وفي الباب الأول من انجيل مرقس هكذا : « فساعة طلع من الماء رأى السموات قد انشقت والروح مثل حمامة نازلاً عليه، وكان صوت من السموات : أنت ابني الحبيب الذي به سررت ». انتهى بعبارة مرقس. فانشقاق السموات لما كان في النهار فلا بد أن لا يخفى على أكثر أهل العالم. وكذا رؤية الحمامة وسماع الصوت لا يخص بواحد دون واحد من الحاضرين. ولم يكتب أحد هذه الأمور غير الانجيليين. وقال جان كلارك مستهزئاً بهذه الحادثة : « إن متى أبقانا محرومين من الاطلاع العظيم، وهو أنه لم يُصرح أن السموات لما انفتحت هل انفتحت أبوابها الكبيرة أم المتوسطة أم الصغيرة ؟ وهل كانت هذه الأبواب في هذا الجانب من الشمس أو في ذلك الجانب ؟ ولأجل هذا السهو الذي صدر عن متى، فسوسنا يضربون الرؤوس متحيرين في تعيين الجانب ».

ثم قال : « وما أخبرنا أيضا أن هذه الحمامة هل أخذها أحد رحبها في القفص، أم رأوها راجعة الى جانب السماء ؟ ولو رأوها راجعة، ففي هذه الصورة لا بد أن تبقى أبواب السموات مفتوحة الى هذه المدة، فلا بد أنهم رأوا باطن السماء بوجه حسن، لأنه لا يُعلم أن بواباً كان عليها قبل وصول بطرس هناك. لعل هذه الحمامة كانت جنية ٥. انتهى كلامه.

**وأما بطلانها<sup>(١)</sup> عقلا**، فلوجوه ثمانية : الأول، إن انشقاق القمر كان في الليل وهو وقت الغفلة والنوم والسكون عن المشي والتردد في الطرق، سيما في موسم البرد. فإن الناس يكونون مستريحين في دواخل البيوت وزواياها مغلقين أبوابها، فلا يُكاد يعرف من أمور السماء شيئاً إلا من انتظره واعتنى به. ألا ترى الى خسوف القمر، فإنه يكون كثيراً وأكثر الناس لا يحصل لهم العلم به حتى يخبرهم أحد به في السحر. والثاني، إن هذه الحادثة ما كانت ممتدة الى زمان كثير، فما كان للناظر أن يذهب الى الغير الذي هو بعيد عنه وينتبه أو يوقظ النائم ويريه. والثالث، انها لم تكن متوقع الحصول لأهل العلم لينظروها في وقتها ويروها، كما أنهم يرون هلال رمضان والعبيدين والكسوف والخسوف في أوقاتها غالباً لأجل كونها متوقع الحصول، ولا يكون نظر كل واحد الى السماء في كل جزء من أجزاء النهار أيضاً، فضلاً عن الليل. فلذلك رأى الذين كانوا طالبين لهذه المعجزة، وكذلك من وقع نظره في هذا الوقت الى السماء، كما جاء في الأحاديث الصحيحة، ان الكفار لما رأوها قالوا سحرهم اين أي كيشة ؟ فقال أبو جهل هذا سحر، فابعدوا الى أهل الآفاق حتى تنظروا، رأوا ذلك أم لا. فاحير أهل آفاق مكة أنهم رأوه منتقاً، وذلك لأن العرب يسافرون في الليل غالباً ويقيمون بالنهار. فقالوا هذا سحر مستمر. وفي المقالة الحادية عشر من تاريخ فرشته أن أهل مليبار من اقليم الهند رأوه

(١) أي : شبهة المسكرين ان الاحرام العلوية لا تنأى عنها الخرق والالتزام. وسبق شرح بطلانها نقلاً وللتذكير، فلقد ورد ذكر هذه الشبهة في الشاهد الثاني على النوع الثاني من نوعي نراد معجرات محمد ﷺ التي هو موضوع المسالك الأول من الفصل الأول من الباب السادس من هذا الكتاب.



أيضا، وأسلم والي تلك الديار التي كانت من مجوس الهند بعدما تحقق له هذا الأمر. وقد نقل الحافظ المري عن ابن تيمية أن بعض المسافرين ذكر أنه وجد في بلاد الهند بناء قديما مكتوباً عليه بُني ليلة انشق القمر. والرابع، إنه قد يحول في بعض الأمكنة وفي بعض الأوقات بين الرائي والقمر سحب غليظ أو جبل. ويوجد التفاوت الفاحش في بعض الأوقات في الديار التي ينزل فيها المطر كثيرا بأنه يكون في بعض الأمكنة سحب غليظ ونزول المطر، بحيث لا يرى الناظر في النهار الشمس ولا هذا اللون الأزرق إلى ساعات متعددة. وكذا لا يُرى في الليل القمر والكواكب ولا اللون المذكور. في بعض أمكنة أخرى لا أثر للسحاب ولا للمطر. وتكون المسافة بين تلك الأمكنة والأمكنة الأولى قليلة، وأهل البلاد الشمالية، كالروم والفرنج في موسم نزول الثلج والمطر، لا يرون الشمس إلى أيام، فضلا عن القمر. والخامس، أن القمر لا يختلف مطالعه ليس في حد واحد لجميع أهل الأرض. فقد يطلع على قوم قبل أن يطلع على آخرين، فيظهر في بعض الآفاق وبعض المنازل على أهل بعض البلاد دون بعض. ولذلك نجد الخسوف في بعض البلاد دون بعض. ونجده في بعض البلاد باعتبار بعض أجزاء القمر، وفي بعضها مستوفياً أطرافه كلها، وفي بعضها لا يعرفها إلا الحاذقون في علم المجوم. وكثيرا ما يحدث الثقات من العلماء بالهيئة الفلكية عجائب يشاهدونها من أنوار ظاهرة وبجوم طالعة عظام تظهر في بعض الأوقات أو الساعات من الليل ولا علم لأحد بها من غيرهم. والسادس، أنه قلما يقع أن يبلغ عدد ناظري أمثال هذه الحوادث النادرة الوقوع إلى حد يفيد اليقين. وأخبار بعض العوام لا يكون معتبرا عند المؤرخين في الوقائع العظيمة. نعم يُعتبر أخبارهم أيضا في الحوادث التي يبقى أثرها بعد وقوعها، كالريح الشديد ونزول الثلج الكثير والبرد. فيجوز أن مؤرخي بعض الديار لم يعتبروا أخبار بعض العوام في هذه الحادثة وحملوه على تخطئة أبصار المخبرين العوام. وظنوا أنها تكون نحوا من الخسوف. والسابع، أن المؤرخين كثيرا ما يكتبون الحوادث الأرضية ولا يتعرضون للحوادث السماوية إلا قليلا، سيما مؤرخي السلف. وكان في زمان النبي ﷺ في ديار انكلتره وفرانس شيوع الجهل

واشتهارها بالصنائع والعلوم. إنما هو بعد زمانه <sup>صلى الله عليه وسلم</sup> بمدة طويلة. والثامن، أن المنكر إذا علم أن الأمر الفلاني معجزة أو كرامة للشخص الذي ينكره، تصدى لإخفائها ولا يرضى بذكرها وكتابتها غالباً، كما لا يخفى على مَنْ طالع الباب الحادي عشر من انجيل يوحنا والباب الرابع والخامس من كتاب الأعمال. فظهر أن لا اعتراض عقلاً ونقلًا على معجزة شق القمر. وقال صاحب ميزان الحق في النسخة المطبوعة سنة ١٨٤٣ في مرزاپور : « معنى الآية على قاعدة التفسير منسوب الى يوم القيامة، لأن لفظ الساعة المعروف باللام قصد منه الساعة المعلومة والوقت المعلوم، أعني القيامة. كما أن هذا اللفظ جاء بهذا المعنى في الآيات التي هي في آخر هذه السورة. ولأجل ذلك فسر بعض المفسرين منهم القاضي البيضاوي وغيره لفظ الساعة بمعنى القيامة، وقالوا ان من علامات يوم القيامة، بحكم هذه الآية، هذه العلامة أيضاً أن القمر سينشق ». انتهى كلامه. فادّعى أمرين : الأول، أن الصحيح على قاعدة التفسير أن يكون انشق بمعنى سينشق. والثاني، أن بعض المفسرين، منهم القاضي البيضاوي وغيره، فسروه هكذا. وكلاهما غلطان. أما الأول فلأن انشق صيغة ماضٍ، وشمله على معنى سينشق مجاز. ولا يُصار الى المجاز ما لم يتعذر الحمل على الحقيقة. وههنا لم يتعذر، بل يجب الحمل على معناه الحقيقي، كما عرفت آنفاً. وأما الثاني فلأنه يهتان صرف على البيضاوي، وهو ما فسر انشق بينشق، بل فسر بمعناه الماضي. لكنه بعدما فسر على مختاره، نقل قول البعض بصيغة التمريض، ثم ردّ قوله. فهذا القول مردود عنده. ولما اعترض صاحب الاستفسار على مؤلف الميزان على العبارة المذكورة وقال : « إن القيسس اما غالط أو مغلط للعوام ». تنبه المؤلف المذكور وغير هذه العبارة في النسخة الجديدة الفارسية المطبوعة سنة ١٨٤٩، ونسخة أردو المطبوعة سنة ١٨٥٠، وقال : « لفظ الساعة المعروف باللام في حالة الافراد جاء في كل موضع من القرآن بمعنى يوم القيامة. وجملة انشق القمر بسبب واو العطف ألحقت بجملة اقتربت الساعة، وتوجد في كل من الجملتين صيغة الماضي. فكما أن الفعل الأول اقتربت بمعنى المستقبل يعني سيجيء يوم القيامة، فكذا الفعل الثاني انشق أيضاً بمعنى سينشق. يعني إذا جاء يوم القيامة

ينشق القمر. وبعض العلماء المفسرين أيضا فسروا هكذا مثل الزمخشري والبيضاوي، وإن اعتقدا في تفسيرهما أن هذه الآية معجزة محمد ﷺ، لكنهما صرحا هكذا أيضا. وعن بعض الناس أن معناه ينشق يوم القيامة، وفي قراءة حذيفة وقد انشق القمر أي اقتربت الساعة. وقد حصل من آيات اقترابها أن القمر قد انشق وقال البيضاوي وقيل معناه سينشق يوم القيامة. انتهى ملخصا. فتنبه صاحب الميزان وغير العبارة. لكنه أعجب في تلخيص عبارة الكشاف، حيث أسقط بعض العبارة زاعما أنها غير مفيدة، ونقل قوله ( وفي قراءة حذيفة وقد انشق القمر ) الخ. وهذا القول لا يناسب مقصوده، لأنه نص في ثبوت المعجزة المذكورة إن قيل نقل هذا القول طردا. قلت : فحينئذ لا وجه لإسقاط بعض العبارة، وعبارة الكشاف هكذا : « وعن بعض الناس أن معناه : ينشق يوم القيامة. وقوله ( وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر ) يرده. وكفى به ردا قراءة حذيفة ( قد انشق القمر أي اقتربت الساعة ). وقد حصل من آيات اقترابها أن القمر قد انشق، كما تقول أقبل الأمير وقد جاء البشير بقدمه. وعن حذيفة أنه خعلب بالمدائن، ثم قال : ألا إن الساعة قد اقتربت، وإن القمر قد انشق على عهد نبيكم ». انتهى كلامه بلفظه. قوله لفظ ( الساعة ) المعروف باللام الخ، وكذا قوله جملة ( انشق القمر ) بسبب واو العطف الخ، لا يحصل منهما مقصوده. لعله فهم أن لفظ الساعة، لما كان بمعنى القيامة وانشقاق القمر من علاماته، فلا بد أن يكون متصلا بها واقعا فيها. وهذا غلط نشأ من عدم التأمل. قال الله تعالى في سورة محمد : ﴿ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا ﴾<sup>(١)</sup>. فقوله ( فقد جاء أشراطها ) يدل على أن أشراطها قد تحققت، لأن لفظة ( قد ) إذا دخلت على الماضي تكون نصا على وجود الفعل في الزمان الماضي القريب من الحال. فلذلك فسر المفسرون هذا القول هكذا في البيضاوي : « لأنه قد ظهرت إماراتها كميثاق النبي وانشقاق القمر ». وفي التفسير الكبير : « الأشرار والعلامات.

(١) سورة محمد ( ١٨ )

قال المفسرون هي مثل انشقاق القمر ورسالة محمد عليه السلام. وفي الجلالين أي علاماتها منها مبعث النبي ﷺ وانشقاق القمر والدخان. وعبارة الحسيني كالبياضوي قوله، فكما أن الفعل الأول ( اقتربت ) بمعنى المستقبل غلط لأنه بمعناه الماضي، وترجمته بالفارسية يعني ( رزقيامت خواهد آمد ) ليست بصحيحة، وما روي عن بعض الناس مردود عند المفسرين. ثم قال : « ولو سلمنا أن شق القمر وقع لا يكون معجزة محمد ﷺ أيضا لأنه لم يصرح في هذه الآية ولا في آية أخرى أن هذه المعجزة ظهرت على يد محمد ﷺ ». انتهى. أقول يدل على كونها معجزة الآية الثانية، والأحاديث الصحيحة التي صحتها بحسب الضابطة العقلية زائدة على صحة هذه الأناجيل المحرفة، المملوءة بالاغلاط والاختلافات، المروية برواية الآحاد، المفقود أسانيدها، المتصلة، كما علمت في الباب الأول والثاني. ثم قال « ان علاقة الآية الثانية بالآية الأولى أن المنكرين يرون في آخر الزمان علامات القيامة، ولا يؤمنون بها. بل يقولون على عادة كفار السلف انها سحر فاحش لا غير ». انتهى كلامه. وهذا أيضا غلط بوجهين : الأول، أن المنكر لا ينكر عناداً والكافر لا ينسب الأمر الخارق للعادة الى السحر، إلا إذا كان أحد ادعى ان هذا الأمر الخارق من معجزاتي أو كراماتي. واذا ظهرت علامات القيامة في آخر الزمان من غير الادعاء، فكيف ينكرها المنكرون ؟ وكيف يقولون انها سحر فاحش لا غير ؟ والثاني، ان انشقاق القمر في المستقبل لا يكون إلا في يوم القيامة خاصة، وفي هذا اليوم لا يقول الكفار انه سحر مستمر لظهور أمر القيامة في هذا اليوم على كل أحد، لا أن يكون أحد منهم عافلاً معانداً مثل هذا الموجه، فلعله يقول بزعمه أو يتفوه بهذا القول هذا الموجه بنفسه أو أمثاله من علماء پروتستنت بعد انبعاثهم من أجدانهم لرسوخ عناد الدين المحمدي في قلوبهم. ثم قال : « لو ظهرت هذه المعجزة على يد محمد لأخبر المعاندين الذين كانوا يطلبون منه معجزة بأنني شققت القمر في الوقت الفلاني فلا تكفروا ». وستطلع على جوابه في الفصل الثاني على أنتم وجه إن شاء الله. وقال صاحب وجهة الإيمان منكرأ لهذه المعجزة : « عدة أشخاص من المفسرين مثل الزمخشري والبيضاوي فسروا

هذا المقام بأن القمر ينشق يوم القيامة، ولو وقع لأشتهر في جميع العالم، ولا معنى لاشتهاره في إقليم واحد». انتهى كلامه ملخصاً. وقد ظهر لك مما ذكرنا أن كلا الأمرين ليسا بصحيحين يفينا. وهذا القسيس فاق مؤلف الميزان حيث أورد الدليل الثقلي والعقلي، وصرح باسم الكشف أيضاً لعله رأى في النسخة القديمة للميزان لفظاً كالبيضاوي وغيره، فظن أن المراد بالغير الكشف، لأن البيضاوي له مناسبة كثيرة بالكشف بالنسبة إلى التفاسير الأخرى. فصرح باسم الكشف ليحصل له الفضل على مؤلف الميزان. وصاحب الكشف قال في مبدأ تفسير هذه السورة: «انشقاق القمر من آيات رسول الله ﷺ ومن معجزاته النيرة». انتهى كلامه. وقال صاحب الرسالة التي ألفها في جواب مكتوب الفاضل نعمت علي الهندي معترضاً على هذه المعجزة: «لا يثبت من هذه الآية أن هذه المعجزة صدرت عن محمد ﷺ ولا يثبت هذا الأمر من التفاسير». انتهى. وهذا الثالث، بالخبر المنشق من الأولين، فاق كليهما حيث قال لا يثبت هذا الأمر من التفاسير. لعله اعتقد أن القسيس الأول صادق في قوله كالبيضاوي وغيره، والقسيس الثاني صادق في قوله مثل الزمخشري والبيضاوي. ثم قال حال سائر التفاسير على هذين التفسيرين. فقال (ولا يثبت هذا الأمر من التفاسير) ليحصل له الفضل على القسيسين الأولين ويظهر تبخره عند قومه بأنه طالع التفاسير كلها، فظهر أن كل لاحق من هؤلاء الثلاثة راد على سابقه. وهذا ليس بعجيب، لأن مثل هذا الأمر قد شاع بين المسيحيين في القرون الأولى، كما يظهر من رسائل الحوارين. وصار من المستحسّنات الدينية في القرن الثاني من القرون المسيحية، كما قال المؤرخ موشيم في بيان حال علماء القرن الثاني من القرون المسيحية في الصفحة ٦٥ من المجلد الأول من تاريخه المطبوع سنة ١٨٣٢: «كان بين متبعي رأي أفلاطون وفيثاغورس مقولة مشهورة أن الكذب والخداع لأجل أن يزداد الصدق وعبادة الله ليسا بجائزين فقط بل قابلان للتحسين، وتعلم أولاً منهم يهود مصر هذه المقولة قبل المسيح، كما يظهر هذا جزئاً من كثير من الكتب القديمة، ثم أثر وباء هذا الغلط السوء في المسيحيين، كما يظهر هذا الأمر من الكتب الكثيرة التي نسبت إلى الكبار كذباً». انتهى كلامه. وقال آدم كلارك

في المجلد السادس من تفسيره في شرح الباب الأول من رسالة بولس الى أهل غلاطية : « هذا الأمر محقق أن الأناجيل الكثيرة الكاذبة كانت رائجـة في أول القرون المسيحية. وكثرة هذه الأحوال الكاذبة الغير الصحيحة هيبت لوقا على تحرير الإنجيل. ويوجد ذكر أكثر من سبعين من هذه الأناجيل الكاذبة. والأجزاء الكثيرة من هذه الأناجيل باقية ». انتهى. وإذا نسب أسلافهم أكثر من سبعين انجيلا الى المسيح والحواريين ومريم عليها السلام، فأى عجب لو نسب هؤلاء القسوس الثلاثة لأجل تغليط عوام أهل الإسلام بعض الأمور الى تفاسير القرآن ؟ واعلم أن الرسالة الأخيرة كانت مشتهرة في الهند وكان القسيسون يقسمونها كثيرا في بلاده، لكن لما كتب عدة من علماء الإسلام عليها رداً واشتهر ما كتبوا تركوها وطبع ثلاثة كتب من كتب الرد عليها : الأول التحفة المسيحية لسيد الدين الهاشمي، والثاني تأييد المسلمين لبعض أقارب مجتهد شيعة لكهنؤا، والثالث خلاصة سيف المسلمين للفاضل حيدر علي القرشي.

٣١١ — في البيضاوي : « روى أنه لما طلعت قريش من العنقفل، قال عليه السلام : هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك. اللهم اني أسألك ما وعدتني. فأتاه جبريل عليه السلام وقال له : خذ قبضة من تراب فارمهم بها. فلما التقى الجمعان تناول كفا من الحصى فرمى بها في وجوههم، وقال : شأمت الوجوه. فلم يبق مشرك إلا شغل بعينه، فانهزموا وردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم. ثم لما انصرفوا أقبلوا على التفأخر، فيقول الرجل قتل وأسرت ». انتهى وقال الله تعالى : ﴿ وَمَا زَمَيْتْ إِذْ رَمَيْتْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَاتِلُ الظَّالِمِينَ ﴾

(١) كان المؤلف قد شـه في الصفحة ١٥٧ أن الأفعال التي ظهرت من محمد عليه السلام على خلاف العادة تريد على ألف، وطمأن انه لن يذكرها كلها، بل يكتفي بأربعين. وذكر الأول منها شارحاً اياه معلقاً، راداً على مكربه. وانتقل الى ثانيها مفصلاً، شارحاً، مفرعاً، مستطرداً، فأطال المقام لمقتضيات الجدول الموضوعي المدعوم بالحجة والسند والبرهان والعقل والشاهد. وما هو، هنا، يتابع ايراد هذه الأفعال فيذكر الثالث منها. وللتذكير، فإننا ما رلنا في المسلك الأول من الفصل الأول من الباب السادس

اللَّهُ رَمَى ﴿١١﴾ يعني ( وما رميت ) يا محمد رمياً توصلها الى أعينهم ولم تقدر عليه، ( إذ رميت ) أي أثبت بصورة الرمي، ( ولكن الله رمى ) أتى بما هو غاية الرمي، فأوصلها الى أعينهم جميعاً حتى انهزموا وتمكنتم من قطع دابرهم. وقال الفخر الرازي عليه الرحمة : « والأصح أن هذه الآية نزلت في يوم بدر، وإلا لدخل في أثناء القصة كلام أجنبي عنها. وذلك لا يليق، بل لا يبعد أن يدخل تحتها سائر الوقائع لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ». انتهى كلامه. وقد عرفت في المقدمة حال ما نفوه به صاحب ميزان الحق على هذه المعجزة. فلا أعيده.

٤ — نع الماء من بين أصابع النبي ﷺ في مواطن متعددة وهذه المعجزة أعظم من تفجر الماء من الحجر، كما وقع لموسى عليه السلام. فإن ذلك من عادة الحجر في الجملة. وأما من لحم ودم فلم يُعهد من غيره ﷺ. عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال : « رأيت رسول الله ﷺ وحانت صلاة العصر فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه فأتى رسول الله ﷺ بوضوء، فوضع رسول الله ﷺ في ذلك الاناء يده وأمر الناس أن يتوضؤوا منه. قال فوأتى الماء ينبع من أصابعه ﷺ، فتوضأ الناس حتى توضؤوا عن آخرهم ». وهذه المعجزة صدرت بالزوارع عند سوق المدينة.

٥ — عن جابر رضي الله عنه : « عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله ﷺ بين يديه ركوة، فتوضأ منها. وأقبل الناس نحوه، وقالوا ليس عندنا ماء إلا ما في ركوتك. فوضع النبي ﷺ يده في الركوة، فجعل الماء يثور من بين أصابعه كأمثال العيون ». وكان الناس ألفاً وأربعمائة.

٦ — عن جابر رضي الله عنه : قال : قال لي رسول الله ﷺ : يا جابر ناد بالوضوء. وذكر الحديث بطوله وانه لم نجد إلا قطرة في عزلاء شجب. فأتى به النبي ﷺ فغمره وتكلم بشيء لا أدري ما هو، وقال ناد بجفنة

(١) سورة الأأنفال (١٧).

الركب. فأثبت بها، فوضعتها بين يديه. وذكر أن النبي ﷺ بسط يده في الجفنة وفرق أصابعه، وحسب جابر عليه، وقال : بسم الله. قال فرأيت الماء يفر من بين أصابعه، ثم فازت الجفنة واستدارت حتى امتلأت. وأمر الناس بالاستقاء، فاستقوا حتى رويوا. فقلت هل بقي أحد له حاجة فرفع رسول الله ﷺ يده من الجفنة وهي مملوءة. وهذه المعجزة صدرت في غزوة بواط.

٧ — عن معاذ بن جبل في قصة غزوة تبوك « وأنهم وردوا العين وهي تبيض بشيء من ماء مثل الشراك، فغرفوا من العين بأيديهم حتى اجتمع في شيء، ثم غسل رسول الله ﷺ وجهه فيه وبديه ثم أعاده فيها فجرت بماء كثير. فاستقى الناس قال في حديث ابن اسحق : فانهرق من الماء ما له حس كحس الصواعق. ثم قال يوشك يا معاذ ان طالت بك الحياة أن ترى ما ههنا قد ملئ جنانا ».

٨ — عن عمران بن الحسين رضي الله عنهما أنه قال : « حين أصاب النبي ﷺ وأصحابه عطش في بعض أسفارهم، فوجه رجلين من أصحابه وأعلمهما أنهما يجدان امرأة بمكان كذا معها بعير عليه مزدانان [ الحديث ]. فوجداهما وأتيا بها النبي ﷺ فجعل في إناء من مزادتيها، وقال فيه ما شاء الله. ثم أعاد الماء في المزداتين. ثم فتحت عزاليها وأمر الناس، فملؤا أسقيتهم حتى لم يدعوا شيئاً إلا ملؤه. قال عمران : ويخيل لي أنهما لم تزدادا إلا امتلاء. ثم أمر فجمع للمرأة من الأزواد حتى ملؤا ثوبها. وقال اذهبي فانا لم نأخذ من مائك شيئاً ولكن الله سقانا ».

٩ — في حديث عمر رضي الله عنه في جيش العسرة. وذكر ما أصابهم من العطش حتى أن الرجل ينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه. فرغب أبو بكر الى النبي في الدعاء، فرفع يديه فلم يرجعهما حتى قالت السماء فانسكبت. فملؤا ما معهم من آنية ولم تجاوز المسكر.

١٠ — عن جابر رضي الله عنه أن رجلاً أتى النبي ﷺ يستطعمه فاستطعمه شطر وسق شعير. فما زال يأكل منه وأمرأته وضيغه حتى كله. فأتى النبي ﷺ فأخبره فقال لو لم تكله لأكلتم منه ولقاهم بكم.



١١ — عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ أطعم ثمانين رجلا من أقراص من شعير جاء بها أنس تحت يده، أي ابطه.

١٢ — عن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ أطعم يوم الخندق ألف رجل من صاع شعير وعناق قال جابر رضي الله عنه : فأقسم بالله لأأكلوا حتى تركوه وانحرفوا. وإن برمنا لتغط كما هي، وإن عجبنا ليخيز. وكان رسول الله ﷺ يصدق في العجيين والبرمة وبارك.

١٣ — عن أبي أيوب رضي الله عنه أنه صنع لرسول الله ﷺ ولأبي بكر زهاء ما يكفيهما. فقال له النبي ﷺ : ادع ثلاثين من أشراف الانصار. فدعاهم، فأكلوا حتى تركوا. ثم قال : ادع ستين. فكان مثل ذلك. ثم قال : ادع سبعين. فأكلوا حتى تركوه، وما خرج منهم أحد حتى أسلم وبايع. قال أبو أيوب رضي الله عنه : فأكل من طعامي مائة وثمانون رجلا.

١٤ — عن سمرة بن جندب : أتى النبي ﷺ بقصعة فيها لحم، فنعاقيوها من غدوة حتى الليل يقوم قوم ويقعد آخرون.

١٥ — عن عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما قال : كنا عند النبي ﷺ ثلاثين ومائة. وذكر في الحديث أنه عجن صاع من طعام، وصنعت شاة فشوى سواد بطنها. قال : وأيم الله ما من الثلاثين ومائة إلا وقد خز له حزة. ثم جعل منها قصعتين فأكلنا أجمعون وفضل في القصعتين فحملته على البعير.

١٦ — عن سلمة بن الأكوع وأبي هريرة وعمر بن الخطاب رضي الله عنهم. فذكروا مخمصة أصابت الناس مع رسول الله ﷺ في بعض مغازبه فدعا ببقية الأزواد، فجاء الرجل بالحنية من الطعام وفوق ذلك، وأعلامهم الذين يأتي بالصاع من التمر فيجمع على نطع. وقال سلمة فحزرتة كربضة العنز. ثم دعا الناس بأوعيتهم. فما بقي في الجيش وعاء إلا ملؤه وبقي منه.

١٧ — عن أنس أن النبي ﷺ حين ابتنى يزينب أمره أن يدعو له قوما ساء لهم حتى امتلأ البيت والحجرة. فقدم لهم تورا فيه قدر مد من تمر لجعل حيسا، فوضعه وعمس ثلاث أصابعه، وجعل القوم يتعدون ويخرجون، وبقي الثور نحوا مما كان.

١٨ — عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن فاطمة طبخت قدراً الغدائهما ووجهت علياً إلى النبي ﷺ ليتغدى معهما. فأمرها ففرت لجميع نسائه صحيفة صحيفة، ثم له عليه السلام، ثم لعلي، ثم لها، ثم رفعت القدر، وأنها لتفيض. قالت : فأكلنا منها ما شاء الله.

١٩ — عن جابر رضي الله عنه في دين أبيه بعد موته، وقد كان يذل لغيره أبيه أصل ماله فلم يقبلوه. ولم يكن في ثمرها كفاف دينهم فجاءه النبي ﷺ بعد أن أمره بجذها وجعلها يادراً في أصولها فمشى فيها ودعا فأروى منه جابر غرماء، وفضل مثل ما كانوا يجدون كل سنة.

٢٠ — قال أبو هريرة رضي الله عنه : أصاب الناس مخمصة. فقال لي رسول الله ﷺ : هل من شيء ؟ قلت نعم، شيء من الثمر في المزود. قال فأنتني به. فأدخل يده فأخرج قبضة فبسطها ودعا بالبركة، ثم قال ادع عشرة. فأكلوا حتى شبعوا. ثم عشرة كذلك، حتى أطعم الجيش كلهم، وشبعوا وقال خذ ما جئت به وأدخل يدك وأقبض منه ولا تكبه. فقبضت على أكثر ما جئت به. فأكلت منه وأطعمت حياة رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر إلى أن قتل عثمان، فانتهب مني فذهب. ومعجزة تكثير الطعام ببركة دعائه مروية عن بضعة عشر صحابياً، ورواه عنهم أضعافهم من التابعين، ثم من لا يُعدُّ بعدهم. وأكثرها وردت في قصص مشهورة ومجامع مشهورة. ولا يمكن التحدث عنها إلا على وفق الصدق حذراً من التكذيب. وإنما حصل النبي ﷺ أولاً الماء القليل أو الطعام القليل، ثم كثره ولم يخترع من بدء الأمر من العدم إلى الوجود الماء الكثير أو الطعام الكثير مراعاة للأدب بحسب الظاهر، ليعلم أن الموجد هو الله. وإنما حصلت البركة بسبب النبي ﷺ، وإن كان التكثير أيضاً في الحقيقة من جانب الله كالأيجاد. وهكذا فعله الأنبياء كما يظهر من معجزة إيلياء عليه السلام في تكثير الدقيق والزيت في بيت امرأة أرملة، على ما صرح به في الباب السابع عشر من سفر الملوك الأول، ومن معجزة اليسع عليه السلام في تكثير عشرين خبزاً من شعير وسنبل مفروك في منديل حتى أكل مائة رجل وفضل، كما هو مُصرح به في الباب الرابع من سفر الملوك

الثاني، ومن معجزة عيسى عليه السلام في تكثير خمسة أرغفة وسككين على ما صرح به في الباب الرابع عشر من انجيل متى.

٢١ — عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فدنا منه اعرابي فقال : يا اعرابي أين تريد ؟ قال : أهلي. قال : هل لك الى خير ؟ قال : وما هو ؟ قال : أن تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله. قال من يشهد لك على ما تقول ؟ قال هذه الشجرة السمرة وهي بشاطئ الوادي. فأقبلت تحبذ الأرض حتى قامت بين يديه، فاستشهدها ثلاثا، فشهدت أنه كما قال، ثم رجعت الى مكانها.

٢٢ — عن جابر رضي الله عنه : ذهب رسول الله ﷺ يقضي حاجته فلم ير شيئا يستتر به، فإذا بشجرتين بشاطئ الوادي، فانطلق رسول الله ﷺ الى احدهما فأخذ بغصن من أغصانها، فقال : انقادي علي باذن الله. فانقادت معه كالبعير المحتشوش الذي يصانع قائده. وذكر جابر أنه فعل بالأخرى كذلك، حتى إذا كان المنصف بينهما قال : التثما علي باذن الله. فالتثمتا. فجلس خلفهما، فخرجت أخضر، وجلست أحدث نفسي، فالتفت، فإذا رسول الله ﷺ مقبلاً والشجرتان قد افترقتا، فقامت كل واحدة منهما على ساق.

٢٣ — عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال لاعرابي أرايت أن دعوت هذا العذق من هذه النخلة أتشهد أنني رسول الله ؟ قال نعم. فدعاه فجعل ينقذ حتى أتاه. فقال ارجع، فعاد الى مكانه.

٢٤ — عن جابر رضي الله عنه، كان المسجد مسقوفا على جذوع نخل، وكان النبي ﷺ إذا خطب يقوم الى جذع منها فلما صنع له المنبر سمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار، وفي رواية أنس، حتى ارتج المسجد لحواره، وفي رواية سهل، وكثر بكاء الناس لما رأوا به، وفي رواية المطلب حتى تصدغ وانشق، حتى جاء النبي ﷺ فوضع يده عليه فسكت. والخبر بانين الجذع وحنينه، باعتبار منبئه، مشهور عند السلف والخلف. وباعتبار معناه متواتر يفيد العلم القطعي. رواه من الصحابة بضعة عشر منهم أبي بن كعب وأنس ابن مالك وعبد الله بن عمرو وعبد الله بن عباس وسهل بن سعد الساعدي

وأبو سعيد الخدري وبريدة وأم سلمة والمطلب بن أبي وداعة رضي الله عنهم، كلهم يحدثون بمعنى هذا الحديث، وإن كانت ألفاظهم مختلفة في باب التحديث، فلا شك في حصول التواتر المعنوي.

٢٥ — عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان حول البيت ستون وثلاثمائة صنم مبنية الأرجل بالرصاص في الحجارة. فلما دخل رسول الله ﷺ المسجد عام الفتح جعل يشير بقضيب في يده إليها ولا يمسه، ويقول جاء الحق وزهق الباطل، إن الباطل كان زهوقاً. فما أشار إلى وجه صنم إلا وقع لقفاه، ولا لقفاه إلا وقع لوجهه، حتى ما بقي منها صنم.

٢٦ — دعا النبي ﷺ رجلاً إلى الإسلام، فقال لا تؤمن بك حتى تحيي لي ابنتي. فقال ﷺ أرني قبرها. فأراه إياه. فقال ﷺ يا فلانة. قالت ليك وسعديك. فقال النبي ﷺ أتخبرين أن ترجعي إلى الدنيا؟ فقالت لا، والله يا رسول الله، إني وجدت الله خيراً لي من أبوي، ووجدت الآخرة خيراً من الدنيا.

٢٧ — ذبح جابر رضي الله عنه شاة وطبخها وثرثد في جفنة وأتى بها رسول الله ﷺ، فأكل القوم. وكان عليه الصلاة والسلام يقول لهم كلوا ولا تكسروا عظاماً. ثم أنه ﷺ جمع العظام ووضع يده عليها، ثم تكلم بكلام، فإذا الشاة قامت تنفض ذنبها.

٢٨ — عن سعد بن وقاص رضي الله عنه قال إن رسول الله ﷺ ليناولني السهم لا نصل به، فيقول أرم به. وقد رمى رسول الله ﷺ يومئذ عن نفسه حتى اندقت، وأصيبت يومئذ عين قتادة يعني ابن النعمان حتى وقعت على وجنته. فردها رسول الله ﷺ فكانت أحسن عينيه.

٢٩ — عن عثمان بن حنيف، أن أعمى قال لرسول الله ﷺ أدع الله أن يكشف لي عن بصري. قال: فانطلق فتوضأ، ثم صل ركعتين، ثم قل اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة. يا محمد إني أتوجه بك إلى ربك أن يكشف لي عن بصري، اللهم شفعه في. قال فرجع وقد كشف الله عن بصره.

٣٠ - ابن ملاعب الأسنة أصابه استسقاء، فبعث الى النبي ﷺ، فأخذ بيده حثوة من الأرض ففعل عليها فاعطاها رسوله فأخذها متعجباً يرى ان قد هزى به. فأناها بها وهو على شفاء. فشربها فشفاه الله تعالى. /٣١/ عن حبيب بن فديك أن أباه ابيضت عيناه، فكان لا يبصر بهما شيئاً. فنفث رسول الله ﷺ في عينيه، فأبصر. فرأته يدخل الابر، وهو ابن ثمانين. /٣٢/ ثقل في عيني علي رضي الله عنه يوم خيبر وكان رمداً، فأصبح بارئاً. /٣٣/ نفث علي ضربة بساق سلمة بن الأكوع يوم خيبر فبرأت. /٣٤/ أنه امرأة من خثعم معها صبي به بلاء لا يتكلم. فأتى بماء فمضمض فاه وغسل يديه، ثم أعطاها إياه وأمر بسقيه ومسه به. فبرأ الغلام وعقل عقلاً يفضل عقول الناس. /٣٥/ عن ابن عباس رضي الله عنهما : جاءت امرأة باين لها به جنون، فمسح صدره فخرج من جوفه مثل الجرو الأسود فشفى. /٣٦/ انكفأت القدر على ذراع محمد بن حاطب وهو طفل، فمسح عليه، ودعا له، وثقل فيه فبرأ لحينه. /٣٧/ كانت في كف شرحبيل الجعفي سلعة تمنعه القبض على السيف وعنان الدابة، فشكاها للنبي ﷺ. فما زال يطحنها حتى رفعها ولم يبق لها أثر. /٣٨/ عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قالت أمي يا رسول الله خادمك أنس ادع الله له، فقال اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيما آتيت. قال أنس : فوالله ان مالي لكثير وان ولدي وولد ولدي ليعادون اليوم على نحو المائة. /٣٩/ دعا علي كسرى حين مرق كتابه أن يمزق الله ملكه، فلم تبق له باقية ولا بقيت لفارس رياسة في سائر أقطار الدنيا. /٤٠/ عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما أنها أخرجت جبة طيانية، وقالت أن رسول الله ﷺ كان يلبسها فتحل نعلها للرمضى يششفى بها.

وهذه المعجزات، وإن لم يتواتر كل واحد منها، فالقدر المشترك بينها متواتر بلا شبهة، كشجاعة علي وسخاوة حاتم، وهذا القدر يكفي. والحالات التي نقلها مرقس ولوفا كلها آحاد ليس اعتبارها مثل الأحاديث الصحيحة المروية بروايات الآحاد الثابتة أساسها المتصلة، بل الحالات التي اتفق على نقلها الانجيليون الأربعة آحاد لا يزيد اعتبارها عندنا على رواية الآحاد، كما عرفت في الباب الأول.

**المسلك الثاني<sup>(١)</sup> :** انه قد اجتمع فيه من الأخلاق العظيمة والأوصاف الجزيلة والكمالات العلمية والعملية، والمحاسن الراجعة الى النفس والبدن والنسب والوطن، ما يجزم العقل بأنه لا يجتمع في غير نبي. فان كل واحد منها، وإن كان يوجد في غير النبي ايضاً، لكن مجموعها مما لا يحصل إلا للأنبياء. فاجتماعها في ذاته ﷺ من دلائل النبوة. وقد أقر المخالفون أيضاً بوجود أكثر هذه المحاسن في ذاته ﷺ. مثلاً إسحاق هميس المسيحي من الذين هم أشد أعداء النبي ﷺ، والطاعنين في حقه. لكنه اضطر في الإقرار بوجود أكثر الأمور المذكورة في ذاته ﷺ، كما نفل سيل فوله في مقدمة ترجمة القرآن في الصفحة السادسة من النسخة المطبوعة سنة ١٨٥٠ هكذا : « إنه كان حسن الوجه وذكياً، وكانت طريقته مرضية. وكان الاحسان الى المساكين شيمته. وكان يعامل الكل بالخلق الحسن. وكان شجاعاً على الأعداء. وكان يعظم اسم الله تعظيماً عظيماً. وكان يشدد على المفتريين والذين يرمون البراء، والزانيين والمقاتلين وأهل الفضول والطامعين وشهود الزور، تشديداً بليغاً. وكانت كثرة وعظه في الصبر والعجود والرحم والبر والإحسان وتعظيم الأيوين والكبار ونوqبرهم وتكريمهم. وكان عابداً مرتاضاً في الغابة ». انتهى كلامه.

**المسلك الثالث :** مَنْ نظر الى ما اشتملت شريعته الغراء عليه مما يتعلق بالاعتقادات والعبادات والمعاملات والسياسات والآداب والحكم، علم قطعاً أنها ليس إلا من الوضع الإلهي والوحي السماوي، وأن المبعوث بها ليس إلا نبياً. وقد عرفت في الباب الخامس أن اعتراضات القسيسين عليها ضعيفة جداً منشؤها العناد الصرف والاعتساف.

**المسلك الرابع :** إنه عليه السلام ادعى بين قوم لا كتاب لهم ولا حكمة

(١) للتذكير : كان المؤلف قد أشار في بداية الفصل الأول من هذا الباب ص ١٥١ انه جعل هذا الفصل ستة مسائل. وكل ما ورد سابقاً من أصل وتقسيم ومتفرع اما هو تفصيل للمسلك الأول... وبتابع المؤلف هنا ايراد المسالك الباقية.

فيهم أني بعثت من عند الله بالكتاب المنير والحكمة الباهرة لأتور العالم بالإيمان والعمل الصالح، وانتصب مع ضعفه وفقره وقلة أعوانه وأنصاره، مخالفاً لجميع أهل الأرض آحادهم وأوساطهم وسلاطينهم وجابريتهم، فضلل آراءهم وسفه أحلامهم وأبطل مللهم وهدم دولهم وظهر دينه على الأديان في مدة قليلة شرقاً وغرباً، وزاد على مر الأعصار والأزمان، ولم يقدر الأعداء مع كثرة عددهم وعددهم وشدة شكونهم وشكيمتهم وفرط تعصبيهم وحسيتهم وبذل غاية جهدهم في إطفاء نور دينه وطمس آثار مذهبه. فهل يكون ذلك إلا بعون الهي وتأيد سماوي؟ ولنعم ما قال غملائيل معلم اليهود لهم في حق الحواريين: «يا أيها الرجال الاسرائيليون احترزوا لأنفسكم من جهة هؤلاء الناس فيما أنتم مزمعون أن تفعلوا ٣٦ لأنه قبل هذه الأيام قام ثوداس قائلاً عن نفسه أنه شيء الذي التصق به عدد من الرجال نحو أربعمائة الذي قتل، وجميع الذين انقادوا إليه تبددوا وصاروا لا شيء» ٣٧ بعد هذا قام يهودا الجليلي في أيام الاكتتاب وأزاغ وراء شعباً غفيراً. فذاك أيضاً هلك، وجميع الذين انقادوا إليه تشتتوا ٣٨ والآن أقول لكم تنحروا عن هؤلاء الناس واتركوهم لأنه إن كان هذا الرأي وهذا العمل من الناس فسوف ينقض ٣٩ وإن كان من الله فلا تقدرون أن تنقضوه، لئلا توجنوا محاريين لله أيضاً». كما هو موضح به في الباب الخامس من كتاب الأعمال. والآية السابعة من الزبور الأول هكذا: «لأن الرب يعرف الصديقين وطريق المنافقين تهلك». والآية السادسة من الزبور الخامس هكذا: «وتهلك كل الذين يتكلمون بالكذب. الرجل السافك الدماء والغاش يرذله الرب» والآية السادسة عشر من الزبور الرابع والثلاثين هكذا: «وجه الرب على الذين يعملون المساوئ ليبيد من الأرض ذكرهم». وفي الزبور السابع والثلاثين هكذا: «١٧ لأن سواعد الخطاة تنكسر، والرب يعضد الصديقين ٢٠ الخطاة فيهلكون وأعداء الرب جميعاً إذ يمجدون ويرتفعون يبيدون، وكالدخان يفنون». فلو لم يكن محمد ﷺ من الصديقين لأهلك الرب طريقه ورذله وأباد ذكره من الأرض وكسر سواعده وأفناه كالدخان، لكنه لم يفعل شيئاً منها. فكان محمد ﷺ من الصديقين. ولعمري إن علماء يروستنت في تكذيب الدين

المحمدي محاربون لله. لكن الوقت قريب فسوف يعلمون : ﴿ وَسَيَعْلَمُ  
 الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾<sup>(١)</sup> ولا بقدرتون على نفضه البتة، كما  
 وعد الله : ﴿ يُرِيدُونَ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ — أي دين الإسلام — بِأَفْوَاهِهِمْ —  
 أي بأقوالهم الباطلة — وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ — أي مبلغه وغايته — وَلَوْ كَرِهَ  
 الْكَافِرُونَ ﴾<sup>(٢)</sup> أي اليهود والنصارى والمشركون. ولنعم ما قيل :

ألا قل لمن ظلّ لي حاسدا \* أتدري على من أسأت الأدب  
 أسأت على الله في فعله \* لأنك لم ترض لي ما وهب

**المسلك الخامس :** انه ظهر في وقت كان الناس محتاجين الى مَنْ  
 يهديهم الى الطريق المستقيم ويدعوهم الى الدين القويم، لأن العرب كانوا  
 على عبادة الأوثان ووآد البنات، والفرس على اعتقاد الالهين ووطء الامهات  
 والبنات، والترك على تخريب البلاد وتعذيب العباد، والهند على عبادة البقر  
 والسجود للشجر والحجر، واليهود على الجحود ودين التشبيه وترويج  
 الأكاذيب المغترية، والنصارى على القول بالتثليث وعبادة الصليب وصور  
 القديسين والقديسات. وهكذا سائر الفرق في أودية الضلال والانحراف عن  
 الحق والاشتغال بالمحال. ولا يلقي بحكمة الله الملك العمين أن لا يرسل في  
 هذا الوقت أحداً يكون رحمةً للعالمين. وما ظهر أحد يصلح لهذا الشأن  
 العظيم ويؤسس هذا البنيان القويم غير محمد بن عبد الله ﷺ. فأزال الرسوم  
 الزائفة والمقالات الفاسدة، وأشرقت شمس التوحيد وأقمار التنزيه، وزالت  
 ظلمة الشرك والنوبة والتثليث، والتشبيه عليه من الصلاة أفضلها، ومن التحيات  
 أكملها، وإليه أشار الله تعالى بقوله : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا  
 يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الْأَرْسَلِ أَنَّ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ  
 جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾<sup>(٣)</sup> قال الفخر الرازي قدس

(١) سورة الشعراء ( ٢٤٧ ).

(٢) سورة الصف ( ٨ ).

(٣) سورة المائدة ( ١٩ ).



سره في تفسيره هذه الآية : « الفائدة في بعثة محمد ﷺ عند فترة من الرسل هي أن التغير والتحريف قد تطرق الى الشرائع المتقدمة لتقادم عهدها وطول زمانها. وبسبب ذلك اختلط الحق بالباطل والصدق بالكذب، وحصار ذلك عذرا ظاهرا في اعراض الخلق عن العبادات، لأن لهم أن يقولوا يا الهنا عرفنا أنه لا بد من عبادتك، ولكننا ما عرفنا كيف نعيد فبعث الله تعالى في هذا الوقت محمدا عليه السلام ازالة لهذا العذر ». انتهى كلامه بلفظه.

**المسلك السادس :** أخبار الأنبياء المتقدمين عليه عن نبوته عليه السلام. ولما كان القسيسون يغفلون العوام في هذا الباب تغليطا عظيما استحسنت أن أقدم على نقل تلك الأخبار أمورا ثمانية تفيد للنظر بصيرة :

**الأمر الأول :** أن الأنبياء الاسرائيلية مثل أشعيا وأرميا ودانيال وحزقيال وعيسى عليهم السلام أخبروا عن الحوادث الآتية، كحادثة بختنصر وقورش واسكندر وخلفائه، وحوادث أرض ادوم ومصر ونيوى وبابل، ويعد كل البعد أن لا يخبر أحد منهم عن خروج محمد ﷺ الذي كان وقت ظهوره كاصغر البقول، ثم صار شجرة عظيمة تتأوى طيور السماء في أغصانها، فكسر الجبابرة والاكاسرة، وبلغ دينه شرقا وغربا، وغلب الأديان وامتد دهرها بحيث مضى على ظهوره مدة ألف ومائتين وثمانين الى هذا الحين، ويمتد إن شاء الله الى آخر بقاء الدنيا. وظهر في أمته ألوف ألوف من العلماء الربانيين والحكماء المتقنين والأولياء ذوي الكرامات والمجاهدات والسلطين العظام. وهذه الحادثة كانت أعظم الحوادث، وما كانت أقل من حادثة أرض ادوم ونيوى وغيرهما. فيكف يجوز العقل السليم أنهم أخبروا عن الحوادث الضعيفة وتركوا الأخبار عن الحادثة العظيمة ؟

**الأمر الثاني :** ان النبي المتقدم إذا أخبر عن النبي المتأخر لا بشرط في اخباره ان يخبر بالتفصيل التام بأنه يخرج من القبيلة الفلانية في السنة الفلانية في البلد الفلاني، وتكون صفته كيت وكيت، بل يكون هذا الاخبار، في غالب الأوقات، محملا عند العوام. وأما عند الخواص فقد يصير جليا بواسطة القرائن، وقد يقى خفيا عليهم أيضا لا يعرفون مصداقه إلا بعد إدعاء النبي

اللاحق أن النبي المتقدم أخبر عني وظهور صدق ادعائه بالمعجزات وعلامات  
 النبوة. وبعد الادعاء وظهور صدقه يصير جلياً عندهم بلا ريب. ولذلك  
 يعانون كما عاتب المسيح عليه السلام علماء اليهود بقوله : « ويل لكم أيها  
 الناموسيون لأنكم أخذتم مفتاح المعرفة ما دخلتم أنتم والداخلون منعموهم » .  
 كما هو مُصرح به في الباب الحادي عشر من انجيل لوقا. وعلى مذاق  
 المسيحيين قد يبقى خفياً على الأنبياء فضلاً عن العلماء، بل قد يبقى خفياً  
 على النبي المخبر عنه على زعمهم. في الباب الأول من انجيل يوحنا هكذا :  
 « ١٩ وهذه هي شهادة يوحنا حين أرسل اليهود من أورشليم كهنة ولاويين  
 ليسألوه من أنت ٢٠ فاعترف ولم ينكر وأقر أنني لست أنا المسيح ٢١ فسألوه  
 من انت اذا ؟ أنت ايلياء ؟ فقال لست أنا ايلياء، فسألوه أنت النبي ؟ فاجاب  
 لا ٢٢ فقالوا له من أنت لتعطي جواباً للذين أرسلونا ماذا تقول عن نفسك  
 ٢٣ قال أنا صوت صارخ في البرية قوموا طريق الرب كما قال أشعيا النبي  
 ٢٤ وكان المرسلون من الفريسيين ٢٥ فسألوه وقالوا له فما بالك تعدد ان  
 كنت لست المسيح ولا ايلياء ولا النبي » . والآلف واللام في لفظ النبي الواقع  
 في الآية ٢١ و ٢٥ للعهد، والمراد النبي المعهود الذي أخبر عنه موسى عليه  
 السلام في الباب الثامن عشر من سفر الاستثناء، على ما صرح به العلماء  
 المسيحية. فالكهنة واللاويون كانوا من علماء اليهود وواقفين على كتبهم،  
 وعرفوا أيضاً أن يحيى عليه السلام نبي، لكنهم شكوا في أنه المسيح عليه  
 السلام أو ايلياء عليه السلام أو النبي المعهود الذي أخبر عنه موسى عليه  
 السلام، فظهر منه أن علامات هؤلاء الأنبياء الثلاثة لم تكن مصرحة في كتبهم  
 بحيث لا يبقى الاشتباه للخواص فضلاً عن العوام. فلذلك سألوا أولاً أنت  
 المسيح ؟ فبعدما أنكر يحيى عليه السلام عن كونه مسيحاً، سألوه أنت ايلياء ؟  
 فبعد ما أنكر عن كونه ايلياء أيضاً، سألوه أنت النبي المعهود ؟ ولو كانت  
 العلامات مصرحة لما كان للشك محل، بل ظهر منه أن يحيى عليه السلام لم  
 يعرف نفسه انه ايلياء حتى أنكر، فقال لست أنا. وقد شهد عيسى أنه ايلياء في  
 الباب الحادي عشر من انجيل متى قول عيسى عليه السلام في حق يحيى عليه  
 السلام هكذا : « وان أردتم أن تقبلوا فهذا هو ايلياء المزمع أن يأتي » وفي

الباب السابع عشر من انجيل متى هكذا : ١٠ » وسأله تلاميذه قائلين فلماذا يقول الكتبة ان ايلياء ينبغي أن يأتي أولاً ١١ فأجاب يسوع وقال لهم ان ايلياء يأتي أولاً ويرد كل شيء ١٢ ولكني أقول لكم ان ايلياء قد جاء ولم يعرفوه، بل عملوا به كل ما أرادوا. كذلك ابن الانسان أيضاً سوف يتألم منهم ١٣ حيثئذ فهم التلاميذ انه قال لهم عن يوحنا المعمدان ». وظهر من العارة الأخيرة أن علماء اليهود لم يعرفوه بأنه ايلياء وفعلوا به ما فعلوا، وان الحواريين أيضاً لم يعرفوه بأنه ايلياء، مع أنهم كانوا أنبياء في زعم المسيحيين وأعظم رتبة من موسى عليه السلام، كانوا اعتمدوا من يحيى ورأوه مراراً، وكان مجيئه ضرورياً قبل الهمهم ومسيحهم. وفي الآية ٢٣ من الباب الأول من انجيل يوحنا قول يحيى هكذا : « وأنا لم أكن أعرفه، لكن الذي أرسلني لأعبد بالماء ذاك قال لي الذي ترى الروح نازلاً ومستقراً عليه، فهذا هو الذي يعبد بالروح القدس » ومعنى قوله ( وأنا لم أكن أعرفه ) على زعم القسيسين، أنا لم أكن أعرفه معرفة جيدة بأنه المسيح الموعود به. فقلتم أن يحيى عليه السلام ما كان يعرف عيسى عليه السلام معرفة يقينية بأنه المسيح الموعود به الى ثلاثين سنة ما لم ينزل الروح القدس، لعل كون ولادة المسيح من العذراء لم يكن من العلامات المختصة بالمسيح، وإلا فكيف يصح هذا ؟ لكنني أقطع النظر عن هذا وأقول أن يحيى أشرف الأنبياء الإسرائيلية بشهادة عيسى عليه السلام، كما هو مُصرح به في الباب الحادي عشر من انجيل متى، وأن عيسى عليه السلام إلهه وربه على رعم المسيحيين، وكان مجيئه ضرورياً قبل المسيح. وكان كونه ايلياء يقينياً، فإذا لم يعرف هذا النبي الأشرف نفسه الى آخر العمر ولم يعرف الله وربه الى المدة المذكورة، وكذا لم يعرف الحواريون الذين هم أفضل من موسى وسائر الأنبياء الإسرائيلية مدة حياة يحيى أنه ايلياء، فماذا رتبة العلماء والعوام عندهم في معرفة النبي اللاحق بخير النبي المتقدم عنه وترددهم فيه ؟ وقيافا رئيس الكهنة كان نبيا على شهادة يوحنا، كما هو مُصرح به في الآية الحادية والخمسين من الباب الحادي عشر من انجيله، وهو أقتى بقتل عيسى عليه السلام وكفره وأهانته، كما هو مُصرح به في الباب السابع والعشرين من انجيل متى. ولو كانت علامات المسيح في

كتبهم مُصرحة بحيث لا يبقى الاشتباه على أحد، ما كان مجال لهذا النبي، المفتي بقتل الهدهد وبكفره، أن يفتي بقتله وكفره. ونقل متى ولوقا في الباب الثالث ومرقس ويوحنا في الباب الأول من أناجيلهم خبر أشعيا في حق يحيى عليهما السلام، وأقر يحيى عليه السلام بأن هذا الخير في حقه على ما صرح به يوحنا. وهذا الخبر في الآية الثالثة من الباب الأربعين من كتاب أشعيا هكذا : « صوت المنادي في البرية سهلوا طريق الرب أصلحوا في البوادي سبيلا لآلهنا ». ولم يذكر فيه شيء من الحالات المختصة بيحيى عليه السلام، لا من صفاته ولا من زمان خروجه، ولا مكان خروجه، بحيث لا يبقى الاشتباه. ولو لم يكن ادعاء يحيى عليه السلام بأن هذا الخير من حقه، كذا ادعاء مؤلفي العهد الجديد، لما ظهر هذا للعلماء المسيحية وخواصهم فضلا عن العوام. لأن وصف النباء في البرية يعم أكثر الأنبياء الاسرائيلية الذين جاؤا من بعد أشعيا عليه السلام، بل يصدق على عيسى عليه السلام أيضا لأنه كان ينادي مثل نداء يحيى عليه السلام « توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السماء ». وسيظهر لك في الأمر السادس حال الاخبار التي نقلها الانجيليون في حق عيسى عليه السلام عن الأنبياء المتقدمين عليهم السلام. ولا ندعي أن الأنبياء الذين أخبروا عن محمد ﷺ كان اخبار كل منهم بصفته مفصلا، بحيث لا يكون فيه مجال التأويل للمعاند. قال الإمام الفخر الرازي في ذيل تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (١) : « واعلم أن الاظهر في الباطل في قوله بالباطل أنها باء الاستعانة كالتي في قولك كتبت بالقلم. والمعنى لا تلبسوا الحق بسبب الشبهات التي توردها على السامعين. وذلك لأن النصوص الواردة في التوراة والانجيل في أمر محمد عليه السلام كانت بصورة خفية تحتاج في معرفتها الى الاستدلال. ثم انهم كانوا يجادلون فيها ويشوشون وجه الدلالة على المتأملين فيها بسبب القاء الشبهات ». انتهى كلامه بلفظه. قال المحقق عبد الحكيم السبكي الكوفي في

(١) سورة الفرقه ( ٢٤ ) .

حاشيته على اليبضاوي : « هذا فصل يحتاج الى مزيد شرح، وهو يجب أن يتصور أن كل نبي أتى بلفظة معرضة وإشارة مندرجة لا يعرفها إلا الراسخون في العلم، وذلك لحكمة الهية. وقد قال العلماء ما انفك كتاب منزل من السماء من تضمن ذكر النبي ﷺ، لكن بإشارات. ولو كان منجليا للعوام لما عوتب علماؤهم في كتمانهم. ثم ازداد ذلك غموضا ينقله من لسان الى لسان من العبراني الى السرياني، ومن السرياني الى العربي وقد ذكرت محصلة ألفاظ من التوراة والانجيل إذا اعتبرتها وجدتها دالة على صحة نبوته عليه السلام بتعريض هو عند الراسخين في العلم جلي، وعند العامة خفي ». انتهى كلامه بلفظه.

**الأمر الثالث :** ادعاء أن أهل الكتاب ما كانوا ينتظرون نبيا آخر غير المسيح وإيلياء، ادعاء باطل لا أصل له. بل كانوا منتظرين لغيرهما أيضا، لما علمت في الأمر الثاني أن علماء اليهود المعاصرين لعيسى عليه السلام سألوا يحيى عليه السلام أولا : أنت المسيح ؟ ولما أنكروا سألوه : أنت إيلياء ؟ ولما أنكروا سألوه : أنت النبي أي النبي المعهود الذي أخبر به موسى ؟ فعلم أن هذا النبي كان منتظرا مثل المسيح وإيلياء، وكان مشهورا بحيث ما كان محتاجا الى ذكر الاسم بل الإشارة اليه كانت كافية. وفي الباب السابع من انجيل يوحنا بعد نقل قول عيسى عليه السلام هكذا : ٤٠ « فكثيرون من الجمع لما سمعوا هذا الكلام قالوا هذا بالحقيقة هو النبي ٤١ وآخرون قالوا هذا هو المسيح ». وظهر من هذا الكلام أيضا أن النبي المعهود عندهم كان غير المسيح، ولذلك قبلوا بالمسيح.

**الأمر الرابع :** ادعاء أن المسيح خاتم النبيين ولا نبي بعده، باطل. لما عرفت في الأمر الثالث أنهم كانوا منتظرين للنبي المعهود الآخر الذي يكون غير المسيح وإيلياء عليهم السلام ولما لم يثبت بالبرهان مجيئه قبل المسيح، فهو بعده. ولأنهم يعترفون بنبوة الحواريين وبولس، بل بنبوة غيرهم أيضا. وفي الباب الحادي عشر من كتاب الأعمال هكذا : « ٢٧ في تلك الأيام انحدر الأنبياء من أورشليم الى انطاكية ٢٨ وقام واحد منهم اسمه أغابوس

وأشار بالروح أن جوفا عظيماً كان عتيداً أن يصير على جميع المسكونة الذي صار في أيام كلوديوس فيصر . فهؤلاء كلهم كانوا أنبياء على تصريح انجيلهم. وأخير واحد منهم اسمه أغابوس عن وقوع الجذب العظيم. وفي الباب الحادي والعشرين من الكتاب المذكور هكذا : « ١٠ وبينما نحن مقبمون أياماً كثيرة انحدر من اليهودية نبي اسمه أغابوس ١١ فجاء إلينا وأخذ منطقة بولس وربط يده بنفسه ورجليه، وقال هذا يقوله الروح القدس الرجل الذي له هذه المنطقة هكذا سيربطه اليهود في أورشليم ويسلمونه إلى أيدي الأمم . وفي هذه العبارة أيضاً تصريح بكون أغابوس نبياً. وقد يتمسكون لإثبات هذا الادعاء بقول المسيح المنقول في الآية الخامسة عشر من الباب السابع من انجيل متى هكذا : « احترزوا من الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحملان ولكنهم من داخل ذئاب خاطفة . » والتمسك به عجيب، لأن المسيح عليه السلام أمر بالاحتراز من الأنبياء الكذبة لا الأنبياء الصدقة أيضاً. ولذلك قيد بالكذبة. نعم لو قال احترزوا من كل نبي يجيء بعدي لكان بحسب الظاهر وجه للتمسك، وإن كان واجب التأويل عندهم لثبوت نبوة الأشخاص المذكورين. وقد ظهر الأنبياء الكذبة الكثيرون في الطبقة الأولى بعد صعوده، كما يظهر من الرسائل الموجودة في العهد الجديد في الباب الحادي عشر من الرسالة الثانية إلى أهل فورتيبوس هكذا : « ١٢ ولكن ما أفعله سأفعله لأقطع فرصة الذين يريدون فرصة كي يوجدوا، كما نحن أيضاً فيما يفتخرون به ١٣ لأن مثل هؤلاء رسل كذبة فعلوا ماكرونها مغيرون شكلهم إلى شبه رسل المسيح . فمقدسهم ينادي بأعلى نداء أن الرسل الكذبة الغدارين ظهروا في عهده وقد تشبهوا برسل المسيح. وقال آدم كلارك المفسر في شرح هذا المقام : « هؤلاء الأشخاص كانوا يدعون كذباً أنهم رسل المسيح، وما كانوا رسل المسيح في نفس الأمر، وكانوا يعظون ويجهلون لكن مقصودهم ما كان إلا جلب المنفعة . » وفي الباب الرابع من الرسالة الأولى ليوحنا هكذا : « أيها الأحباء لا تصدقوا كل روح بل امتحنوا الأرواح هل هي من الله، لأن الأنبياء الكذبة كثيرون قد خرجوا إلى العالم . » فظهر من العبارتين أن الأنبياء الكذبة قد ظهروا في عهد الحواريين. وفي الباب

الثامن من كتاب الأعمال هكذا : « ٩ وكان قبلا في المدينة رجل اسمه سيمون يستعمل السحر ويدعش شعب السامرة قائلا انه شيء عظيم ١٠ وكان الجميع يبعونه من الصغير الى الكبير قائلين هذا هو قوة الله العظيمة ». وفي الباب الثالث عشر من الكتاب المذكور هكذا : « ولما اجتازا الجزيرة الى باقوس وجدا رجلاً ساحراً نبياً كذاباً يهودياً اسمه باريشوع ». وكذا سيظهر الدجالون الكذابين يدّعي كل منهم انه المسيح كما أخبر عيسى عليه السلام وقال : « لا يضلّكم أحد، فإن كثيرين سيأتون باسمي قائلين أنا هو المسيح، ويضلون كثيرين ». كما هو مُصرح به في الباب الرابع والعشرين من انجيل متى. فمقصود المسيح عليه السلام التحذير من هؤلاء الأنبياء الكذبة والمسخاء الكذبة، لا من الأنبياء الصادقين أيضا. ولذلك قال بعد القول المذكور في الباب السابع : « من ثمارهم تعرفونهم. هل تجتنون من الشوك عنباً أو من الحمض تيناً ». ومحمد ﷺ من الأنبياء الصادقين، كما يدل عليه ثماره، على ما عرفت في المسالك المتقدمة. ولا اعتبار لمطاعن المنكرين، كما ستعرف في الفصل الثاني. ولأن كل شخص يعلم أن اليهود ينكرون عيسى بن مريم عليهما السلام ويكذبونه، وليس عندهم رجلٌ أشرف منه من ابتداء العالم الى زمان خروجه، وكذا ألوف من الحكماء والعلماء، الذين هم من أبناء صنف القسيسين وكانوا مسيحيين ثم خرجوا عن هذه الملة لاستقبالهم اياها، ينكرونه ويستنهضون به ويملته وألفوا رسائل كثيرة لاثبات آرائهم، واشتهرت هذه الرسائل في اكناف العالم، ويزيد متبعوهم كل يوم في ديار أوربا. فكما أن انكار اليهود وهؤلاء الحكماء والعلماء في حق عيسى عليه السلام غير مقبول عندنا، فكذا انكار أهل التثليث في حق محمد ﷺ غير مقبول عندنا.

**الأمر الخامس :** الاخبارات التي نقلها المسيحيون في حق عيسى عليه السلام لا تصدق عليه على تفاسير اليهود وتأويلاتهم، ولذلك هم ينكرونه أشدّ الإنكار. والعلماء المسيحية لا يلتفتون في هذا الباب الى تفاسيرهم وتأويلاتهم، ويفسرونها ويؤولونها بحيث تصدق في زعمهم على عيسى عليه السلام. قال صاحب ميزان الحق في الفصل الثالث من الباب الأول في

الصفحة ٤٦ من النسخة الفارسية المطبوعة سنة ١٨٤٩ : « المعلمون القدماء من الملة المسيحية ادّعوا هذه الدعوى الصحيحة فقط، ان اليهود أولوا الآيات التي كانت اشارة الى يسوع المسيح بتأويلات غير صحيحة وغير لائقة وبينوها خلاف الواقع ». انتهى وقوله ( ادّعوا هذه الدعوى الصحيحة فقط ) غلط يقيناً لأن المعلمين القدماء كما ادّعوا هذه الدعوى ادّعوا أن اليهود حرفوا الكتب تحريفاً لفظياً، كما عرفت في الباب الثاني، لكنني أقطع النظر عن هذا، وأقول : كما أن تأويلات اليهود في الآيات المذكورة مردودة غير صحيحة وغير لائقة عند المسيحيين، كذلك تأويلات المسيحيين في الاخبارات التي هي في حق محمد ﷺ مردودة غير مقبولة عندنا. وسترى أن الاخبارات التي تنقلها في حق محمد ﷺ أظهر صدقاً من الاخبارات التي نقلها الانجيليون في حق عيسى عليه السلام. فلا بأس علينا إن لم نلتفت الى تأويلاتهم الفاسدة. وكما أن اليهود ادّعوا في حق بعض الاخبارات التي هي في حق عيسى عليه السلام، على زعم المسيحيين، أنها في حق مسيحهم المنتظر أو في حق غيره أو ليست في حق أحد، والمسيحيون يدّعون أنها في حق عيسى عليه السلام ولا يبالون بمخالفتهم، فكذا نحن لا نهالي بمخالفة المسيحيين في حق بعض الاخبارات التي هي في حق محمد ﷺ، لو قالوا أنها في حق عيسى عليه السلام. وسترى أيضاً أن صدقها في حق محمد ﷺ أليق من صدقها في حق عيسى عليه السلام. فادّعأونا أحق من ادّعائهم.

**الأمر السادس :** مؤلفو العهد الجديد باعتماد المسيحيين ذوو الهام، وقد نقلوا الاخبارات في حق عيسى عليه السلام. فيكون هذا النقل، على زعمهم، بالإلهام. فأذكر نبدأ منها بطريق الأنموذج لقيس المخاطب حال هذه الاخبارات بالاخبارات التي أنقلها في هذا المسلك في حق محمد ﷺ. وان سلك أحد من القسيسين مسلك الاعتساف، وتصدى لتأويل الاخبارات التي أنقلها في هذا المسلك، يجب عليه أن يوجه أولاً الاخبارات التي نقلها مؤلفو العهد الجديد في حق عيسى عليه السلام، ليظهر للمنصف اللبيب حال الاخبارات التي نقلها الجانيان وبقابلهما باعتبار القوة والضعف. وان غمض النظر عن توجيه الاخبارات العيسوية التي نقلها المؤلفون المذكورون وأوّل



الاحباريات المحمدية التي أنقلها في هذا المسلك يكون محمولاً على عجزه وتعصبه. لأنت قد علمت في الأمر الثاني والخامس أن المعاند له مجال واسع للتأويل في أمثال هذه الاخبارات. وإنما اكتفيت على نبذ مما نقله مؤلفو العهد الجديد، لأنه إذا ظهر أن البعض منها غلط يقيناً، والبعض منها محرف، والبعض منها لا يصدق على عيسى عليه السلام إلا بالادعاء البحث والفحكم الضرف، ظهر أن حال الاخبارات الأخر التي نقلها المسيحيون الذين ليسوا ذوي الهام ووحى يكون اسوأ فلا حاجة الى نقلها.

**الخبر الأول :** ما هو المنقول في الباب الأول من انجيل متى وقد عرفنا في بيان الغلط الخمسين في الفصل الثالث من الباب الأول أنه غلط. على أن كون مريم عذراء وقت الحمل غير مسلم عند اليهود والمنكرين، ولا يتم عليهم حجة. لأنها قبل ولادة عيسى عليه السلام كانت في نكاح يوسف النجار على تصريح الانجيل. واليهود المعاصرون لعيسى عليه السلام يقولون أنه ولد يوسف النجار، كما هو مصرح به في الآية ٥٥ من الباب ١٣ من انجيل متى، والآية ٤٥ من الباب ١، والآية ٤٢ من الباب السادس من انجيل يوحنا والى الآن يقولون هكذا، بل أشنع منه، والعلامة الأخرى المختصة بعيسى عليه السلام غير مذكورة في هذا الخبر. **والخبر الثاني :** ما هو المنقول في الآية السادسة من الباب الثاني من انجيل متى، وهو اشارة الى الآية الثانية من الباب الخامس من كتاب مبخا. ولا تطابق عبارة متى عبارة ميخا واحداهما محرف. وقد عرفت في الشاهد الثالث والعشرين من المقصد الأول من الباب الثاني أن محققهم اختاروا تحريف عبارة مبخا. لكن ادعاءهم هذا لأجل محافظة الانجيل فقط، وعند المخالف باطل. **والخبر الثالث :** ما هو المنقول في الآية الخامسة عشر من الباب المذكور من انجيل متى. **والخبر الرابع :** ما هو منقول في الآية ١٧ و ١٨ من الباب المذكور. **والخبر الخامس :** ما هو المنقول في الآية الثالثة والعشرين من الباب المذكور. وهذه الاخبار الثلاثة غلط، كما عرفت في الفصل الثالث من الباب الأول. **والخبر السادس :** الآية التاسعة من الباب السابع والعشرين من انجيل متى. وقد عرفت في الشاهد التاسع والعشرين من المقصد الثاني من الباب الثاني أنه

غلط. على أن هذا الحال يوجد في الباب الحادي عشر من كتاب زكريا ولا مناسبة له بالقصة التي نقلها متى، لأن زكريا عليه السلام بعدما ذكر اسمي عصوين ورعي فطيع، يقول هكذا ترجمة عربية سنة ١٨٤٤ : ١٢ : وقلت لهم ان حسن في أعينكم فهاتوا اجري وإلا فكفوا. فوزنوا أجري ثلاثين من الفضة ١٣ وقال لي الرب : ألقها الى صناع التماثيل ثمنا كريماً ائمنوني به. فأخذت الثلاثين من الفضة وألقيتها في بيت الرب الى صناع التماثيل ه. فظاهر كلام زكريا أنه بيان حال لا اختبار عن الحادثة الآتية، وأن يكون أخذ الدراهم من الصالحين مثل زكريا عليه السلام لا من الكافرين مثل يهودا. والخبر السابع : ما نقله مقدسههم بولس في الآية السادسة من الباب الأول من الرسالة العبرانية. وقد عرفت حاله في الفصل الثالث أنه غلط لا يصدق على عيسى عليه السلام. والخبر الثامن : الآية الخامسة والثلاثون من الباب الثالث عشر من انجيل متى هكذا : « لكي يتم ما قيل بالنبي القائل سأفتح بأمثال فمي وأنطق بمكتوبات منذ تأسيس العالم ». وهو اشارة الى الآية الثانية من الزبور الثامن والسبعين، لكنه ادعاء محض وتحكم بحت. لأن عبارة هنا الزبور هكذا : « أفتح بالأمثال فمي وأنطق بالذي كان قديماً ٣ كل ما سمعناه وعرفناه وآباؤنا أخبرونا ٤ ولم يخفوه عن أولادهم الى الجيل الآخر، إذ يخبرون بتساويح الرب وقواته وعجائبه التي صنع ه إذ أقام الشهادة في يعقوب ووضع الناموس في اسرائيل، كل الذي أوصى آباؤنا ليعرفوا به أبناءهم ٦ لكيما يعلم الجيل الآخر بينهم المولدين ٧ فيقومون أيضاً ويخبرون به أبناءهم ٨ لكي يجعلوا أئكالهم على الله، ولا ينسوا أعمال الله ويلتمسوا وصايا ٩ لئلا يكونوا مثل آباؤهم الجيل الأعرج المتمرد الذي لم يستقم قلبه ولا أمنت بالله روحه ه. وهذه الآيات الصريحة في أن داود عليه السلام يريد نفسه، ولذا عبر عن نفسه بصيغة المتكلم، ويروي الحالات التي سمعها من الآباء ليلغ الى الآباء على حسب عهد الله، تبقى الرواية محفوظة. وبين من الآية العاشرة الى الخامسة والستين حال اتعاملات الله والمعجزات الموسوية وشرارة بني اسرائيل وما لحقهم بسببها ثم قال : ه ٦٥ واستيقظ الرب كالنائم مثل الجبار المفيق من الخمر ٦٦ فضرب أعداءه في الورا وجعلهم غارا الى الدهر ٦٧ وأبعد

محله يوسف ولم يختار سبط افرايم ٦٨ بل اختار سبط يهوذا لجبل صهيون  
 الذي أحب ٦٩ وبني مثل وحيد القرن قدسه وأسس في الأرض الى الأبد ٧٠  
 واختار داود عبده وأخذه من مراعي الغنم ٧١ ومن خلف المرضعات أخذه  
 ليرعى من مراعي الغنم ٧١ ومن خلف المرضعات أخذه ليرعى يعقوب عبده  
 واسرائيل ميراثه ٧٢ فرعاهم بدعة قلبه وبفهم يديه أهداهم ». وهذه الآيات  
 الأخيرة أيضا دالة صريحة في أن هذا الزبور في حق داود عليه السلام. فلا  
 علاقة لهذا بعيسى عليه السلام. والخبر التاسع : في الباب الرابع من انجيل  
 متى هكذا : ١٤ : لكي يتم ما قيل باشعيا النبي القائل ١٥ أرض زبولون  
 وأرض نفتاليم طريق البحر عبر الأردن جليل الأمم ١٦ الشعب الجالس في  
 ظلمة أبصر نوراً عظيماً، والجالسون في كورة الموت وظلاله أشرق عليهم  
 نور ». وهو إشارة الى الآية الأولى والثانية من الباب التاسع من كتاب أشعيا  
 وعبارته هكذا : « في الزمان الأول استخفت أرض زبولون وأرض نفتالي،  
 وفي الآخر تنقلت طريق البحر عبر الأردن جليل الأمم ٢ الشعب السالك في  
 الظلمة رأى نوراً عظيماً. الساكنون في بلاد ظلال الموت أشرق عليهم نور ».  
 وفرق ما بين العبارتين، فاحداهما محرفة. ومع قطع النظر عن هذا، إلا دلالة  
 لكلام أشعيا على ظهور شخص، بل الظاهر أن اشعيا عليه السلام يخبر أن  
 حال سكان أرض زبولون ونفتالي كان سقيماً في سالف الزمان ثم صار حسناً،  
 كما تدل عليه صيغ الماضي، أعني ( استخفت وتنقلت ورأى وأشرق ) وإن  
 عدلنا عن الظاهر وحملنا على المجاز بمعنى المستقبل، وقلنا ان رؤية النور  
 وإشرافه عليهم عبارة عن مرور الصلحاء بأرضهم، فادعاء أن مصداق هذا  
 الخبر عيسى عليه السلام فقط تحكم صرف، لأن كثيراً من الأولياء والصلحاء  
 مرّ بتلك الأرض، سيما أصحاب محمد ﷺ وأولياء أمته أيضا الذين  
 زالت ظلمة الكفر والتثليث من هذه الديار بسببهم وظهر نور التوحيد وتصديق  
 المسيح كما ينبغي. وأكتفي خوفاً من التطويل على هذا القدر، ونقلت الأخبار  
 الأخر أيضا في إزالة الأوهام وغيره من مؤلفاتي وبينت وجوه ضعفها.

**الأمر السابع<sup>(١)</sup>** : ان أهل الكتاب سلفاً وخلفاً، عادتهم جارية بأنهم يترجمون غالباً الأسماء في تراجمهم ويوردون بدلها معانيها. وهذا خبط عظيم ومنشأ للفساد. وانهم يزيدون تارة شيئاً بطريف التفسير في الكلام الذي هو كلام الله في زعمهم، ولا يشيرون الى الامتياز. وهذان الأمران بمنزلة الأمور العادية عندهم. ومن تأمل في تراجمهم المتداولة بالسنة مختلفة، وجد شواهد تلك الأمور كثيرة. وأنا أورد أيضاً بطريق الأنموذج بعضها منها.

/١/ في الآية الرابعة عشر من الباب السادس عشر من سفر التكوين في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٦٢٥ وسنة ١٨٣١ وسنة ١٨٤٤ هكذا : « لذلك دعت اسم تلك البئر بير الحي الناظرني فترجموا اسم البئر الذي كان في العبراني بالعربي. /٢/ وفي الآية الرابعة عشر من الباب الثاني والعشرين من سفر التكوين في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١١ هكذا : « سمي ابراهيم اسم الموضع مكان يرحم الله زائره ». وفي الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٤٤ : « دعا اسم ذلك الموضع الرب يرى ». فترجم المترجم الأول الاسم العبراني بمكان يرحم الله زائره، والمترجم الثاني بالرب يرى /٣/ وفي الآية العشرين من الباب الحادي والثلاثين من سفر التكوين في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٦٢٥ وسنة ١٨٤٤ هكذا : « فكنتم يعقوب أمره عن حميه ». وفي ترجمة أردو المطبوعة سنة ١٨٢٥ لفظ ( لا بان ) موضع حميه، فوضع مترجموا العربية لفظ ( الحمي ) موضع الاسم. /٤/ وفي الآية العاشرة من الباب التاسع والأربعين من سفر التكوين في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٦٢٥ وسنة ١٨٤٤ : « فلا يزول القضييب من يهودا والمدير من فخذة حتى يجيء الذي له الكل وإياه تنتظر الامم ». فقوله ( الذي له الكل ) ترجمة لفظ ( شيلوه ) وهذه الترجمة موافقة للترجمة اليونانية. وفي الترجمة العربية

(١) كان المؤلف قد أورد الأعبار السبعة في متن الأمر السادس الذي هو أحد الأمور التي ينص عليها المسلك السادس (ص ١٨٣) من الفصل الأول من الباب السادس من هذا الكتاب. وهو، في ما يلي من فقرات يتابع تفصيل سور هذا المسلك

المطبوعة سنة ١٨١١ « فلا يزول القضيب من يهودا والرسم من تحت أمره الى أن يجيء الذي هو له واليه يجتمع الشعوب ». وهذا المترجم ترجم لفظ شيلوه ( بالذي هو له ). وهذه الترجمة موافقة للترجمة السريانية. وترجم هذا اللفظ محققهم المشهور ليكلوك ( بعاقبته ) وفي ترجمة اردو المطبوعة سنة ١٨٢٥ وقع لفظ ( شيل ) وفي الترجمة اللاتينية ( ولتكيت ) أي ( الذي سيرسل ). فال مترجمون ترجموا لفظ ( شيلوه ) بما ظهر وترجع عندهم. وهذا اللفظ كان بمنزلة الاسم للشخص المبشر به. ٥/ وفي الآية الرابعة عشر من الباب الثالث من سفر الخروج في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٦٢٥ وسنة ١٨٤٤ فقال الله لموسى : « أهيه أشراهيه ». وفي الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١١ : « قال له الأزلي الذي لا يزال ». فلفظ ( أهيه أشراهيه ) كان بمنزلة اسم الذات، فترجمه المترجم الثاني بالأزلي الذي لا يزال. ٦/ وفي الآية الحادية عشر من الباب الثامن من سفر الخروج في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٦٢٥ وسنة ١٨٤٤ هكذا : « تبقى في النهر فقط ». وفي الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١١ هكذا : « تبقى في النيل فقط ». ٧/ وفي الآية الخامسة عشر من الباب السابع عشر من سفر الخروج في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٦٢٥ وسنة ١٨٤٤ هكذا : « فابتنى موسى مذبحا ودعا اسمه الرب عظيمي ». وفي الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١١ « وبني مذبحا وسماه الله علمي ». وترجمه أردو موافقة لهذه الأخيرة. فأقول مع قطع النظر عن الاختلاف إن المترجمين ترجموا الاسم العبراني. ٨/ وفي الآية الثالثة والعشرين من الباب الثلاثين من سفر الخروج في الترحمتين المذكورتين هكذا : « من ميعه فائقة ». وفي الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١١ « من المسك الخالص ». وبين الميعه والمسك فرق ما، ففسروا الاسم العبراني بما ترجع عندهم. ٩/ وفي الآية الخامسة من الباب الرابع والثلاثين من سفر الاستثناء في الترحمتين المذكورتين هكذا : « فمات هناك موسى عبد الرب ». وفي الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١١ هكذا : « فمات هناك موسى رسول الله ». فهؤلاء المترجمون لو بدلوا في البشارات المحمدية لفظ رسول الله بلفظ آخر فلا استبعاد منهم. ١٠/ وفي الآية الثالثة عشر من الباب

العاشر من كتاب يوشع في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٤٤ هكذا :  
 « أليس هذا مكتوبا في سفر الأبرار » . وفي الترجمة العربية المطبوعة سنة  
 ١٨١١ : « أليس هو مكتوبا في سفر المستقيم » . وفي الترجمة الفارسية  
 المطبوعة سنة ١٨٣٨ لفظ ( ياصار ) موضع ( الأبرار ) أو ( المستقيم ) وفي  
 الترجمة الفارسية المطبوعة سنة ١٨٤٥ لفظ ( ياشر ) وفي ترجمة اردو  
 المطبوعة سنة ١٨٢٥ لفظ ( ياشا ) لعل ياصار أو ياشار أو ياشا اسم مصنف  
 الكتاب . فترجم مترجمو العربية هذا الاسم على آرائهم بالأبرار أو المستقيم .  
 /١١/ وفي الباب الثامن من كتاب أشعيا في الترجمة الفارسية المطبوعة سنة  
 ١٨٣٩ هكذا ١ ( وخذلوند مرافرمود كه لوحى بزرگ بكيروازقلم كندكار د  
 رباب مهر شالال جشتر بنو يس ) ٣ ( أورامهر شالال جشتر نام يته ) .  
 وترجمة اردو المطبوعة سنة ١٨٢٥ توافقها . وفي الترجمة العربية المطبوعة سنة  
 ١٨٤٤ هكذا : « ١ وقال لي الرب خذلك مدرجا عظيما واكتب فيه بكتابة  
 انسان انتهب مستعجلا أسلوب سريعا ٣ ادع اسمه أغنم بسرعة وأنهب  
 عاجلا » . وفي الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١١ : « ١ وقال لي الرب  
 خذلك مدرجا صحيحا صحيفة جديدة كبيرة واكتب فيها بكتابة انسان حاد  
 ليضع نهب الغنائم لأنه حضر ٣ ادع اسمه أغنم بسرعة وأنهبوا تجده » . فكان  
 اسم الابن ( مهر شالال جاشتر ) فترجم مترجمو العربية هذا الاسم على  
 آرائهم ، وخالفوا فيما بينهم ومع قطع النظر عن المخالفة زاد مترجم العربية  
 المطبوعة سنة ١٨١١ ألفاظا من قبل نفسه . فأمثال هؤلاء لو بدلوا في البشارات  
 المحمدية اسما من أسماء النبي ﷺ أو زادوا شيئا فلا استبعاد منهم . لأن هذا  
 الأمر يصدر عنهم بحسب عاداتهم . /١٢/ وفي الآية الرابعة عشر من الباب  
 الحادي عشر من انجيل متى في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١١ وسنة  
 ١٨٤٤ هكذا : « فان أردتم أن تقبلوه فهو ايلياء المزعم أن يأتي » . وفي  
 الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١٦ : « فان أردتم أن تقبلوه فهذا هو المزعم  
 بالآتيان » . فالمترجم الاخير بدل لفظ ايلياء بهذا . فأمثال هؤلاء لو بدلوا اسما  
 من أسماء النبي ﷺ في البشارة فلا عجب . /١٣/ وفي الآية الأولى من الباب  
 الرابع من انجيل يوحنا في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١٦ وسنة ١٨٦٠

« لما علم الرب ». فبدل المترجمان الأخيران لفظ ( يسوع ) الذي كان علم عيسى عليه السلام ( بالرب ) الذي هو من الألفاظ التعظيمية. فلو بدلوا اسما من أسماء النبي ﷺ بالألفاظ التحقيرية لأجل عاداتهم وعنادهم فلا عجب.

وهذه الشواهد<sup>(١)</sup> تدل على ترجمة الأسماء وإيراد لفظ آخر بدلها : /١/ في الباب السابع والعشرين من انجيل متى هكذا : « ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلا : ايلي ايلي لما شبقنتي ؟ أي إلهي إلهي لماذا تركتني ؟ ». وفي الباب الخامس عشر من انجيل مرقس هكذا : « وفي الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلا : الوي الوي لما شبقنتي ؟ الذي تفسيره : إلهي إلهي لماذا تركتني ؟ ». فلفظ ( أي إلهي إلهي لماذا تركتني ) في انجيل متى وكذا لفظ ( الذي تفسيره إلهي إلهي لماذا تركتني ) في انجيل مرقس ليسا من كلام الشخص المصلوب بقبلاً، بل الحقا بكلامه. /٢/ في الآية السابعة عشر من الباب الثالث من انجيل مرقس هكذا : « لقبهما بيوان رجس أي ابني الرعد ». فلفظ ( أي ابني الرعد ) ليس من كلام عيسى عليه السلام بل هو الحاقى. /٣/ في الآية الحادية والأربعين من الباب الخامس من انجيل مرقس هكذا : « وقال لها طليتا قومي الذي تفسيره يا صبية لك أقول قومي ». فهذا التفسير الحاقى ليس من كلام عيسى عليه السلام. /٤/ في الآية الرابعة والثلاثين من الباب السابع من انجيل مرقس في الترجمة المطبوعة سنة ١٨١٦ : « ونظر الى السماء وتأوه وقال افتنا يعني انفتح ». وفي الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١١ « ونظر الى السماء وقال افتنا الذي هو انفتح ». وفي الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٤٤ هكذا : « ونظر الى السماء وتنهد وقال له انفتح الذي هو انفتح ». وفي الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٦٠ هكذا : « ورفع نظره نحو السماء وأن وقال له افتنا أي انفتح ». ومن هذه

(١) بورد المؤلف هنا شواهد أخرى غير تلك التي سبقها في الفقرة السابقة. وهذه الشواهد الآتي ذكرها تشير الى ابدال لفظ بلفظ آخر في ترجمات الكتب المقدسة عند المسيحيين. بينما كانت الشواهد السابقة تشير الى ابدال اسماء العلم في الترجمات نفسها.

العبارة، وإن لم يعلم صحة اللفظ العبراني أهو افئا أو افانا أو افنتح أو افئا  
 لأجل اختلاف التراجم التي منشأ اختلافها عدم صحة ألفاظ أصولها، لكنه  
 يُعلم يقيناً أن لفظ ( أي انفتح ) أو ( الذي انفتح ) الحاقى . ليس من كلام  
 عيسى عليه السلام. وهذه الأقوال المسيحية الأربعة التي نقلتها من الشاهد  
 الأول الى ههنا تدل على أن المسيح عليه السلام كان يتكلم باللسان العبراني  
 الذي كان لسان قومه، وما كان يتكلم باليوناني. وهو قريب القياس لأنه كان  
 عبرانياً ابن عبرانية نشأ في قومه العبرانيين، فنقل أقواله في هذه الأناجيل في  
 اليوناني نقل بالمعنى. وهذا أمر آخر زائد على كون أقواله مروية برواية  
 الأحاد. ٥/ في الآية الثامنة والثلاثين من الباب الأول من انجيل يوحنا  
 هكذا : « فقال له ربي الذي تفسره يا معلم ». فقوله ( الذي تفسره يا  
 معلم ) الحاقى ليس من كلامهما ٦/ في الآية الحادية والأربعين من الباب  
 المذكور في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١١ وسنة ١٨٤٤ « قد وجدنا  
 مسياً الذي تأويله المسيح ». وفي الترجمة الفارسية المطبوعة سنة ١٨١٦ ( ما  
 مسيح رآكه ترجمة آن كرسطوس ميأ شديا فتم ) وترجمة أردو المطبوعة  
 سنة ١٨١٤ توافق الفارسية. فيعلم من الترجمتين العربيتين أن اللفظ الذي قاله  
 اندراوس هو مسيا، وأن المسيح ترجمته. ومن الترجمة الفارسية واردو ان  
 اللفظ الأصل هو المسيح وكرسطوس ترجمته. ويُعلم من ترجمة اردو  
 المطبوعة سنة ١٨٣٩ ان اللفظ الأصل خرسه وأن المسيح ترجمته فلا يُعلم  
 من كلامهم أن اللفظ الأصل أي لفظ كان أمسيا أو المسيح أو خرسه. وهذه  
 الألفاظ وإن كان معناها واحداً، لكن لا شك أن الذي قاله اندراوس هو واحد  
 من هذه الثلاثة يقيناً، واذا ذكر اللفظ والتفسير، فلا بد من ذكر اللفظ الأصل  
 أولاً، ثم من ذكر تفسيره. لكني أقطع النظر عن هذا وأقول ان التفسير  
 المشكوك أياً كان إلحاقاً ليس من كلام اندراوس. ٧/ في الآية الثانية  
 والأربعين من الباب الأول من انجيل يوحنا قول عيسى عليه السلام في حق  
 بطرس الحوارى في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١١ هكذا : « أنت  
 تدعى بطرس الذي تأويله الصخرة ». وفي الترجمة العربية المطبوعة سنة  
 ١٨١٦ ( ستمسى أنت بالصفى المفسر بطرس ». وفي الترجمة الفارسية



المطبوعة سنة ١٨١٦ ( تراكيكفاس كه ترجمة آن سنك است نداخوا هند كرد ». أمطر الله حجارة على تحقيقهم، وتصحيحهم لا يتميز من كلامهم المفسر عن المفسر. لكنني أقطع النظر عن هذا وأقول ان التفسير ليس من كلام المسيح عليه السلام، بل هو الحاقى. واذا كان حال تراجمهم وحال تحقيقهم في لقب الهمهم ولقب خليفته، كما علمت، فكيف نرجو منهم صحة بقاء لفظ محمد أو أحمد أو لقب من ألقابه <sup>صلى الله عليه</sup> ؟ ٨/ في الآية الثانية من الباب الخامس من انجيل يوحنا في حق البركة في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٣٣ : « نسمى بالعبرانية بيت صيدا ». وفي الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٦٠ : « يقال لها بالعبرانية بيت حسدا ». وفي الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١١ : « نسمى بالعبرانية بيت حصدا أي بيت الرحمة ». فالاختلاف بين صيدا وحسدا وحصدا، وأن كان ثمرة من ثمرات تصحيحهم الكتب السماوية. لكنني أقطع النظر عنه وأقول : المترجم الأخير زاد التفسير من جانب نفسه في الكلام الذي هو كلام الله في زعمه، فلو زادوا شيئا بطريق التفسير من جانب أنفسهم في البشارات المحمدية فلا بعد منهم ٩/ في الآية السادسة والثلاثين من الباب التاسع من كتاب الأعمال هكذا : « وكان في يافا تلميذة اسمها طابينا الذي ترجمته غزالة ». ١٠/ في الآية الثامنة من الباب الثالث عشر من كتاب الأعمال في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٤٤ : « فناصبهما اليماس الساحر لأن هكذا يترجم اسمه ». وفي الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٦٠ : « فقاوهمما عليم الساحر لأن هكذا يترجم ». وفي بعض تراجم أردو لفظ الماس، وفي بعضها الماء. فمع قطع النظر عن الاختلاف في أن اسمه اليماس أو عليم أو الماس أو الماء، أقول : ان ترجمة اسمه الحاقية ١١/ في آخر رسالة بولس الأولى الى أهل كورنثيوس في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١٦ هكذا : « إلا ومن لا يحب ربنا المسيح فليكن ملعونا مارن أتي » وفي الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٤٤ هكذا « ومن لا يحب ربنا يسوع المسيح فليكن محروما ما ران أتي ». وفي الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٦٠ ( إن كان أحد لا يحب الرب يسوع المسيح فليكن انائما ما ران انا ». وفي الترجمة العربية المطبوعة

سنة ١٨٩١ : « من لا يحب الرب يسوع المسيح فليكن مفروزا مارن أنى أي الرب قد جاء ». فمع قطع النظر عن صحة اللفظ الأصل، أقول ان المترجم الأخير قد زاد من جانب نفسه التفسير، وقال أي الرب قد جاء. وهذه شواهد التفسير. ثبت مما ذكرنا أن ترجمة الأسماء أو تبديلها بالألفاظ آخر، وكذا الحاق التفسيرات من جانب أنفسهم من عاداتهم الجيلية سلفا وخلفا. فلا بعد في أن ترجموا اسما من أسماء النبي ﷺ أو بدلوه بلفظ آخر أو زادوا بطريق التفسير أو غير التفسير شيئا بحيث يخل الاستدلال بحسب الظاهر. ولا شك أن اهتمامهم في هذا الأمر كان زائدا على الاهتمام الذي كان لهم في مقابلة فرقهم، وما قصروا في التحريف في مقابلتهم، على ما عرفت في الباب الثاني من قول هورن : « إن هذا الأمر أيضا محقق أن بعض التحريفات القصدية صدرت عن الذين كانوا من أهل الديانة والدين، وكانت هذه التحريفات ترجح بعدهم لتؤيد بها مسئلة مقبولة أو يدفع بها الاعتراض الوارد. مثلا ترك قصدا الآية الثالثة والأربعين من الباب الثاني والعشرين من انجيل لوقا لأن بعض أهل الديانة ظنوا أن تقوية الملك للرب مناف لأكوهيته، وتركت قصدا في الباب الأول من انجيل متى هذه الألفاظ قبل أن يجمعوا في الآية الثامنة عشر. وهذه الألفاظ انبها البكر في الآية الخامسة والعشرين لئلا يقع الشك في البكارة الدائمة لمريم عليها السلام، وبدل لفظ اثنتي عشرة باحد عشر في الآية الخامسة من الباب الخامس عشر من الرسالة الأولى الى أهل قورنثوس لئلا يقع الزام الكذب على بولس، لأن يهوذا الاسخريوطي كان قد مات قبل، وترك بعض الألفاظ في الآية الثانية والثلاثين من الباب الثالث عشر من انجيل مرقس، ورد هذه الألفاظ بعض المرشدين أيضا لأنهم تخيلوا أنها مؤيدة لفرقة ايرين، وزيد بعض الألفاظ في الآية الخامسة والثلاثين من الباب الأول من انجيل لوقا في الترجمة السريانية والفارسية والعربية واتهيويك وغيرها من التراجم وفي كثير من نقول المرشدين في مقابلة فرقة يوتي كينس لأنها كانت تنكر أن عيسى فيه صفتان ». انتهى كلامه. فاذا كانت خصلة أهل الدين والديانة ما عرفت، فما ظنك بغير أهل الديانة ؟ بل الحق إن التحريف القصدي بالتبديل والزيادة والنقصان من حصالتهم كلهم أجمعين. فبعض الاخبار التي

نقلها العلماء الأسلاف من أهل الإسلام مثل الإمام القرطبي وغيره ولا تعجدها موافقة في بعض الألفاظ للتراجم المشهورة الآن فسيبه غالباً هذا التعبير، لأن هؤلاء العلماء من أهل الإسلام نقلوا عن الترجمة العربية التي كانت راجعة في عهدهم، وبعد زمانهم وقع الإصلاح في تلك الترجمة. ويحتمل أن يكون ذاك السبب اختلاف التراجم، لكن الأول هو المعتمد لأننا نرى أن هذه العادة جارية إلى الآن في تراجمهم ورسائلهم. ألا ترى إلى ميزان الحق أن نسخته ثلاث : الأولى النسخة القديمة ورد عليها صاحب الاستفسار، ولما رد عليها وتنبه مصنفها أصلح النسخة القديمة فزاد في بعض المواضع، ونقص في البعض، ثم طبع هذه النسخة المصلحة، وكتب جواب الاستفسار، وسماه بحل الاشكال ثم كتب الرد على تلك النسخة الثانية لميزان الحق ونهت في كل موضع خالفت فيه هذه النسخة الجديدة للنسخة العتيقة وسيته بمعدل اعوجاج الميزان، لكن كتابي هذا لم يطبع في الهند لأجل بعض الحوادث، وكتب بعض أحيائي الرد على حل الاشكال في جواب الاستفسار وسماه بالاستبشار، وطبع هذا الرد واشتهر في الهند وفي زمان طبعه واشتهاره كان مؤلف الميزان في الهند، ومضت مدة عشر سنين على طبعه، وما كتب المؤلف المذكور في جوابه شيئاً. وسمعت من بعض الثقافات أنه أصلح في المرة الثالثة الميزان الذي طبعه بالتركي وغير في المواضع التي رأى فيها التغير واجباً، مثل التغير في ابتداء الفصل الثاني من الباب الأول وغيره. ومن رأى الاستفسار، ولم تصل إليه النسخة القديمة للميزان بل وصلت إليه النسخة الثانية أو الثالثة وأراد أن يصحح نقل صاحب الاستفسار كلام مؤلف الميزان بهاتين النسختين، وجده غير مطابق لهما في بعض المواضع. وكذا من رأى معدل اعوجاج الميزان، ولم تصل إليه النسخة الأولى ولا الثانية بل وصلت إليه النسخة الثالثة التركية وأراد تصحيح النقل بهذه التركية، وجد في بعض المواضع النقل غير مطابق لها. فإن لم يكن واقفاً على هذا التغير والإصلاح يظن أن الراد والناقل أخطأ في النقل. وليس كذلك، بل حصل هذا الأمر من تغير المردود عليه وتحريفه، والراد الناقل مصيب، فالحاصل أن أمثال هذا الإصلاح والتحريفات جارية في كتبهم وتراجمهم ورسائلهم إلى هذا الحين.

**الأمر الثامن<sup>(١)</sup>:** إن بولس وإن كان عند أهل التثليث في رتبة الحوارين، لكنه غير مقبول عندنا، ولا نعهده من المؤمنين الصادقين بل من المنافقين الكذابين ومعلمي الزور والرسل الخداعين الذين ظهروا بالكثرة بعد عروج المسيح، كما عرفت في الأمر الرابع وهو حرب الدين المسيحي وأباح كل محرم لمعتقدبه. وكان في ابتداء الأمر مؤذياً للطبقة الأولى من المسيحيين جهراً، لكنه لما رأى أن هذا الإيذاء الجهري لا ينفع نفعاً معنواً به دخل على سبيل التفاق في هذه الملة وأدعى رسالة المسيح وأظهر الزهد الظاهري، ففعل في هذا الحجاب ما فعل، وقبله أهل التثليث لأجل زهده الظاهري ولأجل فراغ ذمتهم عن جميع التكاليف الشرعية، كما قبل أناس كثيرون من المسيحيين في القرن الثاني منتش الذي كان زاهداً مرئاضاً وأدعى «أني هو الفارقليط الموعود به»، ففعلوه لأجل زهده ورياضته، كما سيجيء ذكره في الإشارة الثامنة عشر، ورده المحققون من علماء الإسلام سلفاً وخلفاً. قال الإمام القرطبي رحمه الله في كتابه في حق بولس هذا مجيباً لبعض القسيسين في بحث مسألة الصوم هكذا: «فلا ذلك — أي بولس — هو الذي أفسد عليكم أديانكم وأعمى بصائركم وأذهانكم، ذلك هو الذي غير دين المسيح الصحيح الذي لم تسمعوا له بخبر ولا وقفتم منه على أثر، هو الذي صرفكم عن القبلة وحلل لكم كل محرم كان في الملة. ولذلك كثرت أحكامه عندهم وتداولتموها بينهم». انتهى كلامه بلفظه. وقال صاحب تخجيل من حرف الانجيل في الباب التاسع من كتابه في بيان فضائح النصارى في حق بولس هذا هكذا: «وقد سلهم بولس هذا من الدين بلطيف خداعه، إذ رأى عقولهم قابلة لكل ما يلقي إليها، وقد طمس هذا الخبيث رسوم التوراة». انتهى كلامه بلفظه. وهكذا أقوال علمائنا الآخرين. فكلامه عندنا مردود، ورسائله المتضمنة بالعهد العتيق كلها واجبة الرد، ولا تشتري قوله بحجة خردل. فلا أنقل عن أقواله في هذا المسلك شيئاً، ولا يكون قوله حجة علينا.

(١) للتذكير: انه الأمر الثامن والأخير والذي أشار إليه المؤلف في بداية الكلام على المسلك السادس ص ١٨٣.

## [الاحبار الوافعة في حق محمد ﷺ]

وإذ عرفت هذه الأمور الثمانية، أقول ان الاحبار الوافعة في حق محمد ﷺ توجد كثيرة الى الآن أيضا مع وقوع التحريفات في هذه الكتب. ومن عرف أولا طريق اخبار النبي المتقدم عن النبي المتأخر، على ما عرفت في الأمر الثاني، ثم نظر ثانياً بنظر الانصاف الى هذه الاخبار، وقابلها بالاحبار التي نقلها الانجيليون في حق عيسى عليه السلام، وقد عرفت نبذاً منها في الأمر السادس، جزم بأن الاخبار المحمدية في غاية القوة. وأنقل في هذا المسلك عن الكتب المعتمدة عند علماء يروتستنت ثمانى عشرة بشارة.

**البشارة الأولى :** في الباب الثامن عشر من سفر الاستثناء هكذا : ١٧ هـ فقال الرب لي نعم جميع ما قالوا ١٨ وسوف أقبم لهم نبياً متلك من بين اخوتهم، واجعل كلامي في فمه وبكلمهم بكل شيء أمره به ١٩ ومن لم يقطع كلامه الذي يتكلم به باسمي. فانا أكون المنتقم من ذلك ٢٠ فاما النبي الذي يجترىء بالكبرياء ويتكلم في اسمي ما لم آمره بأنه يقوله أم باسم آلهة غيري فليقتل ٢١ فان أحبيت وقلت في قلبك كيف استطيع أن أميز الكلام الذي لم يتكلم به الرب ٢٢ فهذه تكون لك آية ان ما قاله ذلك النبي في اسم الرب ولم يحدث، فالرب لم يكن تكلم به بل ذلك النبي صوره في تعظيم نفسه، ولذلك لا تخشاه. وهذه البشارة ليست بشارة يوشع عليه السلام، كما يزعم الآن احبار اليهود، ولا بشارة عيسى عليه السلام، كما زعم علماء يروتستنت، بل هي بشارة محمد ﷺ لعشرة أوجه :

**الوجه الأول :** قد عرفت في الأمر الثالث ان اليهود المعاصرين لعيسى عليه السلام كانوا ينتظرون نبياً آخر مُبَشِّراً به في هذا الباب، وكان هذا الميَّشُر به عندهم غير المسيح. فلا يكون هذا الميَّشُر به يوشع ولا عيسى عليهما السلام.

**والوجه الثاني :** إنه وقع في هذه البشارة لفظ ( مثلك ) ويوشع وعيسى عليهما السلام لا يصح أن يكونا مثل موسى عليه السلام. أما أولاً فلأنهما من

بني اسرائيل ولا يجوز أن يقوم أحد من بني اسرائيل مثل موسى، كما تدل عليه الآية العاشرة من الباب الرابع والثلاثين من سفر الاستثناء وهي هكذا : « ٥ ولم يتم بعد ذلك في بني اسرائيل مثل موسى يوفه الرب وجهاً لوجه » . فان قام أحد مثل موسى بعده من بني اسرائيل يلزم تكذيب هذا القول . وأما ثانياً فلأنه لا مماثلة بين يوشع وبين موسى عليهما السلام ، لأن موسى عليه السلام صاحب كتاب وشريعة جديدة مشتملة على أوامر ونواهي ، ويوشع ليس كذلك ، بل هو متبع لشريعته . وكذا لا توجد المماثلة الثامنة بين موسى وعيسى عليهما السلام ، لأن عيسى عليه السلام كان الهاً ورباً على زعم النصارى ، وموسى عليه السلام كان عبداً له . وأن عيسى عليه السلام على زعمهم صار ملعوناً لشفاعته الخلق ، كما صرح به يولس في الباب الثالث من رسالته الى أهل غلاطية ، وموسى عليه السلام ما صار ملعوناً لشفاعتهم . وأن عيسى عليه السلام دخل الجحيم بعد موته ، كما هو مصرح به في عقائد أهل الثلاثين ، وموسى عليه السلام ما دخل الجحيم . وان عيسى عليه السلام صلب على زعم النصارى ليكون كفارة لأمته ، وموسى عليه السلام ما صار كفارة لأمته بالصليب . وان شريعة موسى مشتملة على الحدود والتعزيرات وأحكام الغسل والطهارات والمحرمات من المأكولات والمشروبات بخلاف شريعة عيسى عليه السلام فإنها فارغة عنها على ما يشهد به هذا الانجيل المتداول بينهم . وأن موسى عليه السلام كان رئيساً مطاعاً في قومه نقاداً لأوامره ونواهي وعيسى عليه السلام لم يكن كذلك .

**الوجه الثالث :** انه وقع في هذه البشارة لفظ ( من بين اخوتهم ) ولا شك أن الاسباط الاثني عشر كانوا موجودين في ذاك الوقت مع موسى عليه السلام حاضرين عنده . فلو كان المقصود كون النبي المبعوث به منهم قال ( منهم ) لا ( من بين اخوتهم ) لأن الاستعمال الحقيقي لهذا اللفظ أن لا يكون المبعوث به له علاقة الصليبية والبطنية ببني اسرائيل ، كما جاء لفظ الاخوة بهذا الاستعمال الحقيقي في وعد الله هاجر في حق اسمعيل عليه السلام في الآية الثانية عشر من الباب السادس عشر من سفر التكوين وعبارتها في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٤٤ هكذا : « وقبالة

جميع اخوته ينصب المضارب ». وفي الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١١ هكذا : « بحضرة جميع اخوته يسكن ». وجاء بهذا الاستعمال أيضا في الآية الثامنة عشر من الباب الخامس والعشرين من سفر التكوين في حق اسمعيل في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٤٤ هنا : « انتهى اخوته جميعهم سكن ». وفي الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١١ هكذا : « أقام بحضرة جميع إخوته ». والمراد بالأخوة ههنا بنو عيسو واسحق وغيرهم من أبناء ابراهيم عليه السلام. وفي الآية الرابعة عشر من الباب العشرين من سفر العدد هكذا : « ثم أرسل موسى رسلا من قادس الى ملك الروم قائلا : هكذا يقول أخوك اسرائيل انك قد علمت كل البلاء الذي أصابنا ». وفي الباب الثاني من سفر الاستثناء هكذا : « ٢ وقال لي الرب ٤ ثم أوص الشعب أنكم ستجوزون في تخوم اخوتكم بني عيسو الذي في ساعير وسيخشونكم ٨ فلما جزنا اخوتنا بني عيسو الذين يسكنون ساعير الخ ». والمراد بأخوة بني اسرائيل بنو عيسو. ولا شك أن استعمال لفظ أخوة بني اسرائيل في بعض منهم، كما جاء في بعض المواضع من التوراة، استعمال مجازي ولا تترك الحقيقة، ولا يصار الى المجاز ما لم يمنع عن الحمل على المعنى الحقيقي مانع قوي ويوشع وعيسى عليهما السلام كانا من بني اسرائيل، فلا تُصدّق هذه البشارة عليهما.

**الوجه الرابع :** أنه وقع في هذه البشارة لفظ ( سوف أقم ) ويوشع عليه السلام كان حاضرا عند موسى عليه السلام داخلا في بني اسرائيل نبيا في هذا الوقت. فكيف يصدق عليه هذا اللفظ ؟ **الوجه الخامس :** انه وقع في هذه البشارة لفظ ( أجعل كلامي في فمه ) وهو اشارة الى أن ذلك النبي ينزل عليه الكتاب، والى أنه يكون أميا حافظا للكلام. وهذا لا يصدق على يوشع عليه السلام لانتفاء كلا الأمرين فيه. **الوجه السادس :** أنه وقع في هذه البشارة ( ومن لم يقطع كلامه الذي يتكلم به فانا أكون المنتقم من ذلك ) فهذا الأمر، لما ذكر لتعظيم هذا النبي المبشر به، فلا بد أن يمتاز ذلك المبشر به بهذا الأمر عن غيره من الأنبياء. فلا يجوز أن يُراد بالانتقام من المنكر العذاب الاخروي الكائن في جهنم أو المحن والعقوبات الدنيوية التي تلحق المنكرين من الغيب، لأن هذا الانتقام لا يختص بانكار نبي دون نبي بل بعم الجميع.

محينئذ يُراد بالانتقام الانتقام التشريعي. فظهر منه أن هذا النبي يكون مأموراً من جانب الله بالانتقام من منكروه، فلا يصدق على عيسى عليه السلام، لأن شريعته خالية عن أحكام الحدود والقصاص والتعزير والجهاد.

**الوجه السابع :** في الباب الثالث من كتاب الأعمال في الترجمة العربية المطبوع سنة ١٨٤ هـ : « ١٩ فتوبوا وارجعوا كي تمحي خطاياكم ٢٠ حتى إذا تأتي أزيمة الراحة من قدام وجه الرب ويرسل المنادى به لكم وهو يسوع المسيح ٢١ الذي اياه ينبغي للسماء أن تقبله الى الزمان الذي يسترد فيه كل شيء، تكلم به الله على أفواه أنبيائه القديسين منذ الدهر ٢٢ إن موسى قال : إن الرب الهكم يقيم لكم نبياً من إخوانكم مثلي له تسمعون في كل ما يكلمكم به ٢٣ ويكون كل نفس لا تسمع ذلك النبي تهلك من الشعب ». وفي الترجمة الفارسية المطبوعة سنة ١٨١٦ وسنة ١٨٢٨ وسنة ١٨٤١ وسنة ١٨٤٢ هـ : « ١٩ ( توبه نمايدوبار كشت كندتاكه كناهان شاماحو شودتا كه زمان نازه كيراز حضور خداوند بيايد ) ٢٠ ( ويسوع مسيح راكه ندا بشمامي شودبار فرستد ) ٢١ ( زيراكه بايدكه آسمان اورتكا هدارد تاوقت ثبوت انجه خداوند بزبان پيغمبران مقدس خوداز آيام قديم فرموده است ) ٢٢ ( كه موسى بيدران ما گفت كه خداي شما خداوند پيغمبري رامتل من ازبراي شما ازميان برادران شما مبعوث خواهد نمود وهرجه او بشماگويد شمار است كه اطاعت نمايد ) ٢٣ ( واينجين خواهد بودكه هرکس كه سخن آن پيغمبر رانشنود ازقوم بريده خواهد شد ) فهذه العبارة سيما بحسب التراجم الفارسية تدل صراحة على أن هذا النبي غير المسيح عليه السلام، وأن المسيح لا بد أن تقبله السماء الى زمان ظهور هذا النبي وعن ترك التعصب الباطل من المسيحيين وتأمل في عبارة بطرس ظهر له أن هذا القول من بطرس يكفي لإبطال ادعاء علماء يروتستنت أن هذه البشارة في حق عيسى عليه السلام.

وهذه الوجوه السبعة التي ذكرتها تصدق في حق محمد ﷺ على أكمل صدق، لأنه غير المسيح عليه السلام ويمثل موسى عليه السلام في أمور



كثيرة : ١/ كونه عيد الله ورسوله ٢/ كونه ذا الوالدين ٣/ كونه ذا نكاح وأولاد ٤/ كون شريعته مشتملة على السياسات المدنية ٥/ كونه مأموراً بالجهاد ٦/ اشتراط الطهارة وقت العبادة في شريعته. ٧/ وجوب الغسل للحجب والحائض والنفساء في شريعته. ٨/ اشتراط طهارة الثوب من البول والبراز ٩/ حرمة غير المذبوح وقرايين الأوثان. ١٠/ كون شريعته مشتملة على العبادات البدنية والرياضات الجسمانية. ١١/ أمره بحسد الزنا. ١٢/ تعيين الحدود والتعزيرات والقصاص. ١٣/ كونه قادراً على إجرائها ١٤/ تحريم الربا. ١٥/ أمره بإنكار من يدعو الى غير الله. ١٦/ أمره بالتوحيد الخالص. ١٧/ أمره الأمة بأن يقولوا له عيد الله ورسوله، لا ابن الله أو الله، والعياذ بالله. ١٨/ موته على الفراش. ١٩/ كونه مدفوناً كموسى. ٢٠/ عدم كونه ملعوناً لأجل أمته. وهكذا أمور أخر تظهر إذا تؤمل في شريعتها. ولذلك قال الله تعالى في كلامه المجيد : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ۖ ﴾<sup>(١)</sup>. وكان من اخوة بني اسرائيل لأنه من بني اسماعيل، وأنزل عليه الكتاب وكان أميناً جعل كلام الله في فمه وكان ينطق بالوحي كما قال الله تعالى : ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۖ ﴾<sup>(٢)</sup>. وكان مأموراً بالجهاد، وقد انتقم الله لأجله من صناديد قريش والأكاسرة والقياصرة وغيرهم، وظهر قبل نزول المسيح من السماء، وكان للسماء أن تقبل المسيح عليه السلام الى ظهوره ليرد كل شيء الى أصله، ويمحق الشرك والتثليث وعبادة الأوثان، ولا يرتاب أحد من كثرة أهل التثليث في هذا الزمان الأخير، لأن هذا الصادق المصدوق قد أخبرنا على أتم تفصيل وأكمل وجه بحيث لا يبقى ريب مآ بكثرتهم وقت قرب ظهور المهدي رضي الله عنه، وهذا الوقت قريب إن شاء الله، وسيظهر الإمام ويظهر الحق عن قريب، ويكون الدين كله لله جعلنا الله من أنصاره وخدامه آمين.

(١) سورة المرحل (١٥).

(٢) سورة النجم (٣ - ٤).

الوجه الثامن : أنه صرح في هذه البشارة بأن النبي الذي ينسب إلى الله ما لم يأمره يُقتل. فلو لم يكن محمد ﷺ نبياً حقاً لكان يُقتل. وقد قال الله في القرآن المجيد أيضاً : ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴾ (١) وما قُتل، بل قال الله في حقه : ﴿ وَآللهُ يَفْصِيصُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ (٢). وأوفى وعده ولم يقدر على قتله أحد حتى لقي الرفيق الأعلى ﷺ. وعيسى عليه السلام قُتل وصلب على زعم أهل الكتاب. فلو كانت هذه البشارة في حقه لزم أن يكون نبياً كاذباً كما يزعمه اليهود، والعياذ بالله. الوجه التاسع : إن الله بيّن علامة النبي الكاذب أن أخباره عن الغيب المستقبل لا يخرج صادقا، ومحمد ﷺ أخبر عن الأمور الكثيرة المستقبلية، كما علمت في المسلك الأول وظهر صدقه فيها. فيكون نبياً صادقا لا كاذباً. الوجه العاشر : إن علماء اليهود سلموا كونه مبشرا به في التوراة. لكن بعضهم أسلم وبعضهم بقي في الكفر. كما أن قيافا، وكان رئيس الكهنة ونبياً على زعم يوحنا، عرف أن عيسى هو المسيح الموعود به ولم يؤمن، بل أفتى بكفره وقلته، كما صرح به يوحنا في الباب الحادي عشر والثامن عشر من انجيله. من حديث مخيريق وكان جبراً عالمياً كثير المال من النخل، وكان يعرف رسول الله ﷺ بصفته، وغلبت عليه ألفة دينه، فلم يزل على ذلك حتى كان يوم أحد وكان يوم السبت. فقال يا معشر اليهود والله إنكم لتعلمون أن نصر محمد عليكم الحق. قالوا فإن اليوم يوم السبت. قال لا سبت. ثم أخذ سلاحه وخرج حتى أتى النبي ﷺ باحدا، وكان يوم السبت، وعهد إلى مَنْ وراءه من قومه إن قتل هذا اليوم فما لي لمحمد يصنع فيه ما أراه الله تعالى. فقاتل حتى قُتل. فكان رسول الله ﷺ يقول مخيريق خير يهودي. وقيض رسول الله ﷺ أمواله. فعامة صدقات رسول الله ﷺ بالمدينة منها. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : أتى رسول الله ﷺ بيت المدارس، فقال: اخرجوا إلي اعلمكم. فقالوا: عبد الله بن سوريا، فخلا به رسول

(١) سورة الحاقة (٤٤ - ٤٦).

(٢) سورة المائدة (٦٧).

الله ﷻ فناشده يدينه وبما أنعم الله عليهم، وأطعمهم من العن ومن والسلوى، وظللهم من الغمام: أنعلم أني رسول الله؟ قال اللهم نعم، وإن القوم يعرفون ما أعرف، وإن صفتك وتعتك لمبين في التوراة، ولكن حسدوك. قال فما يمتك أنت؟ قال أكره خلاف قومي، عسى أن يتبعوك ويسلموا فأسلم. وعن صفية بنت حيي رضي الله عنها: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة ونزل بقاء، غدا عليه أبي حيي بن أخطب وعمي أبو ياسر بن أخطب مقلسين، فلم يرجعا حتى كان غروب الشمس، فاتيا كالين كسلانين ساقطين يمشيان الهويناء. فهششت اليهما. فما التفت إلي أحد منهما مع ما بهما من الهم. فسمعت عمي أبا ياسر يقول لأبي أهو هو ؟ (أي الميسر به في التوراة) قال نعم والله. قال أثبتته وتعرفه ؟ قال نعم. قال فما في نفسك منه ؟ قال عداوته والله ما بقيت أبداً، فذلك عشرة كاملة فإن قيل أن اخوة بني اسرائيل لا تنحصر في بني اسمعيل لأن بني عيسو وبني أبناء فطورا زوجة ابراهيم عليهما السلام من اخوتهم أيضا. قلت نعم هؤلاء أيضا من اخوة بني اسرائيل، لكنهم لم يظهر أحد منهم يكون موصوفاً بالأمر المذكورة. ولم يكن وعد الله في حقهم أيضا بخلاف بني اسمعيل، فإنهم كان وعد الله في حقهم لابراهيم ولهاجر عليهما السلام مع أنه لا يصح أن يكون مصداق هذا الخبر بي عيسو على ما هو مقتضى دعاء اسحق عليه السلام المصروح به في الباب السابع والعشرين من سفر التكوين. ولعلماء پروتستنت اعتراضان نقلهما صاحب الميزان في كتابه المسمى بحل الاشكال في جواب الاستفسار الأول، أنه وقع في الآية الخامسة عشر من الباب الثامن عشر من سفر الاستثناء هكذا: «فإن الرب الهك يقيم من بينك من بين اخوتك». الخ. فلفظ (من بينك) يدل دلالة ظاهرة على أن هذا النبي يكون من بني اسرائيل، لا من بني اسمعيل. والثاني أن عيسى عليه السلام نسب هذه البشارة الى نفسه، فقال في الآية السادسة والأربعين من الباب الخامس من انجيل يوحنا أن موسى كتب في حقي. أقول: آية الاستثناء على وفق التراجم الفارسية وتراجم أردو هكذا: «فإن الرب الهك يقيم من بينك من بين اخوتك نيبا مثلي فاسمع منه». والقيس أيضا نقلها هكذا. والجواب أن اللفظ المذكور لا ينافي مقصودنا، لأن محمداً عليه

السلام لما هاجر الى المدينة وبها تكامل أمره، وقد كان حول المدينة بلاد اليهود كخيبر وبني قينقاع والنضير وغيرهم، فقد قام من بينهم. ولأنه اذا كان من اخوتهم فقد قام من بينهم، ولأن قوله ( من بين اخوتك ) بدل من قوله ( من بينك ) بدل اشتغال، على رأي ابن الحاجب ومتبعيه القائلين بكافة علاقة الملابس غير الكلية والجزئية في تحقق هذا المدل، نحو جاءني زيد أخوه وجاءني زيد غلامه، وبديل اضراب على رأي ابن مالك. وعلى كلا التقديرين المبدل منه غير مقصود. وبديل على كونه غير مقصود أن موسى عليه السلام، لما أعاد هذا الوعد من كلام الله في الآية الثامنة عشر لا يوجد فيه لفظ ( من بينك ). ونقل بطرس الحواري أيضا هذا القول، ولا يوجد فيه هذا اللفظ، كما علمت في الوجه السابع. وكذا نقله استفانوس أيضا، ولا يوجد في نقله أيضا هذا اللفظ كما صرح به في الباب السابع من كتاب الأعمال وعبارته هكذا : « هذا هو موسى الذي قال لبني اسرائيل نبيا مثلي سيقم لكم الرب الهكم من اخوتكم له تسمعون ». فسقوله في هذه المواضع دليل على كونه غير مقصود فاحتمال البديل قوي جدا. وقال صاحب الاستفسار : « إن لفظ ( من بينك ) الحاقى زيد تحريفاً وبديل عليه ثلاثة أمور : الأول، أن المخاطبين في هذا الموضع كانوا بني اسرائيل كلهم لا البعض. فقوله ( من بينك ) خطاب الى جميع القوم. فصار لفظ ( من اخوتك ) لغواً محضاً لا معنى له. لكن لفظ ( من اخوتك ) جاء في الموضع الآخر أيضا فيكون صحيحا ولفظ ( من بينك ) الحاقيا زيد تحريفاً. والثاني: ان موسى عليه السلام، لما نقل كلام الله لإثبات قوله لا يوجد فيه هذا اللفظ، ولا يجوز أن يكون ما قال موسى مخالفا لما قاله الله. والثالث، إن الحواريين، كلما نقلوا هذا الكلام لا يوجد فيه لفظ ( من بينك ) وإن قلتم أن المحرف إذا حرف فلم لم يحرف الكلام كله ؟ قلت نحن نرى في محكمات العدالة دائما أن القبالات المحرفة يثبت تحريف الألفاظ المحرفة فيها من مواضع أخرى — منها غالبا، وأن شهود الزور يؤخذون ببعض بياناتهم. فالوجه الوجه على أن عادة الله جارية بأنه لا يهدي كيد الخائنين ويظهر خيانة خائن الدين بمقتضى مرحمته. فمقتضى هذه العادة

يصدر عن الخائن شيء ما يظهر به خيائته. على أنه لا توجد ملة يكون أهلها كلهم خائنين، فالحائنون الذين حرفوا كتب العهدين كان لهم لحاظ ما من جانب بعض المتدينين فلذلك ما بدلوا الكل ٥. انتهى. أقول هذا الجواب بالنسبة الى عادة أهل الكتاب التسيب، كما عرفت في الأمر السابع. وأقول في الجواب عن الاعتراض الثاني، أن آية الانجيل هكذا : « لأنكم لو كنتم تصدقون موسى لكنتم تصدقونني لأنه هو كتب عني ». وليس فيها تصريح بأن موسى عليه السلام كتب في حقه في الموضع الفلاني، بل المفهوم منه أن موسى كتب في حقه. وهذا يصدق إذا وجد في موضع من مواضع التوراة إشارة اليه. ونحن نسلم هذا الأمر كما ستعرف في ذيل بيان البشارة الثالثة. لكننا نذكر أن يكون قوله إشارة الى هذه البشارة للوجوه التي عرفت. وقد ادعى هذا المعترض في الفصل الثالث من الباب الثاني من الميزان أن الآية الخامسة عشر من الباب الثالث من سفر التكوين إشارة اليه. فهذا القدر يكفي لتصحيح قول عيسى عليه السلام. نعم لو قال عيسى عليه السلام ان موسى عليه السلام ما أشار في أسفاره الخمسة الى نبي من الأنبياء إلا إليّ لكان لهذا التوهم مجال في ذلك الوقت.

**البشارة الثانية<sup>(١)</sup> :** الآية الحادية والعشرون من الباب الثاني والثلاثين من سفر الامتناء هكذا : « هم أغاروني بغير إله وأغضبوني بمعبوداتهم الباطلة. وأنا أيضاً أغيرهم بغير شعب. وبشعب جاهل أغضبهم ». والمراد بشعب جاهل العرب، لأنهم كانوا في غاية الجهل والضلال، وما كان عندهم علم لا من العلوم الشرعية ولا من العلوم العقلية، وما كانوا يعرفون سوى عبادة الأوثان والأصنام، وكانوا محقرين عند اليهود لكونهم من أولاد هاجر الجارية.

(١) ينسب المؤلف تعداد البشارات التي برأها في كتب العهد القديم والذاتة على محمد ﷺ وهذا التعداد يسمونه تأليفاً، ضمن المسلك السادس من الفصل الأول من الباب السادس من هذا الكتاب. ولكننا أثّرنا فصل البشارات (أو الإخبارات) عن مسائل الفصل ووضعنا لها عنواناً ثانوياً ليُبعد ما بين هذه الإخبارات والأخبار الواردة في المسالك الستة والشاهدة على نبوة محمد ﷺ ومعجزاته.

لمقصود الآية أن بني اسرائيل أغاروني بعبادة المعبودات الباطلة فأغبرهم  
 باصطفاء الذين هم عندهم محقرون وجاهلون. فأوفى بما وعد، فبعث من  
 العرب النبي ﷺ فهداهم الى الصراط المستقيم، كما قال الله تعالى في سورة  
 الجمعة : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ  
 وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ  
 مُبِينٍ ﴾ (١). وليس المراد بالشعب الجاهل اليونانيين، كما يفهم من ظاهر  
 كلام مقدسهم بولس في الباب العاشر من الرسالة الرومية. لأن اليونانيين، قبل  
 ظهور عيسى عليه السلام بأزيد من ثلثمائة سنة، كانوا فائسين على أهل العالم  
 كلهم في العلوم والفنون. وكان جميع الحكماء المشهورين، مثل سقراط  
 وبقرات وپيساغورس وافلاطون وارسطاطاليس وارشميدس وپلیناس وافلیدس  
 وجالینوس وغيرهم الذين كانوا أئمة الإلهيات والرياضيات والطبيعات  
 وفروعها، قبل عيسى عليه السلام. وكان اليونانيون في عهده على غاية درجة  
 الكمال في فنونهم، وكانوا واقفين على أحكام التوراة وقصصها وسائر كتب  
 العهد العتيق أيضا بواسطة ترجمة سبتوجنت التي ظهرت باللسان اليوناني قبل  
 المسيح بمقدار مائتين وست وثمانين سنة. لكنهم ما كانوا معتقدين للملة  
 الموسوية، وكانوا متفحصين عن الأشياء الحكمية الجديدة، كما قال مقدسهم  
 هذا في الباب الأول من الرسالة الأولى الى أهل كورنثوس هكذا : « ٢٢ لأن  
 اليهود يسألون آية واليونانيين يطلبون حكمة ٢٣ ولكننا نحن نركز بالمسيح  
 مصلوبا لليهود عثرة ولليونانيين جهالة ». فلا يجوز أن يكون المراد بالشعب  
 الجاهل اليونانيين. فكلام مقدسهم في الرسالة الرومية، إما مؤول أو مردود.  
 وقد عرفت في الأمر الثامن أن قوله ساقط عن الاعتبار عندنا.

**البشارة الثالثة :** في الباب الثالث والثلاثين من سفر الاستثناء في الترجمة  
 العربية المطبوعة سنة ١٨٤٤ هكذا : « وقال جاء الرب من سيناء، وأشرق لنا  
 من ساعير، استعلن من جبل فاران، ومعه ألوف الأظفار في يمينه، سنة من

(١) سورة الجمعة (٢)

نار .» فمجئته من سيناء : اعطاؤه التوراة لموسى عليه السلام. واشراقه من ساعير : اعطاؤه الانجيل لعيسى عليه السلام. واستعلانه من جبل فاران : انزاله القرآن، لأن فاران جبل من جبال مكة. في الباب الحادي والعشرين من سفر التكوين في حال اسمعيل عليه السلام هكذا : « ٢٠ وكان الله معه وسما وسكن في البرية وصار شانا يرمي بالسهم ٢١ وسكن بركة فاران وأخذت له أمه امرأة من أرض مصر .» ولا شك أن اسمعيل عليه السلام كانت سكنته بمكة، ولا يصح أن يُراد أن النار لما ظهرت من طور سيناء ظهرت من ساعير ومن فاران أيضا فانتشرت في هذه المواضع. لأن الله لو خلق ناراً في موضع لا يقال جاء الله من ذلك الموضع، إلا إذا اتبع تلك الواقعة وحسب نزل في ذلك الموضع أو عقوبة أو ما أشبه ذلك. وقد اعترفوا أن الوحي اتبع تلك في طور سيناء. فكذا لا بد أن يكون في ساعير وفاران.

البشارة الرابعة : في الآية العشرين من الباب السابع عشر من سفر التكوين وعد الله في حق اسمعيل عليه السلام لابراهيم عليه السلام. في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٤٤ هكذا : « وعلى اسمعيل استجيب لك. هوذا أباركه وأكبره وأكثره جداً. فسيلد اثني عشر رئيساً واجعله لشعب كبير .» وقوله اجعله لشعب كبير يشير الى محمد ﷺ. لأنه لم يكن في ولد اسمعيل من كان شعب كبير غيره. وقد قال الله تعالى ناقلاً دعاء ابراهيم واسمعيل في حقه عليهم السلام في كلامه المجيد ايضاً : ﴿ زَيْنًا وَبَارَكْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ أَعَزُّهُمْ أَلْحَكِيمٌ ﴾<sup>(١)</sup>. وقال الإمام القرطبي في الفصل الأول من القسم الثاني من كتابه : « وقد تفتن بعض النباه، ممن نشأ على لسان اليهود وقرأ بعض كتبهم، فقال يخرج مما ذكر من عبارة التوراة في موضعين اسم محمد ﷺ بالعدد على ما يستعمله اليهود فيما بينهم : الأول قوله ( جداً جداً ) بتلك اللغة ( بمادام ) . وعدد هذه الحروف الثمان وتسعون. لأن الباء

(١) سورة البقرة ( ١٢٩ ).

اثنان، والميم أربعون، والألف واحد، والدال أربعة، والميم الثانية أربعون، والألف واحد، والدال أربعة. وكذلك الميم من محمد أربعون، والحاء ثمانية، والميم أربعون، والدال أربعة. والثاني قوله ( لشعب كبير ). بتلك اللغة ( لغوي غدول ) فاللام عندهم ثلاثون، والعين ثلاثة لأنه عندهم في مقام الحيم إذ ليس في لغتهم جيم ولا صاد، والواو ستة، والياء عشرة، والعين أيضا ثلاثة، والدال أربعة، والواو ستة، واللام ثلاثون، فمجموع هذه أيضا اثنان وتسعون . انتهى كلامه بتلخيص ما. وعبد السلام كان من أحبار اليهود ثم أسلم في عهد السلطان المرحوم بايزيد خان وصنف رسالة صغيرة سماها بالرسالة الهادية فقال فيها : « ان أكثر أدلة أحبار اليهود بحرف الجمل الكبير. وهو حرف أيجد. فان أحبار اليهود حين بنى سليمان النبي عليه السلام بيت المقدس اجتمعوا وقالوا يبقى هذا البناء أربعمائة وعشرة سنين، ثم يعرض له الخراب لأنهم حسبوا لفظة بزات . ثم قال : « واعترضوا على هذا الدليل بان الباء في ( بمادما ) ليست من نفس الكلمة، بل هي اداة حرف جيء به للصلة. فلو أخرج منه اسم محمد لاحتاج الى باء ثانية، ويقال بمادماد. قلنا من المشهور عندهم إذا اجتمع اليان أحدهما أداة والآخر من نفس الكلمة تحذف الأداة وتبقى التي هي من نفس الكلمة. وهذا شائع عندهم في مواضع غير معدودة فلا حاجة الى ايرادها . انتهى كلامه بلفظه. أقول قد صرح العلماء بأن من أسمائه ﷺ « مادما » كما في شفاء القاضي عياض.

**البشارة الخامسة :** الآية العاشرة من الباب التاسع والأربعين من سفر التكوين هكذا ترجمة عربية سنة ١٧٢٢ سنة ١٨٣١ سنة ١٨٤٤ : « فلا يزول القضيبي من يهوذا والمدير من فخذة حتى يحيى الذي له الكل، وإياه تنتظر الامم . » ترجمة عربية سنة ١٨١١ : « فلا يزول القضيبي من يهوذا والرسم من تحت أمره، الى أن يحيى الذي هو له واليه تجتمع الشعوب . » ولفظ ( الذي له الكل ) أو ( الذي هو له ) ترجمة لفظ ( شيلوه ). وفي ترجمة هذا اللفظ اختلاف كثير فيما بينهم. وقد عرفت في الأمر السابع أيضا. وقال عبد السلام في الرسالة الهادية هكذا : « لا يزول الحاكم من يهوذا ولا



راسم من بين رجليه، حتى يجيء الذي له واليه تجتمع الشعوب. وفي هذه الآية دلالة على أن يجيء سيدنا (محمد ﷺ) بعد تمام حكم موسى وعيسى. لأن المراد من الحاكم هو موسى. لأنه بعد يعقوب ما جاء صاحب شريعة الى زمان موسى إلا موسى. والمراد من الراسم هو عيسى، لأنه بعد موسى الى زمان عيسى ما جاء صاحب شريعة إلا عيسى، وبعدهما ما جاء صاحب شريعة إلا محمد. فعلم أن المراد من قول يعقوب في آخر الأيام هو نبينا محمد عليه السلام، لأنه في آخر الزمان بعد مضي حكم الحاكم والراسم ما جاء إلا سيدنا محمد عليه السلام. ويدل عليه أيضا قوله حتى يجيء الذي له أي الحكم بدلالة مساق الآية وسياقها. وأما قوله (واليه تجتمع الشعوب) فهي علامة صريحة ودلالة واضحة على أن المراد منها هو سيدنا، لأنه ما اجتمع الشعوب إلا إليه. وإنما لم يذكر الزبور لأنه لا أحكام فيه، ودأود النبي تابع لموسى. والمراد من خبر يعقوب هو صاحب الأحكام. انتهى كلامه بلفظه. أقول إنما أراد من الحاكم موسى عليه السلام، لأن شريعته جبرية انتقامية. ومن الراسم عيسى عليه السلام، لأن شريعته ليست بجبرية ولا انتقامية. وإن أريد من القضيبي السلطنة الدنيوية ومن المدير الحاكم الدنيوي، كما يفهم من رسائل القسيسين من فرقة پروتستنت ومن بعض تراجمهم، فلا يصح أن يراد بشيلوه مسيح اليهود، كما هو مزعومهم، ولا عيسى عليه السلام كما هو مزعوم النصارى. أما الأول فظاهر لأن السلطنة الدنيوية والحاكم الدنيوي زالا من آل يهوذا من مدة هي أزيد من ألفي سنة من عهد بختنصر، ولم يسمع الى الآن حسي مسيح اليهود. وأما الثاني فلائهما زالتا من آل يهوذا أيضا قبل ظهور عيسى عليه السلام بمقدار ستمائة سنة من عهد بختنصر وهو أجلى بني يهوذا الى بابل وكانوا في الجلاء ثلاثا وستين سنة لا سبعين، كما يقول بعض علماء پروتستنت تغليطا للعوام. وقد عرفت في الفصل الثالث من الباب الأول، ثم وقع عليهم في عهد انتيوكس ما وقع، فانه عزل أونياس حبر اليهود وباع منصبه لأخيه ياسون بثلاثمائة وستين وزنة ذهب يقدمها له خراجا كل سنة، ثم عزله وباع ذلك لأخيه مينالاوس بستمائة وستين وزنة، ثم شاع خبر موته، فطلب ياسون أن يسترد لنفسه الكهنوت ودخل أورشليم بألوف من الجنود

قتل كل من كان يظنه عدوًّا له. وهذا الخبر كان كاذباً فبهجم انتيوكس على  
 أورشليم وامتلكها ثانية في سنة ١٧٠ قبل ميلاد المسيح، وقتل من أهلها  
 أربعين ألفاً وباع مثل ذلك عبيداً. وفي الفصل العشرين من الجزء الثاني من  
 مرشد الطالبين في بيان الجدول التاريخي في الصفحة ٤٨١ من النسخة  
 المطبوعة سنة ١٨٥٢ من الميلاد : أنه نهب أورشليم وقتل ثمانين ألفاً .  
 انتهى وسلب ما كان في الهيكل من الامتعة النفيسة التي كانت قيمتها ثمانمائة  
 وزنة ذهب، وقُرب خنزيرة وقوداً على المذبح للالهانة، ثم رجع الى انطاكية،  
 وأقام قبليس أحد الأراذل حاكماً على اليهودية. وفي رحلته الرابعة الى مصر  
 أرسل أبولونيوس بعشرين ألفاً من جنوده وأمرهم أن يخربوا أورشليم ويقتلوا  
 كل من بها من الرجال ويسبوا النساء والصبيان. فانطلقوا الى هناك، وبينما  
 كان الناس في المدينة مجتمعين للصلاة يوم السبت هجموا عليهم على غفلة  
 فقتلوا الكل إلا مَنْ أفلت الى الجبال واختفى في المغاير، ونهبوا أموال المدينة  
 وأحرقوها وهدموا أسوارها وأخربوا منازلها، ثم ابتوا لهم من بساطت ذلك  
 الهدم قلعة حصينة على جبل اكرا. وكانت العساكر تشرف منها على جميع  
 نواحي الهيكل، ومَنْ دنا منه يقتلونه. ثم أرسل انتيوكس اثانيوس ليعلم اليهود  
 طقوس عبادة الأصنام اليونانية ويقتل كل مَنْ لا يمثل ذلك الأمر. فجاء  
 اثانيوس الى أورشليم وساعده على ذلك بعض اليهود الكافرين، وأبطل الذبيحة  
 اليومية ونسخ كل طاعة للدين اليهودي عموماً وخصوصاً، وأحرق كل ما  
 وجده من نسخ كتب العهد العتيق بالفحص التام، وكرس الهيكل للمشتري  
 ونصب صورة ذلك على مذبح اليهود، وأهلك كل مَنْ وجده مخالفاً أمر  
 انتيوكس. ونجا متاباس الكاهن مع أبنائه الخمسة في هذه الداهية وفروا الى  
 وطنهم مودين في سبط دان، فانتقم من هؤلاء الكفار انتقاماً ما قدروا عليه  
 على استطاعته، كما هو مُصرح به في التواريخ. فكيف يَصُدِّقُ هذا الخبر على  
 عيسى عليه السلام ؟ وإن قالوا أن المراد ببقاء السلطنة والحكومة امتياز القوم،  
 كما يقول بعضهم الآن، قلنا هذا الأمر كان باقياً الى ظهور محمد ﷺ،  
 وكانوا في أقطار العرب ذوي حصون وأملاك غير مطيعين لأحد مثل يهود  
 خيبر وغيرهم، كما يشهد به التواريخ، وبعد ظهور محمد ﷺ ضُربت عليهم

الذلة والمسكنة وصاروا في كل اقليم مطيعين للغير . فالإليق أن يكون المراد بشيلوه النبي ﷺ لا مسيح اليهود ولا عيسى عليه السلام .

**البشارة السادسة :** الزبور الخامس والأربعون هكذا : ٥ فاض قلبي كلمة صالحة . انا أقول أعمالي للملك ١ لساني قلم كاتب سريع الكتابة ٢ بهي في الحسن أفضل من بني البشر ٣ انسكبت النعمة على شفئك ، لذلك باركك الله الى الدهر ٤ تقلد سيفك على فخذك أيها القوي بحسبك وجمالك ٥ أستله وأنجح وأملك من أجل الحق والدعة والصدق ، وتهديك بالعجب يمينك ٦ نبلك مسنونة أيها القوي في قلب أعداء الملك ، الشعوب تحتك يسقطون ٧ كرسبك ، يا الله ، الى دهر الداهرين ، عصا الاستقامة عصا ملكك ٨ أحببت المر وأبغضت الإثم ، لذلك مسحك الله إلهك بدهن الفرح أفضل من أصحابك ٩ المر والمبعة والسليخة من ثيابك ، من منازل الشريفة العاج التي أبهجتك ١٠ بنات الملوك في كرامتك ، قامت الملكة من عن يمينك مشتملة بثوب مذهب موسى ١١ اسمعي يا بنت وانظري وانصتي بأذنيك وانسي شعبك وبنت أليك ١٢ فيشتهي الملك حسبك لأنه هو الرب الهك وله تسجدين ١٣ بنات صور يأتينك بالهدايا ، لوجهك يصلي كل أغنياء الشعب ١٤ كل مجد ابنة الملك من داخل مشتملة بلباس الذهب الموشى ١٥ يلغن الى الملك عذارى في أثرها قريباتها اليك يقدمن ١٦ يلغن بفرح واجتهاج يدخلن الى هيكل الملك ١٧ ويكون بنوك عوضا من آبائك وتقيمهم رؤساء على سائر الأرض ١٨ سأذكر اسمك في كل جيل وجيل ، من أجل ذلك تعترف لك الشعوب الى الدهر ، والى دهر الداهرين . وهذا الأمر مسلم عند أهل الكتاب ، أن داود عليه السلام يشر في هذا الزبور بني يكون ظهوره بعد زمانه ، ولم يظهر الى هذا الحين عند اليهود بني يكون موصوفا بالصفات المذكورة في هذا الزبور . ويدعي علماء پروتستنت أن هذا النبي عيسى عليه السلام . ويدعي أهل الإسلام سلفا وخلفا أن هذا النبي محمد ﷺ . فأقول أنه ذكر في هذا الزبور من صفات النبي المبشر به هذه الصفات : ١/ كونه حسنا . ٢/ كونه أفضل البشر . ٣/ كونه النعمة منسكبة على شفئك . ٤/ كونه مباركا الى الدهر . ٥/ كونه متقلدا بالسيف . ٦/ كونه قويا . ٧/ كونه

ذا حق ودعة وصدق. / ٨/ كونه هداية يمينه بالعجب. / ٩/ كون نبهة مستونة. / ١٠/ سقوط الشعب تحته. / ١١/ كونه محبا للبر ومبغضا للإثم. / ١٢/ خدمة بنات الملوك اياه. / ١٣/ اتيان الهدايا اليه. / ١٤/ انقياد كل أغنياء الشعب له. / ١٥/ كون أبنائه رؤساء الأرض بدل آبائهم. / ١٦/ كون اسمه مذكورا جيلا بعد جيل. / ١٧/ مدح الشعوب اياه الى دهر الداهرين. وهذه الأوصاف كلها توحد في محمد ﷺ على أكمل وجه.

**أما الأول** فلأن أبا هريرة رضي الله عنه قال : « ما رأيت شيئا أحسن من رسول الله ﷺ. كأن الشمس تجري في وجهه، وإذا ضحكك يتلأأ في الجدار ». وعن أم معبد رضي الله عنها قالت في بعض ما وصفته به : « أجمل الناس من بعيد وأحلامهم وأحسنهم من قريب ». وأما الثاني فلأن الله تعالى قال في كلامه المحكم ﴿ تِلْكَ أَلْرُسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ (١) الآية. وقال أهل التفسير : أراد بقوله ( ورفع بعضهم درجات ) محمدا ﷺ، أي رفعه على سائر الأنبياء من وجوه متعددة. وقد أشبع الكلام في تفسير هذه الآية الإمام الهمام الفخر الرازي في تفسيره الكبير. وقال ﷺ : « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ». أي لا أقول ذلك فخرا لنفسي، بل تحدثا بنعمة ربي. وأما الثالث فغير محتاج الى البيان حتى أفر بفصاحته الموافق والمخالف. وقال الرواة في وصف كلامه أنه كان أصدق الناس لهجة، فكان من الفصاحة بالمحل الأفضل والموضع الأكمل. وأما الرابع فلأن الله تعالى قال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﴾ (٢) وألوف ألوف من الناس يصلون عليه في الصلوات الخمس. وأما الخامس فظاهر. وقد قال هو بنفسه « أنا رسول الله بالسيف ». وأما السادس فكانت قوته الجسمانية على الكمال، كما ثبت أن ركائة خلا برسول الله ﷺ في بعض شعاب مكة قبل أن يسلم،

(١) سورة البقرة ( ٢٥٣ )

(٢) سورة الاحزاب ( ٥٦ )

فقال : يا ركانة ألا تتقي الله وتقبل ما أدعوك إليه ؟ فقال : لو أعلم والله ما تقول حقاً لاتبعتك. فقال : أرأيت أن صرعتك، أتعلم أن ما أقول حق ؟ قال : نعم. فلما بطش به ﷺ أضججه لا يملك من أمره شيئاً، ثم قال : يا محمد غدّ. فصرعه أيضاً. فقال يا محمد ان ذا لعجب. فقال ﷺ : وأعجب من ذلك إن شئت ان أريكه، ان اتقيت الله وتبعت أمري. قال : ما هو ؟ قال : أدعو لك هذه الشجرة. فدعاها، فاقبلت حتى وقفت بين يديه ﷺ، فقال لها : ارجعي مكانك. فرجع ركانة الى قومه، فقال يا بني عبد مناف، ما رأيت أسحر منه. ثم أخبرهم بما رأى. وركانة هذا كان من الأقوياء والمصارعين المشهورين. وأما شجاعته فقد قال ابن عمر رضي الله عنهما : « ما رأيت أشجع ولا أنجد ولا أجود من رسول الله ﷺ ». وقال علي كرم الله وجهه : « وإنا كنا اذا حمى البأس واحمرت الحدى اتقينا برسول الله ﷺ، فما يكون أحد أقرب الى العدو منه. ولقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله ﷺ وهو أقربنا الى العدو، وكان من أشدّ الناس يومئذ بأساً ». وأما السابغ فلأن الامانة والصدق من الصفات الجبيلة له ﷺ، كما قال النضر بن الحرث لقريش : « قد كان محمد فيكم غلاماً حدثاً أرضاكم فيكم وأصدقكم حديثاً وأعظمكم أمانة، حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم فلتنم انه ساحر. لا والله ما هو بساحر ». وسأل هرقل عن حال النبي ﷺ أبا سفيان، فقال : هل كنتم تنهونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قال لا. وأما الثامن، فلأنه رمى يوم بدر وكذا يوم حنين وجوه الكفار بقبضة تراب، فلم يبق مشرك إلا شغل عينه، فانهزموا وتمكن المسلمون منهم قتلاً وأسراً. فأمثال هذه من عجيب هداية يمينه. وأما التاسع، فلأن كون أولاد اسمعيل أصحاب النبل في سالف الزمان غير محتاج الى البيان. وكان هذا الأمر مرغوباً له، وكان يقول « ستفتح عليكم الروم ويكفيكم الله فلا يعجز أحدكم أن يلهو باسمه ». ويقول : « ارموا بني اسمعيل فان أباكم كان رامياً ». ويقول عليه السلام « مَنْ تعلّم الرمي ثم تركه فليس منا ». وأما العاشر، فلأن الناس دخلوا أفواجا أفواجا في دين الله في مدة حياته. وأما الحادي عشر، فمشهور يعترف به المعاندون أيضاً، كما عرفت في المسلك الثاني. وأما الثاني عشر، فقد

صارت بنات الملوك والأمراء خادمة للمسلمين في الطبقة الأولى، ومنها شهربانو بنت يزدجرد كسرى فارس، كانت تحت الإمام الهمام الحسين رضي الله عنه. وأما الثالث عشر والرابع عشر فلأن النجاشي ملك الحبشة ومنذر بن ساوي ملك البحرين وملك عمان انقادوا وأسلموا، وهرقل فيصر الروم أرسل اليه بهدية، والمقوقس ملك القبط أرسل اليه ثلاث حوارٍ وغلاماً أسود وبغلة شهباء وحماراً أشهب وفرساً وثياباً وغيرها. وأما الخامس عشر، فقد وصل من أبناء الإمام الحسن رضي الله عنه إلى الخلافة وألوف في أقاليم مختلفة من الحجاز واليمن ومصر والمغرب والشام وفارس والهند وغيرها وفازوا بالسلطنة والإمارة العلية. وإلى الآن أيضاً في ديار الحجاز واليمن وفي غيرها توجد الأمراء والحكام من نسله عليه السلام. وسيظهر إن شاء الله المهدي رضي الله عنه من نسله، ويكون خليفة الله في الأرض، ويكون الدين كله لله في عهده الشريف. وأما السادس عشر والسابع عشر فلأنه ينادي ألوف ألوف جيلاً بعد جيل في الأوقات الخمسة بصوت رفيع في أقاليم مختلفة : « أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ». ويصلي عليه في الأوقات المذكورة الغير المحصورين من المصلين، والقراء يحفظون منشوره، والمفسرون يفسرون معاني فرقائه، والوعاظ يلغون وعظه، والعلماء والسلاطين يصلون إلى خدمته ويسلمون عليه من وراء الباب ويمسحون وجوههم بتراب روضته ويرجون شفاعته. ولا يصدق هذا الخبر في حق عيسى عليه السلام، كما يدعيه علماء يروستنت ادعاءً باطلاً، لأنهم يدعون أن الخبر المندرج في الباب الثالث والخمسين من كتاب أشعيا في حق عيسى عليه السلام، ووقع في هذا الخبر في حقه هكذا : « ليس له منظر وجمال ورأيتاه، ولم يكن له منظر واشتهيتاه مهاناً، وآخر الرجال رجل الأوجاع مختبر بالأمراض، وكان مكتوما وجهه ومزدولاً، ولم نحسبه ونحن حسباه كأبرص، ومضروباً من الله ومخضوعاً والرب شاء أن يستحقه ». وهذه الأوصاف ضد الأوصاف التي في الزبور المذكور، فلا يصدق عليه كونه حسناً ولا كونه قوياً، وكذا لا يصدق عليه كونه منقلداً بالسيف، ولا كون نبلة مستونة، ولا انقياد الأغنياء، ولا إرسالهم إليه الهدايا، بل هو على زعم النصارى أخذوه وأهانوه واستهزؤا به

وضربوه بالسياط، ثم صلبوه. وما كان له زوجة ولا ابن فلا يصدق دخول بنات الملوك في بيته، ولا كون أبنائه بدل آبائه ورؤساء الأرض<sup>(١)</sup>.

البشارة السابعة : في الزبور المائة والتاسع والأربعين هكذا : « سبحانه الرب تسيحاً جديداً، سبحانه في مجمع الأبرار ٢ فليفرح إسرائيل بخالفه وبنو صهيون يبتهجون بملكهم ٣ فليسيحوا اسمه بالمصاف بالطليل والمزممار ويرتلوا له ٤ لأن الرب يسر بشعبه ويشرف المتواضعين بالخلاص ٥ تفتخر الأبرار بالمجد ويبتهجون على مضاجعهم ٦ ترفع الله في حلوقهم وسيوف ذات فمين في أياديهم ٧ ليصنعوا انتقاماً في الأمم وتوبيخات في الشعوب ٨ ليقيدوا ملوكهم بالقيود وأشرفهم بأغلال من حديد ليضعوا بهم حكماً مكتوما ٩ هذا المجد يكون لجميع الأبرار ١٠ ففي هذا الزبور عبر عن المبتشر به بالملك، وعن مطيعه بالأبرار، وذكر من أوصافهم اقتخارهم بالمجد، وترفع الله في حلوقهم وكون سيوف ذات فمين في أياديهم وانتقامهم من الأمم وتوبيخاتهم للشعوب وأسرهم الملوك والأشراف بالقيود والأغلال من حديد،

---

(١) ترجمة الآية الثامنة التي نقلتها مطابقة للترجمة الفارسية للزبور التي كانت عندي وترجم أردو للزبور، وموافقة لنقل مقدسهم يولس. لأنه نقل هذه الآية في الباب الأول من رسالته العبرانية هكذا ترجمة عربية سنة ١٨٢١ وسنة ١٨٣١ وسنة ١٨٤٤ : « أحببت الرب وأبغضت الأمم لذلك مسحك الله الهك بدمع الفرح أفضل من أصحابك ». والترجم الفارسية المطبوعة سنة ١٨١٦ وسنة ١٨٢٨ وسنة ١٨٤١، وترجم أردو المطبوعة سنة ١٨٣٩ وسنة ١٨٤٠ وسنة ١٨٤١، مطابقة للترجم العربية فالترجمة التي تكون مخالفة لما نقلت تكون غير صحيحة وبكفي لردّها الرأى كلام مقدسهم، وقد عرفت في مقدمة الباب الرابع أن إطلاق لفظ الإله والرب وأمثالهما جاء على العوام، فضلاً عن الخواص. والآية السادسة من الزبور الثاني والثمانين هكذا : « أنا قلت أنكم آلهة وبنو العلي كلكم ». فلا يرد ما قال صاحب مفتاح الأسرار أنه وقع في الآية المذكورة هكذا . « أحببت الرب وأبغضت الشر من أجل ذلك يا الله، مسح الهك بدمع الهجة أفضل من رفائك ». ولا يخلل لشخص غير المسيح يا الله مسح الهك الخ. لانا لا نسلم أولاً صحة ترجمته، لكننا مخالفة لكلام مقدسهم، وثانياً لو قطعنا النظر عن عدم صحتها، أقول ادعائه صريح البطلان لأن لفظ الله ههنا بالمعنى المجازي لا الحقيقي، وبدل عليه قوله الهك. لأن إله الحقيقي لا إله له. فإذا كان بالمعنى المجازي يصدق في حق محمد ﷺ كما يصدق في حق عيسى عليه السلام.

فأقول المبشر به محمد ﷺ وأصحابه. وليس المبشر به سليمان عليه السلام، لأنه ما وسع مملكته على مملكة أبيه، على رغم أهل الكتاب، ولأنه صار مرتداً عابد الأصنام في آخر عمره على زعمهم ولا عيسى بن مريم عليهما السلام، لأنه بمراحل عن الأوصاف المذكورة فيه، لأنه أسر ثم قتل على زعمهم، وكذا أسر أكثر حواربه بالقيود والأغلال ثم قتلوا بأيدي الملوك والأشراف والكفار.

البشارة الثامنة : في الباب الثاني والأربعين من كتاب أشعيا هكذا : ٩ هـ التي قد كانت أولاهها قد أتت، وأنا مخبر أيضا بأحداث قبل أن تحدث وأسمعكم ايها ١٠ سبحوا للرب تسيحة جديدة. حمده من أقاصي الأرض راكبين في البحر وملؤه الجزائر وسكانهن ١١ يرتفع البرية ومدتها في البيوت نحل قيدار. سبحوا يا سكان الكهف من رؤس الجبال يصيحون ١٢ يجعلون للرب كرامة وحمده يخبرون به في الجزائر ١٣ الرب كجبار يخرج مثل رجل مقاتل يهوش الغيرة، يصوت ويصيح، على أعدائه يتقوى ١٤ سكث دائما صمئت صبرت صبرا فاتكلم مثل الطائفة ما بدد وابتلع معا ١٥ احرب الجبال والآكام وكل بناتهن اجفف، وأجعل الأنهار جزائر والبحيرات اجففهن ١٦ وأقيد العمي في طريق لم يعرفوها، والسبل لم يعلموا أسيرهم فيها أصير امامهم الظلمة نورا، والعقب سهلا. هذا الكلام صنعه لهم ولا أخذلهم ١٧ اندبروا الى ورائهم والمتكلمون على المنحوتة القائلون للمسبوكة انكم الهتنا ليخزون خزيا » والآية السابعة عشر في الترجمة الفارسية هكذا : ( كسانيكه برشكل تراشیده توکل دارند هزیمت وبشیمان تمام خواهند یافت ). وظهر من الآية التاسعة ان أشعيا عليه السلام أحبر أولا عن بعض الأشياء، ثم يخبر عن الأخبار الجديدة الآتية في المستقبل. فالحال الذي يخبر عنه من هذه الآية الى آخر الباب غير الحال الذي أخبر عنه قبلها. ولذلك قال في الآية الثالثة والعشرين هكذا : « من هو نبيكم أن يسمع هذا يصغي ويسمع الآية ». والتسيحة الجديدة عبارة عن العبادة على النهج الجديد التي هي في الشريعة المحمدية، وتعميمها على سكان أقاصي الأرض وأهل الجزائر وأهل المدن والبراري اشارة الى عموم نبوته ﷺ. ولفظ ( قيدار ) أقوى اشارة اليه. لأن



محمدا ﷺ في أولاد قيدر بن اسمعيل. وقوله ( من رؤس الجبال يصيحون ) إشارة الى العبادة المخصوصة التي تؤدي في أيام الحج يصيح ألوف ألوف من الناس بليك اللهم ليك. وقوله ( حمده يخبرون به في الجزائر ) إشارة الى الأذان يخبر به ألوف ألوف في أقطار العالم في الأوقات الخمسة بالجهر. وقوله ( الرب كحجار يخرج مثل رجل مقاتل يهوش الغيرة ) يشير الى مضمون الجهاد إشارة حسنة بأن جهاده وجهاد تابعيه يكون لله وبأمره خاليا عن حفظ الهوس النفسانية. ولذلك عبر الله عن خروج هذا النبي وخروج تابعيه بخروجه. وبين في الآية الرابعة عشر سبب مشروعية الجهاد، وأشار في الآية السادسة عشر الى حال العرب لأنهم كانوا غير واقفين على أحكام الله، وكانوا يعبدون الأصنام وكانوا مبتلين بأنواع الرسوم القبيحة الجاهلية، كما قال الله تعالى في حقهم : ﴿ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾<sup>(١)</sup> وقوله ( لا أخذلهم ) إشارة الى كون أمته مرحومة ﴿ غَيْرَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾<sup>(٢)</sup> والى تأييد شريعته وقوله ( والمتوكلون على المنحوتة القائلون للمسبوكة أنكم آلهتنا ليخزون خزبا ) وغد بأن عابدي الأصنام والأوثان كمشركي العرب وعابدي الصليب وصور القديسين يحصل لهم الخزي والهزيمة التامة. ووفى بما وعد فإن مشركي العرب وهرقل عظيم الروم وكسرى فارس ما قصرُوا في اطفاء النور الأحمدى، لكنهم ما حصل لهم سوى الخزي التام. وعاقبة الأمر لم يبق أثر الشرك في اقليم العرب، وزالت دولة كسرى مطلقا، وزالت حكومة أهل الصليب من الشام مطلقا. وأما في الأقاليم الأخر فمن بعضها انمحي أثره مطلقا كبخارى وكابل وغيرهما، ومن بعضها قل كالهند والسند وغيرهما، وانتشر التوحيد شرقا وغربا.

**البشارة التاسعة :** في الباب الرابع والخمسين من كتاب أشعيا هكذا :  
 ١٨ سيجي أيتها العاقر التي لست تلدين، انشدي بالحمد، وهليلي التي لم

(١) سورة آل عمران ( ١٦٤ ).

(٢) سورة البقرة ( ٧ ).

تلدي من أجل أن الكثيرين من بني الوحشة أفضل من بني ذات رجل، يقول الرب ٢ أوسعي موضع خيمتك وسرادق مضاربك، ابسطي لا تشففي طول حبالك، ثبتي أوتادك ٣ لأنك تنفذين يمنة ويسرة، وزرعك يرث الأمم ويعمر المدن المخربة ٤ لا تخافي لأنك لا تخزين ولا تحجلين، فإنك لا تستحيين من أجل أنك خزني صباثك تنسين، وعار ترملك لا تذكرين أيضا ٥ فإنه يتولى عليك الذي صنعتك رب الجنود اسمه، وفاديك قدوس اسرئيل اله جميع الأرض يُدعى ٦ انما الرب دعاك مثل المرأة المطلقة والحزينة الروح وزوجة منذ الصبا مرفولة، قال الهك ٧ لساعة في قليل تركتك، وبرحمات عظيمة أجمعك ٨ في ساعة الغضب أخفيت قليلا وجهي عنك، وبالرحمة الأبدية رحمتك، قال فاديك الرب ٩ مثلما في أيام نوح لي هذا الذي خلقت له أن لا أصب مياه نوح على الأرض هكذا خلقت أن لا أغضب عليك وأن لا أوبخك ١٠ فان الجبال ترتجف، والتلال تزلزل، ورحمتي لا تزول عنك، وعهد سلامي لا يتحرك، قال رحيمك الرب ١١ فقيرة مستأصلة بعاصف بلا تعزية، هاأنذا أبلط بالربة حجارتك وأونسك بالسفير ١٢ وأجعل يسبا محاضك، وأبوابك حجارة منقوشة وجميع حدودك لأحجار مشتهية ١٣ جميع بنيك متعلمين من الرب، وكثرة السلام لبنيك ١٤ وبالنير تؤسسين فانتعدي في الظلم لأنك لا تخافين، ومن الهيبة لأنها لا تقرب منك ١٥ ها يأتي الجار الذي لم يكن معي والذي قد كان قريبا يقترب اليك ١٦ هاأنذا خلقت صائغا الذي ينفخ في النار جمرأ ويخرج اناء لعمله، وأنا خلقت قتولا للاهلاك ١٧ كل اناء محبوب ضدك لا ينجح، وكل لسان يخالفك في القضاء تحكمين عليه. هذا هو ميراث عبيد الرب وعدلهم عندي يقول الرب ١٨. فأقول : المراد بالعافر في الآية الأولى مكة المعظمة، لأنها لم يظهر منها نبي بعد اسمعيل عليه السلام، ولم ينزل فيها وحي بخلاف أورشليم، لأنه ظهر فيها الأنبياء الكثيرون، وكثر فيها نزول الوحي. وبني الوحشة عبارة عن أولاد هاجر، لأنها كانت بمنزلة المطلقة المخرجة عن البيت، ساكنة في البر، ولذلك وقع في حق اسمعيل في وعد الله هاجر ١٩ هذا سيكون انسانا وحشيا، كما هو مصرح به في الباب السادس عشر من سفر التكوين. وبني ذات رجل عبارة

عن أولاد سارة، فخطب الله مكة آمراً لها بالسيح والتهيل وإنشاد الشكر لأجل أن كثيرين من أولاد هاجر صاروا أفضل من أولاد سارة، فحصلت الفضيلة لها بسبب حصول الفضيلة لأهلها. ووفى بما وعد بأن بعث محمداً ﷺ رسولاً أفضل البشر خاتم النبيين من أهلها في أولاد هاجر. وهو المراد بالصائغ الذي يتفخ في النار جمرأ، وهو القتل الذي خلق لإهلاك المشركين وحصل لها السعة بواسطة هذا النبي، وما حصل لغيرها من المعابد في الدنيا، إذ لا يوجد في الدنيا معبد مثل الكعبة من ظهور محمد ﷺ إلى هذا الحين. والتعظيم الذي يحصل لها من القرابين في كل سنة من مدة ألف ومائتين وثمانين لم يحصل لبيت المقدس إلا مرتين، مرة في عهد سليمان عليه السلام، لما فرغ من بناؤه، ومرة في السنة الثامنة عشر من سلطنة يوشيا. ويبقى هذا التعظيم لمكة إلى آخر الدهر إن شاء الله، كما وعد الله بقوله لا تخافي لأنك لا تخزين ولا تخجلين لأنك لا تستحين، ويقول برحمات عظيمة أجمعك وبالرحمة الأبدية رحمتك، ويقول حلفت أن لا أغضب عليك وأن لا أوبخك، ويقول رحمتي لا تزول عنك وعهد سلامي لا يتحرك. وملك زرعها شرقاً وغرباً، وورثوا الأمم وعمروا المدن في مدة قليلة لا تتجاوز اثنين وعشرين سنة من الهجرة. ومثل هذه الغلبة في مثل هذه المدة القليلة لم يسمع من عهد آدم عليه السلام إلى زمان محمد ﷺ لمن يدعي الدين الجديد. وهذا مفاد قول الله وزرعك يرث الأمم ويعمر المدن الخربة. سلاطين الإسلام سلفاً وخلفاً اجتهدوا اجتهداً تاماً في بناء الكعبة والمسجد الحرام وتزيينهما وحفر الآبار والبرك والعيون في مكة ونواحيها، ومن المدة الممتدة هذه الخدمة الجليلة متعلقة بسلاطين آل عثمان غفر الله لأسلافهم ورضي الله عنهم. وزاد الله إقبال أحلافهم ووسع مملكتهم في الجهات، ووقفهم للعدل والحسنة، فهم خدموا ويخدمون الحرمين المعظمين أدام الله شرفهما من هذه المدة إلى هذا الحين، كما هي حتى صار لقب خدام الحرمين الشريفين عندهم أشرف الألقاب وأعزها، والغرباء يحيون مجاورتها من ظهور الإسلام إلى هذا الحين، سيما في هذا الزمان وألوف من الناس يصلون إليها في كل سنة من أقاليم مختلفة وديار بعيدة. ووفى بما وعد بقوله كل إناء مجبول

بضدك لا ينجح، لأن كل شخص من المخالف قام بضدها أذله الله، كما وقع باصحاب الفيل. رُوي أن أبرهة بن الصباح الأشرم لما ملك اليمن من قبل أصحمة النجاشي بنى كنيسة بصنعاء وسماها القليس، وأراد أن يصرف إليها الحاج وحلف أن يهدم الكعبة. فخرج بالحبيشة ومعه فيل له اسمه محمود، وكان قويا عظيماً وأفيال أخرى. فخرج إليه عبد المطلب وعرض عليه ثلث أموال تهامة ليرجع، فأبى وعياً جيشه وقدم الفيل. فكانوا كلما وجهوه إلى الحرم برك ولم يبرح، وإذا وجهوه إلى اليمن أو إلى غيره من الجهات هرول. فأرسل الله طيراً مع كل طائر حجر في متقاره وحجران في رجله أكبر من العدسة وأصغر من الحمصة، فكان الحجر يقع على رأس الرجل فيخرج من دبره، وعلى كل حجر اسم من يقع عليه. ففروا وهلكوا في كل طريق ومهمل، ودوى أبرهة فتساقطت أنامله وآرائه، وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه، وانفلت وزيره أبو يكسوم وطائر يحلق فوقه حتى بلغ النجاشي قمص عليه القصة، فلما أتمها وقع عليه الحجر فخر ميتاً بين يديه. وقد أخبر الله عن حال هؤلاء في سورة الفيل. وبحسب الوعد المذكور لا يدخل الأعور الدجال مكة ويرجع خائباً، كما جاء في الأحاديث الصحيحة.

**البشارة العاشرة :** في الباب الخامس والستين من كتاب اشعيا هكذا :  
 « ١ طلبني الذين لم يسألوني قبل، ووجدني الذين لم يطلبوني. قلت هانذا إلى الأمة الذين لم يدعوا باسمي ٢ بسط يدي طول النهار إلى شعب غير مؤمن الذي يسلك بطريق غير صالح وراء أفكارهم ٣ الشعب الذي يفضني أمام وجهي دائماً، الذين يذبحون في البساتين ويذبحون على اللب ٤ الذين يسكنون في القبور في مساجد الأوثان يرفدون، الذين يأكلون لحم الخنزير والمرق المنجس في آيتهم ٥ الذين يقولون أبعد عني لا تقرب مني لأنك لجس، هؤلاء يكونون دخاناً في رجز نار متقدة طول النهار ٦ ها مكتوب قدامي لا أسكت، بل أردُّ وأكافئ جزءاً في حزنهم ٧. فالمراد بالذين لم يسألوني والذين لم يطلبوني، العرب. لأنهم كانوا غير واقفين على ذات الله وصفاته وشرائعه، فما كانوا سائلين عن الله وطالبن له، كما قال الله تعالى في سورة آل عمران : ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ

أَلْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ لَيْفٍ ضَالِّينَ مُبِينِينَ ﴿٣١﴾ ولا يجوز أن يراد بهم اليونانيون، كما عرفت في البشارة الثانية. والوصف المذكور في الآية الثانية والثالثة يُصدّق على كل واحد من اليهود والنصارى، والأوصاف المذكورة في الآية الرابعة ألصق بحال النصارى، كما أن الوصف المذكور في الخامسة ألصق بحال اليهود، فردّهم الباري واحترار الأمة المحمدية.

**البشارة الحادية عشر :** في الباب الثاني من كتاب دانيال في حال الرؤيا التي رآها يختصر ملك بابل ونسي، ثم بين دانيال عليه السلام بحسب الوحي، تلك الرؤيا وتفسيرها : ٣١ فكنت أنت الملك ترى وإذ تمثال واحد جسيم، وكان التمثال عظيماً ورفيع القامة واقفاً قبالك ومنظره مخوفاً ٣٢ رأس هذا التمثال هو من ذهب ابريز، والصدر والذراعان من فضة، والبطن والفخذان من نحاس ٣٣ والساقان من حديد، والقدمان قسم منهما من حديد وقسم منها من خزف ٣٤ فكنت ترى هكذا حتى انقطع حجر من جبل لايبدين، وضرب التمثال في قدميه من حديد ومن خزف فسحقهما ٣٥ فانسحق حينئذ مع الحديد والخزف والنحاس والفضة والذهب، وصارت كغبار اليبدر في الصيف، فذرتها الريح ولم يوجد لها مكان والحجر الذي قد ضرب التمثال صار جيلاً عظيماً وملأ الأرض بأسرها ٣٦ فهذا هو الحلم، وتنبأ أيضاً قدامك يا أيها الملك بتفسيره ٣٧ أنت هو ملك الملوك، وإله السماء أعطاك الملك والقوة والسلطان والمجد ٣٨ وجميع ما يسكن فيه بنو الناس ووحوش الحقل، وأعطى بيدك طير السماء أيضاً، وجعل جميع الأشياء تحت سلطانك، فانت هو الرأس من الذهب ٣٩ وبعدك تقوم مملكة أخرى أصغر منك من فضة، ومملكة ثالثة أخرى من نحاس وتتسلط على جميع الأرض ٤٠ والمملكة الرابعة تكون مثل الحديد، كما أن الحديد يسحق ويغلب الجميع، هكذا هي تسحق وتكسر جميع هذه ٤١ أما فيما رأيت قسم

القدمين وأصابعهما من الخزف الفاخوري، وقسما من حديد، تكون المملكة  
 منفردة، وإن كان يخرج من نصبة الحديد حسبما رأيت الحديد مختلطاً  
 بالخزف من طين ٤٢ وأصابع القدمين قسم من حديد وقسم من خزف،  
 فتكون المملكة بقسم صلبة وقسم مسحوقة ٤٣ فيما رأيت الحديد مختلطاً  
 بالخزف من طين إنهم يخلطون بزرع بشري، بل لا يتلاصقون مثل ما ليس  
 يمكن أن يمتزج الحديد بالخزف ٤٤ فاما في أيام تلك الممالك بيعت اله  
 السماء مملكة وهي لن تنقضي قط، ملكها لا يُعطى لشعب آخر، وهي تسحق  
 وتفتي جميع هذه الممالك أجمعين، وهي تثبت الى الأبد ٤٥ وكما رأيت أن  
 من جبل انقطع حجر لا يبدن وسحق الخزف والحديد والنحاس والفضة  
 والذهب، فالاله العظيم أظهر للملك ما سيأتي من بعد. والحلم هو حقيقي  
 وتفسيره صحيح ٤٦ فالمراد بالمملكة الأولى سلطنة بختنصر، وبالمملكة الثانية  
 سلطنة الماديين الذين تسلطوا بعد قتل بلشاصر بن بختنصر، كما هو مصرح  
 به في الباب الخامس من الكتاب المذكور، وسلطنتهم كانت ضعيفة بالنسبة  
 الى سلطنة الكلدانيين. والمراد بالمملكة الثالثة سلطنة الكيانيين، لأن فورش  
 ملك ايران الذي هو بزعم القسيسين كيخسر وتسلط على بابل قبل ميلاد  
 المسيح بخمسمائة وست وثلاثين سنة، ولما كان الكيانيون على السلطنة  
 القاهرة، فكأنهم كانوا متسلطين على جميع الأرض. والمراد بالمملكة الرابعة  
 سلطنة اسكندر بن فيلبوس الرومي الذي تسلط على ديار فارس قبل ميلاد  
 المسيح بثلاثمائة وثلاثين سنة. فهذا السلطان كان في القوة بمنزلة الحديد، ثم  
 جعل هذا السلطان سلطنة فارس منقسمة على طوائف الملوك، فبقيت هذه  
 السلطنة ضعيفة الى ظهور الساسانيين، ثم صارت قوية بعد ظهورهم، فكانت  
 ضعيفة تارة وقوية تارة. وتولد في عهد أنوشروان محمد بن عبدالله  
 عليه السلام وأعطاه السلطنة الظاهرية والباطنية. وقد تسلط متبعوه في مدة قليلة شرقاً  
 وغرباً، وعلى جميع ديار فارس التي كانت هذه الرؤيا وتفسيرها متعلقين بها.  
 فهذه هي السلطنة الأبدية التي لا تنقضي، وملكها لا يُعطى لشعب آخر،  
 وسيظهر كمالها عن قريب في زمان الإمام الهمام المهدي رضي الله عنه. لكن  
 الوهن والضعف يقع قبل ظهوره بمدة قليلة، كما يشاهد بعض علاماته الآن ثم

يزول بظهوره، ويكون الدين كله لله. فهذا الحجر الذي انقطع لايديين من جبل وسحق الخنزف والحديد والنحاس والفضة والذهب وصار جبلا عظيماً وملاً الأرض بأسرها هو محمد ﷺ.

البشارة الثانية عشر : نقل بهذا الحوار في رسالته الخير الذي تكلم به اختوح الرسول الذي كان سابعا من آدم عليه السلام ومن عروجه الى ميلاد المسيح مدة ثلاثة آلاف وسبع عشرة سنة على زعم مؤرخيهم، وأنا أنقل عبارته من الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٤٤ : « الرب قد جاء في ربواته المقدسة ليدائن الجميع ويكت جميع المناققين على كل أعمال نفاقهم التي نافقوا فيها، وعلى كل الكلام الصعب الذي تكلم به ضد الله الخطاة المناققون ». وقد عرفت في مقدمة الباب الرابع ان استعمال للفظ الرب بمعنى المخلدوم والمعلم شائع، فلا حاجة الى الاعادة. وأما لفظ المقدس أو القديس فيُطلق في العهدين على المؤمنين الموجود في الأرض اطلاقا شائعا : ١/ الآية الأولى من الباب الخامس من سفر أيوب هكذا : « فادع الآن ان كان لك مجيب والى أحد من القديسين التفت ». فالمراد بالقديسين ههنا المؤمنون الموجودون على الأرض. اما عند علماء پروتستنت فظاهر، واما عند علماء كاتلك فلأن مطهرهم الذي هو موضع آلام أرواح الصالحين الى أن يحصل لها النجاة بمغفرة البابا، وجد بعد المسيح عليه السلام، ولم يكن في زمن أيوب. ٢/ والآية الثانية من الباب الأول من الرسالة الأولى الى أهل قورنثوس هكذا : « الى جماعة الله التي بقورنثية المقدسين يسوع المسيح المدعوين قديسين ». الخ. فالمراد بالمقدسين والقديسين المؤمنون بالمسيح الموجودون في قورنثية. ٣/ والآية الثالثة عشر من الباب الثاني عشر من الرسالة الرومية هكذا : « مشاركين لحاجة القديسين ». الخ. ٤/ و٥/ في الباب الخامس عشر منها هكذا : « ٢٥ ولكن الآن أنا ذاهب الى أورشليم لأخدم القديسين ٢٦ لأن أهل مكدونية واحائية استحسنتوا أن يصنعوا توزيعا لفرقاء القديسين الذين في أورشليم ». فالمراد بالقديسين في الموضعين المؤمنون الموجودون في أورشليم. ٦/ والآية الأولى من الباب الأول من الرسالة الى أهل فيلبسوس هكذا : « من بولس وطيماتاوس عبدي يسوع المسيح الى جميع

القديسين يسوع المسيح بفيلسيوس ». الخ. فالمراد بالقديسين ههنا المؤمنون الموجودون بفيلسيوس. /٧/ ووقع في الآية العاشرة من الباب الخامس من الرسالة الأولى الى طيموثاوس في حال الشماسات هكذا : « غسلت أرجل القديسين ». فالمراد بالقديسين ههنا المؤمنون الموجودون على الأرض بوجهين : الأول، أن القديسين الموجودين في السماء أرواح ليس لهم أرجل. والثاني، أن الشماسات لا يمكنهن العروج الى السماء. واذا عرفت استعمال لفظ الرب والمقدس أو القديس، فأقول أن المراد بالرب محمد ﷺ، وبالربوات المقدسة الصحابة. والتعبير عن مجيئه بقد جاء لكونه أمراً يقينياً. فجاء محمد ﷺ في ربواته المقدسة، فدان الكفار وبكت المنافقين والخطاة على أعمال النفاق وعلى أقوالهم القبيحة في الله ورسله، فبكت المشركين لعدم تسليم توحيد الله ورسالة رسله مطلقاً وعبادتهم الأصنام والأوثان، وبكت اليهود على تفریطهم في حق عيسى ومريم عليهم السلام وبعض عقائدهم الواهية، وبكت أهل التثليث مطلقاً على تفریطهم في توحيد الله وإفراطهم في حق عيسى عليه السلام، وبكت أكثرهم على عبادة الصليب والتماثيل وبعض عقائدهم الواهية.

**البشارة الثالثة عشر :** في الباب الثالث من انجيل متى هكذا : « ١ وفي تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان يكرز في برية اليهودية ٢ قائلاً توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات ». وفي الباب الرابع من انجيل متى هكذا : « ١٢ ولما سمع يسوع أن يوحنا أسلم انصرف الى الجليل ١٧ من ذلك الزمان ابتدأ يسوع يكرز ويقول توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات ٢٣ وكان يسوع يطوف كل الجليل يعلم في مجامعهم ويكرز ببشارة الملكوت. الخ ». وفي الباب السادس من انجيل متى في بيان الصلاة التي علمها عيسى عليه السلام تلاميذه هكذا : « ليأت ملكوتك ». ولما أرسل الحواريين الى البلاد الاسرائيلية للدعوة والوعظ، وصاهم بوصايا منها هذه الوصية أيضاً : « وفيما أنتم ذاهبون اكرزوا قائلين انه قد اقترب ملكوت السموات ». كما هو موضح به في الباب العاشر من انجيل متى. ووقع في الباب التاسع من انجيل لوقا هكذا : « ودعا تلاميذه الاثني عشر وأعطاهم قوّة وسلطاناً على جميع



الشياطين وشفاء أمراض ٢ وأرسلهم ليكرزوا بملكوت الله، يشفوا المرضى .  
وفي الباب العاشر من انجيل لوقا هكذا : « وبعد ذلك عين الرب سبعين  
آخرين أيضاً وأرسلهم الخ. فقال لهم الخ. ٨ وأية مدينة دخلتموها وقبلوكم  
فكلوا مما يقدم لكم ٩ واشفوا المرضى الذين فيها، وقولوا لهم قد اقترب  
منكم ملكوت الله ١٠ وأية مدينة دخلتموها ولم يقلوكم فاعرجوا الى  
شوارعها وقولوا ١١ حتى الغبار الذي لصق بنا من مدينتكم تنفضه لكم،  
ولكن اعلّموا هذا أنه قد اقترب منكم ملكوت الله . فظهر أن كلا من يحيى  
وعيسى والحواريين والتلاميذ السبعين بشر بملكوت السموات، وبشر عيسى  
عليه السلام بالألفاظ التي بشر بها يحيى عليه السلام. فُعلم أن هذا الملكوت،  
كما لم يظهر في عهد يحيى عليه السلام، فكذلك لم يظهر في عهد عيسى  
عليه السلام، ولا في عهد الحواريين والسبعين، بل كلّ منهم مبشّر به، ومخبّر  
عن فضله، ومتّرجّ لمجيئه. فلا يكون المراد بملكوت السموات طريقة النجاة  
التي ظهرت بشريعة عيسى عليه السلام. وإلا لما قاله عيسى عليه السلام  
والحواريون والسبعون، أن ملكوت السموات قد اقترب. ولما علّم التلاميذ أن  
يقولوا في الصلاة ( وليأت ملكوتك ) لأن هذه طريقة قد ظهرت بعد ادّعاء  
عيسى عليه السلام النبوّة بشريعته، فهو عبارة عن طريقة النجاة التي ظهرت  
بشريعة محمد ﷺ. فهؤلاء كانوا يبشرون بهذه الطريقة الجليّة. ولفظ  
ملكوت السموات بحسب الظاهر يدل على أن هذا الملكوت يكون في  
صورة السلطنة لا في صورة المسكنة، وأن المحاربة والجدال فيه مع  
المخالفين يكونان لأجله، وأن مبنّى قوانينه لا يَدّ أن يكون كتاباً سماوياً. وكل  
من هذه الأمور يصدق على الشريعة المحمدية. وما قال العلماء المسيحية ان  
المراد بهذا الملكوت شيوع الملة المسيحية في جميع العالم واحاطتها كل  
الدنيا يعد نزول عيسى عليه السلام، فتأويل ضعيف خلاف الظاهر، ويرده  
التمثيلات المنقولة عن عيسى عليه السلام. وفي الباب الثالث عشر من انجيل  
متى مثلاً قال : « يشبه ملكوت السموات انساناً زرع زرعاً جيداً في حقله .  
ثم قال : « يشبه ملكوت السموات حبة خردل أخذها انسان وزرعها في  
حقله . ثم قال : « يشبه ملكوت السموات خميرة أخذتها امرأة وخبأتها في

ثلاثة أكبال دقيق حتى اختصر الجميع». فشبّه ملكوت السموات بانسان زارع لا ينمو الزراعة وحصادها، وكذلك شبه بحة خردل لا بصيرورتها شجرة عظيمة، وشبه بخميرة لا باختصار جميع الدقيق. وكذا يرد هذا التأويل قول عيسى عليه السلام بعد بيان التمثيل المتقول في الباب الحادي والعشرين من انجيل متى هكذا: «لذلك أقول ان ملكوت الله ينزع منكم ويُعطى لامة تعمل أثماره». فان هذا القول يدل على أن المراد بملكوت السموات طريقة النجاة نفسها لا شيوعها في جميع العالم واحاطتها كل العالم. وإلا لا معنى لنزع الشيوخ والاحاطة من قوم واعطائهما لقوم آخرين. فالحق أن المراد بهذا الملكوت هي المملكة التي أخبر عنها دانيال عليه السلام في الباب الثاني من كتابه. فمصادق هذا الملكوت وتلك المملكة نبوة محمد ﷺ. والله أعلم وعلمه أتم.

**البشارة الرابعة عشر:** في الباب الثالث عشر من انجيل متى هكذا: «٣١ قدم لهم مثلاً آخر قائلاً: يشبه ملكوت السموات حبة خردل أخذها انسان وزرعها في حقله ٣٢ وهي أصغر جميع البذور. ولكن متى نمت فهي أكبر البقول وتصبح شجرة حتى أن طيور السماء تأتي وتأوي في أغصانها». فملكوت السماء طريقة النجاة التي ظهرت بشرية محمد ﷺ لأنه نشأ في قوم كانوا حقراء عند العالم لكونهم أهل البوادي غالباً وغير واقفين على العلوم والصناعات محرومين عن اللذات الجسمانية والتكلفات الدنيوية، سيما عند اليهود لكونهم من أولاد هاجر. فبعث الله منهم محمداً ﷺ فكانت شريعته في ابتداء الأمر بمنزلة حبة خردل أصغر الشرائع بحسب الظاهر، لكنها لعمومها نمت في مدة قليلة وصارت أكبرها وأحاطت شرقاً وغرباً حتى أن الذين لم يكونوا مطيعين لشريعة من الشرائع تشبّثوا بذييل شريعته.

**البشارة الخامسة عشر:** في الباب العشرين من انجيل متى هكذا: «١ فإن ملكوت السموات يشبه رجلاً رب بيت خرج مع الصبح ليستأجر فعلة لكرمه ٢ فاتفق مع العملة على دينار في اليوم وأرسلهم الى كرمه ٣ ثم خرج نحو الساعة الثالثة ورأى آخرين قياماً في السوق بطالين ٤ فقال لهم اذهبوا أتم أيضاً الى الكرم فأعطيكم ما يحق لكم فمضوا ٥ وخرج أيضاً نحو الساعة

السادسة والثامنة وفعل كذلك ٦ ثم نحو الساعة الحادية عشرة خرج ووجد آخرين قياما بطالين، فقال لهم لماذا وفتتم ههنا كل النهار بطالين ٧ قالوا له لأنهم لم يستأجرنا أحد. قال لهم اذهبوا أنتم أيضا الى الكرم فتأخذوا ما يحق لكم ٨ فلما كان المساء قال صاحب الكرم لوكيله ادع الفعلة وأعطيهم الأجرة مبتدئا من الآخرين الى الأولين ٩ فجاء أصحاب الساعة الحادية عشرة وأخذوا دينارا ديناراً ١٠ فلما جاء الأولون ظنوا أنهم يأخذون أكثر، فأخذوا هم أيضا دينارا ديناراً ١١ وفيما هم يأخذون تذمروا على رب البيت ١٢ قائلين هؤلاء الآخرون عملوا ساعة واحدة وقد ساويتهم بنا نحن الذين احتملنا ثقل النهار والحر ١٣ فأجاب وقال لواحد منهم يا صاحب ما ظلمتك أما اتفقت معي على دينار ١٤ فخذ الذي لك واذهب فاني أريد أن أعطي هذا الأخير مثلك ١٥ أو ما يحل لي أن أفعل ما أريد بهالي، أم عينك شريرة لأنني أنا صالح ١٦ هكذا يكون الآخرون أولين والأولون آخرين، لأن كثيرين يدعون وقليلين يتنخبون ٥. فالآخرون أمة محمد ﷺ، فهم يقدمون في الأجر وهم الآخرون الأولون، كما قال النبي ﷺ « نحن الآخرون السابقون ». وقال : « ان الجنة حُرمت على الأنبياء كلهم حتى أدخلها، وحُرمت على الأمم حتى تدخلها أمتي ».

**الشارة السادسة عشر :** في الباب الحادي والعشرين من انجيل متى هكذا : « ٢٣ اسمعوا مثلاً آخر : كان انسان رب بيت غرس كرمًا وأحاطه بسياج وحفر فيه معصرة وبنى برجًا وسلمه الى كرامين وسافر ٣٤ ولما قرب وقت الثمار، أرسل عبيده الى الكرامين وسافر ليأخذ أثماره ٣٥ فأخذ الكرامون عبيده وجلدوا بعضاً وقتلوا بعضاً ورجموا بعضاً ٣٦ ثم أرسل أيضا عبيداً آخرين أكثر من الأولين ففعلوا بهم كذلك ٣٧ فأخيرا أرسل اليهم ابنه قائلاً بهابون ابني ٣٨ وأما الكرامون فلما رأوا الابن قالوا فيما بينهم هذا هو الوارث هلموا نقتله ونأخذ ميراثه ٣٩ فأخذوه وأخرجوه خارج الكرم وقتلوه ٤٠ فمتى جاء صاحب الكرم ماذا يفعل باولئك الكرامين ٤١ قالوا له أولئك الارباء يهلكهم هلاكاً ردياً ويسلم الكرم الى كرامين آخرين يعطونه الأثمار في أوقاتها ٤٢ قال لهم يسوع أما قرأتم قط في الكتب الحجر الذي رفضه

البنائون هو قد صار رأس الزاوية من قبل الرب، كان هذا وهو عجيب في أعيننا ٤٣ لذلك أقول لكم ان ملكوت الله يُنزع منكم ويُعطى لأمة تعمل أثماره ٤٤ ومن سقط على هذا الحجر يترضض ومن سقط هو عليه يسحقه ٤٥ ولما سمع رؤساء الكهنة والفريسيون أمثاله عرفوا أنه تكلم عليهم ». أقول ان رب بيت كناية عن الله، والكرم كناية عن الشريعة، واحاطته بسياج وحفر المعصرة فيه وبناء البرج كناية عن بيان المحرمات والمباحات والأوامر والنواهي، وأن الكرامين الطاغين كناية عن اليهود كما فهم رؤساء الكهنة والفريسيون أنه تكلم عليهم، والعبيد المرسلين كناية عن الأنبياء عليهم السلام، والابن كناية عن عيسى عليه السلام. وقد عرفت في الباب الرابع أنه لا بأس باطلاق هذا اللفظ عليه، وقد قتله اليهود أيضا في زعمهم. والحجر الذي رفضه البنائون كناية عن محمد ﷺ، والأمة التي تعمل اثماره كناية عن أمته ﷺ، وهذا هو الحجر الذي كل من سقط عليه يترضض وكلم من سقط هو عليه سحقه. وما ادعى العلماء المسيحية برعهم أن هذا الحجر عبارة عن عيسى عليه السلام، فغير صحيح لوجه : الأول، أن داود عليه السلام قال الزبور المائة والثامن عشر هكذا : « ٢٢ الحجر الذي رذله البنائون هو صار رأسا للزاوية ٢٣ من قبل الرب كان هذه، وهي عجيبة في أعيننا ». فلو كان هذا الحجر عبارة عن عيسى عليه السلام وهو من اليهود من آل يهوذا من آل داود عليه السلام، فأني عجب في أعين اليهود عموما لكون عيسى عليه السلام رأس الزاوية سيما في عين داود عليه السلام خصوصا. لأن مزعوم المسيحيين أن داود عليه السلام يعظم عيسى عليه السلام في زمانيه تعظيما بليغا ويعتقد الألوهية في حقه بخلاف آل اسمعيل لأن اليهود كانوا يحقرون أولاد اسمعيل غاية التحقير، وكان كون أحد منهم رأسا للزاوية عجيبا في أعينهم. والثاني، أنه وقع في وسط هذا الحجر من سقط على هذا الحجر يترضض وكل من سقط هو عليه سحقه. ولا يصدق هذا الوصف على عيسى عليه السلام لأنه قال : « وان سمع أحد كلامي ولم يؤمن فأنا لا أدينه، لأنني لم آت لأدين العالم بل لأخلص العالم ». كما هو في الباب الثاني، عشر من انجيل يوحنا، وصدقه على محمد ﷺ غير محتاج الى البيان، لأن كان مأمورا بصدقه الفجار

الأشجار، فإن سقطوا عليه ترضضوا، وإن سقط هو عليهم سحقهم. الثالث، قال النبي ﷺ : « مثلي ومثل الأنبياء كمثل قصر بنيانه وترك منه موضع لبنه، فطاف به النظار يتعجبون من حسن بنيانه إلا موضع تلك اللبنة، ختم بي البنيان وختم بي الرسل ». ولما ثبت نبوته بالأدلة الأخرى، كما ذكرتُ نبذاً منها في المسالك السابقة، فلا بأس بأن استدلل في هذه البشارة بقوله أيضاً. والرابع، أن المتبادر من كلام المسيح أن هذا الحجر غير الابن.

**البشارة السابعة عشر :** في الباب الثاني من المشاهدات هكذا : « ٢٦ ومن يغلب ويحفظ أعماله إلى النهاية فسأعطيه سلطاناً على الأمم ٢٧ فيرفعهم بقضيب من حديد كما تكسر آنية من خزف، كما أخذت أيضاً من عند أبي ٢٨ وأعطيه كوكب الصبح ٢٩ من له أذن فليسمع ما يقول الروح بالكنائس ». فهذا الغالب الذي أعطي سلطاناً على الأمم ويرعاهم بالقضيب من حديد هو محمد ﷺ، كما قال الله في حقه : ﴿ وَنُصِّرُكَ اللَّهُ نُصْرًا عَظِيمًا ﴾<sup>(١)</sup> وقد سماه سطّيح الكاهن صاحب الهرأوة. رُوي أن ليلة ولادته ﷺ انشق ابوان كسرى أنوشروان وسقط من ذلك أربع عشرة شرافة، وخمدت نار فارس ولم نخمد قبل ذلك بألف عام، وغارت بحيرة ساوة بحيث صارت يابسة، ورأى الموبدان في نومه أن ابلاً صعباً تقود خيلاً عرباً فقتلعت دجلة وانتشرت في بلادها. فخاف كسرى من حدوث هذه الأمور وأرسل عبد المسيح إلى سطّيح الكاهن الذي كان في الشام، ولما وصل عيد المسيح إليه وجده في سكرات الموت، فذكر هذه الأمور عنده، فأجاب سطّيح : « إذا كثرت التلاوة وظهر صاحب الهرأوة وغاضت بحيرة ساوة وخمدت نار فارس فليست بابل للفرس مقاما ولا الشام لسطّيح مناما. يملك منهم ملوك وملكات على عدد الشرافات وكل ما هو آت أت ». ثم مات سطّيح من ساعته ورجع عبد المسيح، فاخبر أنوشروان بما قال سطّيح. قال كسرى : إلى أن يملك أربعة عشر ملكاً كانت أمور وأمور. فملك منهم

(١) سورة النج ( ٣ ).

عشرة في أربع سنين، وملكت البافون الى خلافة عثمان رضي الله عنه، فهلك آخرهم يزدجرد في خلافته. والهرابة بكسر الهاء العضا الضخمة. وكركب الصبح عبارة عن القرآن. قال الله في سورة النساء: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ لُورًا مِّبِينًا﴾<sup>(١)</sup> وفي سورة التغابن: ﴿فَأَمْسُوا بِرَأْسِكُمْ لِلرَّسُولِ الَّذِي أُتِيَ بِالْحَقِّ﴾<sup>(٢)</sup> قال صاحب صولة الضيغم بعد نقل هذه البشارة: «قلت للقسيسين ويت ووليم عند المناظرة ان صاحب هذا القضيبي من حديد محمد ﷺ، فاضطربا لسماع هذا الأمر، وقالوا أن عيسى عليه السلام حكم بهذا الكنيسة ثائرا فلا بد أن يكون ظهور مثل هذا الشخص هناك، ومحمد ﷺ ما راح هناك. قلت هذه الكنيسة في أية ناحية كانت؟ فراجعا الى كتب اللغة وقالوا كانت في أرض الروم قرية من اسنانبول. قلت راح أصحاب محمد ﷺ في خلافة الفاروق الأعظم عمر رضي الله عنه الى هذه البلاد وفتحوها، وبعد الصحابة رضي الله عنهم كان المسلمون أيضا متسلطين عليها في أكثر الأوقات، ثم تسلط سلاطين آل عثمان أدام الله سلطتهم من المدة المديدة، وهم متسلطون الى هذا الحين. فهذا الخبر الصريح في حق محمد ﷺ. انتهى كلامه. قلت: الفاضل عباس علي الجاجموي الهندي صنف أولا كتابا كبيرا في رد أهل التثليث وسماه صولة الضيغم على أعداء ابن مريم، ثم ناظر هو رحمه الله ويت ووليم القسيسين في البلد كانفور من بلاد الهند وألزمهما، ثم اختصر كتابه وسمى المختصر خلاصة صولة الضيغم. ومناظرته كانت قبل أن ناظر صاحب ميزان الحق في أكبر آباد بمقدار اثنتين وعشرين سنة.

**البشارة الثامنة عشر:** وهذه البشارة واقعة في آخر أبواب انجيل يوحنا. وأنا أنقل عن التراجم العربية المطبوعة سنة ١٨٢١ وسنة ١٨٢١ وسنة ١٨٤٤ في بلدة لندن، فأقول في الباب الرابع عشر من انجيل يوحنا هكذا: ١٥ «إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي ١٦ وأنا أطلب من الاب فيعطيكم فارقليط آخر ليثبت معكم الى الأبد ١٧ روح الحق الذي لن يطبق العالم أن يقبله لأنه

(١) سورة النساء (١٧٤).

(٢) سورة التغابن (٨).

ليس يراه ولا يعرفه، وأنتم تعرفونه لأنه مقيم عندكم وهو ثابت فيكم ٢٦ والفارقليط روح القدس الذي يرسله الأب باسمي، هو يعلمكم كل شيء، وهو يذكركم كل ما قلته لكم ٣٠ والآن قد قلت لكم قبل أن يكون حتى إذا كان تؤمنون». وفي الباب الخامس عشر من انجيل يوحنا هكذا: « ٢٦ فاما اذا جاء الفارقليط الذي أرسله أنا إليكم من الأب روح الحق الذي من الأب ينبثق هو يشهد لأجلي ٢٧ وأنتم تشهدون لأنكم معي من الانبداء». وفي الباب السادس عشر من انجيل يوحنا هكذا: « ٧ لكني أقول لكم الحق أنه خير لكم أن انطلق، لأنني إن لم أنطلق لم يأتكم الفارقليط، فاما ان انطلقت أرسلته إليكم ٨ فإذا جاء ذاك فهو يوبخ العالم على خطية وعلى بر وعلى حكم ٩ اما على الخطية فلأنهم لم يؤمنوا بي ١٠ واما على البر فلأنني منطلق الى الأب ولستم تروني بعد ١١ وأما على الحكم فان أركون هذا العالم قد جين ١٢ وإن لي كلاما كثيراً أقوله لكم ولكنكم لستم تطيقون حمله الآن ١٣ وإذا جاء روح الحق ذاك فهو يعلمكم جميع الحق لأنه ليس ينطق من عنده، بل يتكلم بكل ما يسمع ويخبركم بما سيأتي ١٤ وهو يسجدني لأنه يأخذ مما هو لي ويخبركم ١٥ جميع ما هو للأب فهو لي. فمن أجل هذا قلت ان مما هو لي يأخذ ويخبركم». وأنا أقدم، قبل بيان وجه الاستدلال بهذه العبارات، أمرين: **الأمر الأول**: انك قد عرفت في الأمر السابع أن أهل الكتاب سلفاً وخلفاً عادتهم أن يترجموا غالباً الأسماء، وأن عيسى عليه السلام كان يتكلم باللسان العبراني لا باليوناني. فإذا لا يبقى شك في أن الانجيلي الرابع ترجم اسم المبعث به باليوناني بحسب عادتهم. ثم مترجمو العربية عربوا اللفظ اليوناني بفارقليط، وقد وصلت الى رسالة صغيرة في لسان أردو من رسائل القسيسين في سنة ألف ومائتين وثمان وستين من الهجرة وكانت هذه الرسالة طُبعت في كلكتة، وكانت في تحقيق لفظ فارقليط، وأدعى مؤلفها أن مقصوده أن ينبه المسلمين على سبب وقوعهم في الغلط من لفظ فارقليط. وكان ملخص كلامه « ان هذا اللفظ معرب من اللفظ اليوناني. فان قلنا ان هذا اللفظ اليوناني الأصل پاراكلي طوس فيكون بمعنى المعزي والمعين والوكيل. وان قلنا أن اللفظ الاصل بيركلو طوس يكون قريباً من معنى محمد وأحمد. فمن

استدل من علماء الإسلام بهذه الإشارة فهم أن اللفظ الأصل يركلو طوس. ومعناه قريب من معى محمد وأحمد، فادّعى أن عيسى عليه السلام أخبر بمحمد أو أحمد. لكن الصحيح أنه يارا كلي طوس. انتهى ملخصاً من كلامه. فأقول إن التفاوت بين اللفظين يسير جداً، وإن الحروف اليونانية كانت متشابهة. فتبدل يركلو طوس بيارا كلي طوس في بعض النسخ من الكتاب قريب القياس. ثم رجح أهل التلث المنكرين هذه النسخة على النسخ الآخر. ومن نأمل في الباب الثاني من هذا الكتاب، والأمر السابع من هذا المسلك السادس بنظر الانصاف، اعتقد يقيناً بأن مثل هذا الأمر من أهل الديانة من أهل التلث ليس بعيد، بل لا يبعد أن يكون من المستحسنات. والأمر الثاني، أن البعض ادّعوا قبل ظهور محمد ﷺ أنهم مصاديق لفظ فارقليط. مثلاً منتسب المسيحي الذي كان في القرن الثاني من الميلاد وكان متراضاً شديداً واتقى عهده، ادّعى في قرب سنة ١٧٧ من الميلاد في آسيا الصغرى الرسالة، وقال اني هو الفارقليط الموعود به الذي وعد بمجيئه عيسى عليه السلام، وتبعه أناس كثيرون في ذلك، كما هو مذكور في بعض التواريخ. وذكر وليم ميور حاله وحال متبعيه في القسم الثاني من الباب الثالث من تاريخه بلسان اردو المطبوع سنة ١٨٤٨ من الميلاد هكذا : « أن البعض قالوا انه ادّعى أني فارقليط، يعني المعزي روح القدس، وهو كان أتقى ومرراضاً شديداً، ولأجل ذلك قبله الناس قبولاً زائداً ». انتهى كلامه. فعلم أن انتظار فارقليط كان في القرون الأولى المسيحية أيضاً، ولذلك كان الناس يدعون أنهم مصاديقه، وكان المسيحيون يقبلون دعاويهم. وقال صاحب لب التواريخ « ان اليهود والمسيحيين من معاصري محمد ﷺ كانوا منتظرين لمسي، فحصل لمحمد من هذا الأمر نفع عظيم لأنه ادّعى أني هو ذاك المنتظر ». انتهى ملخص كلامه. فعلم من كلامه أيضاً أن أهل الكتاب كانوا منتظرين لخروج نبي في زمان النبي ﷺ. وهو الحق لأن النجاشي ملك الحبشة لما وصل اليه كتاب محمد ﷺ فقال : « أشهد بالله أنه للنبي الذي ينتظره أهل الكتاب ». وكتب الجواب، وكتب في الجواب : « أشهد أنك رسول الله صادقاً ومصدقاً، وقد بايعتك وبايعت ابن عمك أي جعفر بن أبي



طالب وأسلمت على يديه لله رب العالمين». وهذا النجاشي قبل الاسلام كان نصرانياً. وكتب المقوقس ملك القبط في جواب كتاب النبي ﷺ هكذا : « لمحمد بن عبدالله من المقوقس عظيم القبط سلام عليك. أما بعد فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت فيه وما تدعو اليه. وقد علمت أن نبياً قد بقي وقد كنت أظن أنه يخرج بالشام وقد أكرمت رسولك ». والمقوقس هذا، وإن لم يسلم، لكنه أقر في كتابه أنني قد علمت أن نبياً قد بقي وكان نصرانياً. فهذان الملكان ما كانا يخافان في ذلك الوقت من محمد ﷺ لأجل شوكة الدينوية. وجاء الجارود بن العلاء في قومه الى رسول الله ﷺ فقال : « والله لقد جئت بالحق ونطقت بالصدق. والذي بعثك بالحق نبياً، لقد وجدت وصفك في الانجيل وبشّر بك ابن التول، فطول النحية لك، والشكر لمن أكرمك، لا أثر بعد عين ولا شك بعد يقين، مُدّ يدك فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنت محمد رسول الله ». ثم آمن قومه. وهذا الجارود كان من علماء النصارى. وقد أقر بأنه قد بشّر بك ابن التول أي عيسى عليه السلام. فظهر أن المسيحيين أيضاً كانوا منتظرين لخروج نبيّ بشّر به عيسى عليه السلام.

فإذا علمت ذلك، فأقول ان اللفظ العبراني الذي قاله عيسى عليه السلام مفقود، واللفظ اليوناني الموجود ترجمة. لكنني أترك البحث عن الأصل وأتكلم على هذا اللفظ اليوناني وأقول : إن كان اللفظ اليوناني الأصل يركلوطوس، فالأمر ظاهر وتكون بشارة المسيح في حق محمد ﷺ بلفظ هو قريب من محمد وأحمد. وهذا وإن كان قريب القياس يلحظ عاداتهم، لكنني أترك هذا الاحتمال لأنه لا يتم عليهم الزاماً. وأقول ان كان اللفظ اليوناني الأصل يارا كلي طوس، كما يدعون، فهذا لا ينافي الاستدلال أيضاً لأن معناه المعزي والمعين والوكيل على ما بين صاحب الرسالة أو الشافع، كما يوجد في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١٦. وهذه المعاني كلها تصدق على محمد ﷺ. وأنا أبين الآن أولاً أن المراد بفارقيط النبي المبشّر به أعني محمداً ﷺ لا الروح النازل على تلاميذ عيسى عليه السلام يوم الدار الذي جاء ذكره في الباب الثاني من كتاب الأعمال. وأذكر ثانياً شهادات العلماء المسيحية وأجيب عنها. فأقول :

[في أن الفارقليط المبشّر به هو محمد ﷺ]

أما الأول فيدل عليه أمور : ١/ أن عيسى عليه السلام قال : « أولاً إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي ». ثم أخبر عن فارقليط. فمقصوده عليه السلام أن يعتقد السامعون بأن ما يُلقى عليهم بعد ضروري واجب الرعاية. فلو كان فارقليط عبارة عن الروح النازل يوم الدار لما كانت الحاجة الى هذه الفقرة. لأنه ما كان مظنوناً أن يستبعد الحواريون نزول الروح عليهم مرة أخرى، لأنهم كانوا مستفيضين به من قبل أيضاً، بل لا مجال للاستبعاد أيضاً. لأنه اذا نزل على قلب أحد وحلّ فيه يظهر أثره لا محالة ظهوراً بيناً. فلا يتصوّر إنكار المتأثر منه، وليس ظهوره عندهم في صورة يكون فيه مظنة يكون الاستبعاد، فهو عبارة عن النبي المبشّر به. فحقيقة الأمر أن المسيح عليه السلام لما علم بالتجربة وينور النبوة أن الكثيرين من أمته ينكرون النبي المبشّر به عند ظهوره، فأكد أولاً بهذه الفقرة ثم أخبر عن مجيئه. ٢/ ان هذا الروح متحد بالأب مطلقاً وبالأبن نظراً الى لاهوته اتحاداً حقيقياً. فلا يصدق في حقه فارقليط آخر، بخلاف النبي المبشّر. فانه يصدق هذا القول في حقه بلا تكلف. ٣/ إن الوكالة والشفاعة من خواص النبوة لا من خواص هذا الروح المتحد بالله. فلا يصدقان على الروح ويصدقان على النبي المبشّر به بلا تكلف. ٤/ ان عيسى عليه السلام قال : « هو يذكركم كل ما قلته لكم ». ولم يثبت من رسالة من رسائل العهد الجديد أن الحواريين كانوا قد نسوا ما قاله عيسى عليه السلام، وهذا الروح النازل يوم الدار ذكرهم اياه. ٥/ ان عيسى عليه السلام قال : « والآن قد قلت لكم قبل أن يكون حتى اذا كان تؤمنون ». وهذا يدل على أن المراد به ليس الروح. لأنك قد عرفت في الأمر الأول أنه ما كان عدم الايمان مظنوناً منهم وقت نزوله، بل لا مجال للاستبعاد أيضاً. فلا حاجة الى هذا القول وليس من شأن الحكيم العاقل أن يتكلم بكلام فضول فضلاً عن شأن النبي العظيم الشأن فلو أردنا به النبي المبشّر به يكون هذا الكلام في محله وفي غاية الاستحسان لأجل التأكيد مرة ثانية. ٦/ إن

عيسى عليه السلام قال : « هو يشهد لأجلي ». وهذا الروح ما شهد لأجله بين يدي أحد، لأن تلاميذه الذين نزل عليهم ما كانوا محتاجين الى الشهادة لأنهم كانوا يعرفون المسيح حتى المعرفة قبل نزوله أيضاً. فلا فائدة للشهادة بين أيديهم. والمنكرون الذين كانوا محتاجين للشهادة فهذا الروح ما شهد بين أيديهم. بخلاف محمد ﷺ، فانه شهد لأجل المسيح عليه السلام وصدقه وبرأه عن ادعاء الألوهية الذي هو أشد أنواع الكفر والضلال، وبرأ أمه عن تهمة الزنا. وحاء ذكر براءتهما في القرآن في مواضع متعددة في الأحاديث في مواضع غير محصورة. ٧/ أن عيسى عليه السلام قال « وأنتم تشهدون لأنكم معي من الابتداء ». وهذه الآية في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١٦ هكذا : « وتشهدون أنتم أيضاً لأنكم كنتم معي من الابتداء ». وفي الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٦٠ هكذا : « وتشهدون أنتم أيضاً لأنكم معي من الابتداء ». فيوجد في هذه التراجم الثلاث لفظ أيضاً. وكذا يوجد في التراجم الفارسية المطبوعة سنة ١٨١٦ وسنة ١٨٢٨ وسنة ١٨٤١. وفي ترجمة أردو المطبوعة سنة ١٨١٤ ترجمة لفظ أيضاً. فلفظ أيضاً سقط من التراجم التي نقلت عنها عبارة يوحنا سهواً أو قصداً. فهذا القول يدل دلالة ظاهرة على أن شهادة الحواريين غير شهادة فارقليط. فلو كان المراد به الروح النازل يوم الدار فلا توجد مغايرة الشهادتين لأن الروح المذكور لم يشهد شهادة مستقلة غير شهادة الحواريين، بل شهادة الحواريين هي شهادته بعينها. لأن هذا الروح، مع كونه الها متحداً بالله اتحاداً حقيقياً برياً من النزول والحلول والاستقرار والشكل التي هي من عوارض الجسم والجسمانيات، نزل مثل ريح عاصفة وظهر في أشكال السنة منقسمة كأنها من نار، واستقرت على كل واحد منهم يوم الدار، فكان حالهم كحال من عليه أثر الجن. فكما ان قول الجن يكون قوله في تلك الحالة، فكذلك كانت شهادة الروح هي شهادة الحواريين. فلا يصح هذا القول بخلاف ما إذا كان المراد به النبي المبشر به، فان شهادته غير شهادة الحواريين. ٨/ أن عيسى عليه السلام قال: « إن لم أطلق لم يأتكم الفارقليط. فاما ان انطلقت أرسلته إليكم ». فعلق مجيئه بذهابه. وهذا الروح عندهم نزل على الحواريين في حضوره لما

أرسلهم إلى البلاد الاسرائيلية. فنزوله ليس بمشروط يذها به. فلا يكون مراداً بفارقليط، بل المراد به شخص لم يستفص منه أحد من الحواريين قبل زمان صعوده، وكان مجيئه موقوفاً على ذهاب عيسى عليه السلام. ومحمد ﷺ كان كذلك، لأنه جاء بعد ذهاب عيسى عليه السلام، وكان مجيئه موقوفاً على ذهاب عيسى عليه السلام، لأن وجود رسولين ذوي شريعتين مستقلتين في زمان واحد غير جائز، بخلاف ما إذا كان الآخر متبعاً لشريعة الأول، أو يكون كل من الرسل متبعاً لشريعة واحدة. لأنه يجوز في هذه الصورة وجود اثنين أو أكثر في زمان واحد ومكان واحد، كما ثبت وجودهم ما بين زمان موسى عليه السلام وعيسى عليه السلام. / ٩ / ان عيسى عليه السلام قال : « يوبخ العالم ». فهذا القول بمنزلة النص الجلي لمحمد ﷺ لأنه وبخ العالم، سيما اليهود، على عدم ايمانهم بعيسى عليه السلام توبيخاً لا يشك فيه الا معاند بحث. وسيكون ابنه الرشيد محمد المهدي رقيقاً لعيسى عليه السلام في زمان قتل الدجال الأعور ومتابعيه. بخلاف الروح النازل يوم الدار، فإن توبيخه لا يصح على أصول أحد. وما كان التوبيخ منصب الحواريين بعد نزوله أيضاً، لأنهم كانوا يدعون إلى الملة بالترغيب والوعظ. وما قال رانكين في كتابه المسمى بدافع البهتان الذي هو بلسان اردو في رده على خلاصة صولة الضيغم : « أن لفظ التوبيخ لا يوجد في الانجيل ولا في ترجمة من تراجم الانجيل. وهذا المستدل أورد هذا اللفظ ليصدق على محمد صدقاً بيناً لأجل ان محمداً ﷺ وبخ وهدد كثيراً، إلا أن مثل هذا التغليب ليس من شأن المؤمنين والحائفين من الله ». انتهى كلامه. فمردود. وهذا القسيس إما جاهل غالط أو مغلط ليس له ايمان ولا خوف من الله. لأن هذا اللفظ يوجد في التراجم العربية المذكورة التي نقلت عنها عبارة يوحنا وفي الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٦٧١ في الرومية العظمى وعبارة الترجمة العربية المطبوعة في بيروت سنة ١٨٦٠ هكذا : « ومتى جاء ذاك يبكى العالم على خطية الخ. » وفي الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١٦ وسنة ١٨٢٥ وفي التراجم الفارسية المطبوعة سنة ١٨١٦ وسنة ١٨٢٨ وسنة ١٨٤١ يوجد لفظ الاكزام. ولفظ التبكيت والاكزام أيضاً قريان من التوبيخ، لكن لا شكاية منه لأن مثل هذا

الأمر من عادات علماء پروتستنت. ولذلك ترى أن مترجمي الفارسية وارءو تركوا لفظ فارقليط لشهرته عند المسلمين في حق محمد ﷺ ومترجم ترجمة أءرو المطبوعة سنة ١٨٣٩ فان هؤلاء أسلافه أيضا حيث أرحع الى الروح ضمائر المؤنث ليحصل الاشتباه للعوام أن مصءاق هذا اللفظ مؤنث وليس بمذكر. /١٠/ قال عيسى عليه السلام : « اما على الخطية فلأنهم لم يؤمنوا بي ». وهذا يدل على أن فارقليط يكون ظاهراً على منكري عيسى عليه السلام موبخا لهم على عدم الايمان به. والروح النازل يوم الدار ما كان طاهرا على الناس موبخاً لهم. /١١/ قال عيسى عليه السلام : « ان لي كلاما كثيرا أقوله لكم ولكنكم لستم تطيقون حمله الآن ». وهذا ينافي ارادة الروح النازل يوم الدار، لأنه ما زاد حكم على أحكام عيسى عليه السلام، لأنه على زعم أهل التثليث كان أمر الحواريين بعقيدة التثليث وبدعوة أهل العالم كله. فأى أمر حصل لهم أزيد من أقواله التي قال لهم الى زمان صعوده ؟ نعم بعد نزول هذا الروح أسقطوا جميع أحكام التوراة التي هي ما عدا بعض الأحكام العشرة المذكورة في الباب العشرين من سفر الخروج، وحللوها جميع المحرمات. وهذا الأمر لا يجوز في حقه أن يقال أنهم ما كانوا يستطيعون حمله لأنهم استطاعوا حمل سقوط حكم تعظيم السبت الذي هو أعظم أحكام التوراة الذي كان اليهود ينكرون كون عيسى عليه السلام مسيحاً موعودا به لأجل عدم مراعاته هذا الحكم. فقبول سقوط جميع الأحكام كان أهون عندهم. نعم قبول زيادة الأحكام لأجل ضعف الإيمان وضعف القوة الى زمان صعوده، كما يعترف به علماء پروتستنت، كان خارجا عن استطاعتهم. فظهر أن المراد بفارقليط نبي تراء في شريعته أحكام بالنسبة الى الشريعة العيسوية ويثقل حملها على المكلفين الضعفاء وهو محمد ﷺ. /١٢/ أن عيسى عليه السلام قال : « ليس ينطق من عنده بل يتكلم بكل ما يسمع ». وهذا يدل على أن فارقليط يكون بحيث يكذبه بنو اسرائيل. فاحتاج عيسى عليه السلام أن يقرر حال صدقه. فقال هذا القول. ولا مجال لمظنة التكذيب في حق الروح النازل يوم الدار، على أن هذا الروح عندهم عين الله فلا معنى لقوله بل يتكلم بما يسمع. فمصءاقه محمد ﷺ، فانه كان في حقه مظنة التكذيب

وليس هو عين الله، وكان يتكلم بما يوحي اليه كما قال الله تعالى ﴿وَمَا يَنْطَلِقُ غَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَخْيٌ يُوحَىٰ﴾<sup>(١)</sup> وقال ( ان أتبع إلا ما يوحى الي ). / ١٣ / ان عيسى عليه السلام قال : « أنه يأخذ مما هو لي ». وهذا لا يصدق على الروح لأنه عند أهل التثليث قديم وغير مخلوق وقادر مطلق ليس له كمال منتظر، بل كل كمال من كمالاته حاصل له بالفعل، فلا بد أن يكون الموعود به من الجنس الذي يكون له كمال منتظر. ولما كان هذا الكلام موهما أن يكون هذا النبي متبعاً لشرعته دفعه بقوله فيما بعد « جميع ما للأب فهو لي. فلأجل هذا قلت مما هو لي يأخذ ». يعني أن كل شيء يحصل لفارقليط من الله، فكأنه يحصل مني، كما اشتهر من كان لله كان الله له. فلأجل هذا قلت إن مما هو لي يأخذ.

### [ في أن شبهات يروتستت ادعاءات باطلة ]

وأما الثاني أعني الشبهات التي تورد علماء يروتستت فخمسة :

**الشبهة الأولى :** جاء في هذه العبارة تفسير فارقليط بروح القدس وروح الحق، وهما عبارتان عن الاقنوم الثالث. فكيف يصح أن يُراد بفارقليط محمد ﷺ ؟ أقول في الجواب أن صاحب ميزان الحق يدعي في تأليفاته كون ألفاظ روح الله، وروح القدس، وروح الحق، وروح الصدق، وروح فم الله، بمعنى واحد. قال في الفصل الأول من الباب الثاني من مفتاح الأسرار في الصفحة ٥٣ من النسخة الفارسية المطبوعة سنة ١٨٥٠ : « إن لفظ روح الله ولفظ روح القدس في التوراة والانجيل بمعنى واحد ». انتهى. فادعى أن

(١) سورة النجم (٣).

هذين اللفظين يستعملان بمعنى واحد في العهدين. وقال في حل الاشكال في جواب كشف الاستار : « مَنْ له شعور ما بالنوراة والانجيل فهو يعرف أن ألفاظ روح القدس وروح الحق وروح فم الله وغيرها بمعنى روح الله. فلهذا ما رأيت اثباته ضرورياً ». انتهى. فإذا عرفت هذا القول، نحن نقطع النظر عن صحة ادعائه وعدم صحته ههنا، ونسلم ترادف هذه الألفاظ على زعمه. لكننا ننكر أن استعمالها في كل موضع من مواضع العهدين بمعنى الأقسام الثالث. ونقول قولاً مطابقاً لقوله « مَنْ له شعور ما يكتب العهدين يعرف ان هذه الألفاظ نستعمل في غير الأقسام الثالث كثيراً. في الآية الرابعة عشر من الباب السابع والثلاثين من كتاب حزقيال قول الله تعالى في خطاب ألوف من الناس الذين أحياهم بمعجزة حزقيال عليه السلام هكذا : « فاعطى فيكم روحي ». ففي هذا القول روح الله بمعنى النفس الناطقة الانسانية، لا بمعنى الأقسام الثالث الذي هو عين الله على زعمهم وفي الباب الرابع من الرسالة الأولى ليوحنا هكذا ترجمة عربية سنة ١٢٦٠ : « ١ أيها الأحياء لا تصدقوا كل روح بل امتحنوا الأرواح، هل هي من الله لأن الأنبياء الكذبة كثيرون قد خرجوا الى العالم ٢ بهذا تعرفون روح الله، كل روح يعترف يسوع المسيح انه قد جاء في الجسد فهو من الله ٦ نحن من الله. فمن يعرف الله يسمع لنا، ومن ليس من الله لا يسمع لنا. من هذا نعرف روح الحق وروح الضلال ». وهذه الجملة الواقعة في الآية الثانية ( بهذا تعرفون روح الله ) وفي التراجم الأخر هكذا ترجمة عربية سنة ١٨٢١ وسنة ١٨٣١ وسنة ١٨٤٤ ( وبهذا يعرف روح الله ) ترجمة عربية سنة ١٨٢٥ ( فانكم تميزون روح الله ) ولفظ ( روح الله ) في الآية الثانية ولفظ ( روح الحق ) في الآية السادسة بمعنى الواعظ الحق لا بمعنى الأقسام الثالث. ولذلك ترجم مترجم ترجمة أردو المطبوعة سنة ١٨٤٥ لفظ ( كل روح ) بكل واعظ ولفظ ( الأرواح ) بالواعظين، في الآية الأولى. ولفظ ( روح ) في الآية الثانية بالواعظ من جانب الله، ولفظ ( روح الحق ) في الآية السادسة بالواعظ الصادق، وترجم لفظ ( روح الضلال ) بالواعظ المضل. وليس المراد ( بروح الله وروح الحق ) الأقسام الثالث الذي هو عين الله على زعمهم، وهو ظاهر. ففسير فارقليط

بروح القدس وروح الحق لا يضربنا، لأنهما بمعنى الواعظ الحق. كما أن لفظ (روح الحق وروح الله) بهذا المعنى في الرسالة الأولى ليوحنا فيصح إطلاقهما على محمد ﷺ بلا ريب.

**الشبهة الثانية :** ان المخاطبين بضمير (كم) الحواريون. فلا بد أن يظهر فارقليط في عهدهم. ومحمد ﷺ لم يظهر في عهدهم. أقول هذا أيضا ليس بشيء لأن منشأه ان الحاضرين وقت الخطاب لا بد أن يكونوا مرادين بضمير الخطاب. وهو ليس بضروري في كل موضع ألا ترى أن قول عيسى عليه السلام في الآية الرابعة والستين من الباب السادس والعشرين من إنجيل متى في خطاب رؤساء الكهنة والشيوخ والمجمع هكذا : « وأيضاً أقول لكم من الآن تبصرون ابن الانسان جالسا عن يمين القوة وآتيا على سحباب السماء ». وهؤلاء المخاطبون قد ماتوا، ومضت على موتهم مدة هي أزيد من ألف وثمانمائة سنة، وما رأوه آتياً على سحباب السماء. فكما أن المراد بالمخاطبين ههنا الموجودون من قومهم وقت نزوله من السماء، فكذلك فيما نحن فيه المراد الذين يوجدون وقت ظهور فارقليط.

**الشبهة الثالثة :** انه وقع في حق فارقليط أن العالم لا يراه ولا يعرفه وأنتم تعرفونه. وهو لا يصدق على محمد ﷺ، لأن الناس رأوه وعرفوه. أقول هذا أيضا ليس بشيء وهم أحوج الناس تأويلا في هذا القول بالنسبة إلينا. لأن روح القدس عين الله عندهم، والعالم يعرف الله أكثر من معرفة محمد ﷺ. فلا بد أن نقول ان المراد بالمعرفة المعرفة الحقيقية الكاملة. ففي صورة التأويل لا اشتباه في صدق هذا القول على محمد ﷺ. ويكون المقصود أن العالم لا يعرفه معرفة حقيقية كاملة، وأنتم تعرفونه معرفة حقيقية كاملة. والمراد بالرؤية المعرفة. ولذا لم يعد عيسى عليه السلام لفظ (الرؤية) بعد لفظ (أنتم) بل قال (وأنتم تعرفونه). ولو حملنا الرؤية على الرؤية البصرية يكون نفي الرؤية محمولا على ما هو المراد في قول الانجيلي الأول في الباب الثالث عشر من انجيله. وأنقل عبارته عن الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١٦ وسمه ١٨٢٥ : « ١٣ فلذلك أضرب لهم الأمثال لأنهم ينظرون ولا يبصرون، ويسمعون ولا يستمعون ولا يفهمون ١٤ وقد كمل فيهم تنبأ اشعيا حيث قال



أنكم تستمعون سمعا ولا تفهمون، وتنتظرون نظرا ولا تبصرون». فلا اشكال أيضا. وأمثال هذين الأمرين، وإن كانت معاني مجازية، لكنها بمنزلة الحقيقة العرفية، ووقعت في كلام عيسى عليه السلام كثيرا. في الآية السابعة والعشرين من الباب الحادي عشر من انجيل متى هكذا : « وليس أحد يعرف الابن إلا الأب، ولا أحد يعرف الأب إلا الابن، ومن أراد الابن أن يعلن له ». وفي الآية الثامنة والعشرين من الباب السابع من انجيل يوحنا هكذا : « الذي أرسلني حق الذي أنتم لستم تعرفون ». وفي الباب الثامن من انجيل يوحنا هكذا : « ١٩ لستم تعرفوني أنا ولا أبي، لو عرفتموني لعرفتم أبي أيضا ٥٥ ولستم تعرفونه أي الله ». الخ. وفي الآية الخامسة والعشرين من الباب السابع عشر من انجيل يوحنا هكذا : « أيها الآب إن العالم لم يعرفك أما أنا فعرفتك ». وفي الباب الرابع عشر من انجيل يوحنا هكذا : « ٧ لو كنتم قد عرفتموني لعرفتم أبي أيضا ومن الآن تعرفونه وقد رأيتموه ٨ قال له فيلبس يا سيد أرنا الاب وكفانا ٩ قال له يسوع أنا معكم زمانا هذه مدتي ولم تعرفني يا فيلبس. الذي رأيته فقد رأى الأب. فكيف تقول أنت أرنا الاب ». فالمراد في هذه الأقوال بالمعرفة المعرفة الكاملة وبالرؤية المعرفة. وإلا لا تصح هذه الأقوال يقينا. لأن العوام من الناس كانوا يعرفون عيسى عليه السلام، فضلا عن رؤساء اليهود والكهنة والمشايع والحواريين، ورؤية الله بالبصر في هذا العالم ممنوعة عند أهل التثليث أيضا.

الشبهة الرابعة : انه وقع في حق فارقليط « أنه مقيم عندكم وثابت فيكم ». ويظهر من هذا القول أن فارقليط كان في وقت الخطاب مقيما عند الحواريين وثابتا فيهم. فكيف يصدق على محمد ﷺ ؟ أقول ان هذا القول في التراجم الأخرى هكذا ترجمة عربية سنة ١٨١٦ وسنة ١٨٢٥ « لأنه مستقر معكم وسيكون فيكم ». والتراجم الفارسية المطبوعة سنة ١٨١٦ وسنة ١٨٢٨ وسنة ١٨٤١، وترجمة اردو المطبوعة سنة ١٨١٤ وسنة ١٨٣٩، كلها مطابقة لهاتين الترجمتين، وفي الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٦٠ هكذا : « ماكن معكم ويكون فيكم ». فظهر أن المراد بقوله ثابت فيكم الثبوت الاستقبالي يقيناً. فلا اعتراض به لوجه من الوجوه. ونقي

قوله مقيم عندكم. فأقول لا يصح حمل هذا القول على معنى ( هو مقيم عندكم الآن ) لأنه ينافي قوله : « أنا أطلب من الاب فيعطىكم فارقليط آخر ». وقوله « قد قلت لكم قبل أن يكون حتى اذا كان تؤمنون ». وقوله « ان لم أنطلق لم يأتكم الفارقليط ». واذا أُوِّلَ نقول انه بمعنى الاستقبال. كما أن القول الذي بعده بمعنى الاستقبال. ومعناه يكون مقيما عندكم في الاستقبال. فلا خدشة في صدقه أيضا على محمد ﷺ. والتعبير عن الاستقبال بالحال بل بالماضي في الأمور المتيقنة كثير في العهدين. ألا ترى أن حزقيال عليه السلام أخير أولا عن خروج وأجوج ومأجوج في الزمان المستقبل واهلاكهم حين وصولهم الى جبال اسرائيل، ثم قال في الآية الثامنة من الباب التاسع والثلاثين من كتابه هكذا : « ها هو جاء وصار يقول الرب الإله : هذا هو اليوم الذي قلت عنه ». فانظروا الى قوله ( ها هو جاء وصار ) وهذا القول في الترجمة الفارسية المطبوعة سنة ١٨٣٩ هكذا ( ابنك رسيد وبرقوع يوست ). فعبر عن الحال المستقبل بالماضي لكونه يقينا لا شك فيه. وقد مضت مدة أزيد من ألفين وأربعمائة وخمسين سنة ولم يظهر خروجهم. وفي الآية الخامسة والعشرين من الباب الخامس من انجيل يوحنا هكذا : « الحق الحق أقول عليكم أنه تأتي ساعة وهي الآن حين يسمع الأموات صوت ابن الله والسامعون يحيون ». فانظروا الى قوله ( وهي الآن ) وقد مضت مدة أزيد من ألف وثمانمائة ولم تجيء هذه الساعة، والى الآن أيضا مجهولة لا يعرف أحد متى تجيء.

**الشبهة الخامسة :** في الباب الأول من كتاب الأعمال هكذا : « ٤ وفيما هو مجتمع معهم أوصاهم أن لا يرحوا من أورشليم بل ينتظروا موعد الأب الذي سمعتموه مني ٥ لأن يوحنا عمد بالماء، وأما أنتم فستعمدون بالروح القدس ليس بعد هذه الأيام بكثير ». وهذا يدل على أن فارقليط هو الروح النازل يوم الدار، لأن المراد بوعد الاب هو فارقليط. أقول الادعاء بان المراد بموعد الاب هو فارقليط، ادعاء محض، بل هو غلط، لثلاثة عشر وجها. وقد عرفت. بل الحق أن الاعيار عن فارقليط شيء، والوعد بانزال الروح عليه مرة أخرى شيء آخر، وقد وفى الله بالوعدين وقد عر بالوعد الأول بمجيء

فارقليط، وههنا بموعد الاب. غاية الأمر أن يوحنا نقل بشارة فارقليط ولم ينقلها الانجيليون الباقون، ولوقا نقل موعد نزول الروح الذي نزل يوم الدار، ولم ينقله يوحنا، ولا بأس فيه. فانهم قد يتفقون في نقل الأقوال الخسيسة كركوب عيسى عليه السلام على الحمار وقت المذهب الى أورشليم، اتفق على نقله الأربعة. وقد يتخالفون في نقل الأحوال العظيمة. ألا ترى أن لوقا انفرد بذكر احياء ابن الارملة من الأموات في نابين، وبذكر ارسال عيسى عليه السلام سبعين تلميذاً، وبذكر ابراء عشرة برص، ولم يذكر هذه الحالات أحد من الانجيليين، مع أنها من الحالات العظيمة. وأن يوحنا انفرد بذكر وليمة العرس في قانا الجليل، وظهر من يسوع فيه معجزة تحويل الماء خمرًا، وهذه المعجزة أول معجزاته وسبب ظهور مجده وايمان التلاميذ به، وبذكر ابراء السقيم في بيت صيدا في أورشليم، وهذه ايضا معجزة عظيمة، والمريض كان مريضاً من ثمان وثلاثين سنة، وبذكر قصة امرأة أخذت في زنا، وبذكر ابراء الاكمه، وهذا أيضا من أعظم معجزاته، وهي مصرحة بها في الباب التاسع، وبذكر احياء العازار من بين الأموات، ولم يذكرها أحد من الانجيليين، مع أنها حالات عظيمة. وهكذا حال متى ومرقس فانهما انفردا بذكر بعض المعجزات والحالات التي لم يذكرهما غيرهما.

ولما طال البحث في هذا المسلك<sup>(١)</sup>، فلنقتصر على هذا القدر من البشارات التي نقلتها عن كتبهم المعتمدة عندهم في زماننا. وأما البشارات التي توجد في كتب أخرى هي ليست معتبرة عندهم في زماننا، فما نقلتها. وبعدما فرغنا من نقل عنها بشارة واحدة أيضا على سبيل الانموذج. فأقول.

القيس سيل نقل في مقدمة ترجمته للقرآن المجيد من انجيل برنابا بشارة محمدية هكذا : « اعلم يا برنابا أن الذنب وان كان صغيرا يجزي الله عليه، لأن الله غير راض عن الذنب، ولما اجتني أمني وتلاميذي لأجل الدنيا سخط الله لأجل هذا الأمر، وأراد نافتضاء عدله أن يجزيهم في هذا العالم على هذه

(١) أي : المسلك السادس والاخير من هذا الفصل الأول من الباب السادس من هذا الكتاب.

العقيدة الغير اللائقة ليحصل لهم النجاة من عذاب جهنم، ولا يكون لهم أذية هناك. واني وان كنت برياً لكن بعض الناس لما قالوا في حقي أنه الله وابن الله، كره الله هذا القول واقتضت مشيئته بأن لا تضحك الشياطين يوم القيامة عليّ ولا يستهزؤ بي، فاستحسن بمقتضى لطفه ورحمته أن يكون الضحك والاستهزاء في الدنيا بسبب موت يهوذا. ويظن كل شخص أنني صليت، لكن هذه الاهانة والاستهزاء تبقيان الى أن يحيى محمد رسول الله. فاذا جاء في الدنيا بينه كل مؤمن على هذا الغلط، وترتفع هذه الشبهة من قلوب الناس». انتهت ترجمة كلامه. أقول : هذه البشارة عظيمة. وان اعتراضوا أن هذا الانجيل رده مجالس علمائنا السلف، أقول : لا اعتبار لردهم وقبولهم، كما علمت بما لا مزيد عليه في الباب الأول. وهذا الانجيل من الأنجيل القديمة، ويوجد ذكره في كتب القرن الثاني والثالث، فعلى هذا كتب هذا الانجيل قبل ظهور محمد ﷺ بمئتين سنة. ولا يقدر أحد أن يخبر بغير الالهام بمثل هذا الأمر قبل وقوعه بمئتين سنة. فلا بد أن يكون هذا قول عيسى عليه السلام. وان قالوا ان أحداً من المسلمين حرف هذا الانجيل بعد ظهور محمد ﷺ، قلت هذا الاحتمال بعيد جداً لأن المسلمين ما التفتوا الى هذه الأنجيل الأربعة أيضاً، فكيف الى انجيل برنابا. ويعد أن يؤثر تحريف أحد من المسلمين في انجيل برنابا تأثيراً يتغير به النسخ الموجودة عند المسيحيين أيضاً. وهم يزعمون أن علماء أهل الكتاب من اليهود والنصارى الذين أسلموا نقلوا عن كتب العهدين البشارات المحمدية وحرفوها. فعلى زعمهم أقول : ان هؤلاء العلماء الكبار حرفوا على زعمهم، ولم يؤثر تحريف هؤلاء في كتبهم التي كانت موجودة عندهم في مواضع هذه البشارات. فكيف أثر تحريف بعض المسلمين في انجيل برنابا في النسخ التي كانت عندهم ؟ فهذا الاحتمال وإياه ضعيف جداً واجب الرد<sup>(١)</sup>. وقال الفاضل حيدر علي القرشي في كتابه

(١) نقلنا هذا الاخبار أولاً في الكتاب الاعجاز العسوي عن الترجمة المطبوعة سنة ١٨٥٠ من الميلاد، وطبع هذا الكتاب سنة ١٢٧١ من الهجرة وسنة ١٨٥٤ من الميلاد، واشهر في أقطار الهند وتراجهم وكنهم تنعير في الطبع المتأخر بالنسبة الى الطبع المتقدم نعيماً ما، كما قد نعت في مقدمة

المسمى بخلاصة سيف المسلمين الذي هو بلسان أردو في الصفحة ٦٣ و٦٤ : « ان القسيس أوسكان الأرمني ترجم كتاب اشعيا باللسان الأرمني في سنة ألف وستمائة وست وستين، وطبعت هذه الترجمة في سنة ألف وسيمائة وثلاث وثلاثين في مطبع انتوني پورتولي. ويوجد في هذه الترجمة في الباب الثاني والأربعين هذه الفقرة سبحانه الله نسيحاً جديداً وأثر سلطنة على ظهره واسمه أحمد. انتهت. وهذه الترجمة موجودة عند الأرامن. فانظروا فيها. » انتهى كلامه. أقول : هذه الترجمة لم تصل اليّ وما اطلعت عليها. لكن هذا الفاضل لعله رآها واطلع عليها. ولا شك أن هذه الفقرة عظيمة النفع، وإن لم تكن هذه الترجمة معتبرة عند علماء پروتستنت. ومن أسلم من علماء اليهود والنصارى في القرن الأول شهد بوجود البشارات المحمدية في كتب العهدين مثل عبدالله بن سلام وابني سمية وبنيامين ومخيريق وكعب الاحبار وغيرهم من علماء اليهود، ومثل بحيرا ونسطور الحبشي وضافاطر وهو الأسقف الرومي الذي أسلم على يد دحية الكلبي وقت الرسالة فقتلوه، والجارود والتجاشي والقسوس والريان الذين جاؤا مع جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، وغيرهم من علماء النصارى وقد اعترف بصحة نبوته وعموم رسالته هرقل قيصر الروم ومقوقس صاحب مصر وابن سوريا وحيي بن أخطب وأبو ياسر بن أخطب وغيرهم ممن حملهم الحسد على الشقاء ولم يسلموا. ورؤي أنه عليه السلام لما أورد الدلائل على نصارى نجران، ثم أنهم أصروا على جهلهم، فقال عليه السلام : ان الله أمرني ان لم تقبلوا الحجة أن أباهلكم. فقالوا : يا أبا القاسم بل نرجع، فننظر في أمرنا ثم نأتيك. فلما رجعوا قالوا للعاقب، وكان ذا رأيهم : ما ترى ؟ فقال : والله لقد عرفتم نبوته، وقد جاءكم بالفصل في أمر صاحبكم والله ما باهل قوم نبياً إلا هلكوا، وإن أبيتم إلا ألف دينكم فوادعوا

---

الكتاب أيضاً. فإن لم يجد الناظر هذه البشارة في بعض نسخ الترجمة المذكورة المطبوعة في سنة عبر المئنة المذكورة لا يقع في شك، سيما إذا كان هذا البعض من النسخ المطبوعة في سنة متأخرة عن ألف وثمانمائة وأربع وخمسين من الميلاد. لأن علماء پروتستنت لو أسفطوا في طبعهم هذه البشارة من الترجمة المذكورة، فلا يستبعد من عاندتهم التي صارت بمنزلة الأمر الطعي لهم.

الرجل وانصرفوا. فأتوا رسول الله ﷺ وقد غدا محتضناً الحسين وأخذ بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي رضي الله عنه خلفها وهو يقول : اذا أنا دعوت فامنوا. فقال أسقفهم : يا معشر النصارى اني لأرى وجوها لو سألوا الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله فلا تياهلوا فتهلكوا. فأذعنوا لرسول الله ﷺ، وبذلوا له الجزية ألفي حلة حمراء وثلاثين درعاً من حديد. فقال عليه الصلاة والسلام لو باهلوا لمسحوا قرده وخنازير، ولاضطرم عليهم الوادي نارا، ولاستأصل الله نجران وأهله حتى الطير على الشجر. وهذه الواقعة دلت على نبوته بوجهين : الأول، انه عليه الصلاة والسلام خوّفهما بنزول العذاب عليهم. ولو لم يكن وثاقاً بذلك لكان ذلك منه سعيّاً في اظهار كذب نفسه. لأنه لو باهل ولم ينزل العذاب ظهر كذبه. ومعلوم انه كان من أعقل الناس فلا يليق به أن يعمل عملاً يفضي الى ظهور كذبه. فلما أصر على ذلك علماً أنه انما أصر عليه لكونه وثاقاً بوعد الله. والثاني، ان القوم كانوا يبذلون النفوس والأموال في المنازعة مع الرسول ﷺ. فلو لم يعرفوا أنه نبي لما تركوا مياهلته.

## الفصل الثاني

### في دفع المطاعن

اعلم، ارشدك ﷺ تعالى، أن المسيحيين يدعون ان الأنبياء إنما يكونون معصومين في تبليغ الوحي فقط، تقريراً كان أو تحريراً. وأما في غير التبليغ فليسوا بمعصومين، لا قبل النبوة ولا بعدها. فيصدر عنهم بعدها جميع الذنوب قصداً، فضلاً عن الخطأ والنسيان. فيصدر عنهم الزنا بالمحارم، فضلاً عن الأجنيبات، ويصدر عنهم عبادة الاوثان وبناء المعابد لها، ولا يخرج عندهم نبي من ابراهيم الى يحيى عليهما السلام لا يكون زانياً أو من أولاد الزنا — أعاذنا الله من أمثال هذه العقائد الفاسدة في حق الانبياء عليهم السلام — وقد عرفت، في الامر السابع من مقدمة الكتاب، وفي الفصل الثالث والرابع من الباب الاول، وفي المقصد الاول من الباب الثاني، أن ادعاءهم المعصمة في التبليغ أيضاً ادعاء باطل لا أصل له على أصولهم. ويصدر هذا الادعاء عنهم لتخليط العوام. فمطاعهم على محمد ﷺ، في بعض الامور التي يفهمونها ذنباً في زعمهم الفاسد، لا تقدر في نيّته على أصولهم. واني وان كنت أستكره أن أنقل ذنوب الانبياء والكفرات المفتريات عن كتبهم، ولو الزاماً، ولا أعتقد في حضرات الانبياء اتصافهم بهذه الذنوب والكفرات — حاشا وكلا — لكنني لما رأيت علماء پروتستنت أطلالوا ألسنتهم إطالة فاحشة في حق محمد ﷺ في الامور الخفيفة، وجعلوا الخردلة جبلاً لتخليط العوام الغير

الواقفين على كتيبهم، وكان مظنة وقوع السذج في الاشتباه بتبوياتهم الباطلة، نقلت بعضها الزاماً، وأثراً عن اعتقادها بألف لسان. وليس نقلها الا كنقل كلمات الكفر، ونقل الكفر ليس بكفر. وقدمت نقلها على نقل مطاعنهم في حق محمد ﷺ والجواب عنها. وكتب القسيس وليم اسمت من علماء پروتستنت كتاباً في لسان أردو وطبعه في البلد مرزابور من بلاد الهند في سنة ١٨٤٨ من الميلاد، وسماه طريق الاولياء، وكتب فيه حال الانبياء من آدم الى يعقوب عليهم السلام، ناقلاً عن سفر التكوين وتفسيره المعتمدة عند علماء پروتستنت. فانقل في بعض المواضع عن هذا الكتاب أيضاً.

## القسم الأول

[ في أن الذنوب المذكورة في كتيبهم لم تقدر في نبوة انبيائهم ]

١ — قصة آدم عليه السلام عندهم مشهورة، في الباب الثالث من سفر التكوين مسطورة، وهم يعترفون انه اذنب عمداً ولم يعترف بذنبه لما طلبه الله، ولم تثبت توبته عندهم الى آخر حياته. في الصفحة ٢٢ من طريق الاولياء: « يا أسفي على انه لم تثبت توبته، وعلى انه ما استغفر الله لذنبه مرة واحدة أيضاً ». انتهى.

٢ — في الباب التاسع من سفر التكوين هكذا: « ١٨ فكان بنو نوح الذين خرجوا من الفلك سام وحام ويافت وحام أبو كنعان ٢٠ وبدا نوح رجل فلاح يحرث في الارض وغرس كرماً ٢١ وشرب خمرأ فسكر وتكشف في خبا ٢٢ فلما نظر حام أبو كنعان ذلك، أي عورة أبيه انها مكشوفة، أخبر اخوته خارجاً ٢٤ فلما استيقظ نوح من الخمر وعلم بما عمل به ابنه الاصغر



٢٥ فقال ملعون كنتان فيكون عبد العبيد لاختوته ». ففيه تصريح بأن نوحاً شرب الخمر وسكر وصار عرياناً. والعجب ان المذنب بالنظر الى عورة أبيه هو حام أبو كنتان، والذي عوقب باللعنة ابنه كنتان، وأخذ الابن بذنب الاب بخلاف العدل. قال حزقيال في الآية العشرين من الباب الثامن عشر من كتابه: « النفس التي تخطيء فهي تموت، والابن لا يحمل اثم الاب، والاب لا يحمل اثم الابن، وعدل العادل يكون عليه، ونفاق المنافق يكون عليه ». ولو فرضنا انه حمل اثم الاب على الابن بخلاف العدل، فما وجه تخصيص كنتان ؟ لان أبناء حام كانوا أربعة : كوش ومصرام وفوط وكنتان، كما هو مُصرَّح به في الباب العاشر.

٣ — في الصفحة ٧٤ من طريق الاولياء في حال ابراهيم هكذا: « لا يعلم حاله الى سبعين سنة من عمره وهو تربي في الوثنيين ومضى أكثر عمره فيهم. ويُعلم أن أبويه ما كانا يعرفان الاله الحق. ويحتمل أن ابراهيم أيضاً كان يعبد الاصنام ما لم يظهر الله عليه، ثم ظهر عليه وانتخبه من أبناء العالم وجعله عبداً خاصاً ». انتهى. فظهر أن المظنون عند المسيحيين أن ابراهيم الى سبعين سنة من عمره كان يعبد الاصنام. أقول كونه عابد الاصنام الى أن بلغ سبعين سنة قريب اليقين، نظر الى أصولهم لأن أهل العالم في هذا الوقت عندهم كانوا وثنيين وهو تربي فيهم، وأبواه أيضاً كانوا منهم. ولم يظهر عليه الرب الى ذلك الوقت، والعصمة عن عبادة الاوثان ليست بشرط بعد النبوة، فضلاً عن أن تكون شرطاً قبل النبوة. واذا ظهر حال أبي الانبياء هذا الى سبعين سنة من عمره قبل النبوة، فأنقل حاله بعد النبوة.

٤ — في الباب الثاني عشر من سفر التكوين هكذا: « ١١ فلما قرب أن يدخل الى مصر قال لسارة زوجته اني علمت انك امرأة حسنة ١٢ ويكون اذا رآك المصريون فانهم سيقولون انها امرأته ويقتلونني ويستبقونك ١٣ والآن أرغب منك، فقولني انك أختي ليكون لي خير بسببك، وتحبي نفسي من أجلك ». فسبب الكذب ما كان مجرد الخوف، بل رجاء حصول الخير أيضاً، بل الخير كان أقوى. ولذلك قُدِّمه، وقال ليكون لي خير بسببك وتحبي

نفسى من أجلك. وحصل له الخير أيضاً، كما هو مُصَرَّح به في الآية السادسة عشر، على أن خوفه من القتل مجرد وهم، لا سيما إذا كان راضياً بتركها، فانه لا وجه لخوفه بعد ذلك أصلاً. وكيف يجوز العقل أن يرضى ابراهيم بترك حريمه وتسليمها ولا يدافع دونها ولا يرضى بمثله مَنْ له غيرة ما، فكيف يرضى مثل ابراهيم الغيور ؟

٥ - في الباب العشرين من سفر التكوين هكذا: « ١ وارتحل ابراهيم من هناك الى أرض التيمن وسكن بين قادمس وسور والتجى في جرارا ٢ قال عن سارة امرأته انها أختي، ووجه أبى مالك ملك جرارا وأخذها ٣ فجاء الله الى أبى مالك في الحلم بالليل، وقال له هوذا أنت تموت من أجل المرأة التي أخذتها انها ذات بعل ٤ ولم يكن أبو مالك قُربى فقال يا رب أتهلك شعباً باراً لا علم له ٥ أليس هو القاتل انها أختي، وهي قالت أنه أخي ». كذب هناك ابراهيم وسارة مرة ثانية. ولعل السبب القوي هنا — ما عدا الخوف أيضاً — كان حصول المنفعة، وقد حصلت، كما هي مُصَرَّحة بها في الآية الرابعة عشر على أنه لا وجه للخوف اذا كان راضياً بتسليمها بدون المقاتلة في الصفحة ٩٩ من طريق الاولياء هكذا: « لعل ابراهيم لما أنكر كون سارة زوجة له في المرة الاولى، عزم في قلبه انه لا يصدر عنه مثل هذا الذنب، لكنه وقع في شبكة الشيطان السابقة مرة أخرى بسبب الغفلة ». انتهى.

٦ - في الصفحة ٩٢ و ٩٣ من طريق الاولياء: « لا يمكن أن يكون ابراهيم غير مذنب في نكاح هاجر. لانه كان يعلم جيداً قول المسيح المكتوب في الانجيل ان الذي خلق من البدء خلقهما ذكراً وأنثى ». وقال: « من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسداً واحداً ». انتهى. أقول كما لا يمكن هنا، فكذا لا يمكن أن يكون غير مذنب في نكاح سارة. لانه كان يعلم جيداً قول موسى المكتوب في التوراة: « لا تكشف أختك من أبيك كانت أو من أمك التي ولدت في البيت أو خارجاً من البيت ». وكذا قوله: « أي رجل تزوج أخته ابنة أبيه، أو أخته ابنة أمه، ورأى عورتها، ورأت عورته، فهذا عار شديد، فيقتلان أمام شعبهما. وذلك لانه كشف عورة أخته، فيكون إثمهما في رأسهما ». وكذا قوله: « يكون

ملعوناً من يضاجع أخته من أبيه أو أمه . كما عرفت في الباب الثالث من هذا الكتاب. ومثل هذا النكاح مساوٍ للزنا عند علماء پروتستنت. فيلزم أن يكون ابراهيم عليه السلام زانياً قبل النبوة وبعدها، ويكون أولاده كلهم من سارة أولاد الزنا. ولو جوز نكاح الأخت في شريعته لزم عليهم تجويز تعدد النكاح أيضاً في تلك الشريعة. فلا اعتراض باعتبار هاجر ولا باعتبار سارة، وهو الحق عندنا. لكنه يلزم على أصلهم الفاسد أن هذا النبي أبا الانبياء، كما كان كاذباً، فكذا كان زانياً من أول عمره الى آخره. ومع هذا كان خليل الله. أيكون خليل الله مثله ؟

٧ — في الباب التاسع عشر من سفر التكوين هكذا: ٣٠ فصعد لوط من صاغر وسكن الجبال وابنتاه معه وخاف أن يسكن صاغر، وأوى الى كهف هو وابنتاه معه ٣١ فقالت الكبرى منهما للصغرى: ان أبانا قد شاخ وليس رجل على الأرض يستطيع يدخل علينا كالمرسوم لكل الأرض ٣٢ فهلقي نسقيه خمرًا ونضطجع معه ونقيم من أبينا خلفاً ٣٣ فسقتا أباهما خمرًا في تلك الليلة، ودخلت الكبرى فاضطجعت مع أبيه، وهو لم يعلم عند انضجاع ابنته ولا نهوضها ٣٤ ولما كان الغد، قالت الكبرى للصغرى: هوذا قد اضطجعت البارحة مع أبي، فلنسقه خمرًا في ليلتنا هذه أيضاً ودخلي فاضطجعي معه، فنقيم نسلاً من أبينا ٣٥ فسقتا أباهما خمرًا في تلك الليلة أيضاً ودخلت الصغرى فاضطجعت مع أبيها، ولم يعلم عند انضجاعها ولا نهوضها ٣٦ فحملت ابنتا لوط من أبيهما ٣٧ وولدت الكبرى ابناً ودعت اسمه مواب، وهو أبو الموابين الى يومنا هذا ٣٧ وولدت الصغرى ابناً ودعت اسمه عمان أي ابن جنسي، فهو أبو العمانيين الى اليوم . وفي الصفحة ١٢٨ من طريق الاولياء بعد نقل هذا الحال هكذا: ١ حاله حري أن يُيكي عليه ونحن بعد التأسف والخوف والخشية على أنفسنا، نتعجب منه أهو الذي بقي نقي الثوب عن جميع شرور سادوم، وكان قوياً في السلوك على صراط الله وبعيداً عن جميع نجاسات تلك البلدة، وغلب عليه الفسق بعدما خرج الى البر. فأَي شخص يكون مأموناً في بلد أو بر أو كهف . انتهى كلامه. فلما بكى القسيسون على حاله فلا حاجة لنا الى الاطالة. وبكالؤهم

يكفي. غير اني أقول ان مواب وعمان اللذين تولدا بالزنا ما قتلهما الله. وقتل الولد الذي تولد بزنا داود عليه السلام بامرأة أوريا. لعل الزنا بامرأة الغير أشد من الزنا بالبنات عندهم. بل هم كانوا من المقبولين عند الله. أما مواب فلأن عويبد جدّ داود عليه السلام اسم أمه راعوث. كما هو مصرح به في الباب الأوّل من انجيل متى، وراعوث هذه كانت موابية من أولاد مواب فهي من جدّات داود وسليمان وعيسى عليهم السلام. وداود ابن الله البكر، وسليمان أيضاً ابن الله، وعيسى ابن الله الوحيد، بل الله على زعم المسيحيين. وأما عمان فلأن رحبعام ابن سليمان من أجداد عيسى عليه السلام، كما هو مُصرّح به في الباب الأوّل من انجيل متى أيضاً. وأمه كانت عمانية من أولاد عمان، كما هو مُصرّح به في الباب الرابع عشر من سفر الملوك الأوّل فهي أيضاً من جدّات ابن الله الوحيد، بل الله على زعمهم. والآية التاسعة عشر من الباب الثاني من سفر الامتناء هكذا: « وتدنو الى قرب بني عمان. احذر تقاتلهم ولا تحترك الى محاربتهم. فاني لا اعطيك شيئاً من أرض بني عمان. اني أعطيتها بني لوط ميراثاً ». فأني شرف لموab وعمان ولذي الزنا أزيد من ان بعض بنات الاول صارت جدّة معظمة لابناء الله، بل الله على زعمهم. وبعض بنات الثاني صارت جدّة لابن الله الوحيد، بل الله على زعمهم، وان الله منع بني اسرائيل الذين كانوا أبناء الله بنص التوراة عن توريت أرض أولاده. لكنه بقيت خدشة وهي، انه اذا وصل نسب عيسى عليه السلام باعتبار هاتين الجدّتين المعظمّتين الى موab وعمان، صار موابياً وعمانيّاً، وما كان للعمانيين والموابيين ان يدخلوا جماعة الرب الى الابد. الآية الثالثة من الباب الثالث والعشرين من كتاب الامتناء هكذا: « والعمانيون والموابيون بعد عشر احقاب أيضاً لا يدخلون جماعة الرب الى الابد ». فكيف دخل عيسى عليه السلام جماعة الرب، بل صار رئيسهم، بل ابن الله على زعمهم ؟ وان قيل ان اعتبار النسب بالآباء لا بالامهات، فلا يكون عيسى عليه السلام عمانيّاً ولا موابياً. قلت لو كان كذا، يلزم ان لا يكون اسرئيلياً يهوداويّاً داودياً سليماً أيضاً، إذ حصول هذه الاوصاف له أيضاً من جانب الام لا الاب. فلا يكون مسيحاً موعوداً به. واعتبار هذه الاوصاف باعتبار الام وعدم اعتبار كونه عمانيّاً

وموايياً من جهة الجدّات ترجيح بلا مرجح. وهذا وارد على داود وسليمان عليهما السلام أيضاً باعتبار راعوث. لكنني لا أطيل الكلام في هذا، وأرجع الى أصل القصة؛ وأقول: ان لوطاً عليه السلام، هذا الذي حاله حريّ بأن يُبكي عليه عند القسيسين، لا شك انه بحكم الانجيل بارّ قديس، لم يقع الوهن عندهم في قديسيته بعد هذه الحركة الشنيعة التي لم يسمع مثلها في الاراذل الذين يكونون مخمورين أكثر الاوقات، لانهم يميزون في حال الخمر أيضاً بناتهم عن الاجنبيات. واذ سقط الامتياز بين البات وغيرها لشدة الخمر، لا يبقى السكران في هذا الوقت قابلاً للجماع كما شهد به المولعون بشرب الخمر. وما سمعنا الى الآن في الهند ان رذيلاً من الاراذل فعل هذا الامر في الخمر ينته أو بأمره. فاذا كان الخمر موصلاً الى هذه الرتبة فوا أسفي على حال أهل أوروبا من المسيحيين. كيف يرجي نجاة أمهاتهم وبناتهم واخوانهم من أيدي الابناء والآباء والاخوة ؟ لأنهم في أغلب الاوقات يكونون سكرانين، رجالهم ونسأؤهم. سيما اذا قسنا الحال بالنسبة الى أراذلهم. والعجب أن هذا القديس، كما ابتلي في الليلة الاولى، ابتلي في الليلة الثانية. الا ان يقال ان هذا الامر كان أمراً مقضياً ليتولد أبناء الله، بل الله من بعض بناته، ويدخل هو في سلسلة نسب ابن الله الوحيد. ومثل هذا لو وقع لبعض آحاد الناس ضاقت عليه الارض بما رحبت حزناً وهماً. فالعجب من لوط، أعوذ بالله من هذه الخرافات. وأقول ان هذه القصة الكاذبة من المفتريات. في الباب الثاني من الرسالة الثانية لبطرس هكذا : ٧ « وأنقذ لوطا البار مغلوباً من سيرة الاردياء في الدعارة ٨ اذا كان البار بالنظر والسمع وهو الساكن بينهم يعذب يوماً فيوماً نفسه البارة بالافعال الأثيمة ». فاطلق بطرس لفظ البار على لوط عليه السلام ومدحه. فأنا أشهد أيضاً انه كان باراً برياً مما نسبوه اليه.

٨ — في الباب السادس والعشرين من سفر التكوين هكذا : ٦ « فمكث اسحق في جراحة ٧ وسأله رجال ذلك الموضع عن زوجته، فقال: هي أختي. لانه خاف أن يقول انها زوجته لئلا يقتلوه من أجل حسناتها ». فكذب اسحق عمداً أيضاً مثل أبيه وقال لزوجه انها اخته. في الصفحة ١٦٨ من طريق الاولياء : « زل ايمان اسحق، لانه قال لزوجه انها أخته ». ثم في الصفحة

١٦٩: « يا أسفي انه لا يوجد كمال في أحد من بني آدم غير الواحد العديم النظرير. والعجب أن شبكة الشيطان التي وقع فيها ابراهيم وقع فيها اسحق أيضاً، وقال عن زوجته انها أخته. فيا أسفي ان أمثال هؤلاء المقرين عند الله محتاجون الى الوعظ ». انتهى كلامه. ولما تأسف القسيسون تأسفاً بليغاً على مزلة إيمانهم وعدم وجود كمال فيه ووقعه في شبكة الشيطان التي وقع فيها ابراهيم عليه السلام وكونه محتاجاً الى الوعظ، فلا يطيل الكلام فيه.

٩ — في الباب الخامس والعشرين من سفر التكوين هكذا: « ٢٩ فطبخ يعقوب طبخاً ولما جاء عيسو اليه تعبان من الحقل ٣٠ فقال له اطعمني من هذا الطبخ الاحمر فاني تعبان جداً، ولهذا السبب دُعي اسمه أدوم ٣١ فقال له يعقوب يغ لي بكوريتك ٣٢ فأجاب وقال هوذا أنا أموت، فماذا تنفعني البكورية ٣٣ فقال له يعقوب احلف لي، فحلف له عيسو، وباع البكورية ٣٤ فقدم يعقوب لعيسو خبزاً ومأكولاً من العدس، فأكل وشرب ومضى، وتناول في أنه باع البكورية ». فانظروا الى ديانة عيسو الذي هو الولد الاكبر لاسحق عليه السلام انه باع البكورية التي كان بها استحقاق متصّب النبوة والبركة بالخبز ومأكول من العدس. لعل النبوة والبركة عنده ما كانا في رتبة هذا الخبز والادام من العدس. وكذا انظروا الى محبة يعقوب عليه السلام والى وجوده، أنه ما اعطى للاخ الاكبر الجائع التعبان هذا المأكول الا بالبيع، وما راعي المحبة الاخوية والاحسان بلا عوض.

١٠ — مَنْ طالع الباب السابع والعشرين من سفر التكوين، علم يفينا أن يعقوب عليه السلام كذب ثلاث مرات، وخادع أباه. وخداعه، كما أثر عند اسحق عليه السلام، أثر عند الله أيضاً. لأن اسحق عليه السلام كان بصميم قلبه واعتقاده داعياً لعيسو لا ليعقوب عليه السلام. فكما لم يميز اسحق بين الاخوين في الدعاء، فكذا لم يميز الله بينهما عند اجابة الدعاء. فالعجب ان ولاية الله والنبوة والصلاح نحصل بالمحال. وأنا تذكرت قصة مناسبة لهذا المقام، وهي: ان فاجراً من فرقة بانو طلب حشيشاً من الحمار لأجل حصانه، وما أعطاه الحمار. فقال إن لم تعطيني أدع على حمارك، فيموت الليلة. وراح

فمات حصانه في تلك الليلة. فلما استيقظ ووجد حصانه ميتاً حرَّك رأسه متعجباً، فقال : يا عجبا يا عجبا، انه مضى مليونات من السنين على ألوهية إلهنا ولا يميز الحصان من الحمار الى هذا الحين. دعوتُ على الحمار وأهلك حصاني. ولو كان حال ديانة أبي الانبياء الاسرائيلية هكذا، أو حال علم الله هكذا، فللمنكر أن يقول بجوز أن يكون مبنى معاملات الانبياء الاسرائيلية مع الله أيضاً على الخداع كأبيهم الاعلى، ويجوز أن يكون عيسى عليه السلام وعد الله أن تمطيني قنرة الكرامات ادعُ الخلق الى توحيدك وربوبيتك. لكن الله ما مَيَّز الصدق عن الكذب، فأعطاه القدرة. فدعا الى ربوبية نفسه وبخى على الله. أعوذ بالله من هذه الامور الواهية. وأنقل بعض فقرات طريق الاولياء من الصفحة ١٧٩ و ١٨٠ و ١٨١. قال أولاً: « هذا مقام غاية الخوف أن مثل هذا الشخص تفوه بكذب بعد كذب وأشرك اسم الله في خداعه ». ثم قال ثانياً: « قال يعقوب قولاً هو نهاية الكفران. ارادة الله كانت اني وجدت الصيد سريعاً ». ثم قال ثالثاً: « نحن لا نعتذر من جانب يعقوب في هذا الامر بعذر ما، ولينفّر كل صالح، ولينفّر عن مثل هذا الامر. ثم قال رابعاً: « خلاصة الكلام انه أساء ليحصل الخير. وفي الانجيل يجب الجزاء على مثله ». ثم قال خامساً: « كما أذنب يعقوب أذنبت أمه أزيد منه، لانها كانت بانية هذا الفساد، وهي أمرت يعقوب بفعل هذه الامور الخادعة ». انتهى.

١١ — في الباب التاسع والعشرين من سفر التكوين هكذا: « ١٥ ثم قال ليعقوب لعل انك أخي مجاناً تخدمني، أخبرني ما أحرثك ١٦ فكانت له ابنتان اسم الكبرى ليا، واسم الصغرى راحيل ١٧ وكان يعني ليا استرخاء، وراحيل جميلة الوجه وحسنة المنظر ١٨ فأحب يعقوب راحيل. وقال أنا أنعيتُ لك براحيل ابنتك الصغرى سبع سنين ١٩ فقال له لا بأن أنت أحق بها من غيرك فأقم عندي ٢٠ وتعبد يعقوب براحيل سبع سنين، وكانت عنده مثل أيام قليلة لما دخله من محبتها ٢١ فقال للابان أعطني امرأتي لاني قد أكملت الايام لكي أدخل اليها ٢٢ فجمع لابان جمعاً كبيراً من المحبين وصنع عرساً ٢٣ ولما كان المساء أدخل ابنته ليا على يعقوب ٢٤ وأعطى لابان أمة اسمها زلفا لابنته ودخل عليها يعقوب كالعادة. ولما كان الصبح رآها انها ليا ٢٥

فقال لابان ما هذا الذي صنعت بي، ألم أتعهد لك براحيل ؟ فلم خدعتني ؟  
٢٦ أجاب لابان ليس في أرضنا عادة ان تزوج الصغرى قبل الكبرى ٢٧  
فأكمل الاسبوع هذه، فأعطيتك الأخرى عوضاً عن العمل الذي تعمل لي سبع  
سنين أخرى ٢٨ ففعل يعقوب هكذا. وعندما دخل الاسبوع تزوج براحيل  
٢٩ ودفع لابان الى ابنته راحيل أمة اسمها بلها ٣٠ فدخل على راحيل وأحباها  
أكثر من ليا، وتعبّد له وخدمه سبع سنين أخرى . ويرد عليه ثلاثة اعتراضات:  
الأول، أن يعقوب عليه السلام كان يقيم في بيت لابان، وكان يرى ليا علامة  
بينه هي استرخاء العينين. فالعجب كل العجب أن تكون ليا في فراشه جميع  
الليل ويراه ويضاجعها ويلمسها ولا يعرفها إلا أن يقولوا أنه كان مسكراً  
كلوط عليه السلام، فكما لم يميز لوط عليه السلام، فكذا هو. والثاني، أنه  
أحب راحيل وخدم لأجلها أباهاً أولاً سبع سنين، وكانت عنده مثل أيام قليلة  
لأجل عشقها وفرط محبتها. ثم لما خادع لابان وزوجه بنته الكبرى خاصمه  
يعقوب وأخذ راحيل بخدمة سبع سنين أخرى. وهذه الأمور على زعم  
المسيحيين لا تناسب رتبة النبوة. وكما خادع يعقوب أباه خردع من صهره.  
والثالث، أنه ما اكتفى على زوجة واحدة، ولا يجوز نكاح امرأتين سيما  
أختين على رعم المفسد. واعتذر صاحب طريق الأولياء في الصفحة ١٨٩  
من كتابه هكذا : « الظاهر أن يعقوب لم يخادعه لابان لم يتزوج غير راحيل.  
ولا يستدل بها على جواز تعدد الزوجات، لأنه ما كان بحكم الله ولا برضا  
يعقوب ». انتهى. أقول هذا العذر بارد لا يسمن ولا يغني، ولا يحصل النجاة  
ليعقوب عليه السلام عن الحرمة. لأنه ما كان مكرهاً ومجبوراً على النكاح  
الثاني. وكان عليه أن يكتفي بزوجة واحدة. وأقول، كما قال هذا المعتذر في  
طعن ابراهيم عليه السلام، أن يعقوب عليه السلام كان يعلم جيداً قول  
المسيح المكتوب في الانجيل الذي خلق من البدء خلقهما ذكراً وأنثى الخ،  
وكذا كان يعلم جيداً قول موسى عليه السلام أن الجمع بين الأختين حرام  
قطعا، كما علمت في الباب الثالث. فاحد النكاحين باطل. والامراة التي كان  
نكاحها باطلا يلزم أن يكون أولادها وأولاد أولاد رنا. فيلزم على كلا  
التقديرين كون كثير من الأنبياء الاسرائيلية كذلك، والعباد بالله. فانظروا الى



ديانة المسيحيين، انهم لأجل صيانة أصولهم الفاسدة، كيف يتهمون الأنبياء وينسبون القبائح اليهم. على أن هذا العذر الأعرج لا يمشي في زلفا وبلها اللتين تزوجهما يعقوب باشارة ليا وراحيل، كما هو مُصرح به في الباب الثلاثين من سفر التكوين، وأولادهما كافة تكون أولاد الزنا على أصولهم.

١٢ — في الباب الحادي والثلاثين من سفر التكوين هكذا : ١٩ : وقد كان لابان ذهب ليجز غنمه، وراحيل سرقت أصنام أبيها ٢٠ فكتم يعقوب عليه السلام أمره عن حميه، ولم يعلمه أنه هارب ٢١ وهرب هو وجميع ما كان له، وعبر النهر، وتوجه نحو جبل جلعاد ٢٢ وبلغ لابان في اليوم الثالث أن يعقوب قد هرب ٢٣ فاخذ لابان اخوته وتبعه مسيرة سبعة أيام ولحقه في جبل جلعاد ٢٩ وقال ليعقوب لماذا فعلت هكذا وسقت بناتي خفيا عني مثل مَنْ قد سبي بالسيف ٣٠ والآن قد انطلقت، وانما حملك على ذلك الشهوة ان تمضي الى بيت أبيك، فلم سرقت آلهتي ٣١ أجاب يعقوب الخ ٣٢ واما ما توبخني به في سرقة، فمن وجدت عنده آلهتك يقتل قدام اخوتنا الخ ٣٣ فدخل لابان الى خباء يعقوب ولما والامتين فلم يجدها، ولما دخل الى خباء راحيل ٣٤ فهي أسرع وحببت الأصنام تحت حداجة جمل وجلست عليها، ففتش لابان الخباء كله ولم يجد شيئا ٣٥ وقالت لا تؤاخذني يا سيدي اني لا استطيع النهوض نحوك، لأنني في علة النساء. وفتش لابان جميع ما في البيت فلم يجد . فانظروا الى راحيل كيف سرقت أصنام أبيها، وكيف كذبت والظاهر أنها سرقت لعبادتها، كما يدل عليها ظاهر عبارة الباب الخامس والثلاثين من سفر التكوين، كما ستعرف في الشاهد الآتي، ولأنها كانت من بيت الوثنيين، وأن أباهما كان وثنياً يعبد الأصنام، كما دلّت عليه الآية الثلاثون والثانية والثلاثون، والظاهر أنها تكون على دين أبيها. فهذه الزوجة المحبوبة ليعقوب عليه السلام كانت سارقة كاذبة عابدة للأصنام.

١٣ — في الباب الخامس والثلاثين من سفر التكوين هكذا : ٢ : وقال يعقوب لأهله وجميع من معه اعزلوا الآلهة الغريبة من بينكم وتطهروا وأبدلوا ثيابكم ٤ فدفعوا له جميع الآلهة الغريبة التي كانت في أيديهم والأفرطة التي كانت في آذانهم، فدفعها تحت البطمة التي عند شخيم . والظاهر من هذه

العبارة أن أهل بيت يعقوب عليه السلام وَمَنْ معه الى هذا الحين كانوا يعدون الأصنام وهذا الأمر بالنظر الى بيته شنيع جداً. أما ما نهاهم قبل هذا عن عبادة الأوثان ؟ وإذا دفعوا اليه جميع الآلهة الغريبة، فالظاهر أن راحيل أيضاً دفعت الآلهة المسروقة أيضاً. فكان على يعقوب عليه السلام أن يرسلها الى لابان، لا أن يدفعها تحت البطمة التي عند شخيم ويعذر راحيل على سرقتها.

١٤ — في الباب الرابع والثلاثين من سفر التكوين هكذا : ١٥ وخرجت دينا ابنة لبا لتتظر الى بنات ذلك البلد ٢ فنظرها شخيم بن حمور الحاوي رئيس الأرض، فأحبها، فأخذها وضاجعها وذلك ٣ وتعلقت نفسه بها، وأحبها وكلمها بما وافقها ووقع بقلبها ٤ فقال شخيم لحمور أبيه خذ هذه الجارية لي زوجة ٨ فكلهم حمور الخ ١٣ فاجاب بنو يعقوب الخ ١٤ لا نستطيع أن نصنع ما تطلبان، ولا نعطي أختنا لرجل أغلف، فان ذلك عار علينا ١٥ بهذا نشبهكم اذا ما صرتم مثلنا لكي تخبثوا كل ذكوركم ٢٤ فارتضى جميعهم، واختتن كل مَنْ كان منهم ذكراً ٢٥ فلما كان اليوم الثالث، وقد بلغ منهم الوجع جدا أخذ ابنا يعقوب شمعون ولاوي، أختوا دينا، كل واحد منهما سيفه، ودخلا المدينة على طمأنينة وقتلا كل ذكر ٢٦ وحمور وشخيم ابنة وأخذوا دينا أختهما من بيت شخيم ٢٧ وخرجوا. ودخل بنو يعقوب على القنلى ونهبوا المدينة التي فضحت فيها دينا اختهم ٢٨ وأخذوا غنمهم وبقرهم وحمرهم وكل ما في البيوت وكل ما في الحقل، وسبوا صبيانهم ونساءهم». فانظروا الى عصمة دينا بنت يعقوب. انها زنت وتعشقت بشخيم، كما يدل عليه قوله ووقع بقلبها، وانظروا الى ظلم أبناء يعقوب أنهم قتلوا ذكور أهل البلدة كلهم وسبوا نساءهم وصبيانهم ونهبوا جميع أموالهم. فخطوهم وظلمهم ظاهر. وخطأ يعقوب عليه السلام أنه لم يمنعهم عن هذه الحركة الشنيعة قبل وقوعها. وما أخذ القصاص منهم، وما رد النساء والصبيان والأموال المسلوقة، وان كان غير قادر على منعهم، ورد هذه الأشياء، وأخذ القصاص. فكان عليه أن يترك رفاقة هذه الظلمة على أنه يعد كل البعد أن يقتل رجلان أهل البلدة كلهم، ولو فرضنا أنهم كانوا في وجع الختان.

١٥ — في الباب الخامس والثلاثين من سفر التكوين هكذا : « مضى

روبيلا وضاجع بلها سرية أبيه، فسمع اسرائيل «، فانظروا الى روبيل، الولد الأكبر ليعقوب عليه السلام، أنه زنى بزوجة أبيه. والى يعقوب أنه ما أجرى الحد أو التعزير لا على ابنه ولا على هذه الزوجة. والظاهر أن حد الزنا في هذا الوقت كان إحراق الزاني والزانية بالنار، كما يفهم من الآية الرابعة والعشرين من الباب الثامن والثلاثين من سفر التكوين. ودعا على هذا الابن في آخر حياته، كما هو موضح به في الباب التاسع والأربعين من هذا السفر.

١٦ — في الباب الثامن والثلاثين من سفر التكوين: ٦٥ وان يهوذا زوج ابنه بكره غير امرأة اسمها تamar ٧ وكان غير بكر يهوذا رديماً بين أيدي الرب فقتله الرب ٨ وقال يهوذا لأبنته أونان أدخل على امرأة أخيك، وكن معها، وأقم زرعاً لأخيك ٩ فلما علم أونان أن الخلف لغيره، كان إذا دخل إلى امرأة أخيه يفسد على الأرض لئلا يكون زرعاً لأخيه ١٠ فظهر ذلك منه سوء أمام الرب لفعله ذلك، وقتله الرب ١١ فقال يهوذا لتamar كتنه اجلسي أرملة في بيت أبيك، حتى يكبر شيلا ابني الخ ١٣ فاعلموا تamar قائلين هوذا حموك صاعد إلى تمتل ليحجز غنمه ١٤ فطرحته عنها تamar ثياب الترميل، وأخذت رداءً، وتزينت وجلست في قاعة الطريق الخ ١٥ فلما رآها يهوذا ظن أنها زانية، لأنها كانت قد غطت وجهها لئلا تعرف ١٦ ودخل عندها وقال لها دعيني أدخل اليك، لأنه لم يعلم أنها كتنه. فقالت له ماذا تعطيني حتى تدخل إليّ ١٧ فقال لها أنا أرسل لك جدياً ماعزاً من القطان، وهي قالت له أعطني رهناً حتى ترسله ١٨ فقال يهوذا أي شيء أعطيك رهناً. فقالت خاتمك وعمامتك وعصاك التي بيدك. فاعطاها لها ودخل عليها فحبلت منه ١٩ وقامت فمضت وطرحته عنها لبسها ورداءها ولبست ثياب ترميلها ٢٤ فلما كان بعد ثلاثة أشهر أخبروا يهوذا قائلين زنت تamar كنتك وهوذا قد حبلت من الزنا. فقال يهوذا أخرجوها لتحرق ٢٥ وإذا هم أخرجوها أرسلت إلى حميتها قائلة من الرجل الذي هذه له حبلى أنا، فاعرف لمن هو الخاتم والعمامة والعصا ٢٦ فعرفها يهوذا وقال تبررت هي أكثر مني لموضع أنني لم أعطيها لشيلا ابني، ولكنه لم يعد يعرفها بعد ذلك ٢٧ وكان لما دنا وقت الولادة، وإذا نؤام في بطنها فعند طلقها الواحد سبق وأخرج يده فأخذت القابلة قرمراً وربطته في يده قائلة هذا يخرج

أولا ٢٩ فيها ضم يده اليه للوقت وخرج أخوه، فقالت هي لماذا من أجلك انقطع السياح، ولذلك دعت اسمه فارض ٣٠ وبعد ذلك خرج أخوه الذي على يده القرمز فدعت اسمه زارح ١. وهنا أمور : الأول أن الرب قتل غير لكونه رديئا، ورداعته لم تبين، أكانت هذه الرداءة أشد من رداءة عمه الكبير حيث زنا بزوجة أبيه، ومن رداءة عميه الآخرين شمعون ولاوي، حيث قتلوا ذكور أهل البلدة كلهم، ومن رداءة أبيه وجميع أعمامه حيث نهبوا أموال تلك البلدة وسبوا نساءها وأطفالها، ومن رداءة أبيه حيث زنى بزوجته بعد موته. أهؤلاء كانوا قابليين للرافة وعدم القتل، وكان غير قابلا للقتل فقتله الرب ؟ والثاني العجب أن الرب قتل أوران على خطأ عزل المنى وما قتل أعمامه وأباه على الخطيئات المذكورة. أهذا العزل أشد ذنباً من هذه الخطيئات ؟ والثالث أن يعقوب لم يجر الحد ولا التعزير على هذا الولد العزيز، ولا على هذه المرأة الفاجرة، بل لم يثبت من هذا الباب ولا من باب آخر أنه تنغص لأجل هذا الأمر من يهوذا. والباب التاسع والأربعون من سفر التكوين شاهد صدق على عدم تكدره، حيث ذم روبيل وشمعون ولاوي على ما صدر عنهم، وما ذم يهوذا على ما صدر عنه، بل سكنت عما صدر عنه ومدحه مدحا بليغا ودعا له دعاء كاملا ورححه على اخوته. والرابع أن ثامار شهد في حقها يهوذا صهرها بشدة البر، فسبحان الله، نعم البار ونعمت الباراة الفائقة في البر من البار المذكور. كيف لا تكون باراة شديدة حيث لم تكشف عورتها إلا لأبي زوجها ؟ وما زنت إلا بحميتها أو حصلت منه بهذا الزنا الواحد ابنتين كاملين ؟ والخامس ان داود سليمان وعيسى عليهم السلام كلهم في أولاد فارض الذي حصل بالزنا، كما هو مصرح به في الباب الأول من انجيل متى. والسادس، ان الله ما قتل فارض وزارح مع كونهما ولدي الزنا، بل أبقاهما كابني لوط اللذين كانا ولدي الزنا، وما قتلها، كما قتل ولد داود عليه السلام الذي تولد بزناه بامرأة أوريا. لعل الزنا بامرأة الغير أشد من الزنا بزوجة الابن.

١٨ — في الباب الثاني والثلاثين من سفر الخروج هكذا : ١٠ ورأى الشعب أن موسى قد تأخر أن يهبط من الجبل، فاجتمع الشعب الى هرون

وقالوا له قم فاجعل لنا آلهة يسرون أماننا من أجل أن موسى، هذا الرجل الذي أضعفنا من أرض مصر، لا ندري ماذا أصابه ٢ فقال لهم هرون انزعوا اقراطه الذهب التي في آذان نسائككم وأبنائككم وبناتكم واتنوني بها ٣ فنزع الشعب الأقراط التي في آذانهم وأتوا بها إلى هرون ٤ فأخذها منهم وصيرها عجلا سبيكا، وقالوا هذه آلهتك يا إسرائيل الذين أضعفوك من أرض مصر ٥ فلما نظر هرون ذلك بنى مذبحاً أمامه، ونادى وقال غدا عيد للرب ٦ فقاموا بالغداة وقربوا وقودا وذبائح مسلمة، وجلس الشعب يأكلون ويشربون وقاموا يلعبون ٧ فظهر من هذه العبارة أن هرون صنع عجلاً وبنى مذبحاً أمامه، ونادى وقال غدا عيد للرب. فعبد العجل وأمر بني إسرائيل بعبادته، ففربوا وقودا وذبائح، ولا شك أنه رسول. كتب القسيس اسمت في القسم الأول من كتابه المسمى بتحقيق الدين الحق المطبوع سنة ١٨٤٢ في الصفحة ٤٢ « كما أنه لم يكن بينهم — أي بين بني إسرائيل — سلطان، لم يكن بينهم نبي غير موسى وهرون وسبعين من المعينين ٨. انتهى. ثم قال : « لم يكن غير موسى وهرون ومعينيهما نبياً لهم ٩. انتهى. فظهر أن هرون نبي عند المسيحيين. ولا بد أن يعلم الناظر أنني نقلت هاتين العبارتين من النسخة المطبوعة سنة ١٨٤٢. وكتبُ الرد على هذه النسخة، وسميته تقليب المطاعن. ورد صاحب الاستفسار أيضا على هذه النسخة. وسمعت أن هذا القسيس بعد الرد حرف كتابه فزاد في بعض المواضع، ونقص في البعض، وبدل البعض، كما فعل صاحب ميزان الحق في نسخة الميزان مثله. فلا أعلم أن هذا القسيس ألقى هاتين العبارتين في النسخة الأخيرة المحرفة أم لا. وعبارات العهد العتيق تدل على نبوته أيضا. وكونه متعبا لشرعة موسى عليه السلام لا ينافي نبوته، كما لا ينافي في هذا الأمر نبوة يوشع ودلاود وأشعيا وإرميا وحزقيال وغيرهم من الأنبياء الأسرائيلية الذين كانوا ما بين زمان موسى وعيسى عليهم السلام. في الآية السابعة والعشرين من الباب الرابع من سفر الخروج هكذا : « فقال الرب لهرون اذهب وتلق موسى إلى البرية. فمضى وتلقى به إلى جبل الله وقبله ١٠. وفي الباب الثامن عشر من سفر العدد هكذا : « ١ وقال الرب لهرون الخ ٨ ثم كلم الرب هرون وقال له الخ. ٢٠ ثم قال

الرب لهرون الخ. » وفي هذا الباب من الأول الى الآخر هو المخاطب حقيقة، وفي الباب الثاني والرابع والرابع عشر والسادس عشر والتاسع عشر توجد هذه العبارة « ولكم الرب موسى وهرون وقال لهما » في ستة مواضع. وفي الآية الثالثة عشر من الباب السادس من سفر الخروج هكذا : « فكلّم الرب موسى وهرون وأوصاهما وأرسلهما الى بني اسرائيل والى فرعون ملك مصر ليخرجا بني اسرائيل من مصر ». فظهر من هذه العبارات أن الله أوحى الى هرون عليه السلام منفردا، وبشركة موسى عليه السلام، وأرسله الى بني اسرائيل وفرعون، كما أرسل موسى عليه السلام. ومنّ طالع كتاب الخروج يظهر له أن المعجزات التي صدرت في مقابلة فرعون ظهر أكثرها على يد هرون عليه السلام. وكانت مريم أخت موسى وهرون عليهما السلام أيضا نبیة، كما هو مصرح به في الآية العشرين من الباب الخامس عشر من سفر الخروج هكذا : « وأخذت مريم النبیة أخت هرون دفأ في يدها ». الخ. والآية السادسة والعشرون من الزبور المائة والخامس هكذا : « أرسل موسى عبده وهرون الذي انتحبه ». والآية السادسة عشر من الزبور المائة والسادس هكذا : « وأغضبوا موسى في المعسكر، وهرون قديس الرب ». فانكار صاحب ميزان الحق نبوة هرون في الصفحة ١٠٥ من كتابه المسمى بحل الاشكال المطبوع سنة ١٨٤٧ ليس بشيء. في الباب الثاني من سفر الخروج هكذا : « ١١ وفي تلك الأيام لما شب موسى، خرج الى اخوته وأبصر تعبدهم، ورأى رجلاً من أهل مصر يضرب رجلاً من اخوته العبرانيين ١٢ فالتفت الى الجانبين فلم ير أحداً. فقتل المصري ودفعه ». فقتل موسى عليه السلام بعصیة قومه المصري.

١٩ — في الباب الرابع من سفر الخروج هكذا : « فقال موسى أرغب اليك يا رب اني لست برجل فصيح الكلام من أمس ولا من أول منه أيضا ولا من حين خاطبت عبدك، اني أثنى وثقل اللسان ١١ فقال له الرب مَنْ الذي خلّق فم الانسان أو مَنْ صنع الأخرس والأصم والبصير والأعمى ؟ أليس أنا ١٢ فاذهب، وأنا أكون في فيك وأعلمك ما تتكلم ١٣ فاما هو فقال أرغب اليك يا رب أن ترسل من أنت ترسل ٢٤ فاشتد غضب الرب على موسى ».

الخ. فاستغفى موسى عليه السلام عن النبوة. وقد كان الرب وعده وجعله مطمئنا فاشتد عليه غضب الرب.

٢٠ — في الآية التاسعة عشر من الباب الثاني والثلاثين من سفر الخروج هكذا : « فلما دنا من المحلة وأبصر العجل وجوق المغنين، فاشتد غضب موسى ورمى باللوحين من يده فكسرها في أسفل الجبل ». وهذان اللوحان كانا من عمل الله وخط الله، كما هو مصرح به في هذا الباب. فكسرها خطأ. ولم يحصل بعد ذلك مثلهما، لأن اللوحين الذين حصلا بعدهما كانا من عمل موسى ومن خطئه، كما هو مصرح به في الباب الرابع والثلاثين من سفر الخروج.

٢١ — الآية الثانية عشر من الباب العشرين من سفر العدد هكذا : « وقال الرب لموسى وهرون من أجل انكما لم تصدقاني وتقدساني قدام بني اسرائيل، من أجل ذلك لا تدخلان أنتم بهذه الجماعة الى الأرض التي وهبت لهم ». وفي الباب الثاني والثلاثين من سفر الاستثناء هكذا : « ٤٨ وكلّم الرب موسى في ذلك اليوم وقال له ٤٩ ارق هذا الجبل عريم، وهو جبل المجازاة، الى جبل نابو الذي في أرض مواب تلقاء أريحاء، ثم انظر الى أرض كنعان التي أنا أعطيها لبني اسرائيل ليرثوها، ثم مت في الجبل ٥٠ الذي تصعد اليه، وبيّت مع التي شعوبك، كما مات أخوك هرون في هور الطور واجتمع الى شعبه ٥١ على أنكما عصيتماني في بني اسرائيل عند ماء الخصام في قادس بيرة صين، ولم تطهراني في بني اسرائيل ٥٢ فانك ستنظر الى الأرض التي أنا أعطيها لبني اسرائيل من تلقائها. وأما أنت فلا تدخلها ». ففي هاتين العبارتين تصريح بصدور الخطأ عن موسى وهرون عليهما السلام، بحيث صارا محرومين عن الدخول في الأرض المقدسة. وقد قال الله زاجرا انكما لم تصدقاني وتقدسانني وأنكما عصيتماني.

٢٢ — زنى شمسون الرسول بامرأة زانية كانت في غزة، ثم تعشق امرأة اسمها دليلى التي كانت من أهل وادي شوراق، وكان يدخل اليها. فأمرها كفار فلسطين أن تسأله كيف يقدر الفلسطينيون عليه ويوثقونه ولا يقدر هو

على كسر الوثاق، ووعدوا العطية الجزيلة. فسأته، فكذب ثلاث مرات. فقالت له هذه الفاجرة : كيف تقول أنك تحبني وقلبك ليس معي، وقد كذبتني ثلاث دفعات ؟ وضيق عليه بكلامها أياما كثيرة، فاطلعتها على كل شيء، وقال : ان حلقوا شعر رأسي زالت عني قوتي، وصرت كواحد من الناس. فلما رأته أنه قد أظهر ما في قلبه، فدعت رؤساء أهل فلسطين، وأنامته على ركبته وودعت الحلاق، فحلق سيع خصال شعر رأسه، فزالت عنه قوته فأسروه وقلعوا عينيه وحبسوه في السجن، ثم استشهد هناك. وهذه القصة مُصرح بها في الباب السادس عشر من سفر القضاة وشمسون نبي وتدك على نيوته الآية ٥ و٢٥ من الباب الثالث عشر، والآية ٦ و١٩ من الباب الرابع عشر، والآية ١٤ و١٨ و١٩ من الباب الخامس عشر من السفر المذكور، والآية الثانية والثلاثون من الباب الحادي عشر من الرسالة العبرانية.

٢٣ — في الباب الحادي والعشرين من سفر صموئيل الأول في حال داود، لما فر من خوف شاوول ملك اسرائيل ووصل الى نوبا عند أخيملك الكاهن هكذا : « وأتى داود الى نوبا أخيملك الحبر، فتعجب أخيملك من اتيان داود. وقال له لماذا جئت وحملك وليس معك أحد ؟ فقال داود لآخيملك الكاهن ان الملك أمرني بشيء، وقال لي لا يعلم أحد بهذا فيما أبغثك وأمرتك، فاما الثغنيان فقد فرضت لهم ذلك الموضع وذلك ٣ والآن ان كان شيء تحت يدك أو خمسة من الخبز فادفع اليّ أو مهما وجدت ٦ وأعطاه الخبز خبز القدس الخ ٨ وقال داود لآخيملك أهنا تحت يدك سيف أو حربة، لأن سيفي وحرثي لم آخذ معي، لأن كان أمر الملك مسرعا ». فكذب داود عليه السلام كذبا بعد كذب. وصارت ثمرة هذا الكذب أن شاوول السفاك ملك بني اسرائيل قتل أهل نوبا كلهم ذكورهم ونساءهم وأطفالهم ودوابهم من البقر والغنم والحمير، وقتل في هذه الحادثة خمسة وثمانون كاهنا. ونجا في هذه الحادثة ابن لآخيملك اسمه ايثار، وفر ووصل الى داود عليه السلام، وأقر داود عليه السلام بأنّي سبب لقتل أهل بيتك كلهم، كما هو مُصرح به في الباب الثاني والعشرين من السفر المذكور.

٢٤ — في الباب الحادي عشر من سفر صموئيل الثاني هكذا : « قام داود



عليه السلام من فراشه بعد الظهر يتمشى على سطح مجلس ملكه، فابصر امرأة تغتسل على سطحها. وكانت جميلة جدا. فأرسل داود عليه السلام، وسأل عن المرأة، وقالوا له أنها بنت شاع امرأة أوريا. فأرسل داود رسلا وأخذها ونام معها، ثم رجعت الى بيتها فحبلت، وأحبرته، وقالت اني قد حبلت. فأرسل داود عليه السلام الى يواب قائلا له : أرسل اليّ أوريا. فأرسل يواب أوريا. وسأل داود عليه السلام أوريا عن سلامة يواب وعن سلامة الشعب وعن الحرب، ثم قال : انزل الى بيتك. فخرج أوريا فرقد يباب بيت الملك ولم ينحدر الى بيته. وأخبروا داود عليه السلام أن أوريا لم ينزل الى بيته. فقال داود عليه السلام : لماذا لم تنحدر الى بيتك ؟ فقال أوريا تابوت الله واسرائيل ويهوذا في الخيام وسيدي يواب وعبيد سيدي في القفر وأنا انطلق الى بيتي وآكل وأشرب وأنام مع امرأتي ؟ لا وحياتك وحياة نفسك اني لا أفعل هذا. وقال داود عليه السلام : أقم اليوم أيضا ههنا، واذا كان الغد أرسلك. وبقي أوريا في أورشليم ذلك اليوم، وفي اليوم الآخر دعاه داود عليه السلام ليأكل قدامه ويشرب، فسكره وخرج وقت المساء فنام مكانه على جانب عبيد سيده ولم ينحدر الى بيته. فلما كان الصباح كتب داود عليه السلام صحيفة الى يواب وأرسلها بيد أوريا، وقال : صيروا أوريا في أول الحرب، واذا اشتبك الحرب ارجعوا واتركوه وحده ليقتل. فلما نزل يواب حول القرية أقام أوريا في المكان الذي يعلم أن الرجال الشجعان هناك، فخرج أهل القرية فقاتلوا يواب فسقط من الشعب قوم من عبيد داود عليه السلام وأوريا فمات. وأرسل يواب الى داود عليه السلام وأخبره. وسمعت امرأة أوريا أن زوجها قد مات، فتاحت عليه. فلما انقضت أيام مناحتها أرسل داود عليه السلام فادخلها بيته، وصارت له امرأة، وولدت له ابنا وأساء هذا الفعل الذي فعل داود أمام الرب . انتهى ملخصا. وفي الباب الثاني عشر من سفر صموئيل الثاني حكم الرب لداود على لسان ناثان النبي عليهما السلام هكذا : ٩ ٥ ولماذا أزريت بوصية الرب وارنكبت القبيح أمام عيني وقتلت أوريا الحيتاني في الحرب، وامراته أخذتها لك امرأة وقتلته بسيف بني عمون ؟ ١٤ ولكن لأنك أشمت بك أعداء الرب بهذه الفعلة، فالابن الذي ولد لك موتاً يموت .» فصدر عن

داود ثمانية خطيئات : الأولى، أنه نظر الى امرأة اجنبية بنظر الشهوة، وقد قال عيسى عليه السلام أن كُل مَنْ ينظر الى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها في قلبه، كما هو مصرح به في الباب الخامس من انجيل متى. والثانية، أنه ما اكتفى على نظر الشهوة، بل طلبها وزنى بها وحرمة الزنا قطعية. ومن الأحكام العشرة المشهورة، كما قال الله في التوراة، لا تزن. والثالثة، أن هذا الزنا كان بزوجة الجار، وهذا أشد أنواع الزنا وذنوب آخر، كما هو مصرح به في الأحكام العشرة المشهورة. والرابعة، ما أجرى حد الزنا لا على نفسه ولا على هذه المرأة، والآية العاشرة من الباب العشرين من سفر الأخبار هكذا : « ومن زنى بامرأة صاحبه، أو زنى بامرأة لها رجل، فليقتل الزاني والزانية ». والآية الثانية والعشرون من الباب الثاني والعشرين من سفر الاستثناء هكذا : « إن اضطلع رجل مع امرأة غيره فكلاهما يموتان، الزاني والزانية، وارفع الشر من اسرائيل ». والخامسة، إن داود عليه السلام طلب أوريا من العسكر وأمره أن يذهب الى بيته، وجلّ غرض داود عليه السلام أن يلقي على عييه سراً. ويكون هذا الحيل منسوباً الى أوريا. ولما لم يذهب لأجل ديانته، وحلف أنه لا يروح فاقامه داود عليه السلام اليوم الثاني وجعله سكران يُسقي الخمر الكثير ليروح الى بيته في حالة الخمار. لكنه لم يرح في هذه الحالة أيضاً مراعيّاً لديانته، ولم يلتفت الى زوجته الجميلة التي كانت جائزة له شرعاً وعقلاً. فسيحان الله العزيز، حال ديانة العوام عند أهل الكتاب في ترك الأمر الجائز لأجل الديانة هكذا، وحال ديانة الأنبياء الإسرائيلية في ارتكاب الفواحش هكذا. والسادسة، أنه لما لم تحصل ثمرة مقصودة على اسكار أوريا عزم داود عليه السلام على قتله، فقتله بسيف بني عمون. وفي الآية السابعة من الباب الثالث والعشرين من سفر الخروج : « لا تقتل البار الزكي ». والسابعة، أنه لم يتبه على خطيئة ولم ينب ما لم يعاتبه ناثان النبي عليه السلام. والثامنة، أنه قد وصل اليه حكم الله بأن هذا الولد الذي نولّد بالزنا يموت، ومع هذا دعا لأجل عافيته وصام وبات على الأرض.

٢٥ — في الباب الثالث عشر من سفر صموئيل الثاني أن حمنون الولد الأكبر لداود زنى بثامار قهراً، ثم قال لها أخرجي. ولما امتنعت عن الخروج

أمر خادمه فأخرجها، وأغلق الباب خلفها، فخرجت صارخة. وسمع داود عليه السلام هذه الأمور وشقت عليه، لكنه لم يقل لحمنون شيئاً لمحجته له، ولا لثامار. وكانت ثامار هذه أختاً لأبي شالوم بن داود عليه السلام يقيناً. ولذلك بغض أبيشالوم حمنون وعزم على قتله، ولما قدر عليه قتله.

٢٦ — في الآية الثانية والعشرين من الباب السادس عشر من سفر صموئيل الثاني هكذا : « فضربوا لأبيشالوم خيمة على السطح ودخل على سراري أبيه تجاه جميع اسرائيل »، ثم حارب أبيشالوم الأب حتى قتل في تلك المحاربة عشرون ألفاً من بني اسرائيل، كما هو مصرح به في الباب الثامن عشر. فابن داود عليه السلام هذا فاق روبيل الولد الأكبر ليعقوب عليه السلام بثلاثة أوجه : الأول، أنه زنى بجميع سراري أبيه بخلاف روبيل، فانه زنى بهسرية واحدة. والثاني، انه زنى تجاه جميع اسرائيل علانية بخلاف روبيل، فانه زنى خفية. والثالث، أنه حارب أباه حتى قتل عشرون ألفاً من بني اسرائيل. وداود عليه السلام مع صدور هذه الأمور عن هذا الخلف السوء كان وصى رؤساء العسكر أن لا يقتله أحد. لكن يواب خالف أمره وقتل هذا الخلف السوء. ولما سمع داود عليه السلام بكى بكاءً شديداً وحزن عليه. وأنا لا أتعجب من هذه الأمور، لأن أمثالها لو صدرت عن أولاد الأنبياء، بل الأنبياء، ليست عجيبة، على حكم كتبهم المقدسة. بل أتعجب أن زناه بسراري أبيه كان يعدل الرب، وهو كان هيج هذا الزاني لأنه كان وعده على لسان ناثان النبي عليه السلام، لما زنى داود عليه السلام بامرأة أوريا. في الباب الثاني عشر من السفر المذكور هكذا : « ١١ فهذا ما يقول الرب هوذا أنا مثير عليك شراً من بيتك، وأخذ نساءك عيان، فاعطى صاحبك، فينضج مع نسائك عيان هذا الشمس ١٢ فانك أنت فعلت هذا خفياً وأنا أجعل هذا الكلام أمام جميع اسرائيل ومقابل الشمس ». فوفى الله بما وعد.

٢٧ — في الباب الحادي عشر من سفر الملوك الأول هكذا : « ١ وكان سليمان الملك قد أحب نساء كثيرة غريبة وابنة فرعون ونساء من بنات الموابيين ومن بنات عمون ومن بنات أدوم ومن بنات الصيديانيين ومن بنات الحيثانيين ٢ من الشعوب الذين قال الرب لبني اسرائيل لا تدخلوا اليهم ولا

يدخلوا اليكم، لئلا يميلوا قلوبكم الى آلهتهم، وهؤلاء التصق بهم سليمان بحب شديد ٣ وصار له سبعمئة امرأة حرة، وثلاثمئة سرية وأغوت نساء قلبه ٤ فلما كان عند كبير سليمان أغوت نساؤه قلبه الى آلهة أخرى، ولم يكن قلبه سليماً لله ربه مثل قلب داود أبيه ٥ وتبع سليمان عسرتوت اله الصيدانيين وملكوم صنم بني عمون ٦ وارتكب سليمان الفجح أمام الرب، ولم يتم أن يتبع الرب مثل داود أبيه ٧ ثم نصب سليمان نصبه لكاموش صنم مواب في الجبل الذي قدام أورشليم، وملكوم وثن بني عمون ٨ وكذلك صنع لجميع نساءه الغرباء وهن ييخرن ويذبحن لآلهتهن ٩ فغضب الرب على سليمان حيث مال قلبه عن الرب إله اسرائيل الذي ظهر له مرتين ١٠ ونهاه عن هذا الكلام أن لا يتبع آلهة الغرباء، ولم يحفظ ما أمره به الرب ١١ فقال الرب لسليمان أنك فعلت هذا الفعل، ولم تحفظ عهدي ووصاياي التي أمرتك بهن، أشق شقا ملكك وأصيره الى عبدك». فصدر عن سليمان عليه السلام خمس خطيئات : الأولى، وهي أعظمها أنه ارتد في آخر عمره الذي هو حين التوجه الى الله، وجزاء المرتد في الشريعة الموسوية الرجم ولو كان نبياً ذا معجزات، كما هو مصرح به في الباب الثالث عشر والسابع عشر من سفر الاستثناء. ولا يعلم من موضع من مواضع التوراة أنه يقبل توبة المرتد. ولو كان توبة المرتد مقبولة لما أمر موسى عليه السلام بقتل عبدة العجل حتى قتل ثلاثة وعشرين ألف رجل على خطأ عبادته. والثانية، أنه بنى المعابد العالية للأصنام في الجبل قدام أورشليم. وهذه المعابد كانت باقية مئتي سنة حتى نجسها وكسر الأصنام يوسنا بن آمون ملك يهوذا في عهده بعد موت سليمان عليه السلام بأزيد من ثلاثمئة وثلاثين سنة، كما هو مصرح به في الباب الثالث والعشرين من سفر الملوك الثاني. والثالثة أنه تزوج نساء من سفر الشعوب التي كان الله منع من الالتصاق بهم. في الباب السابع من الاستثناء هكذا : « ولا تجعل معهم زيجة، فلا تعط ابنتك لأبهم، ولا تتخذ ابنة لابنك ». والرابعة، تزوج ألف امرأة، وقد كانت كثرة الأزواج محرمة على من يكون سلطان بني اسرائيل. في الآية السابعة عشر من الباب السابع عشر من سفر الاستثناء هكذا : « ولا تكثر نساؤه لئلا يخدعن نفسه ». والخامسة، أن نساءه كن ييخرن ويذبحن للأوثان،

وقد صُرح في الباب الثاني والعشرين من سفر الخروج ٥ من يذبح للأوثان فليقتل ٥. فكان قتلهم واجباً. وأيضاً انهن أغوين قلبه، فكان رجمهن واجباً، على ما هو مُصرَّح به في الباب الثالث عشر من سفر الاستثناء. وهو ما أجرى عليهم الحدود الى آخر حياته. فالعجب أن داود وسليمان عليهما السلام ما أجريا حدود التوراة على أنفسهما، ولا على أهل بيتهما. فأية مدهانة أزيد من هذا ؟ أهذه الحدود فرضها الله للأجراء على المساكين المفلوكين فقط ؟ ولم تثبت توبة سليمان عليه السلام من موضع من مواضع العهد العتيق، بل الظاهر عدم توبته. لأنه لو تاب لهدم المعابد التي بناها، وكسر الأصنام التي وضعها في تلك المعابد، ورجم تلك النساء المغويات. على أن توبته ما كانت نافعة، لأن حكم المرتد في التوراة ليس إلا الرجم. وما ادّعى صاحب ميزان الحق في الصفحة الخامسة والخمسين من طريق الحياة المطبوعة سنة ١٨٤٧ من توبة آدم وسليمان عليهما السلام فادّعاء بحث وكذب صرف.

٢٨ — قد عرفت في الأمر السابع من مقدمة الكتاب أن النبي الذي كان في بيت ايل كذب في تبليغ الوحي، وغدع لأجل الله المسكين، وألقاه في غضب الرب وأهلكه.

٢٩ — في الباب العاشر من سفر صموئيل الأول في حق شاوول ملك اسرائيل السفاك المشهور هكذا : ١٠ ٥ وأتوا الى الراية، وإذا صف من الأنبياء استقبله، وحل عليه روح الرب فتنبأ بينهم ١١ وحينما نظره الذين يعرفونه من أمس وقبل من أمس، فاذا هو مع الأنبياء متنبئ. قال كل امرئ منهم لصاحبه : ما هذا الذي أصاب ابن قيس، ان شاوول في الأنبياء ١٢ فاجاب بعضهم البعض وقالوا من أبوهم ؟ من أجل هذا صار مثلاً هل أيضاً شاوول في الأنبياء ١٣ وفرغ مما تنبأ فأتى الى الخضرية ٥. والآية السادسة من الباب الحادي عشر من سفر صموئيل الأول هكذا : ٥ فاستقام روح الله على شاوول حين سمع هذا القول واحتمى غضبه جداً ٥. يُعلم من هذه العبارات أن شاوول كان مستفيضاً بروح القدس، وكان يخبر عن الحالات المستقبلية. وفي الباب السادس عشر من السفر المذكور : ٥ وابتعد روح الله

من شاوول وصار روح ردي يعذبه بأمر الرب ». ويعلم منه أن هذا النبي سقط عن درجة النبوة، فابتعد عنه روح الله، وتسلط عليه روح الشيطان. وفي الباب التاسع عشر من السفر المذكور هكذا : ٢٣ « فانطلق شاوول الى نوبت التي في الرامة وحلت عليه أيضا روح الرب، فجعل يسير ويتبأ حتى انتهى الى نوبت في الرامة ٢٤ وخلق هو ثيابه وتبأ هو أيضا أمام صموئيل، وسقط عريان نهاره ذلك كله وليلته تلك كلها. فصار مثلاً هل شاوول في الأنبياء ؟ فحصل لهذا النبي الساقط عن درجة النبوة هذه الدرجة العليا مرة أخرى، ونزل عليه روح القدس نزولاً فوريا بحيث رمى ثيابه وصار عرياناً. وكان على هذه الحالة يوماً بليته. فهذا النبي الجامع بين الروح الشيطاني والرحماني كان مجمع العجائب. فمن شاء فليظفر حال ظلمه وعتوه في السفر المذكور.

٣٠ — يهوذا الاسخريوطي كان أحد الحواريين، وكان مستفيضاً بروح القدس وممثلةً عنه صاحب الكرامات، كما هو مصرح به في الباب العاشر من انجيل متى. وهذا النبي باع دينه بدنياه، وسلم عيسى عليه السلام بأيدي اليهود بطمع ثلاثين درهماً، ثم خنق نفسه ومات، كما هو مصرح به في الباب السابع والعشرين من انجيل متى وشهد يوحنا في الباب الثاني عشر من انجيله انه كان سارقاً، وكان الكيس عنده، وكان يحمل ما يلقي فيه. أيكون النبي مثل هذا السارق البائع دينه بدنياه ؟

٣١ — فر الحواريون الذين هم في زعمهم أفضل من موسى وسائر الأنبياء الإسرائيلية عليهم السلام في الليلة التي أخذ اليهود فيها عيسى عليه السلام وتركوه في أيدي الأعداء. وهذا ذنب عظيم. وإن قيل إن هذا الأمر، إن صدر عنهم لجبنهم، والجبن أمر طبعي، أقول : لو سلم هذا فلا عذر لهم في شيء آخر هو كان أسهل الأشياء، وهو أن عيسى عليه السلام كان في غاية الاضطراب في هذه الليلة، وقال لهم ان نفسي حزينة جداً امكثوا ههنا واسهروا معي، ثم تقدم قليلاً للصلاة، ثم جاء اليهم فوجدهم نياماً، فقال لبطرس : أهكذا ما قدرتم أن تسهروا معي ساعة واحدة ؟ اسهروا وصلوا. فمضى مرة ثانية للصلاة، ثم جاء فوجدهم نياماً، فتركهم ومضى. ثم جاء الى

تلاميذه وقال لهم : ناموا واستريحوا، كما هو مُصرح به في الباب السادس والعشرين من انجيل متى. ولو كان لهم محبة ما لما فعلوا هذا الأمر. ألا ترى أن العصاة من أهل الدنيا إذا كان مقتداهم أو قريب من أقاربهم في غاية الاضطراب أو المرض الشديد في ليلة لا ينامون في تلك الليلة، ولو كانوا أفسق الناس ؟

٣٢ — إن بطرس الحواري الذي هو رئيس الحوارين وخليفة عيسى عليه السلام، على ادعاء فرقة كاثلك، وإن كان متساوي الأقدام في الأمر المتقدم مع الحوارين الباقين، لكنه حصل له الفضل بأن اليهود لما أخذوا عيسى عليه السلام تبعه من بعيد الى دار رئيس الكهنة، فجلس خارج الدار، فجاءت جارية قائلة : وأنت كنت مع يسوع الجليلي. فأنكر قدام الجميع. ثم رآته أخرى وقالت للذين هناك : هذا كان مع يسوع الناصري. فأنكر أيضا يقسم أنني لست أعرف هذا الرجل وبعد قليل جاء القيام وقالوا لبطرس : حقا أنت أيضا منهم. فابتدأ حيثذ يلعن ويحلف أنني لا أعرف هذا الرجل. وللوقت صاح الديك فتذكر بطرس كلام عيسى عليه السلام أنك قبل أن يصبح الديك تنكرني ثلاث مرات، كما هو مصرح به في الباب السادس والعشرين من انجيل متى. وقد قال المسيح عليه السلام له : اذهب عني يا شيطان أنت معثرة لي، لأنك لا تهتم بما لله لكن بما للناس كما هو مصرح به في الباب السادس عشر من انجيل متى. وكتب مقدسهم يولس في الباب الثاني من رسالته الى أهل غلاطية هكذا : ١١٥ ولكن لما أتى بطرس الى انطاكية قاومته مواجهة لأنه كان ملوما ١٢ لأنه قبل ما أتى قوم من عند يعقوب كان يأكل مع الأمم. ولكن لما أتوا كان يؤخر نفسه خائفاً من الذين هم من أهل الختان ١٣ ورأى معه باقي اليهود أيضا حتى أن برنابا أيضا انقاد الى ريائهم ١٤ لكن لما رأيت أنهم لا يسلكون باستقامة حسب حق الانجيل، قلت لبطرس قدام الجميع إن كنت، وأنت يهودي، تعيش أمميا فلماذا تلزم الامم أن يتهودوا ٥. وكان بطرس يتقدم على الحوارين في القول. لكنه في بعض الأوقات لا يدري ما يقول، كما صرح به في الآية الثالثة والثلاثين من الباب التاسع من انجيل لوقا. وفي الرسالة الثانية من كتاب الثلاث عشرة رسالة

المطبوعة سنة ١٨٤٩ في بيروت في الصفحة ٦٠ « ان أحد الآباء يقول انه كان شديد اداء التجبر والمخالفة ». يوحنا فم الذهب مقالة ٨٢ و ٨٣ في متى. ثم في الصفحة ٦١ : « يقول فم الذهب أنه كان ضعيفا متخلخل العقل، والقديس اغوستينوس يقول عن بطرس انه كان غير ثابت، لأنه كان يؤمن أحياناً ويشك أحياناً، وثارة يعرف أن المسيح غير مائت وثارة يخاف أن يموت، وكان المسيح يقول له مرة طوبى لك، وأخرى يقول له يا شيطان ». انتهى بلغظه. فهذا الحوارى عندهم أفضل من موسى وسائر الأنبياء الإسرائيلية. فاذا كان حال الأفضل من موسى كما علمت، فماذا يُعتقد في حق المفضولين ؟

٣٣ — كان رئيس الكهنة قيافا نبياً بشهادة يوحنا في الآية الحادية والخمسين من الباب الحادي عشر من انجيل يوحنا قوله في حق قيافا في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٣١ وسنة ١٨٤٤ هكذا : « ولم يقل هذا من نفسه لكن من أجل أنه كان عظيم الكهنة في تلك السنة، فتنبأ أن يسوع كان مزمعا أن يموت بدل الأمة ». فقله تنبأ يدل على نبوته. وهذا النبي أفتى بقتل عيسى عليه السلام وكفره وأهانته. فلو كانت هذه الأمور بالنبوة والإلهام فعيسى عليه السلام واجب الرد، والعياذ بالله. وإن كانت باغواء الشيطان فأى ذنب أكبر من هذه ؟ وأكتفي على هذا القدر وأقول أن الذنوب المذكورة وأمثالها مصرح بها في كتب العهدين، ولم تقدر هذه الذنوب في نبوة أنبيائهم أفلا يستحيون أن يعترضوا على محمد ﷺ في أمور خفيفة.



## القسم الثاني

[ في نقل مطاعن القساوسة والرد عليها ]

واذا عرفت هذا فالآن أشرع في نقل مطاعنهم والجواب عنها وأقول :  
المطعن الأول : مطعن الجهاد. وهو من أعظم المطاعن في زعمهم.  
ويقررونه في رسائلهم بتقريرات عجيبة مموهة منشؤها العناد الصرف. وأن  
أمهد قبل تحرير الجواب أموراً خمسة :

الأمر الأول : ان الله يبغض الكفر ويجازي عليه في الآخرة يقيناً. وكذا  
يبغض العصيان. وقد يعاقب الكفار والعصاة في الدنيا أيضاً. فيعاقب الكفار  
تارة بالاغراق عموماً، كما في عهد نوح عليه السلام، فانه أهلك كل ذي حياة  
غير أهل السفينة بالطوفان، وتارة بالاغراق خصوصاً كما في عهد موسى عليه  
السلام حيث أغرق فرعون وجنوده، وتارة بالإهلاك مفاجأة، كما أهلك أكبر  
الأولاد لكل انسان وبهيمة من أهل مصر في ليلة خرج بنو اسرائيل فيها من  
مصر، كما هو مصرح به في الباب الثاني عشر من سفر الخروج، وتارة  
بامطار الكبريت والنار من السماء وقلب المدن كما في عهد لوط عليه  
السلام، فانه أهلك سادوم وعمورة ونواحيهما بامطار الكبريت والنار وقلب  
المدن، وتارة باهلاكهم بالأمراض كما أهلك الأسدوديين بالبواسير، كما هو  
مصرح به في الباب الخامس من سفر صموئيل الأول، وتارة بإرسال الملك  
لأهلاكهم، كما فعل بعسكر الآثوريين حيث أرسل ملكاً فقتل منهم في ليلة  
واحدة مائة وخمسة وثمانين ألفاً، كما هو مصرح به في الباب التاسع عشر  
من سفر الملوك الثاني، وتارة يكون بجهاد الأنبياء ومتميعهم، كما ستعرف في  
الأمر الثاني. وكذا يعاقب العصاة ايضاً وتارة بالخسف والنار، كما أهلك  
قورح ودانان وأبيرم وغيرهم لما خالفوا موسى عليه السلام فانقلبت الأرض  
وابتلعت قورح ودانان وأبيرم ونساءهم وأولادهم وأثقالهم، ثم خرجت نار  
فأكلت مائتين وخمسين رجلاً، كما هو مصرح به في الباب السادس عشر من

سفر العدد. وتارة بالهلاك مفاجأة، كما أهلك أربعة عشر ألفاً وسبعمائة لما خالف بنو إسرائيل في غد هلاك قورح وغيره. ولو لم يقم هرون عليه السلام بين الموتى والأحياء ولم يستغفر للقوم لهلك الكل بغضب الرب في هذا اليوم، كما هو مصرح به في الباب المذكور. وكما أهلك خمسين ألفاً وسبعين رجلاً من أهل بيت الشمس على أنهم رأوا تابوت الله، كما هو مصرح به في الباب السادس من سفر صموئيل الأول. وتارة بإرسال الحياة المؤدية، كما أن بني إسرائيل لما خالفوا موسى عليه السلام مرة أخرى، أرسل الله عليهم الحيات المؤذية فجعلت تلدغهم فمات كثير منهم، كما هو مصرح به في الباب الرابع والعشرين من سفر العدد. وتارة بإرسال الملك كما أهلك سبعين ألفاً في يوم واحد على أن داود عليه السلام عد بني إسرائيل، كما هو مصرح به في الباب الرابع والعشرين من سفر صموئيل الثاني. وقد لا يعاقب الكفار والعصاة في الدنيا. ألا ترى أن الحوارين، على زعم المسيحيين، كانوا أفضل من موسى وسائر الأنبياء الاسرائيلية ومن تابوت الله، وإن قاتلهم عند المسيحيين أسوأ من كفار عهد نوح ولوط وموسى عليهم السلام، وقتل نيسرو الظالم المشرك الذي كان ملك ملوك الروم بطرس الحواري وزوجته وبولس وكثيراً من المسيحيين بأشد أنواع القتل، وكذا أكثر الكفار والحواريين وتابعيهم، وما أهلكهم الله بالإغراق ولا بأمطار الكبريت والنار وقلب المدن، ولا بقتل أكبر أولادهم، ولا بابتلائهم بالأمراض، ولا بإرسال الملك، ولا بإرسال الحيات ولا بوجه آخر.

**الأمر الثاني :** أن الأنبياء السابقين أيضاً قتلوا الكفار وسبوا نساءهم وذراريهم ونهبوا أموالهم. ولا تختص هذه الأمور بشريعة محمد ﷺ، كما لا يخفى على مَنْ طالع كتب العهدين. وله شواهد كثيرة اكتفي على إيراد بعضها. / ١ / في الباب العشرين من كتاب الاستثناء هكذا : ١٠ : وإذا دنوت من قرية لتقاتلها ادعهم أولاً إلى الصلح ١١ فان قبلت وفتحت لك الأبواب، فكل الشعب الذي بها يخلص، ويكونون لك عبيداً يعطونك الجزية ١٢ وإن لم ترد، تعمل معك عهداً، وتبتدىء بالقتال معك، فقاتلها أنت ١٣ وإذا سلمها الرب إلهك يهلك يديك، اقتل جميع مَنْ بها من جنس الذكر بضم السيف ١٤ دون

النساء والأطفال والدواب وما كان في القرية غيرهم، وأقسم للمسكر الغنيمة بأسرها وكل من سلب أعدائك الذي يعطيك الرب الهك ١٥ وهكذا فافعل بكل القرى البعيدة منك جدا وليست من هذه القرى التي ستأخذها ميراثا ١٦ فاما القرى التي تعطي أنت اياها فلا تسحبي منها نفسا البتة ١٧ ولكن أهلكتهم إهلاكا كلهم بحد السيف الحيثي والأموري والكنعاني والفرزي والحوائي واليابوسي، كما أوصاك الرب إلهك ٥. فظهر من هذه العبارة أن الله أمر في حق القبائل الست، أعني الحيثيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحوائي واليابوسيين، ان يقتل بحد السيف كل ذي حياة منهم، ذكورهم وإناثهم وأطفالهم. وأمر فيما عداهم أن يدعوا أولا إلى الصلح، فإن رضوا به وقبلوا الاطاعة وأداء الجزية، فيها، وإن لم يرضوا يحاربوا. فاذا حصل الظفر عليهم يقتل كل ذكر منهم بالسيف ويُسبي نساؤهم وأطفالهم وينهب دوابهم وأموالهم وتقسّم على المجاهدين. وهكذا يفعل بكل القرى التي هي بعيدة من قرى الأمم الست. وهذه العبارة الواحدة تكفي في جوابهم عن تقريراتهم الواهية. وقد نقلها العلماء الاسلامية سلفا وخلفا في مقابلتهم، لكنهم يسمكون عنها كأنهم لم يروها في كلام المخالف، ولا يجيئون عنها لا بالتسليم ولا بالتأويل. /٢/ في الباب الثالث والعشرين من سفر الخروج هكذا : ٢٣ وينطلق ملاكي امامك فيدخلونك على الأموريين والحيثانيين والفرزانيين والكنعانيين والحوائيين واليابوسانيين الذين أنا أخرجهم ٢٤ لا تسجدن لألهتهم، ولا تعبدنها، ولا تعمل كأعمالهم، ولكن خربهم تخريبا، واكسر أوثانهم ٥. /٣/ في الباب الرابع والثلاثين من سفر الخروج في حق الأمم الست هكذا : ١٢٥ فاحذر أن تعاهد البتة سكان تلك الأرض الذين تأتيهم لئلا يكونوا لك عثرة ١٣ ولكن اهدم مذابحهم، وكسر أصنامهم، واقطع أنسابهم ٥. /٤/ في الباب الثالث والثلاثين من سفر العدد : ٥١٩ مَرُّ بَنِي إِسْرَائِيل وَقُلْ لَهُمْ إِذَا عَبَرْتُمُ الْأَرْضَ وَأَنْتُمْ دَاخِلُونَ أَرْضَ كَنْعَانَ ٢٥ فَأَيِّدُوا كُلَّ سَكَّانِ تِلْكَ الْأَرْضِ، وَاسْحَقُوا مَسَاحِدَهُمْ، وَاكْسَرُوا أَصْنَامَهُمُ الْمُنْحَوْتَةَ جَمِيعَهَا، وَاعْقَرُوا مَذَابِحَهَا كُلَّهَا ٥٥ ثُمَّ أَنْتُمْ، إِنْ لَمْ تَبِيدُوا سَكَّانَ الْأَرْضِ، فَالَّذِينَ يَبْقَوْنَ مِنْهُمْ يَكُونُونَ لَكُمْ كَأَوْتَادٍ فِي أَعْيُنِكُمْ وَرَمَاحٌ فِي أَجْنَابِكُمْ

ويشقون عليكم في الأرض التي تسكنونها ٥٦ وما كنت عزمت أني أفعل بهم  
سأفعله بكم ٥. /٥/ في الباب السابع من سفر الاستثناء هكذا : ١ إذا  
أدخلك الرب الهك الأرض التي تدخل لترثها وتبهد الشعوب الكثيرة من  
قدامك، الحيني والجرجيناني والاموراني والكنعاني والفرزاني والحواسي  
واليوساني سبعة أمم أكثر منكم عددا وأشد منكم ٢ وسلمهم الرب الهك  
بيدك، فاضربهم حتى أنك لا تبقي منهم بقية، فلا تواتقهم ميثاقا ولا ترحمهم  
٥ ولكن فافعلوا بهم هكذا : خربوا مذابحهم، واكسروا أصنامهم، وقطعوا  
مناسكهم، وأوقدوا أوثانهم ٥. فعلم من هذه العبارات أن الله أمر بإهلاك كل  
ذي حياة من الأمم السبع، وعدم الرحمة عليهم، وعدم المعاهدة معهم،  
وتخريب مذابحهم، وكسر أصنامهم، وإحراق أوثانهم، وقطع مناسكهم،  
وشدد في إهلاكهم تشديداً بليغاً، وقال إن لم تهلكوهم أفعل بكم ما كنت  
عزمت أن أفعله بهم. ووقع في حق هذه الأمم السبعة ٥ أنهم أكثر منكم عددا  
وأشد منكم ٥. وقد ثبت في الباب الأول من سفر العدد أن عدد بني اسرائيل  
الذين كانوا صالحين لمباشرة الحروب، وكانوا أبناء عشرين سنة وما فوقها،  
كان ستمائة ألف وثلاثة آلاف وخمسمائة وخمسين رجلا، وأن اللاويين  
مطلقا ذكورا كانوا أو إناثا، وكذا أنات سائر الأسباط الإحدى عشرة مطلقا،  
وكذا ذكورهم الذين لم يبلغوا عشرين سنة، خارجون عن هذا العدد. ولو  
أخذنا عدد جميع بني اسرائيل وضممنا المتروكين والمتروكات كلهم  
بالمعدودين لا يكون الكل أقل من ألفي ألف وخمسمائة ألف أعني مليونين  
ونصف مليون. وهذه الأمم السبعة إذا كانت أكثر منهم عددا وأشد منهم فلا  
بد أن يكون عدد هذه الأمم أكثر من عددهم. وألف التفسير دقركيث كتابا  
باللسان الانكليزي في بيان صدق الإخبارات عن الحوادث المستقبلية المندرجة  
في كتبهم المقدسة، وترجمه القسيس مريك باللسان الفارسي وسماه كشف  
الآثار في قصص أنبياء بني اسرائيل. وهذه الترجمة طبعت في أدن برغ سنة  
١٨٤٦ من الميلاد وسنة ١٢٦٢ من الهجرة. ففي الصفحة ٢٦ من هذه  
الترجمة : « علم من الكتب القديمة أن البلاد اليهودية كان فيها قبل خمسمائة  
وخمسين سنة من الهجرة ثمانية كرورات — أي ثمانون مليونا — من ذي

حياة». انتهى. فالغالب أن هذه البلاد في عهد موسى عليه السلام كانت معمورة مثلها أو أزيد منها : فأمر الله بقتل ثمانين مليوناً أو أكثر منها من ذي حياة. ٦/ في الآية العشرين من الباب الثاني والعشرين من سفر الخروج هكذا : « من يذبح للأوثان فليقتل ». ٧/ من طالع الباب الثالث عشر من سفر الاستثناء علم أن الداعي إلى عبادة غير الله، ولو كان نبياً صاحب معجزات، واجب القتل. وكذا الداعي إلى عبادة الأوثان واجب الرجم وإن كان من الأقارب أو من الأصدقاء، وإن عبدها أهل القرية يقتل هؤلاء كلهم ودوابهم بحدّ السلاح، وتحرق القرية ومتاعها وأموالها بالنار، وتجعل تلاثم لا تُبنى. ٨/ في الباب السابع عشر من سفر الاستثناء هكذا : « ٢ إذا وجد عندك جورة أحد أبوابك التي يعطيك الرب الهك رجل أو امرأة تعمل سيئة قدام الرب الهك ويعبدوا ميثاقه ٣ لينهبوا ويعبدوا آلهة أخرى ويسجدوا لها ويسجدوا للشمس والقمر ولكل أجناد السماء ما لم أمر به أنا ٤ وأنت أخبر بذلك وسمعت ذلك وفحصت عنه بحرص، فوجدت أن ذلك حق وأنها قد صعدت رجاسة. فأخرج الرجل الذي فعل الفعل السيء أو المرأة إلى أبواب قريتك وارجموه بالحجارة ». ٩/ في الباب الثالث من سفر الخروج هكذا : « ٢١ وأعطي نعمة لهذا الشعب قدام المصريين، وإذا ما أردتم الخروج فلا تخرجوا فارغين ٢٢ بل تسأل المرأة من جارتها ومن التي هي ساكنة دارها أواني فضة وذهب وثياباً، وتصنعونها على بنيكم وبناتكم وتسلبون مصر ». ثم في الباب الحادي عشر من السفر المذكور قول الله لموسى عليه السلام هكذا : « ١ فتحدث في مسمع الشعب أن يسأل الرجل صاحبه والمرأة من صاحبها أواني فضة وأواني ذهب ٣ والرب يعطي لشعبه نعمة قدام المصريين ». ثم في الباب الثاني عشر من السفر هكذا : « ٣٥ وفعل بنو إسرائيل، كما أمر موسى، واستعاروا من المصريين أواني فضة وذهب وشيئاً كثيراً من الكسوة ٣٦ فاما الرب أوهب نعمة لشعبه أمام المصريين أن يعيروهم، واستلبوا المصريين ». فإذا كان عدد بني إسرائيل كما علمت، واستعار رجالهم ونساؤهم من المصريين يكون ما استعاروه مالا غير محصور، كما وعد الله أولاً بأنكم تسلبون مصر، ثم أخيراً ثانياً واستلبوا المصريين، لكنه

أجاز لهم السلب بحيلة الاستعارة التي هي في الظاهر خديعة وغدر. /١٠/ في الباب الثاني والثلاثين من سفر الخروج في حال عبادة العجل هكذا : ٢٥ فظفر موسى عليه السلام الشعب أنه قد صار عريانا، إنما عزاه هرون لعار النجاسة وجعله عريانا بين الاعداء ٢٦ فوقف في باب المحلة، وقال مَنْ كان من حزب الرب فليقبل اليّ. فاجتمع اليه جميع بني لاوي ٢٧ وقال لهم هذا ما يقول الرب اله اسرائيل : ليتقلد كل رجل منكم سيفه فجزؤوا في وسط المحلة من باب الى باب وارثدوا، وليقتل الرجل منكم أخاه وصاحبه وقريبه ٢٨ فصنع بنو لاوي كما أمرهم موسى عليه السلام، فقتلوا في ذلك اليوم من الشعب نحو ثلاثة وعشرين ألف رجل\*. فقتل موسى عليه السلام على عبادة العجل ثلاثة وعشرين ألفا. وإعلم أنه وقع في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٣١ وسنة ١٨٤٤ وسنة ١٨٤٨ التي نقلت عنها هذه العبارة لفظ ثلاثة وعشرين ألف رجل. /١١/ في الباب الخامس والعشرين من سفر العدد أن بني اسرائيل، لما زنوا بينات الموات وسجدوا لآلهتهن، أمر الرب بقتلهم. فقتل موسى أربعة وعشرين ألفا منهم. /١٢/ من طالع الباب الحادي والثلاثين من سفر العدد ظهر له أن موسى عليه السلام لما أرسل اثني عشر ألف رجل مع فنيحاس بن العازار لمحاربة أهل ميدان، فحاربوا وانتصروا عليهم وقتلوا كل ذكر منهم وخمسة ملوكهم وبلغام وسبوا نساءهم وأولادهم ومواشيهم كلها وأحرقوا القرى والديساكر والمدائن بالنار، فلما رجعوا غضب عليهم موسى عليه السلام، وقال لم امتحيتن النساء؟ ثم أمر بقتل كل طفل مذكر وكل امرأة ثيبة وابقاء الأبيكار. ففعلوا كما أمر وكانت الغنيمة من الغنم مسمائة وخمسة وسبعين ألفا، ومن البقر اثنين وسبعين ألفا، ومن الحمير أحدا وستين ألفا، ومن الأبيكار اثنين وثلاثين ألفا، وكان لكل مجاهد ما نهب من غير الدواب والانسان وما بين مقداره في هذا الباب. غير أن رؤساء الألوف والمئين أعطوا الذهب لموسى ولعازار ستة عشر ألفا وسبعمائة وخمسين مثقالا. وإذا كان عدد النساء الأبيكار اثنين وثلاثين ألفا، فكم يكون مقدار المعتولين من المذكور مطلقا شيوعا كانوا أو شيانا أو صبيانا ومن النساء الثيبات. /١٣/ عمل يوشع عليه السلام بعد موت موسى عليه السلام على

الأحكام المندرجة في التوراة، فقتل المليونات الكثيرة. ومن شاء فليطالع هذا الحال في كتابه من الباب الأول الى الباب الحادي عشر. وقد صرح في الباب الثاني عشر من كتابه أنه قتل احدى وثلاثين سلطانا من سلاطين الكفار، وتسلط بنو اسرائيل على مملكتهم. /١٤/ في الباب الخامس عشر من سفر القضاة في حال شمشون هكذا : « ووجد فكا، أعني خد حمار، فمده يده وأخذه وقتل به ألف رجل. /١٥/ في الباب السابع والعشرين من سفر صموئيل الأول: « ٨ وصعد داود ورجاله وكانوا يتهبون أهل جاسور وجرز وعمالق، لأن هؤلاء كانوا سكان الأرض من الدهر من حد سورا حتى حد مصر ٩ وكان يخرب داود كل الأرض، ولم يكن يُقي منهم رجلا ولا امرأة، وبأخذ الغنم والبقر والحمير والجمال والامتعة، وكان يرجع ويأتي الى أخيس ». انظروا الى فعل داود عليه السلام، أنه كان يخرب الأرض، وما يُقي رجلا ولا امرأة من أهل جاسور وجرز وعمالق وينهب دوابهم وأمتعتهم. /١٦/ في الباب الثامن من سفر صموئيل الثاني : « ٢ وضرب الموابين ومسحهم بالجمال، وأضعفهم على الأرض، ومسح حبلين للقتل، وكمل حبلا واحدا للاستحياء. وكان الموابيون عبيداً لداود يُؤدون اليه الخراج ٣ وضرب داود أيضا هدر عازار بن راحوب ملك صوبا الخ ٥ قاتل ارام دمشق ليعينوا هدر عازار ملك صوبا، وضرب داود من ارام اثنين وعشرين ألف رجل ٤. فانظروا الى فعل داود عليه السلام بالموابين وهدر عازار وجيشه وجيش ارام. /١٧/ الآية الثامنة عشر من الباب العاشر من سفر صموئيل الثاني هكذا : « وهرب السريانيون من بين يدي اسرائيل، وقتل داود من السريانيين سيمعائة مركب، وأربعين ألف فارس، وسويك رئيس الجيش ضربه فمات في ذلك المكان ٤. /١٨/ وفي الباب الثاني عشر من سفر صموئيل الثاني هكذا : « ٢٩ فجمع داود جميع الشعب وسار الى راية فحارب أهلها وقطعها ٣٠ وأخذ تاج ملكهم عن رأسه، وكان وزنه قنطارا من الذهب، وكان فيه جواهر مرتفعة ووضعوه على داود. وغنيمة القرية أخرجها كثيرة جدا ٣١ والشعب الذي كانوا فيها أخذهم ونشرهم بالمناشير وداسهم بموارج حديد وقطعهم بالسكاكين وأجازهم بقمين الاجاجر. كذلك صنع بجميع قرى بني عمون.

ورجع داود وجميع الشعب الى اورشليم ٤. ونقلت هذه العبارة لفظا لفظا عن الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٣١ وسنة ١٨٤٤. فانظروا كيف قتل داود عليه السلام بني عمون قتلاً شنيعاً وأهلك جميع القرى بمثل هذا العذاب العظيم الذي لا يتصور فوقه. /١٩/ في الباب الثامن عشر من سفر الملوك الأول أن ايليا عليه السلام ذبح أربعائة وخمسين رجلاً من الذين يدعون أنهم أنبياء بعل. /٢٠/ لما فتح أربعة ملوك سادوم وعامورة، ونهبوا جميع أموال أهاليهما، وأسروا لوطا عليه السلام، ونهبوا ماله أيضاً، ووصل هذا الخبر الى ابراهيم عليه السلام، خرج ابراهيم عليه السلام ليخلص لوطا عليه السلام. ففي بيان هذا الحال في الباب الرابع عشر من سفر التكوين هكذا : ١٤ « سمع ابرام أن لوطا ابن أخيه سبي، فأحصى غلمانه أولاد بيته ثلاثائة وثمانية عشرة، وانطلق في أثرهم حتى أتى دان ١٥ وفرق ارفاقه ونزل عليهم ليلاً وضربهم وطردهم الى حوبا التي هي من شمال دمشق ١٦ واسترد المقتني كله ولوطا ابن أخيه وماله والنسوة أيضاً والشعب ١٧ وخرج ملك سادوم للقاءه بعدما رجع من قتل كدر لغمور والملوك الذين معه في وادي شوا الذي هو وادي الملك ٤. /٢١/ في الباب الحادي عشر من الرسالة العبرانية هكذا : ٣٢ « وماذا أقول أيضاً لأنه يعوزني الوقت ان أخبرت عن جدعون وباراق وشمشون وبفتاح وداود وصموئيل والانبياء ٣٣ الذين بالايمان قهروا ممالك، صنعوا براً، نالوا مواعيد، سدوا أفواه أسود ٣٤ أطفأوا قوة النار، نجوا من حدّ السيف، تفووا من ضعف، صاروا أشداء في الحرب، هزموا جيوش غرباء ٥. فظهر من كلام مقدسهم بولس ان قهر هؤلاء الأنبياء ممالك واطفأهم النار ونجائهم من حدّ السيف وهزمهم جيوش الكفار كان من جنس البر لا من جنس الاثم، وكان منشؤها قوة الايمان ونيل مواعد الرحمن، لا قساوة القلب والظلم. وإن كان أفعال بعضهم في صورة أشدّ أنواع الظلم، سيما في قتل الصغار الذين ما كانوا متدنسين بدنس الذنوب، وقد عد داود عليه السلام جهاداته من الحسنات حيث قال في الزبور الثامن عشر : ٢٠ « ويجازيني الرب مثل بري ومثل طهارة يدي يكافئني ٢١ لأنني حفظت طرق الرب ولم أكفر بالهي ٢٢ لأن جميع أحكامه قدامي وعدله لم أبعد عني ٢٣ وأكون



طهارة يدي قدام عينيه». وقد شهد الله أن جهاداته وسائر أفعاله الحسنة كانت مقبولة عند الله. في الآية الثامنة من الباب الرابع عشر من سفر الملوك الأول قول الله هكذا: «داود عبدي الذي حفظ وصاياي وتبعني من كل قلبه وعمل بما حسن أمامي». فما قال صاحب ميزان الحق وغيره من علماء پروتستنت أن جهادات داود عليه السلام كانت لأجل سلطنته ومملكته، فممنشؤه قلة الديانة. لأن قتل النساء والأطفال، وكذا قتل جميع أهل بعض البلاد، ما كان ضرورياً لأجل هذه المصلحة. على أنا نقول أنا لو فرضنا أن هذا القتل كان لأجل السلطنة، لكنه لا يخلو إما أن يكون مرضياً لله وحلالاً له، أو يكون مبغوضاً عند الله ومحرمًا عليه. فان كان الأول ثبت مطلوبنا. وان كان الثاني لزم كذب قوله وقول مقدسهم وكذب شهادة الله في حقه ولزوم أن يكون دماء ألوف من المعصومين وغير واجبي القتل في ذمته، ودم البريء الواحد يكفي للهلاك، فكيف تحصل له النجاة الآخروية؟ في الباب الثالث من الرسالة الأولى ليوحنا «وأنتم تعلمون أن كل قاتل نفس ليس له حياة أبدية ثابتة فيه». وفي الباب الحادي والعشرين من المشاهدات: «وأما الجبانون والكفار والمرذولون والقتلة والزناة والسحرة وعبدة الأوثان وكل الكذابين يكون نصيبهم في البحيرة الموقدة بالنار والكبريت هذا هو الموت الثاني». والعياذ بالله. وحذراً من التطويل أكتفي على هذا القدر.

**الأمر الثالث:** لا يشترط أن تكون الأحكام العملية الموجودة في الشريعة السابقة باقية في الشريعة اللاحقة بعينها، بل لا يشترط أن تكون هذه الأحكام العملية باقية في شريعة واحدة من أولها إلى آخرها، بل يجوز أن تختلف هذه الأحكام بحسب اختلاف المصالح والأزمات والمكلفين. وقد عرفت هذه الأمور في الباب الثالث بما لا مزيد عليه. فكان الجهاد مشروعاً في الشريعة الموسوية على طريق هو أشنع أنواع الظلم عند منكري النبوة، ولم تبق مشروعيته في الشريعة العيسوية. وما كان بنو اسرائيل مأمورين بالجهاد قبل خروجهم عن مصر، وصاروا مأمورين به بعد خروجهم. وعيسى عليه السلام يقتل الدجال وعسكره بعد نزوله، كما هو موضح به في الباب الثاني من

الرسالة الثانية الى أهل تسالونيقي، والباب التاسع عشر من المشاهدات. وكذا لا يُشترط أن تكون معاملة تنبيه الكفار والعصاة على طريقة واحدة، كما علمت في الأمر الأول. فلا يجوز لمن يعتقد النبوة والوحي أن يعترض في مثل هذه الأمور على شريعة. فلا يجوز له أن يقول ان اهلاك كل ذي حياة غير أهل السفينة في طوفان نوح عليه السلام، وإهلاك أهل سادوم وعمورة ونواحيهما في عهد لوط عليه السلام، وإهلاك كل ولد أكبر من أولاد الانسان والبهيمة من أهل مصر ليلة خروج بني اسرائيل عنها في عهد موسى عليه السلام، كان ظلما سيما اهلاك الوف في حادثة الطوفان واهلاك ألوف في الحادتين الاخيرتين من أولاد الانسان الصغار وأولاد البهيمة التي هي ما كانت مدنسة بذب من الذنوب. وكذا لا يجوز أن يقول ان قتل الأمم السبعة كلها بحيث لا تبقى منهم بقية ما، سيما قتل أولادهم الصغار الذين ما كانوا اقترفوا ذنبا، ظلم. أو أن يقول ان قتل الرجال وسبي الذراري ونهب الأموال من غير الأمم السبعة، وان قتل ذكور المديانيين كلهم حتى الطفل الرضيع، وكذا قتل نسايتهم الثيات كلها وإبقاء الأبيكار لأجل أنفسهم ونهب الأموال والدواب، ظلم. أو أن يقول ان جهادات داود عليه السلام وجهادات سائر الأنبياء الاسرائيلية عليهم السلام، أو ان ذبح ايليا عليه السلام أربعمائة وخمسين رجلا من أنبياء بعل، أو ان قتل عيسى عليه السلام بعد نزوله الدجال وعسكره، ظلم. لا يجوز العقل أن يفعل الله أو يأمر أحدا بامثال هذا الظلم. وكذا لا يجوز أن يقول ان قتل الذابح للأوثان، وكذا قتل مَنْ يرغب الى عبادة غير الله، وكذا قتل أهل القرية كلها اذا ثبت منهم التترغيب، وكذا قتل موسى عليه السلام ثلاثة وعشرين ألفا من عبدة العجل، وكذا قتل موسى عليه السلام أربعة وعشرين ألفا من الذين زنوا بينات مواب وسجدوا لآلهتهم، ظلم شنيع. وفي هذه الأحكام اجبار بأن يثبت الانسان على الشريعة الموسوية لأجل خوف القتل والرجم. وظاهر أن الايمان القلبي لا يمكن أن يحصل بالاجبار، بل يستحيل أن يحصل للانسان محبة الله ايضا بالاجبار. فامثال هذه الأحكام لا تكون من جانب الله. نعم من لا يكون معتقداً بالنبوة والشرائع، ويكون ملحداً وزنديقا وينكر أمثال هذه الأمور لم يستبعد منه، لكننا لا كلام لنا معه

في هذا الكتاب، بل كلامنا فيه مع المسيحيين عموماً وعلماء يروتستنت خصوصاً.

**الأمر الرابع :** إن علماء يروتستنت يدّعون كذباً أن دين الإسلام شاع بالسيف. وهذا الادعاء غير صحيح، كما علمت في الأمر السابع من مقدمة الكتاب. وأفعالهم غير أقوالهم. فإنهم، وكذا أسلافهم من أهل التلث، إذا تسلطوا تسلطاً تاماً اجتهدوا في امحاء المخالفين. وأنا أنقل بعض الحالات من كتبهم ورسائلهم. فانقل حالهم بالنسبة إلى اليهود من كتاب كشف الآثار في قصص أنبياء بني إسرائيل الذي عرفته في بيان الأمر الثاني. فأقول : قال صاحبه في الصفحة ٢٧ : « القسطنطين الأعظم الذي كان قبل الهجرة بثلاثمائة سنة تقريباً أمر بقطع آذان اليهود واجلائهم إلى أقاليم مختلفة. ثم أمر ملك الملوك الرومي في القرن الخامس من القرون المسيحية باخراجهم من البلدة السكندرية التي كانت مأمنهم من مدة. وكانوا يجيئون إليها من كل جانب فيستريحون فيها. وأمر يهدم كنائسهم ومنع عبادتهم وعدم قبول شهادتهم وعدم نفاذ الوصية إن أوصى أحدٌ منهم لأحد في ماله. ولما ظهر منهم بغاوة ما لأجل هذه الأحكام نهب جميع أموالهم، وقتل كثيراً منهم، وسفك الدماء بظلم ارتعد به جميع يهود هذا الاقليم ». ثم قال في الصفحة ٢٨ : « ان يهود البلد انطويح لما أسروا، بعدما صاروا مغلوبين، قطع أعضاء البعض وقتل البعض وأجلى الباقي منهم كلهم، وظلم ملك الملوك في جميع مملكته هؤلاء المشاركين بأنواع الظلم. ثم أجلاهم من مملكته آخر الأمر، وبيع ولاية الممالك الأخرى على أن يعاملوا اليهود هذه المعاملة. فكان حالهم أنهم تحملوا الظلم من آسيا إلى أقصى حدٍّ أوروباً. ثم بعد مدة قليلة كلفوا في مملكة اسبنيول لقبول شرط من الشروط الثلاثة أن يقبلوا الملة المسيحية فان أبوا عن قبولها يكونون محبوسين، وان أبوا عن كليهما يعجلون من أوطانهم. وصار مثل هذه المعاملة معهم في ديار فرانس. فهؤلاء المساكين كانوا ينتقلون من اقليم إلى اقليم، ولا يحصل لهم موضع القرار، ولم يحصل لهم إلا من في آسيا الكبير أيضاً بل قُتلوا في كثير من الأوقات، كما قتلوا في ممالك الفرنج ». ثم قال في الصفحة ٢٩ : « إن أهل ملة كاتلك كانوا يظلمون

باعتماد أنهم كفار. وعظماء هذه الملة عقدوا مجلسا للمشورة وأجروا عليهم عدة أحكام. الأول من حمى يهوديا على ضد مسيحي يكون ذا خطأ ويخرج عن الملة. والثاني أنه لا يُعطى يهودي منصبا في دولة من الدول. والثالث لو كان مسيحي عبد يهودي فهو حر. والرابع لا يأكل أحد مع اليهودي ولا يعامله. والخامس أن يزرع الأولاد منهم وتُربى في الملة المسيحية. وهكذا كان أحكام آخر». أقول: لا شك أن الحكم الخامس أشد أنواع الاكراه. ثم قال: «كانت عادة أهل البلدة نولوس من اقليم فرانس انهم كانوا يلطمون وجوه اليهود في عيد الفصح، وكان رسم البلدة بزيرو ان أهلها من أول يوم الأحد من أيام العيد الى يوم العيد كانوا يرمون اليهود بالحجارة. وكان يكثر القتل أيضا في هذا الرمي، وكان حاكم البلدة المسيحي المذهب يهيج أهلها على هذا الفعل». ثم قال في الصفحة ٣٠ و ٣١: «دبر سلاطين فرانس في حق اليهود أمرا وهو أنهم كانوا يتركون اليهود الى أن يصيروا متمولين بالكسب والتجارة، ثم يسلبون أموالهم. وبلغ هذا الظلم لأجل الطمع غايته. ثم لما صار فيليب اوغوست سلطانا في فرانس أخذ أولا الخمس من ديون اليهود التي كانت على المسيحيين، وأبرأ من الباقي ذمة المسيحيين. وما أعطى اليهود حبة. ثم أجلى اليهود كلهم من مملكته. ثم جلس على سرير السلطنة سانت لويس وهو يطلب اليهود مرتين في مملكته، وأجلاهم مرتين. ثم أجلى شارل السادس اليهود من مملكة فرانس. وقد ثبت من التواريخ أن اليهود أجلوا من مملكة فرانس سبع مرات. وعدد اليهود الذين أخرجوا من مملكة اسبنيول، لو فرض في جانب القلة، لا يكون أقل من مائة ألف وسبعين ألف بيت. وفي مملكة نمسا قتل كثير منهم ونهب كثير منهم، ونجا منهم قليل وهم الذين تنصروا. ومات كثير منهم بأن سدوا أولا أبوابهم ثم أهلکوا أنفسهم وأولادهم وأزواجهم وأموالهم، اما بالاغراق في البحر أو بالاحراق بالنار. وقتل غير المحصورين منهم في الجهاد المقدس. وكان الانكليز اتفقوا على أن يظلموا اليهود، فلما حصل اليأس العظيم ليهود البلدة يرك، بسبب الظلم، قتل بعضهم بعضا. فقتل ألف وخمسمائة من الرجال والنساء والأطفال، وصاروا أذلاء في هذه المملكة بحيث اذا بنى الأمراء على السلطان قتلوا سبعمائة يهودي ونهبوا

أموالهم لأجل أن يظهروا شوكتهم على الناس. وسلب رجارودوجان وهنري الثالث من سلاطين انكلترة مزاراً أموال اليهود ظلماً، سيما هنري الثالث. فانه كانت عادته أنه كان ينهب اليهود بكل طريق على وجه الظلم وعدم الرحم. وكان جعل أغنياءهم الكبار فقراء. وظلمهم بحيث رضوا على الجلاء واستجازوا أن يخرجوا من مملكته. لكنه ما قبل هذا الأمر منهم أيضاً. ولما جلس ادورد الأول على سرير السلطنة ختم الأمر بأن نهب أموالهم كلها، ثم أجلاهم من مملكته. فأجلى أزيد من خمسة عشر ألف يهودي في غاية العسر. ثم قال في الصفحة ٣٢ : « نقل مسافر اسمه سوتي انه كان حال قوم يرتكأل قبل خمسين عاما أنهم كانوا يأخذون اليهودي ويحرقونه بالنار، ويجتمع رجالهم ونساؤهم يوم احرقه كاجتماع يوم العيد، وكانوا يفرحون، وكانت النساء يصحن وقت احرقه لأجل الفرح ». ثم قال في الصفحة ٣٣ : « ان الباب الذي هو عظيم فرقة كاتلك قرر عدة قوانين شديدة في حق اليهود ». انتهى كلام كشاف الآثار في قصص أنبياء بني اسرائيل. وقال صاحب سير المتقدمين « ان السلطان السادس من فسططين الأول أمر بمشورة أمراهه في سنة ٢٧٩ أن يتصر كل من هو في السلطنة الرومية، ويقتل من لم يتصر ». انتهى. وأي اكراه أزيد من هذا ؟ ولطامس بيوتن تفسير على الأخبار عن الحوادث المستقبلية المندرجة في الكتب المقدسة، وطبع هذا التفسير سنة ١٨٠٣ في البلد لندن. ففي الصفحة ٦٥ من المجلد الثاني في بيان تسلط أهل الثلث على أورشليم هكذا : « فتحوا أورشليم في الخامس عشر من شهر تموز الرومي سنة ١٠٩٩ بعدما حاصروا خمس اسبوعات، وقتلوا غير المسيحيين، فقتلوا أزيد من سبعين ألفا من المسلمين، وجمعوا اليهود وأحرقوهم، ووجدوا في المساجد غنائم عظيمة ». انتهى.

واذا عرفت حال ظلمهم في حق اليهود خصوصاً، وفي حق رعية السلطنة عموماً، وما فعلوا عند تسلطهم على أورشليم، فالآن أذكر نبذاً مما فعل كاتلك بالنسبة الى غيرهم من المسيحيين. وانقل هذه الحالات عن كتاب الثلاث عشرة رسالة الذي طبع في بيروت سنة ١٨٤٩ من الميلاد باللسان العربي فأقول : قال في الصفحة ١٥ و ١٦ : « أما الكنيسة الرومانية فقد

استعملت مرات كثيرة الاضطهادات والطرده المزعج ضد البروتستانت أي الشهود أو بالحري الشهداء، وذلك في ممالك أوروبا. ويظن أنها أحرقت في النار أقل ما يكون مائتين وثلاثين ألفاً من الذين آمنوا بيسوع دون البابا، واتخذوا الكتب المقدسة وحدها هدى وإرشاداً لإيمانهم وأعمالهم. وقد قتلت أيضاً منهم ألوف وريوات بحذّ السيف والحبوس والكلبتين — وهي آلة لتخليع المفصلات بالجذب — وأقطع العذابات المشووعة. ففي فرنسا قُتل في يوم واحد ثلاثون ألف رجل، وذلك في اليوم الملقب بيوم مار برنولماس. وعلى هذا الأسلوب أذياها مختضية بدماء القديسين. انتهى كلامه بلفظه. وفي الصفحة ٢٣٨ في الرسالة الثانية عثر من الكتاب المذكور : « يوجد قانون وُضع في المجمع الملتئم في نوليد وفي سبانيا، يقول : اتنا نضع قانوناً أن كل مَنْ يقبل إلى هذه المملكة فيما بعد لا نأذن له أن يصعد إلى الكرسي إن لم يحلف أولاً أنه لا يترك أحداً غير كاثوليكي يعيش في مملكته، وإن كان بعدما أخذ الحكم يخالف هذا العهد فليكن محروماً قدام الإله السرمدى، وليصر كالحطاب للنار الأبدية ». مجموع المجامع من كارتير اوجه ٤٠٤ : « والمجمع اللاتراني يقول ان جميع الملوك والولاة وأرباب السلطنة، فليحلفوا أنهم بكل جهدهم وقلوبهم يستأصلون جميع رعاياهم المحكوم عليهم من رؤساء الكنيسة بأنهم أراقة، ولا يتركون أحدا منهم في نواحيهم. وإن كانوا لا يحفظون هذه اليمين فشعبهم محلول من الطاعة لهم ». رأس ٣ : « وهذا القانون قد ثبت أيضاً في مجمع قسطنطينيا ». جلسة ٤٥ : « ومن رسم البابا مرتينوس الخامس عن ضلال فيكل، وفي اليمين التي حلفت بها الأساقفة تحت رياسة الباب بوليوس الثالث سنة ١٥٥١ يوجد هذا الكلام : ان الأراقة وأهل الأراقة وأهل الانتفاق والعصاة على سيدنا البابا وخلفائه، هؤلاء بكل قوّتي أطردهم وأبيدهم. والمجمع اللاتراني ومجمع قسطنطينيا يقولون ان الذي يمسك الأراقة له اذن وسلطة أن يأخذ منهم كل مالهم ويستعمله لنفسه من غير مانع ». مجمع لا تراني ٤ مجلد ٢ فصل ١ وجه ١٥٢ ومجمع قسطنطينيا جلسة ٤٥ مجلد ٧ : « والبابا اينوشينسوس الثالث يقول ان هذا القصاص على الأراقة نحن نأمر به كل الملوك والمحكام ونلزمهم اياه تحت القصاصات

الكنائسية». رسم ٧ كتاب ٥ : « وفي سنة ١٧٢٤ وضع الملك لويس الحادي عشر ثمانية عشر قانونا، أولها أننا نأمر أن الديانة الكاثوليكية وحدها تكون مأذونة في مملكتنا. وأما الذين يتمسكون بديانة أخرى فليذهبوا الى الاعتقال طول حياتهم، والنساء فلتقطع شعورهن ويحسن الى الموت. وثانيها أننا نأمر أن جميع الواعظين الذين جمعوا جماعات على غير العقائد الكاثوليكية، والذين عملوا أو مارسوا عبادة مخالفة لها يعاقبون بالموت. وفي مخاطبة الأساقفة في سبانيا للملك سنة ١٧٦٥ يقولون له أعط الرسوم كل قوتها والديانة كل مجدها لكي تسبب هذه المقالة منا تجديد قوانين سنة ١٧٢٤ — المذكورة — وكان من جملة رسوم انكلترا تحت رئاسة البابا أن كل من يقول أنه لا يجوز أن يسجد للأيقونات يحبس في السجن الشديد حتى يحلف أنه يسجد لها. والأسقف أو القاضي الكنائسي له سلطان أن يحضر إليه أو يحبس كل من يقع عليه الشبهة انه اراتيكي. والاراتيكي العنيد فليحرق بالنار قدام الشعب. وجميع الحكام فليحلفوا أنهم يعينون هذا القاضي على استئصال الارائقة الذين عندما تظهر ارتقتهم تسلب أموالهم ويسلمون اليه وتمحى خطاياهم بلهب النار ». كوك فرائض عدد ٣ وجه ٤٠ و ٤١ وأيضا عدد ٤ وجه ١٥ : « وبارونيوس يقول أن الملك كارلوس الخامس كان يظن برأيه الباطل أنه يستأصل الارائقة ليس بالسيف بل بالكلام. وفي فهرس الكتاب المقدس المطبوع في رومية باللاتيني والعربي تحت حرف الهاء، يوجد هذا التعليم : ان الارائقة ينبغي لنا أن نهلكهم. ويورد الاثبات على ذلك أن الملك ياهو قتل الكهنة الكذابة، وإيليا ذبح كهنة باعل، وغير ذلك. فاذن هكذا ينبغي لاولاد الكنيسة أن يهلكوا والارائقة ». ثم في الصفحة ٣٤٧ و ٣٤٨ : « والمؤرخ منتوان المتقدم في رئاسة الكرملين مع غيره من المؤرخين يخبرنا عن كاروز بالانجيل معتبر يقال له ثوما من رودن أحرقه البابا بالنار، لأنه كرز ضد فسادات الكنيسة الرومانية. والمؤرخون يدعونه قديسا وشهيدا حقيقيا للمسيح ». وفي الصفحة ٣٥٠ الى ٣٥٥ : « في سنة ١١٩٤ أمر الديفونسو ملك اراغون في سبانيا بنفي الواضيين من بلاده لأنهم أرائقة. وفي سنة ١٢٠٦ رغما عن الامير رايمون، والي مدينة ثولوس، أرسل الباب فضاة بيت

التفتيش الى تلك المدينة، لأن الأمير المذكور كان قد أبى أن ينفي هؤلاء الواضيين. ثم بعد قليل أرسل ملك فرنسا بطلب البابا الى تلك المدينة ونواحيها عسكرياً عدده ثلثمائة ألف، فحاصر الأمير رايمون في مدينته لأجل المحاماة عن نفسه ولكي يدافع القوة بالقوة. فاندبح في ذلك القفال ألف ألف، وانكسر أهل رايمون، وأحاط بهم كل صنف من الالهانات والعذابات. وكان البابا في حركة هذه الحروب يقول لقومه اننا نعظمكم ونحتم عليكم أن تجتهدوا في ملاشاة هذه الأرائقة الخبيثة أرتقة الالبجييل — أي الواضيين — وتطردوهم بيد قوية أشد مما يكون ضد الساراجين أي المسلمين. وفي سنة ١٤٠٠ في آخر شهر كانون الأول قام أهل البابا بغتة على الواضيين في أوديايت مونت بلاد ملك سردينيا، فهربوا من وجوههم بلا قتال. ولكن قتل منهم كثيرون بالسيف، وكثيرون ماتوا بالثلج. ثم ان البابا بعد ذلك بسبع وثمانين سنة كلف البرتوس ارشيديا كونوس في مدينة كريمونا أن يحارب الواضيين في النواحي القليلة من فرنسا، وفي أوديايت مونت حيث بقي البعض منهم من الذين رجعوا بعد الحرب في سنة ١٤٠٠. وهذا الرجل المذكور تقدم حالا ومعه ثمانية عشر ألف محارب، وأقام تلك الحرب التي استمرت نحو ثلاثين سنة على المسيحيين الذين قالوا نحن في كل وقت نكرم الملك ونؤدي الجزية، ولكن أرضنا وديانتنا التي ورثناها من الله ومن آباءنا لا نريد أن نتركها. وفي كالابريا من بلاد ايطاليا سنة ١٥٦٠ قتل ألوف ألوف من الهروتستين، بعضهم قتل من العسكر، وبعضهم من محكمة بيت التفتيش. قال أحد المعلمين الرومانيين : انني أرتعد كلما أفكر بذلك الجلاد والمخنجر الدموي بين أسنانه، والمنديل يقطر دما بيده، وهو متلطيخ يديه الى الاكارع، يسحب واحدا بعد واحد من السجن، كما يفعل الجزائر بالغنم وفي سنة ١٦٠١ نفى دوك السافوي خمسمائة عيلة من الواضيين. وأيضا سنة ١٦٥٥ وسنة ١٦٧٦ تجددت الاضطهادات عليهم في أوديايدمونت لأن الملك لويس الرابع عشر باشارة من البابا تقدم اليهم بجيشه، وهم في بيوتهم بغاية الطمأنينة، فذبح العسكر خلقا كثيرا منهم وروضوا في الحبس أكثر من عشرة آلاف. فمات كثير منهم من الزحام والجوع. والذين سلموا أخرجوهم لكي



ينزحوا من تلك البلاد. وكان ذلك اليوم شديد البرد، والأرض مغطاة بالثلج والجليد. فكان كثير من الأمهات وأولادهن في أحضانهن موتى على جانب الطريق من البرد. وكارلوس الخامس سنة ١٥٢١ أخرج أمراً في طرد البروتستنتيين في بلاد فلانك عن رأي البابا، وبسبب ذلك قتل خمسمائة ألف نفر. وبعد كارلوس تولى ابنه فيليبس. ولما ذهب الى اسبانيا سنة ١٥٥٩ استخلف الأمير ألفا على طرد البروتستنتيين، والمذكور في أشهر قليلة قتل على يد الجلاذ الملوكي الشرعي ثمانية عشر ألفاً. وبعد ذلك كان يفتخر بأنه قتل في كل المملكة ستة وثلاثين ألفاً. والقنيل الذي يذكره المعلم كين في عيد مار برثولماوس كان في ٢٤ آب سنة ١٥٧٢ في وقت السلامة الكاملة وكان الملك — ملك فرنسا — قد وعد بأنخه لأمر نافار، وهو من علماء البروتستنتيين وأشرفهم، ثم اجتمع هو وأصدقاء أعيان كنيستهم في باريس لأجل استممام الوعد بالزواج. ولما ضربت التواقيس لأجل الصلاة الصباحية قاموا بفتة حسب اتفاقهم السابق على الأمير وأصحابه وعلى جميع البروتستنتيين في باريس فذبحوا منهم للوقت عشرة آلاف نفر. وهكذا جرى أيضاً في روين وليون وأكثر المدن في تلك البلاد، حتى قال البعض من المؤرخين انه قتل نحو ستين ألفاً. واستمر هذا الاضطهاد مدة ثلاثين سنة، لأن البروتستنتيين مسكوا سلاحهم لكي يدفعوا القوة بالقوة. ومات في هذا الحرب منهم تسعمائة ألف. ولما سمع في رومية فعل ملك فرنسا في عيد مار برثولماوس أطلقوا المدافع من الأبراج، وذهب البابا مع الكرديناليين ليرتل مزموور الشكر في كنيسة مار بطرس، وكتب شكراً وتعظيماً للملك على الخير والجميل الذي صنعه مع الكنيسة الرومانية بهذا العمل. فلما جلس الملك هنري الرابع على كرسي فرنسا قطع هذا الاضطهاد سنة ١٥٩٣. ولكن يظن أنه قتل لأجل عدم تسليمه بالاغتصاب في أمر الدين. ثم أنه في سنة ١٦٧٥ تجدد الاضطهاد. وعندما قتل خلق كثير يقول المؤرخون ان خمسين ألفاً اضطروا أن يتركوا بلادهم لكي ينجوا من الموت. انتهى كلامه. ونقلت عبارة هذا الكتاب بألفاظها من الرسالة الثانية عشر.

وإذا عرفت حال ظلم فرقة كاتلك، فاعلم أن حال ظلم فرقة پروتستنت

قريب منه. وأنقل هذا الحال عن كتاب مرآة الصدق الذي ترجمه القسيس طامس انكلس من علماء كاتلك من اللسان الانكليزي الى اردو، وطبع سنة ١٨٥١ من الميلاد. ويوجد هذا الكتاب عند أهل هذه الفرقة في الهند كثيراً. في الصفحة ٤١ و ٤٢ : « سلب پروتستنت في ابتداء أمرهم مئة وخمسة وأربعين رباطاً، وتسعين مدرسة وألفين وثلاثمائة وستة وسبعين كنيسة، ومائة وعشر مارستانات من ملاكها، فباعوا بطن بطن وقاسمها الأمراء فيما بينهم، وأخرجوا ألوفا من المساكن المغلوكيين عربانيين من هذه الأمكنة ». ثم قال في الصفحة ٤٥ : « امتد طمعهم أنهم ما تركوا الأموال أيضاً : آذوا أجسادهم في نوم العدم وسلبوا أكفانهم ». ثم قال في الصفحة ٤٨ و ٤٩ : « وضاعت في هذه الغنائم كتبانات ذكرها جيء بيل متحسراً بهذه الألفاظ : أنهم سلبوا كتباً واستعملوا أوراقها في الشواء وفي تطهير الشمعدانات والنعال، وباعوا بعض الكتب على العطارين وباعة الصابون، وباعوا كثير منها ما وراء البحر على أيدي المجلدين. وما كانت هذه الكتب مائة أو خمسين، بل المراكب كانت مملوءة منها. وأضاعوها بحيث تعجب الأقوام الأجنبية. وإنني أعلم تاجراً اشترى كتبانتين كلاهما منها بعشرين ربية. وبعد هذه المظالم ما تركوا من خزائن الكنائس إلا جداراً عريانة. ثم ظنوا أنفسهم من أهل الوقار وملؤا الكنائس من أناس من أهل ملتهم ». ثم قال في الصفحة الثانية والخمسين الى الصفحة السادسة والخمسين : « فلنلاحظ الآن أفعال الجور التي فعلها پروتستنت في حق فرقة كاتلك الى هذا الحين : إنهم قرروا أزيد من مئة قانون كلها خلاف العدل والرحمة لأجل الظلم. ونحن نذكر عدة من هذه القوانين الجورية : — ١ — لا يرث كاتلك تركة أبويه. — ٢ — لا يشتري واحد منهم أرضاً بعد ما يجاوز عمره ثمانى عشرة سنة إلا أن يصير پروتستنت. — ٣ — لا يكون له مكتب. — ٤ — لا يشغل أحد منهم بالتعليم، ومنْ خالف هذا الحكم يحبس دائماً. — ٥ — مَنْ كان من هذه الملة يؤدي ضعف الخراج. — ٦ — ان صلى أحد من قسوسهم فعليه أداء ثلثمائة وثلاثين ربية من ماله، وان صلى أحد منهم ولا يكون قسيساً فعليه أداء سبعمائة ربية ويسجن سنة. — ٧ — إن أرسل أحد منهم ولده خارج انكلترا

للتعليم يقتل هو وولده ويسلب أمواله ومواشيه كلها. — ٨ — لا يعطى لهم منصب من الدولة. — ٩ — من لم يحضر منهم يوم الأحد أو العيد في كنيسة پروتستنت تؤخذ منه مائتا ربية في كل شهر، ويكون خارجا عن الجماعة، ولا يعطى له منصب. — ١٠ — من ذهب منهم بعيدا من لندن مسافة خمسة أميال يؤخذ منه ألف ربية مصادرة. — ١١ — لا يسمع استغاثة أحد منهم عند الأحكام بحسب القانون. — ١٢ — ما كان أحد منهم يسافر أزيد من خمسة أميال مخافة أن ينهب ماله ومتاعه، وكذا ما كان أحد منهم يقدر على الاستغاثة في أمر عند الأحكام مخافة أن يؤخذ منه ألف ربية مصادرة. — ١٣ — لا تنفذ أنكحتهم، ولا تجهيز موتاهم، ولا تكفين الموتى، ولا تعمد أولادهم، إلا إذا كانت هذه الأمور على طريقة كنيسة انكلترا. — ١٤ — إن تزوجت إحدى نساء هذه الملة تأخذ الدولة من جهازها ثلثين، ولا ترث من تركه زوجها، ولا يوصي زوجها لها من تركته بشيء، ونساؤهم كن يحبس إلى أن يعطى أزواجهن عشر ربيات عشر ربيات في كل شهر أو يعطوا ثلث أراضيهم إلى الدولة. — ١٥ — ثم صدر الحكم عاقبة الأمر : إن لم يصر كلهم پروتستنت يسجنون ثم يجاون من أوطانهم مدة حياتهم، وإن أبوا عن الحكم أو رجعوا من الجلاء بدون الأمر كانوا ملزمين بالزام عظيم. — ١٦ — لا يحضر القسيس عند قتلهم ولا عند تجهيزهم وتكفينهم. — ١٧ — لا يكون السلاح في بيت أحد منهم. — ١٨ — لا يركب أحد منهم على حصان يكون ثمنه أزيد من خمسين ربية. — ١٩ — إن أذى قسيس منهم أمراً من الخدمات المتعلقة به يُسجن دائماً. — ٢٠ — القسيس الذي يكون مولده انكلترا ولا يكون من ملة پروتستنت، إن أقام أزيد من ثلاثة أيام في انكلترا يتصور أنه غدار ويُقتل. — ٢١ — من أنزل القسيس المذكور على مكانه يُقتل. — ٢٢ — لا تقبل شهادة كاتلك في العدالة. وقُتل على هذه القوانين الجوربة في عهد الملكة اليبابت مائتان وأربعة أشخاص، كان مائة وأربعة منهم قسيسين، والباقيون من أهل الغنى. وما كان ذنبهم، غير أنهم أقروا أنهم من ملة كاتلك. ومات تسعون قسيسا وكبار آخرون في السجن. وأجلى مائة وخمسة أشخاص مدة حياتهم. وضرب كثيرا منهم بالسياط. وصوروا

وحرّموا من أموالهم وأموالهم حتى هلك عشيرتهم وقتلت ميري المشهورة ملكة اسكات وكانت بنت الخالة للملكة اليصابت لأجل كونها من ملة كاتلك. ثم قال في الصفحة الحادية والستين الى السادسة والستين : « حُمِل كثير من رهبانهم وعلمائهم بأمر الملكة اليصابت في المراكب، ثم أغرقوا في البحر. جاء عساكرها الى ايرلاند ليدخلوا أهل ملة كاتلك في ملة پروتستنت فاحرقوا كنائس كاتلك، وقتلوا علماءهم وكانوا يصطادونهم كاصطياد الوحوش البرية، وكانوا لا يؤمنون أحداً، وإن آمنوا أحداً قتلوه أيضاً بعد الأمان، وذبحوا العسكر الذي كان في حصن سمروك، وأحرقوا القرى والبلاد، وأفسدوا الحبوب والمواشي، وأجلوا أهلها بلا امتياز المنزلة والعمر، ثم أرسل بارلمنت سنة ١٦٤٣ وسنة ١٦٤٤ الباشوات ليسلبوا جميع أموال كاتلك وأراضيهم بلا امتياز بينهم. وبقي أنواع الظلم الى زمن الملك جيمس الأول، وحصل التخفيف في الظلم في عهده، ثم رحمهم الملك سنة ١٧٧٨. لكن الهرونستنتيين سخطوا عليه، وقدموا عرضحال الى السلطان من جانب أربعة وأربعين ألفاً من فرقة پروتستنت في ثاني حزيران سنة ١٧٨٠ واستدعوا أن يبقى بارلمنت القوانين الجورية في حق ملة كاتلك كما كانت. لكن بارلمنت ما التفتوا اليه. فاجتمع مائة ألف من پروتستنت في لندن وأحرقوا الكنائس وهدموا أمكنة كاتلك. وكان الحريق يُرى من موضع واحد في سنة وثلاثين مكاناً. وكانت هذه الفتنة قائمة الى سنة أيام. ثم أوجد الملك قانوناً آخر سنة ١٧٩١ واعطى ملة كاتلك حقوقاً هي حاصلة لهم الى هذا الحين. ثم قال في الصفحة ٧٣ و ٧٤ : « ما سمعتم حال چارتر اسكول الذي هو في ايرلاند. هذا الأمر محقق أن پروتستنت يجمعون في كل سنة مقدار مائتي ألف وخمسين ألف ربية وكراء أكثر المكنات الكبيرة، ويشترون بها أولاد فرقة كاتلك الذين هم من المساكين المفلوكين، ويرسلونهم في العربيات الى اقليم آخر بالخفية لئلا يرى آباؤهم وأمهاتهم. ويفع كثيرا أن هؤلاء الأشقياء اذا رجعوا الى أوطانهم تزوّجوا بأخواتهم أو اخوتهم أو آباءهم أو أمهاتهم للجهل وعدم الامتياز. انتهى كلامه. والظلم الذي صدر عن بعض فرق پروتستنت بالنسبة الى بعض آخر لا أنقله حذراً من التظويل. وأكتفي على هذا

القدر، وأقول : انظروا الى هؤلاء الطاعنين على الملة المحمدية انهم كيف أشاعوا ملتهم بالجور والظلم.

**الأمر الخامس :** إن حكم الجهاد في الشريعة المحمدية هكذا : يُدعى الكفار أولاً بالموعظة الحسنة الى الاسلام، فإن قبلوه فيها ويكونون كأمتائنا، وإن لم يقبلوا فإن كانوا من مشركي العرب فحكمهم القتل، كما كان هذا الحكم في الشريعة الموسوية في حق الأمم السبعة، والمرتد والذابح للأوثان والداعي الى عبادتها. وإن كانوا من غيرهم يُدْعَوْنَ الى الصلح بقبول الجزية والاطاعة، فإن قبلوا صارت دماؤهم كدمائنا، وأموالهم كأموالنا، وإن لم يقبلوا فمحاربون مع مراعاة الشروط التي هي مُصرَح بها في كتب الفقه، كما كان مثله في الشريعة الموسوية في حق غير الأمم السبعة. والخرافات التي نقلها علماء پروتستنت في بيان هذه المسئلة بعضها مقتربات، وبعضها هذيانات. وأنقل كتاب خالد بن الوليد رضي الله عنه الى رئيس عسكر فارس، وكتاب الأمان من عمر رضي الله عنه لنصارى الشام، ليظهر الحال على الناظر اللبيب.

**أما الأول** فصورته هكذا : « بسم الله الرحمن الرحيم من خالد بن الوليد الى رستم ومهران في ملائ فارس. سلام على من أتبع الهدى. أما بعد، فانا ندعوكم الى الاسلام، فإن أبيتم فاعطوا الجزية عن يد وأنتم صاغرون، فإن أبيتم فإن معي قوماً يحبون القتل في سبيل الله، كما يحب فارس الخمر. والسلام على من أتبع الهدى ». وأما الثاني فصورته هكذا : « بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما أعطى عبدالله عمر أمير المؤمنين أهل ايلياء من الأمان أماناً لأنفسهم وكنائسهم وصلبانهم سقيمها وبرها وسائر ملتها : إنها لا تُسكن كنائسهم ولا تُهدم ولا يُنْقَص منها ولا من صلبانهم ولا شيء من أموالهم، ولا يُكرهون على دينهم، ولا يُضار أحد منهم، ولا يُسكن ايلياء أحد من اليهود. وعلى أهل ايلياء أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن. وعليهم أن يخرجوا منها الروم والنصوص. فمن خرج منهم فهو آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم. ومن أقام منهم فهو آمن وعليه مثل ما على أهل ايلياء من الجزية. ومن أحب من ايلياء ان يسير بنفسه وماله مع الروم يخلي بيعتهم وصلبيهم فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعتهم وعلى صليبيهم حتى يبلغوا مأمنهم.

ومن كان فيها من أهل الأرض فمن شاء منهم تعدوا عليه مثل ما على أهل ايلياء من الجزية. ومن شاء رجع الى أرضه وانه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم. وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمته وذمة رسوله ﷺ وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين اذا أعطوا الذي عليهم من الجزية. شهد على ذلك من الصحابة رضي الله عنهم خالد بن الوليد رضي الله عنه، وعمر بن العاص رضي الله عنه، وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه. وكل الناس يعترفون أن أمير المؤمنين عمر، رضي الله عنه، كان شديداً في الإسلام في غاية الشدة، وكان جهاد الشام من أعظم جهاداته، وكان جاء بنفسه الشريف عند محاصرة ايلياء. ولما تسلط علي على ايلياء وقبل المسيحيون الجزية ما قتل أحداً، ولا أكره على الايمان، وأعطاهم شروطاً حسنة. وقد اعترف به مؤرخوهم ومفسروهم أيضاً، كما عرفت من كلام طامس نيوتن في الفصل الثالث من الباب الأول. وقد عرفت في الأمر الرابع من هذا المبحث من كلام المفسر المذكور ما فعل المسيحيون في حق المسلمين واليهود اذ تسلطوا على ايلياء. والفرق بين الشريعة المحمدية والموسوية في مسألة الجهاد، ان الشريعة المحمدية ان يدعى الكافر فيها أولاً بالموعظة الحسنة الى الاسلام بخلاف الشريعة الموسوية. وظاهر انه لا قبح في هذه الدعوة. والامتناع، بعد الايمان، عن القتل عين الانصاف. في الآية الحادية عشر من الباب الثالث والثلاثين من كتاب حزقيال: « يقول الرب الاله لست أريد موت المنافق، بل أن ينوب المنافق من طريقه ». والآية السابعة من الباب الخامس والخمسين من كتاب اشعيا هكذا: « فليترك المنافق طريقه ورجل السوء أفكاره، وليرجع الى الرب فيرحمه، والى الهنا لأنه كثير الغفران ». والثاني انه كان حكم قتل النساء والصبيان اذا كانوا من الأمم السبعة في الشريعة الموسوية، بخلاف الشريعة المحمدية. فان هؤلاء يقتلون، وإن كانوا من مشركي العرب. كما كانوا ألا يقتلون في الشريعة الموسوية أيضاً اذا كانوا من غير الأقوام السبعة. فاذا تمهدت هذه الأمور الخمسة أقول لا شناعة في مسألة الجهاد الاسلامي نقلاً وعقلاً. أما نقلاً فلما عرفته في الأمور المذكورة. وأما عقلاً فلأنه قد ثبت بالبرهان الصحيح أن اصلاح القوة

النظرية مقدم على اصلاح القوة العملية. فاصلاح العقائد مقدم على اصلاح الأعمال. وهذه مقدمة مسلمة عند كافة الملمين. ولذلك لا تفيد الأعمال الصالحة بدون الايمان عندهم. ولا يعاندنا المسيحيون أيضا في هذا الباب. لأن الأعمال الصالحة بدون الايمان بالمسيح لا تنجي عندهم أيضا. وأن الجواد الحليم المتواضع الكافر بعيسى عليه السلام أشر عندهم من البخيل الغضوب المتكبر المؤمن بعيسى عليه السلام. وكذا قد ثبت بالتجربة الصحيحة أن الانسان قد ينتبه على خطئه وقبحه بتنبيه الغير. وكذا قد ثبت بالتجربة الصحيحة أن الانسان لا يطيع الحق غالبا لأجل وجاهة قومه وشوكتهم، ولا يصغي الى قول رجل من صنف آخر، بل يأنف من سماع كلامه، سيما اذا كان هذا القول مخالفا لطبائع صنفه وأصولهم، ويكون في قبوله لزوم المشقة في أداء العبادات البدنية والمالية، بخلاف ما اذا انكسرت وجاهة قومه وشوكتهم، فلا يأنف من الاصغاء. كذا قد ثبت بالتجربة أن العدو اذا رأى أن مخالفه مائل الى الدعة والسكون يطمع في التسلط على مملكته. وهذا هو السبب الأغلب في زوال الدول القديمة. وبعد تسلطه تحصل المضرة العظيمة للدين والديانة. ولذلك اضطر المسيحيون كافة الى ما يخالف انجيلهم المندول، فقال أهل ملة كاتلك ان الكنيسة الرومانية لها سلطان حقيقي على كل مسيحي بواسطة العمام، لكون كل معتمد خاضعا للكنيسة الرومانية ومروسا منها، وهي ملتزمة بقصاص العصاة بالعقوبات الكنائسية، وبأن تسلم المصيرين على ضلالهم والمضرين للجُمهور الى ذوي الولاية ليعاقبهم بالموت، وبالتالي يمكنها التزامهم بحفظ الايمان الكاتلكي والشرائع الكنائسية تحت أي قصاص كان. وقد نقل قولهم هذا اسحق بردكان من علماء پروتستنت في كتابه المسمى بكتاب الثلاث عشرة رسالة في الرسالة الثانية عشر من الصفحة ٣٦٠ من النسخة المطبوعة سنة ١٨٤٩ في بيروت. وقال علماء پروتستنت من أهل انكلترا: سعادة الملك له الحكم الأعلى في مملكة انكلترا هذه وفي ولاياته الأخرى، وله السلطنة الأولى على جميع متعلقات هذه المملكة، سواء كانت كنائسية أو مدنية في كل حال، وما هي خاضعة بل لا يصح أن تخضع لحاكم أجنبي. ويجوز للمسيحيين أن يتقلدوا

السلاح بأمر الحكام وبيأشروا الحروب، كما هو مصرح به في العقيدة السابعة والثلاثين من عقائد دينهم. فترك كلا الفريقين ظاهر أقوال عيسى عليه السلام، أعني « لا تقاوموا الشر، بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر، ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضاً، ومن سخرك ميلاً واحداً فاذهب معه اثنين، من سألك فاعطه ». فإن هذه الأقوال تخالف ما مهدوه. ولو عملوا على هذه الأقوال، لا أقول أزيد من هذا، أن سلطنة الانكليز تزول في الهند في أيام معدودة، ويخرجهم أهل الهند بلا كلفة. ولذلك قال بعض الظرفاء الأذكياء أطال الله حياته قادحاً على هذه الأقوال الزاما « تكليف للانسان بما ليس في وسعه ولا يمكن للدولة ما أن تعمل به، ولا يمكن الزام أحد به إلا بعض الصيادين الذين لا رداء لهم فيؤخذ منهم ولا يعيئون باضاعة الوقت ». انتهى كلامه بلفظه. ثم قال : « وذلك كله غير مذكور في مرقص ويوحنا، مع أن النصارى كافة، على القائهم العمل بهذه الأحكام، ما زالوا يحتجون بها، وبها يستدلون على أفضلية مذهبهم. فكيف ساغ إذا لمرقس ويوحنا أن يهملوا ذلك ويتواطأ معا على قصة حل الجحش ؟ فهل من دأب المؤرخين أن يذكروا الخسيس من الأمور ويسكتوا عن الجليل ؟ ولا سيما أنهم هم المخاطبون به. ويمكن أن يقال أن من ذكره فانما نظر الى تكليف غيره، ومن سكوت عنه فانما حشي تكليف نفسه ». انتهى كلامه بلفظه. وقال بعض الملاحدة ان هذه الأحكام التي يفتخر بها المسيحيون لا تخلو إما أن تكون مستحبة نظراً الى بعض الحالات، أو واجبة. فان كانت مستحبة فلا بأس بها، لكنها لا تختص بالملة المسيحية. فان هذا الاستحباب نظراً الى بعض الحالات يوجد في غير ملتهم أيضاً. وان كانت واجبة فلا شك انها منابع المقامد والشرور وأسباب زوال الدول والراحة والاطمئنان والسرور. واذا ثبت ما ذكرته، فلا شك في استحسان الجهاد عقلاً اذا كان حامعاً للشروط المذكورة في الشريعة المحمدية. وتذكرت حكاية مناسبة للمقام : جاء بعض القسيسين في محكمة المفتي من محكمات الدولة الانكليزية في الهند، فقال : يا جناب المفتي، لي سؤال على المسلمين أمهل، المجيب الى سنة لأداء جوابه. فأشار المفتي الى ناظر محكمة، وكان رجلاً



ظريفا، فقال : أي سؤال هذا ؟ قال القسيس : ان نبيكم ادعى انه مأمور بالجهاد وما كان موسى مأموراً به ولا عيسى. فقال الناظر : أهذا هو السؤال الذي تمهلنا الى سنة لتفكر في جوابه ؟ قال القسيس نعم. قال الناظر : لا نستملك، وأحييك الآن لسببين : أما أولاً فلأننا متعلقون بالدولة الانكليزية ولا فرصة لنا ألا في أيام التعطيل. فمن يمهلنا الى سنة ؟ وأما ثانياً فلأن هذا السؤال لا يحتاج في جوابه الى تأمل ماذا تقول في حق لجج<sup>(١)</sup> ( يعني الحاكم الانكليزي الذي يكون بمنزلة القاضي في الشرع ) أيجوز له بحسب القوانين الانكليزية أن يقتل القاتل قصاصاً اذا ثبت القتل عليه ؟ عنده قال القسيس : لا، لأنه ليس بمأمور بهذا، بل منصبه، أن يرسل هذا القاتل الى شيشن جج ( يعني الحاكم الكبير منه ). قال أيجوز لهذا الحاكم الكبير بحسب القوانين أن يقتله اذا ثبت القتل عنده ؟ قال القسيس : لا، لأنه ليس بمأمور أيضاً، بل منصبه أن يحقق الأمر ثانياً ويخير الحاكم الذي هو أعلى منه حتى يصدر حكم القتل عن هذا الأعلى، ثم يحكم هذا الكبير بقتله. فقال الناظر أهؤلاء الحكام الثلاثة ليسوا بمتعلقين بالدولة الواحدة الانكليزية ؟ قال القسيس : بلى، لكن اختلاف الاقتدار لأجل اختلاف مناصبهم. فقال الناظر : الآن ظهر الجواب من كلامك، فلا بد أن نعلم أن موسى وعيسى عليهما السلام بمنزلة الحاكمين الأولين، ونبينا بمنزلة الحاكم الثالث الأعلى. فكما لا يلزم من عدم اقتدار الحاكمين الأولين عدم اقتدار الثالث، فكذا لا يلزم من عدم اقتدار موسى وعيسى عليهما السلام عدم اقتدار محمد ﷺ. فسكت القسيس وخرج خائباً. فمن نظر الى ما ذكرت بنظر الانصاف وتجنب عن العناد والاعتساف، علم يقيناً أن التشدد في مسألة الجهاد وقتل المرتد والمرغب الى عبادة الأوثان في الشريعة الموسوية أشد وأكثر من التشدد الذي فيها في الشريعة المحمدية، وان طعن المسيحيين خلاف الانصاف جداً. وأتعجب من حالهم انهم لا ينظرون الى أن أسلافهم كيف أشاعوا ملتهم

(١) القاضي، وهي نسخ للكلمة الانكليزية : Judge.

بالظلم، وكيف قرروا القوانين الجوربة لمخالفهم. ولما طال هذا المبحث لا  
أعرض لهوساتهم المدرجة في رسائلهم. وفيما ذكرت كفاية لدفع هذه  
الهوسات. وبالله التوفيق.

**المطعن الثاني :** من شروط النبوة ظهور المعجزات على يد من يدعيها.  
وما ظهرت معجزة على يد محمد، ﷺ، كما يدل عليه ما وقع في سورة  
الأنعام : ﴿ مَا عِنْدِي مَا تُسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنْ أَلْحَكُمُ إِلَّا اللَّهُ يَقْضُ الْخُفَى وَهُوَ  
خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴾<sup>(١)</sup>، وكذا ما وقع في تلك السورة : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ  
إِيمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ  
أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾<sup>(٢)</sup>. وكذا ما وقع في سورة بني اسرائيل :  
﴿ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا أَوْ تُكُونَ لَكَ جَنَّةٌ  
مِنْ نَجِيلٍ رَعْنَبٍ فَفَجَّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا فَفَجِيرًا أَوْ تَسْقُطَ السَّمَاءَ كَمَا  
رَعْنَتْ غَلِيظًا كِسْفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ  
زُخْرَفٍ أَوْ تُزْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِزُفِكَ حَتَّى تَنْزِلَ غَلِيظًا كِتَابًا تَقْرَأُهُ  
قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴾<sup>(٣)</sup> وكذا بعض الآيات الأخر.

**والجواب :** ان الأمور الثلاثة التي ذكرها السائل تغليطات. اما الأول فلأن  
صدور المعجزة ليس من شروط النبوة على حكم هذا الانجيل المتعارف.  
فعدم صدورها لا يدل على عدم النبوة. في الآية الحادية والأربعين من الباب  
العاشر من انجيل يوحنا هكذا : « فَأَتَى إِلَيْهِ كَثِيرُونَ وَقَالُوا إِنْ يُوْحَنَّا لَمْ يَفْعَلْ  
آيَةً وَاحِدَةً ». وفي الآية السابعة والعشرين من الباب الحادي والعشرين من  
انجيل متى هكذا : « يُوْحَنَّا عِنْدَ الْجَمِيعِ نَبِيٌّ ». وفي الترجمة العربية المطبوعة  
سنة ١٨٢٥ « كلهم يحسبون يحيى نبيا ». وقد وقع في الباب الحادي عشر  
من انجيل متى قول عيسى عليه السلام في حقه : « انه أفضل من نبي ». فهذا

(١) سورة الأنعام (٥٧).

(٢) سورة الأنعام (١٠٩).

(٣) سورة الأسراء (٩٠ - ٩٣).

الأفضل من الأنبياء لم تصدر عنه معجزة من المعجزات على شهادة كثيرين، مع أن نبوته مسلمة عند المسيحيين. وأما الأمر الثاني فغلط بحت، كما عرفت في الفصل الأول. والأمر الثالث أما غلط منهم أو تغليب. لأن المراد بما في قوله تعالى ما تستعجلون به الواقع في الآية الأولى العذاب الذي استعجلوه بقوله ( فامطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ). ومعنى الآية ( ما عندي ما تستعجلون به ) أي العذاب الذي تستعجلون به. ( ان الحكم إلا لله ) في تعجيل العذاب وتأخيره. ( يقص الحق ) أي يقضي القضاء الحق من تعجيل وتأخير. ( وهو خير الفاصلين ) أي القاضين. فحاصل الآية أن العذاب ينزل عليكم في الوقت الذي أراد الله انزاله، ولا قدرة لي على تقدمه أو تأخيره. وقد نزل عليهم يوم بدر وما بعده. فلا تدل هذه الآية على أن محمدا ﷺ لم تصدر عنه معجزة. وأما الآية الثانية فمعناها : ( واقسموا بالله جهد أيمانهم ) مصدر في موضع الحال. ( لئن جاءتهم آية ) من مقترحاتهم ( ليؤمنن بها قل إنما الآيات عند الله ) هو قادر عليها يظهر منها ما يشاء. ( وما يشعركم ) استفهام انكار ( أنها ) أي الآية المقترحة ( اذا جاءت لا يؤمنون ) أي لا تدرون انهم لا يؤمنون بها. وهذا القول يدل على أنه تعالى إنما لم ينزلها لعلمه بانها اذا جاءت لا يؤمنون. وأما الآية الثالثة فمعناها ( وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ) أي أرض مكة ( ينبوعا ) أي عينا غزيرة لا ينضب ماؤها أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها فتجيرا أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا ) يعنون قوله تعالى ان نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا من السماء. ( أو تأتي بالله والملائكة قبلا ) أي شاهدا على صحة ما تدعيه ضامنا لدركه. ( أو يكون لك بيت من زخرف ) أي من ذهب ( أو ترقى في السماء ) أي في معارجها. ( ولن نؤمن لرقبك ) وحده ( حتى تنزل علينا كتابا ) من السماء فيه تصديقك. عن ابن عباس قال عبدالله بن أبي أمية : لن نؤمن لك حتى تتخذ إلى السماء سلما ثم ترقى فيه، وأنا أنظر حتى تأتيها، ثم تأتيني معلق بصك منشور معه أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول. ( نقرؤه قل سبحانه ربي ) تعجبا من اقتراحاتهم ( هل كنت الا بشرا رسولا ) كسائر

الرسول. وما كان مقصودهم بهذه الاقتراحات الا العناد واللجاج، ولو جاءتهم كل آية لقالوا هذا سحر كما قال الله عز وجل : ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ ﴾ (١) ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِنَ السَّمَاءِ ﴾ (٢). وكذا حال بعض آيات أخر. بفهم منه في الظاهر نفى اظهار الآيات، لكن المقصود به نفى المعجزة المقترحة. ولا يلزم من هذا النفي نفى المعجزات مطلقاً، ولا يلزم على الأنبياء أن يظهروا معجزة كلما طلبها المنكرون، بل هم لا يظهرون اذا طلب المنكرون عناداً أو امتحاناً أو استهزاءً. وأورد لهذا الأمر شواهد من العهد الجديد.

**الأول :** في الباب الثامن من انجيل مرقس هكذا : ١١ هـ فخرج الفريسيون وانتدؤا يحاورونه طالبين مئة آية من السماء لكي يجربوه ١٢ فتنهد بروحه، وقال لماذا يطلب هذا الجيل آية ؟ الحق أقول لكم لن يعطي هذا الجيل آية هـ. فالفريسيون طلبوا معجزة من عيسى عليه السلام على سبيل الامتحان فما أظهر معجزة، ولا أحال في ذلك الوقت الى معجزة صدرت عنه فيما قبل، ولا وعد باظهارها فيما بعد أيضاً. بل قوله لن يعطي هذا الجيل آية يدل على أن المعجزة لا تصدر عنه فيما بعد هذا البيت، لأن لفظ الجيل يشمل الجميع الذين كانوا في زمانه.

**الثاني :** في الباب الثالث والعشرين من انجيل لوقا هكذا : ٨ هـ وأما هيرودس فلما رأى يسوع فرح جدا لأنه كان يريد من زمان طويل أن يراه لساعه عنه أشياء كثيرة وترجى أن يرى آية تصنع منه ٩ وسأله بكلام كثير فلم يجبه بشيء، ١٠ ووقف رؤساء الكهنة والكتبة يشنكون عليه باسناداه ١١ فاحتقره هيرودس مع عسكره واستهزأ به وألبسه لباساً لامعاً وردّه الى بيلاطس هـ. فعيسى عليه السلام ما أظهر معجزة في ذلك الوقت، وقد كان هيرودس يترجى أن يرى منه آية. والأغلب أنه لو رأى لأكزم اليهود على اشتكاكهم ولما احتقره مع عسكره ولما استهزأ.

(١) سورة الانعام (٧).

(٢) سورة الصحر (١٤).

**الثالث :** في الباب الثاني والعشرين من انجيل لوقا هكذا : ٦٣ والرجال الذين كانوا ضابطين يسوع كانوا يستهزؤن به وهم يجلدونه ٦٤ وغطوه وكانوا يضربون وجهه ويسألونه قائلين : تنبأ من هو الذي ضربك. وأشياء أخرى كثيرة كانوا يقولون عليه مجدفين . ولما كان سؤالهم استهزاء وتوهيناً ما أجابهم عيسى عليه السلام.

**الرابع :** في الباب السابع والعشرين من انجيل متى هكذا : ٣٩ وكان المحتازون يجدفون عليه وهم يهزون رؤوسهم ٤٠ قائلين يا ناقض الهيكل وبانيه في ثلاثة أيام، خلص نفسك ان كنت ابن الله، فانزل الآن عن الصليب ٤١ وكذلك رؤساء الكهنة أيضاً وهم يستهزؤن مع الكتبة والشيوخ قالوا : خلص آخرين، وأما نفسه فما يقدر أن يخلصها. ان كان هو ملك اسرائيل فلينزّل الآن عن الصليب فنؤمن به ٤٣ قد أتكل على الله فلينقذه الآن ان اراده لأنه قال أنا ابن الله ٤٤ وبذلك أيضاً كان اللسان اللذان صلباً معه ليعيرانه . فما خلص نفسه عيسى عليه السلام في هذا الوقت، وما نزل عن الصليب، وان عبره المحتازون. ورؤساء الكهنة والكتبة والشيوخ واللسان ورؤساء الكهنة والكتبة والشيوخ كانوا يقولون انه ان نزل عن الصليب نؤمن به. فكان عليه لدفع العار وإلزام الحجة أن ينزل مرة عن الصليب ثم يصعد. ولكهم لما كان مقصودهم العناد والاستهزاء ما أجابهم عيسى عليه السلام.

**الخامس :** في الباب الثاني عشر من انجيل متى هكذا : ٣٨ حينئذ أجاب قوم من الكتبة والفريسيين قائلين : يا معلم نريد أن نرى منك آية ٣٩ فأجاب وقال لهم : جيل شرير وفاسق يطلب آية ولا تُعطى له آية إلا آية يونان النبي ٤٠ لأنه كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال، هكذا يكون ابن الانسان في قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال . فطلب الكتبة والفريسيون معجزة فما أظهرها عيسى عليه السلام في هذا الوقت، وما أحالهم الى معجزة صدرت عنه فيما قبل هذا السؤال. بل سبهم وأطلق عليهم لفظ الفاسق والشرير، ووعد بالمعجزة التي لم تصدر عنه. لأن قوله ( كما كان يونان في بطن الحوت الخ ) غلط بلا شبهة، كما علمت في الفصل الثالث من

الباب الأول. وان قطعنا النظر عن كونه غلطاً، فمطلق قيامه لم ير الكتب والفريسيون بأعينهم. ولو قام عيسى عليه السلام من الأموات كان عليه أن يظهر نفسه على هؤلاء المنكرين الطالبين آية ليصير حجة عليهم ووفاء بالوعد. وهو ما أظهر نفسه عليهم ولا على اليهود الآخرين ولو مرة واحدة. ولذلك لا يعتقدون هذا القيام، بل هم يقولون من ذاك العهد الى هذا الحين أن تلاميذه سرقوا جثته من القبر ليلاً.

السادس : في الباب الرابع من انجيل متى هكذا : ٣ « فتقدم اليه المجرب وقال له : ان كنت ابن الله فقل أن تصير هذه الحجارة خبزاً ٤ فأجاب وقال : مكتوب ليس بالخبز وحده يحيى الانسان، بل بكل كلمة تخرج من فم الله ٥ ثم أخذته ابليس الى المدينة المقدسة وأوقفه على جناح الهيكل ٦ وقال له : ان كنت ابن الله فاطرح نفسك الى أسفل، لأنه مكتوب أنه يوصي ملائكته بك فعلى أيادهم يحملونك لكي لا تصدم بحجر رجلك ٧ قال له يسوع : مكتوب أيضاً لا تجرب الرب الهك ٨. فطلب ابليس على سبيل الامتحان من عيسى عليه السلام معجزتين، فما أجاب بواحدة منهما. واعترف في المرة الثانية أنه لا يليق بالمربوب أن يجرب ربه، بل مقتضى العبودية مراعاة الآداب وعدم التجربة.

السابع : في الباب السادس من انجيل يوحنا هكذا : ٢٩ « أجاب يسوع وقال لهم : هذا هو عمل الله لن تؤمنوا بالذي هو أرسله ٣٠ فقالوا له : فأية آية تصنع لنرى ونؤمن بك ؟ ٣١ ماذا تعمل ؟ آباءنا أكلوا العن في البرية كما هو مكتوب أنه أعطاهم خبزاً من السماء ليأكلوا ٨. فاليهود طلبوا معجزة، فما أظهرها عيسى عليه السلام، ولا أحال الى معجزة فعلها قبل هذا السؤال، بل تكلم بكلام مجمل لم يفهمه أكثر السامعين، بل ارتد كثير من تلاميذه بسببه، كما هو مصرح به في الآية السادسة والستين من الباب المذكور وهي في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٦٠ هكذا : « ومن هذا الوقت رجع كثيرون من تلاميذه الى وراء ولم يعودوا يمشون معه ٨. وفي الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٢٥ : « ومن ثم ارتد كثير من تلاميذه على أعقابهم ولم يمشوه بعد ذلك.

الثامن : في الباب الأول من الرسالة الى أهل كورنثوس هكذا : « ٢٢ فان اليهود يسألون معجزة واليونانيون يطلبون حكمة ٢٣ ونحن نكرز بالمسيح المصلوب، وذلك معثرة لليهود وحمافة لليونانيين ». فاليهود كما كانوا يطلبون المعجزة من المسيح عليه السلام كانوا يطلبونها من الحواريين أيضا. وأقر مقدسهم بولس بأنهم يطلبون المعجزة ونحن نكرز بالمسيح المصلوب. فظهر من هذه العبارات المنقولة ان عيسى عليه السلام والحواريين ما أظهروا معجزة بين أيدي الطالبين في الأوقات التي طلبوا المعجزات فيها، ولا أحالوا المنكرين الى معجزة فعلوها قبل هذه الأوقات. فلو استدل أحد بالآيات المذكورة على أن عيسى عليه السلام والحواريين ما كان لهم قدرة على اظهار أمر عارق للعادات وإلا لصدر عنهم في الأوقات المذكورة وأحالوا المنكرين الى أمر عارق صدر عنهم قبل هذه الأوقات. فلما لم يظهر منهم أحد الأمرين ثبت أنهم كان لهم قدرة على اظهاره، يكون هذا الاستدلال عند القسيسين محمولا على الاعتساف، ويكون قوله خلاف الانصاف. فكذا قول القسيسين عندنا بالتمسك ببعض الآيات القرآنية التي عرفت حالها خلاف الانصاف وعين الاعتساف. كيف لا وان المعجزات المحمدية مُصرح بها في القرآن والأحاديث الصحيحة، كما عرفت في الفصل الأول، وجاء ذكرها اجمالا أيضا في مواضع متعددة من القرآن : ١/ في سورة الصافات : ﴿ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾<sup>(١)</sup> في الكشف ( واذا رأوا آية ) من آيات الله البينة كانشقاق القمر ونحوه ( يستسخرون ) يبالغون في السخرية أو يستدعي بعضهم من بعض أن يسخر منها. وفي التفسير الكبير : « والرابع من الأمور التي حكاها الله تعالى عنهم أنهم قالوا أن هذا إلا سحر مبين. يعني أنهم اذا رأوا آية ومعجزة سخروا منها. والسبب في تلك السخرية اعتقادهم أنها من باب السحر. وقوله مبين معناه أن كونه سحراً أمر بَيِّن لا شبهة لأحد فيه ». انتهى كلامه. وفي البضاوي : ( واذا رأوا آية ) تدل على

(١) سورة الصافات ( ١٤ - ١٥ ).

صدق القائل ( يستسخرون ) يبالغون في السخرية ويقولون انه سحر أو يستدعي بعضهم من بعض ان يسخر منها ( وقالوا ان هذا ) يعنون ما يرونه ( الا سحر مبين ) ظاهر سحرته. انتهى. وفي الجلالين : ( واذا رأوا آية ) كانتفاق القمر ( يستسخرون ) يستهزؤن بها ( وقالوا ) فيها ( ان ) ما ( هذا ) إلا سحر مبين ) بين. انتهى. ومثله في الحسيني. ٢/ وفي سورة القمر : ﴿ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَعْتَبٌ ﴾<sup>(١)</sup> وقد عرفنا في الفصل الأول. ٣/ وفي سورة آل عمران : ﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرُّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ﴾<sup>(٢)</sup> في الكشف في تفسير قوله ( البيّنات ) : الشواهد من القرآن وسائر المعجزات التي تثبت بمثلها النبوة. انتهى كلامه. ولفظ البيّنات اذا كان موصوفه مقدراً فيستعمل في القرآن غالباً بمعنى المعجزات، واستعماله في غيرها في تلك الصورة قليل جدا فلا يحمل على المعنى القليل بدون القرينة القوية. في سورة البقرة : ﴿ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ ﴾<sup>(٣)</sup>. وفي سورة النساء : ﴿ ثُمَّ آخَذُوا الْعَهْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ ﴾<sup>(٤)</sup>. وفي سورة المائدة : ﴿ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ﴾<sup>(٥)</sup>. وفي سورة الأعراف : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ﴾<sup>(٦)</sup>. وفي سورة يونس : ﴿ وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ﴾<sup>(٧)</sup>، ثم في تلك السورة : ﴿ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ﴾<sup>(٨)</sup>. وفي سورة النحل : ﴿ بِالْبَيِّنَاتِ وَآثُرُهَا ﴾<sup>(٩)</sup> وفي سورة طه : ﴿ لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَكَ مِنْ

(١) سورة القمر ( ٢ ) .

(٢) سورة آل عمران ( ٨٦ ) .

(٣) سورة البقرة ( ٨٧ ) .

(٤) سورة النساء ( ١٥٣ ) .

(٥) سورة المائدة ( ١١٠ ) .

(٦) سورة الأعراف ( ١٠١ ) .

(٧) سورة يونس ( ١٣ ) .

(٨) سورة يونس ( ٧٤ ) .

(٩) سورة النحل ( ٤٤ ) .



آيَاتٍ ﴿١﴾. وفي سورة المؤمن : ﴿ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ (١). وفي سورة الحديد : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ ﴾ (٢). وفي سورة النمل : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ﴾ (٣). وكذا في غير هذه المواضع. /٤/ في سورة الأنعام : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ (٤). في البياض : ( ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا ) كقولهم الملائكة بنات الله وهؤلاء شفعاؤنا عند الله ( أو كذب بآياته ) كأن كذبوا بالقرآن والمعجزات وسموها سحرا. وإنما ذكر، أو وهم جمعوا بين الأمرين تنبيها على أن كلا منهما وحده بالغ غاية الإفراط في الظلم على النفس. انتهى. وفي الكشاف : جمعوا بين أمرين متناقضين فكذبوا على الله وكذبوا بما ثبت بالحجة والبينة والبرهان الصحيح، حيث قالوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا، وقالوا الله أمرنا بها، وقالوا الملائكة بنات الله وهؤلاء شفعاؤنا عند الله، ونسبوا إليه تحريم البحائر والسوائب، وذهبوا فكذبوا بالقرآن والمعجزات وسموها سحرا ولم يؤمنوا بالرسول. انتهى. وفي التفسير الكبير : والنوع الثاني من خسارتهم تكذيبهم بآيات الله. والمراد منه قدسهم في معجزات النبي ﷺ وطمعهم فيها وإنكارهم كون القرآن معجزة باهرة بينة. انتهى. وفي تلك السورة أيضا : ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ خَيْثُ يَفْعَلُ وَرَسُولُهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا يَمْكُرُونَ ﴾ (٥). وفي التفسير الكبير في تفسير قوله وإذا جاءتهم انهم متى ظهرت لهم معجزة باهرة. انتهى. والبايا الكرندر كان يعتقد أن

(١) سورة طه ( ٢٢ ) .

(٢) سورة غافر ( ٢٨ ) .

(٣) سورة الحديد ( ٢٥ ) .

(٤) سورة النمل ( ٦ ) .

(٥) سورة الأنعام ( ٢١ ) .

(٦) سورة الأنعام ( ١٢٤ ) .

محمدًا ﷺ صاحب الإلهام، وإن لم يكن ذلك الإلهام عنده واجب التسليم. وقع في المجلد الخامس من كتابه المسمى بدنيد هي هذه الفقرة : ه يا محمد، ان الحمامة عند أذنك ه. ونقلت هذه الفقرة عن المجلد المطبوع سنة ١٨٩٧ وسنة ١٨٠٦ في لندن لكنها في النسخة الأولى في الصفحة ٢٦٧، وفي النسخة الثانية في الصفحة ٣٠٣، ولعل البابا أسند الهام محمد ﷺ الى الحمامة، لأن الإلهام عند المسيحيين يكون بواسطة روح القدس وقد نزل روح القدس على عيسى عليه السلام بعدما فرغ من الاصطباغ على صورة الحمامة، كما هو مصرح به في الباب الثالث من انجيل متى فظن أن الهام محمد ﷺ يكون بواسطة الحمامة.

**المطعن الثالث :** باعتبار النساء. وهو على خمسة أوجه : الأول، أن المسلمين لا يجوز لهم أزيد من أربع زوجات، ومحمد ﷺ لم يكتف بها بل أخذ تسعا لنفسه، وأظهر حكم الله في حقه ان الله أجازني لأن أتزوج بأزيد من أربع. والثاني، أن المسلمين يجب العدل عليهم بين نسائهم، وأظهر حكم الله في حقه أن هذا العدل ليس بواجب عليه. والثالث، أنه دخل بيت زيد بن حارثة رضي الله عنه، فلما رفع السر وقع نظره على زينب بنت جحش زوجة زيد رضي الله عنهما، ف وقعت في نفسه، وقال سبحان الله. فلما اطلع زيد على هذا الأمر طلقها، ف تزوج بها، وأظهر أن الله أجازني للتزويج. والرابع، أنه خلا بمارية القبطية رضي الله عنها في بيت حفصة رضي الله عنها في يوم نوبتها، فغضبت حفصة رضي الله عنها. فقال محمد ﷺ : حرمت مارية على نفسي. ثم لم يقدر أن يبقى على التحريم، ف أظهر أن الله أجاز له لابطال البمين بإداء الكفارة. والخامس، انه يجوز في حق متبعيه ان مات أحد منهم أن يتزوج الآخر زوجته بعد انقضاء عدتها، وأظهر حكم الله في حقه أنه لا يجوز لأحد أن يتزوج زوجة من زوجاته بعد مماته. وهذه الوجوه الخمسة منتهى جهدهم في المطعن باعتبار النساء. وتوجد هذه الوجوه كلها أو بعضها في أكثر رسائلهم مثل ميزان الحق، وتحقيق الدين الحق، ودافع البهتان، ودلائل اثبات رسالة المسيح، ودلائل النبوة، ورد اللغو وغيرها. وأنا أمهد أموراً ثمانية يظهر منها جواب هذه الوجوه كلها فأقول :

**الأمر الأول :** إن تزوج أكثر من امرأة واحدة كان جائزاً في الشرائع السابقة، لأن إبراهيم عليه السلام تزوج بسارة ثم بهاجر في حياة سارة وهو كان خليل الله، وكان الله يوحى اليه ويرشده الى أمور الخير. فلو لم يكن النكاح الثاني جائزاً لما أبقاء عليه، بل أمره بنفسه وحرمته. ولأن يعقوب عليه السلام تزوج بأربع نسوة ليا وراحيل وبلها وزلفا فالأوليان منهما أختان ابنتا لابان عماله، والآخران جارياتان، والمجمع بين الاختين حرام قطعي في شريعة موسى عليه السلام، كما علمت في الباب الثالث. فلو كان التزوج بأكثر من امرأة واحدة حراماً لزم أن يكون أولاده من تلك الأزواج أولاد حرام، والعياذ بالله، وكان الله يوحى اليه ويرشده الى أمور الخير. فكيف ينصور أن يرشده في أمور خسية ولا يرشده في هذا الأمر العظيم ؟ فابقاء الله يعقوب عليه السلام على نكاح تلك الأربعة، سيما الاختين، دليل بين على جواز مثل هذا التزوج في شريعته. ولأن جدعون بن يواش تزوج نساء كثيرة، في الباب الثامن من سفر القضاة هكذا : ٣٠ « وكان له سبعون ابناً خرجوا من صلبه، لأن كانت له نساء كثيرة ٣١ وسريته التي كانت له في شخيم ولدت له ابناً اسمه ايمالك ». ونبوته ظاهرة من الباب السادس والسابع من السفر المذكور، ومن الباب الحادي عشر من الرسالة العبرانية. ولأن داود عليه السلام تزوج نساء كثيرة تزوج أولاً ميخال بنت شاوول، وكان بدل المهر مائة غلفة من غلف الفلسطينيين، وأعطاه داود عليه السلام مائتي غلفة من غلفهم، فأعطى شاوول داود عليه السلام ابنته ميخال. الآية السابعة والعشرون من الباب الثامن عشر من سفر صموئيل الأول هكذا : « فمضت أيام قليلة وقام داود عليه السلام وانطلق هو ورجاله وقتل من الفلسطينيين مائتي رجل وأتى داود عليه السلام بغلفهم الى الملك ودفعها للملك بالتمام ليكون له ختنا فأعطى شاوول ميخال ابنته له امرأة ». والملاحدة يستهزئون بهذا البذل من المهر ويقولون : أكان شاوول يريد أن يسوي من هذه الغلف حميلاً ويعطيه بنته في الجهاز، أم كان غرضه شيئاً آخر. لكنني أقطع النظر عن استهزائهم وأقول : لما بغى داود عليه السلام على شاوول، أعطى شاوول ميخال فلفطي بن ليس الذي هو من جليم، كما هو مصرح به في آخر الباب الخامس والعشرين من السفر

المذكور، وتزوج داود عليه السلام بست نساء أخرى حينئذٍ الأزرقالية،  
بيغال، ومعكا ابنة تلمي ملك جاشور، وحجيت، وابيطل، وعجلا، كما هو  
مُصرح به في الباب الثالث من سفر صموئيل الثاني. ومع كون هذه الست  
ما زالت محبة ميخال عن قلبه الشريف وإن كانت في فراش الغير. فلذلك لما  
قتل شاوول طلب داود من اسباسوت بن شاوول زوجته ميخال، وقال له : رُدْ  
عليَّ امرأتي ميخال التي خطبتها بمائة غلغة من غلف أهل فلسطين. فأخذها  
اسباسوت قهراً من فلطي بن ليس وأرسلها إلى داود. فجاء هذا فلطي باكياً  
خلفها إلى بحوريم، ثم رجع، كما هو مُصرح به في الباب المذكور فبعدها  
وصلت ميخال إلى داود عليه السلام مرة أخرى صارت له زوجة وكمل عدد  
الزوجات السبع. ثم أخذ داود نساء أخرى وسراري لم يُصرَّح بعددها في  
كتبهم المقدسة. الآية الثالثة عشر من الباب الخامس من سفر صموئيل الثاني  
هكذا : « وأخذ داود أيضاً نساء وسراري من أورشليم من بعد أن أتى من  
هرون، ووُلد لداود أيضاً بنون وبنات ». ثم زنى بامرأة أوربا وقتل زوجها  
بالحيلة، ثم أخذها، فعاتبه الله على هذا الزنا، كما علمت في أول هذا الفصل.  
وداود عليه السلام وإن كان خاطئاً في هذا الزنا والتزوج بتلك المرأة لكنه لم  
يكن عاصياً في تزوج جم غفير من نساء أخرى، وإلا لعاتبه الله على تزوجهن  
كما عاتبه على تزوج امرأة أوربا، فعاتبه الله على تزوجها بل أظهر رضاه على  
هذا التزوج ونسب إعطاءه إلى نفسه. وقال وإذا كانت هذه قليلة أزيد مثلهن  
ومثلهن. وقول الله تعالى في حق داود عليه السلام على لسان ناثان النبي عليه  
السلام في الآية الثامنة من الباب الثاني عشر من سفر صموئيل الثاني في  
الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٢٢ وسنة ١٨٣١ وسنة ١٨٤٤ في لندن  
على النسخة المطبوعة في رومية العظمى سنة ١٦٧١ هكذا : « ووهبت لك  
بيت مولاك ونساء سيدك اضطجعت في حضنك، ووهبت لك بيت إسرائيل  
ويهوذا. وإذا كانت هذه قليلة فأزيدك مثلهن ومثلهن ». فقلوه ( ووهبت ) على  
صيغة المتكلم في الموضعين وقوله ( إذا كانت هذه قليلة فأزيدك مثلهن  
ومثلهن ) يدلان على ما قلْتُ. وفي الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١١  
الجملة الأخيرة هكذا : « فإذا كانت عندك قليلة كان ينبغي لك أن تقول

فازيد مثلهن ومثلهن». وتزوج في آخر عمره شابة عذراء أخرى اسمها أبي شاغ الشونامية وكانت جميلة جدا، كما هو مُصرح به في الباب الأول من سفر السلاطين الأول. ولأن سليمان عليه السلام تزوج بألف امرأة، سبعمائة منهن حرات من بنات السلاطين، وثلاثمائة جوارٍ، وارتد باغوائهن في آخر عمره، وبنى المعابد للأصنام، كما هو مُصرح به في الباب الحادي عشر من سفر الملوك الأول، ولا يفهم من موضع من مواضع التوراة حرمة التزوج بازيد من امرأة واحدة. ولو كان حراماً لصرح موسى عليه السلام بحرمة، كما صرح بسائر المحرمات، وشدد في اظهار تحريمها، بل يفهم جوازه من مواضع. لأنك قد علمت في جواب الطعن الأول أن الابهكار التي كانت من غنيمة المديانيين كانت اثنتين وثلاثين ألفا وقسمت على بني اسرائيل، سواء كانوا ذوي زوجات أو لم يكونوا، ولا يوجد فيه تخصيص العزب. وفي الباب الحادي والعشرين من سفر الاستثناء هكذا : ١٠ ٥ : وإذا خرجت الى القتال مع أعدائك واسلمهم الرب الهك في يدك وسيبهم ١١ ورأيت في جملة المسيبين امرأة حسنة وأحببتها وأردت أن تتخذها لك امرأة ١٢ فأدخلها الى بيتك وهي تحلق رأسها وتقصر أطرافها ١٣ وتنزع عنها الرداء الذي سبت به، وتجلس في بيتك وتبكي على أبيها وأمها مدة شهر، ثم تدخل اليها وترقد معها ولتكن لك امرأة ١٤ فان كانت بعد ذلك لا تهواها نفسك فسرحتها حرة. ولا يستطيع أن تبيعها بثمن ولا تقهرها. انك قد ذلتها ١٥ وان كان لرجل امرأتان الواحدة محبوبة والأخرى مبغوضة، ويكون لهما منه بنون، وكان ابن المبغوضة بكرًا ١٦ وأراد أن يقسم رزقه بين أولاده، فلا يستطيع يعمل ابن المحبوبة بكرًا ويقدمه على ابن المبغوضة ١٧ ولكنه يعرف ابن المبغوضة انه هو البكر، ويعطيه من كل ما كان له الضعف من أجل أنه هو أول بنيه، ولهذا تجب البكورية». فقله ( ورأيت في جملة المسيبين ) الخ. لا تختص بمخاطب لا تكون له زوجة بل أعم، سواء كانت له زوجة أو لم تكن، ولا يوجد فيه التصريح أيضا بأن هذا الحكم يختص بمسيبة واحدة فقط. بل الظاهر أنه اذا رأى المخاطب أزيد من واحدة وأراد أن يتخذها نساء كان له جائزا. فجاز لكل اسرائيلي أخذ نساء كثيرة. ودلالة قوله ( وان كان

لرجل امرأتان الواحدة محبوبة والأخرى مبغوضة، الخ. ) على ما ادعينا ظاهرة غير محتاجة الى البيان. فثبت أن كثرة الأزواج ما كانت محرمة في شريعة موسى. فلذلك أخذ جدعون وداود وغيرهما من صالحى الأمة الموسوية نساء.

**الأمر الثاني :** الصحيح في قصة زينب رضي الله عنها أنها بنت عمه رسول الله ﷺ، وكانت عند مولاه زيد بن حارثة رضي الله عنه، ثم طلقها زيد. ولما انقضت عدتها تزوج بها رسول الله ﷺ. وأنا أنقل بعض آيات سورة الاحزاب المتعلقة بهذه القصة مع عبارة التفسير الكبير وهي هكذا : ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ ﴾ وهو زيد أنعم الله عليه بالاسلام ﴿ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ ﴾ بالتحريم والاعتاق ﴿ أَمْسِكَ عَلَيْكَ رُوحُكَ ﴾ هم زيد بطلاق زينب، فقال له النبي ﷺ : أمسك، أي لا تطلقها ﴿ وَاتَّقِ اللَّهَ ﴾ قيل في الطلاق وقيل في الشكوى من زينب فان زيدا قال فيها أنها تكبر علي بسبب النسب وعدم الكفاءة ﴿ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ ﴾ من أنك تريد التزوج بزینب ﴿ وَتُخْشَى النَّاسَ ﴾ من أن يقولوا أخذ زوجة الغير أو الابن ﴿ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تُخْشَاهُ ﴾ ليس إشارة الى أن النبي ﷺ يخشى الناس ولم يخش الله، بل المعنى الله أحق أن تخشاه وحده، ولا تخش أحدا معه وأنت تخشاه وتخشى الناس أيضا، فاجعل الخشية له وحده، كما قال تعالى الذين يلبغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله. ثم قال تعالى ﴿ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا ﴾ أي لما طلقها زيد وانقضت عدتها، وذلك لأن الزوجة ما دامت في نكاح الزوج فهي تدفع حاجته وهو محتاج إليها فلم يقض منها الوطر بالكلية ولم يستغن، وكذلك اذا كانت في العدة له بها تعلق لإمكان شغل الرحم فلم يقض منها بعد وطره. وأما اذا طلق وانقضت عدتها استغنى عنها ولم يبق له معها تعلق، فيقضى منها الوطر. وهذا موافق لما في الشرع، لأن التزوج بزوجة الغير أو بمعنته لا يجوز. فلهذا قال فلما قضى. وكذلك قوله ﴿ لَكِنِّي لَا يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ خَرَجٌ فِي أَزْوَاجٍ أَذْعَيْنَاهُمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا ﴾ أي إذا طلقوهن وانقضت عدتهن. وفي إشارة الى أن التزويج من النبي ﷺ لم يكن لقضاء شهوة النبي عليه السلام بل لبيان الشريعة بفعله. فان

(١) جميع ما ورد في الأمر الثاني هو لسورة الأحزاب الآية رقم ٣٧.

الشرع يستفاد من فعل النبي ﷺ ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ أي مقتضياً ما قضاه كائن. ثم بين أن تزوجه عليه السلام بها، مع أنه كان مبنياً لشرع مشتمل على فائدة، كان خالياً عن المفاسد. انتهى كلامه بلفظه. فظهر أن زينب رضي الله عنها كانت تكبر على زيد بسبب النسب وعدم الكفاءة. وهذا الأمر كان سبب عدم المحبة بينهما فأراد زيد رضي الله عنه أن يطلقها، فمنعه النبي ﷺ. لكنه طلقها آخر الأمر، فلما انقضت عدتها تزوجها رسول الله ﷺ لبيان الشريعة لا لأجل قضاء الشهوة. وكان قبل نزول الحكم مخفياً لهذا الأمر لأجل عادة العرب. ولا بأس فيه كما ستعرف في الأمر الثالث أن شاء الله تعالى. والرواية التي وقعت في البيضاوي ضعيفة عند محقق أهل الحديث، كما صرح به المحقق المحدث الشيخ عبد الحق الدهلوي في بعض تصنيفاته، وفي شرح المواقيف : « وما يُقال أنه أحبها حين رآها فما يجب صيانة النبي ﷺ عن مثله ». انتهى.

**الأمر الثالث :** إن الأمور الشرعية لا يجب أن تكون متحدة في جميع الشرائع أو مطابقة لعادات الأقوام وآرائهم. أما الأول فقد عرفت بما لا مزيد عليه في الباب الثالث. وقد عرفت فيه أن سارة زوجة إبراهيم عليه السلام كانت اختاً علانية له، وأن يعقوب عليه السلام جمع بين الاختين، وأن عمران أبا موسى عليه السلام تزوج بعمته. وهذه الزوجات الثلاث محرمة في الشريعة الموسوية والعيسوية والمحمدية وبمنزلة الزنا، سيما نكاح الأخت العلانية والعمة. وهذه الزوجات أفبح القبائح عند علماء مشركي الهند. فهم يشنعون تشنعاً بليغاً ويستهزئون بهؤلاء المتزوجين غاية الاستهزاء وينسبون أولادهم إلى أشد أنواع الزنا. وفي الباب الخامس من انجيل لوقا هكذا : ٢٩ : والذين كانوا متكئين معه كانوا جمعاً كثيراً من عشارين وآخرين ٣٠ فتذمر كتبتهم والفريسيون على تلاميذه قائلين لماذا تأكلون وتشربون مع عشارين وخطاة ؟

٣٣ وقالوا : لماذا يصوم تلاميذ يوحنا كثيرا ويقدمون طلبات، وكذلك تلاميذ الفريسيين أيضا، وأما تلاميذك فيأكلون ويشربون ». فالكتبة والفريسيون الذين من أعظم فرق اليهود وأشرفها كانوا يشنعون على تلاميذ عيسى عليه السلام بأنهم يأكلون ويشربون مع الخطاة والعشارين وانهم لا يصومون. وفي الباب الخامس عشر من انجيل لوقا هكذا : ١ « وكان جميع العشارين والخطاة يدنون منه ليسمعوه ٢ فتذمر الفريسيون والكتبة قائلين هذا يقبل الخطاة ويأكل معهم ». فالفريسيون كانوا يشنعون على عيسى عليه السلام بأنه يأكل مع الخطاة ويقبلهم. وفي الباب الحادي عشر من كتاب الأعمال : ٢ « ولما صعد بطرس الى اورشليم خاصمه الذين من أهل الختان ٣ قائلين انك دخلت الى رجال ذوي غلفة وأكلت معهم ». وفي الباب السادس من انجيل مرقس هكذا : ١ « واجتمع اليه الفريسيون وقوم من الكتبة قادمين من اورشليم ٢ ولما رأوا بعضاً من تلاميذه يأكلون خبزاً بأيدي دنسة، أي غير مغسولة، لاموا ٣ لأن الفريسيين وكل اليهود، ان لم يغسلوا أيديهم باغتناء، لا يأكلون متمسكين بتقليد الشيوخ ٤ ومن السوق ان لم يغسلوا لا يأكلون. وأشياء أخر كثيرة تسلموها للتمسك بها من غسل كؤس وأباريق وآنية نحاس وأسرة ٥ ثم سأله الفريسيون والكتبة : لماذا لا يسلك تلاميذك حسب تقليد الشيوخ، بل يأكلون خبزاً بأيدي غير مغسولة ». وفي ملة براهمة الهند وغيرهم من أقوام مشركي الهند تشددات عظيمة. وعندهم لو أكل أحد منهم مع المسلم أو اليهودي والنصراني خرج عن ملته. ونكاح زوجة المتبني بعد الطلاق كان قبيحاً عند مشركي العرب. ولما كان زيد بن حارثة رضي الله عنه متبني محمد ﷺ، كان محمد ﷺ أيضا يخاف أولاً من طعن عوام المشركين في نكاح زينب رضي الله عنها. فلما أمره الله تزوج بها لبيان الشريعة، ولم يبال بعادة المشركين.

الأمر الرابع : إن الطاعنين من علماء پروتستنت لا يستحيون ولا ينظرون الى بضاعات كتبهم المقدسة من الاختلافات والاعلاط والأحكام التي عرفت نبذا منها في الباب الأول والفصل الثاني والثالث من الباب الخامس، ومن ذنوب الأنبياء وعشائريهم وأصحابهم التي قد عرفتها في ابتداء هذا الفصل.



وأريد ان لا أترك هذا الموضوع أيضاً خالياً عن ذكر بعض الأمور المندرجة في التوراة، وان حصل للناظر اطلاع على أمور كثيرة فيما سبق.

١ — في الباب الثلاثين من سفر التكوين هكذا : « ٣٧ فأخذ يعقوب عصياً خضرة من حور ولوز ومن دلب، وكشف من بياضها والخضرة ظاهرة فيها، فظهرت العصي المقشرة بلبقاء وبيضاء ٣٨ ووند العصي في مساقى الماء لكي اذا جاءت الغنم لتشرب تتوحم الغنم على العصي وفي نظرها اليها تحمل ٣٩ وصار انه في حمية التوحم النعاج تنبصر بالعصي وتنتج منقطة ومتمرة مختلفة اللون ٤٠ وعزل يعقوب القطيع ووضع القضبان في المساقى أمام الكباش، فكانت البيض والسود كلها للابان، والباقي ليعقوب، والقطعان مفترقة بعضها عن بعض ٤١ فكان في كل عام ما حمل من الغنم أولاً جعل يعقوب القضبان قدام الغنم في المساقى ليتوحم الغنم على العصي ٤٢ وما حمل منها أخيراً لم يجعلها، فصار آخر نتاج الغنم للابان وأوله ليعقوب ٤٣ فاستغنى الرجل جداً وصارت له مواشي كثيرة واماء وعبيد وابل وحمير ». وهذا عجيب أيضاً فان الاولاد بحسب جري العادة غالباً تكون على شبه ألو ان أصولهم. وأما كونهم على شبه ما يروونه من العصي وغيرها فلا يتوهمه أحد من العقلاء أصلاً. وإلا يلزم أن يكون الأولاد المتولدة في الربيع خضراً كلهم.

٢ — في الباب الثالث عشر من سفر الاحبار هكذا : « ٤٦ وان كان في رداء أو ثوب ضربة البرص من الصوف كان الثوب أو من الكتان ٤٧ في السد أو في اللحمية أو في جلدة أو في عمل أديم ٤٨ فان كانت الضربة بيضاء أو حمراء، في الرداء أو في الجلد، في السداء أو في اللحمية أو في كل جلود الاديم، فانها ضربة برص فليروه ٤٩ فينظر الحبر الى الضربة ويحجز الحبر عليها سبعة أيام ٥٠ وينظر اليها في اليوم السابع فان رآها قد مشت في الرداء أو في السد أو اللحمية أو في أديم أو في كل آدم، يصنع الصنعة. فانها ضربة برص مر وهو نجس ٥١ فليحرق الحبر الرداء أو السدا أو لفافة الصوفة أو الكتان أو كل أديم من جلد يكون فيه ضربة من أجل أنه برص فيحرقونه بالنار ٥٢ وان رأى الحبر أن الضربة لم تنفث في الثوب أو في السدا أو في

اللحمة أو في كل أديم من جلود ٥٣ فليأمر الحبر، فليغسل ما فيه الضربة، ويحجز عليه الحبر سبعة أيام آخر ٥٤ وينظر الحبر الى الضربة من بعدما غسلوها. فان لم تكن تغير لونها والضربة لم تتغير، فانه خبيث أحرقوه بالنار فانها ضربة في جده أو في بلاء ٥٥ وان رأى الحبر انها قد استوت من بعد ما غسلت، فليأمر الحبر، فليلقط من الرداء أو من الجلد أو من السدا أو من اللحمة ٥٦ فان رأى أيضا في الرداء أو في السد أو في اللحمة أو في كل جلود الادم جميع ما يستعمل من الجلود، فالقوة في النار. فان الضربة قد كثرت فيه ٥٧ وكل رداء أو سدا أو لحمة أو اديم يذهب منه اذا غسل فيغسل مرتين فيظهر ٥٨ هذه سنة البرص في رداء الصوف أو الكتان أو السدا أو اللحمة أو كل جلود الادم يطهره أو ينحسه. فانظروا الى هذه الأحكام، فانها ثمرات الأوهام. أيلق احراق الجلود والثياب بامثال هذه الوسوس ؟

٣ — في الباب الرابع عشر من سفر الأحبار هكذا : « ٣٤ اذا دخلتم أرض كنعان التي أعطاكم ميراثاً، ان كان ضربة برص في بيت ٣٥ يخبر رب البيت الكاهن ويقول له : ان ظهر في بيتي ضربة كأنها برص ٣٦ بأمرهم الكاهن فيفرغون البيت قبل أن يدخل البيت لينظر اليه ثلثا يتنجس كل ما في البيت، ثم يدخل الكاهن لينظر ضربة البيت ٣٧ فان كان ضربة في حيطان البيت قشورا صفراء أو حمراء ومنظرها أعمق من المايط ٣٨ فليخرج الكاهن خارجا من البيت، وليقم بابه ويحجز على ذلك البيت سبعة أيام ٣٩ ثم يرجع في اليوم السابع فينظر. فان رأى الضربة قد فشيت في حيطان البيت ٤٠ فليأمر الكاهن بالحجارة التي فيها الضربة، فتنقض وتلقى خارجا من القرية في موضع نجس ٤١ ويقشر ذلك البيت من داخل باستدارته، ويلقى التراب الذي قشر خارجا من القرية في موضع نجس ٤٢ تدخل حجارة أخرى في مكان تلك الحجارة، ويأخذون ترابا غير ذلك، ويطلون به البيت ويطين ٤٣ فان فشيت الضربة وكثرت في البيت من بعد ما قشر البيت وطين ٤٤ فليدخل الكاهن وينظر ان كانت الضربة قد فشيت في البيت، فليعلم أن في البيت برصا مرأ وهو نجس ٤٥ ولساعته يهدمونه ويلقون حجارتها وخشبه وطينه بأسرها خارجا من القرية في موضع نجس ٤٦ ومن دخل ذلك البيت وهو محجوز

عليه يكون نجساً الى الليل ٤٧ ومن رقد فيه أو أكل فيه شيئاً فليغسل كسوته ٤٨ وان دخل الكاهن ورأى البرص لم يغسل في البيت بعدما طين ثانياً، فليظهره الكاهن من أجل أنه قد برئ من ضربته ». فهذه الأحكام أيضاً من ثمرات الأوهام. أتهدم البيوت بمثل هذه الأوهام التي هي أوهن من نسج العنكبوت ؟ أيعتقد عقلاء أوروبا أن يكون الثوب أو الجلد أو البيت أبرص قابلاً للاحراق أو الهدم ؟

٤ — في الباب الخامس عشر من سفر الأخبار هكذا : ١٢ « وأي اناء من فخار مسه من يقطر زرعه فليكسر، وان كان اناء من خشب أو نحاس فليغسل بالماء ١٦ وأيما رجل جنب، أو خرجت منه جنابة يغسل جسده كله بالماء ويكون نجساً الى الليل ٢٣ ومن مس ثوباً جلست عليه امرأة وهي طامث يغسل ثيابه ويستحم بالماء ويكون نجساً الى الليل ٢٤ وان اضطجع معها رجل فأصابه من حيضتها فانه يكون جنباً سبعة أيام. وكل مضطجع يضطجع فانه يكون نجساً ». ففي الحكم الأول بالنسبة الى اناء الفخار اضاعة المال. وظاهر انه لا يسري شيء بمجرد المس فيه، وان توهم سريان شيء فيه فلم لم يكف فيه بغسله بالماء كما اكتفى في اناء الخشب والنحاس ؟ وفي الحكم الثاني ما معنى كونه نجساً الى الليل بعدما غسل الجسد كله بالماء ؟ وفي الحكم الثالث أيضاً نظر، لأن الظاهر أنه لا يسري شيء بمجرد مس الثوب الذي جلست عليه الحائض في جسد الماس، وان توهم سريان شيء، كان غسل العضو الذي به مس الثوب كافياً. وان توهم سريان شيء بمجرد المس في سائر جسده، فما معنى كونه نجساً الى الليل بعدما غسل الثياب والجسد كلها ؟ والعجب أن الرجل اذا جامع أو احتلم وصار جنباً لا يجب عليه غسل الثياب، بل يكفي غسل الجسد. وههنا بمجرد مس الثوب يلزم غسل الثياب أيضاً. والحكم الرابع أعجب من الثلاثة فان الرجل بمجرد اصابه شيء من الحيض بم صار حكمه حكم الحائض، فكما هي تكون نجسة الى سبعة أيام، يكون هو أيضاً نجساً الى سبعة أيام. وفي أحكام الحائض والمستحاضة أيضاً تشددات عجيبة مذكورة في هذا الباب وبالنظر الى هذه الأحكام التصارى كلهم أنجس الناس لأنهم لا يراعونها مطلقاً.

٥ - في الباب السادس عشر من سفر الاحبار هكذا : ٧ لم يأخذ الجديين وقيمهما أمام الرب مذبحين في باب قبة الزمان ٨ ويقترع عليهما قرعتين، قرعة واحدة للرب، وقرعة أخرى لعزرائيل ٩ ويقرب هرون الجدي الذي أصابته قرعة الرب ويصيره قرباناً بدل الخطيئة ١٠ والجدي الذي وقعت قرعة عزرائيل يقوم حياً أمام الرب ليستغفر عليه ويسرحه لعزرائيل الى القفر ١١. وهذا الحكم عجيب أيضاً. وما معنى القربان لعزرائيل وتسريحه الى القفر ؟ ولا ريب أنه قربان لغير الله. ورأيت مشركي الهند أنه يتركون الثيران على أسماء آلهتهم، لكنهم يتركونها في الأسواق لا في القفر حتى تموت جوعاً وعطشاً.

٦ - في الباب الخامس والعشرين من سفر الاستثناء هكذا : ٥ اذا سكن اخوة جميعاً فمات أحدهم وليس له ولد فلا تزوج امرأة الميت برجل غريب، ولكن يأخذها أخوه وقيم زرع أخيه ٦ والولد البكر الذي يكون منها فليسمه باسم أخيه لئلا يظلل اسمه من اسرائيل ٧ فان لم يرض أن يأخذ امرأة أخيه التي تحق له بالسنة فتذهب المرأة الى باب القرية، الى المشيخة، وتقول لهم أن أختاً زوجي لا يريد أن يقيم اسم أخيه في اسرائيل، ولا يريد أن يأخذني له زوجة ٨ ولوقتهم يطلبونه ويسألونه. فان أجاب وقال لا أريد أن أتزوجها ٩ فتدنو المرأة منه قدام المشايخ وتخلع الخف من رجله وتبصق في وجهه، وتقول : هكذا يفعل بكل رجل لا يعمر بيت أخيه ١٠ ويدعى اسمه في اسرائيل بيت مخلوع الخف ١١. وهذا الحكم عجيب أيضاً لأن امرأة الميت قد تكون عوراء أو عمية أو عرجاء أو شوهاء قبيحة الصورة أو غير عفيفة أو ممية بعيب آخر. فكيف يرضى بها الرجل ؟ وهذه الاقامة لزور أخيه أيضاً عجيبة، وأعجب منها أن علماء پروتستنت تركوا هذا الحكم العظيم الشأن، وقالوا : « لا يحل للرجل أن يتزوج زوجة أخيه ». كما هو مصرح به في جدول القرابة والنسب من كتاب الصلاة العامة وغيرها من رسوم الكنيسة وطقوسها على موجب استعمال الكنيسة الانكليزية والارلندية المطبوع سنة ١٨٤٠ في فائه، مع أن بيان المحرمات لا يوجد في الانجيل وما أخذوها إلا من التوراة.

**الأمر الخامس :** ان المتقشف اذا كان جل همته الاعتساف يعترض بامثال اعتراضاتهم على المسيح عليه السلام والحوارين. في الباب السابع من انجيل لوقا هكذا : ٣٣ جاء يوحنا المعمدان لا يأكل خبزاً ولا يشرب خمرًا فتقولون به شيطان ٣٤ وجاء ابن الانسان يأكل ويشرب فتقولون هوذا انسان أكل وشرب خمر محب للعشارين والخطاة ٣٥ وسأله واحد من الفريسيين ان يأكل معه، فدخل بيت الفريسي وانكأ ٣٦ واذا امرأة في المدينة كانت خاطئة، اذ علمت أنه متكئ في بيت الفريسي، جاءت بفارورة طيب ٣٨ ووقفت عند قدميه من ورائه باكية وابتدأت تبل قدميه بالدموع؛ وكانت تمسحها بشعر رأسها وتقبل قدميه وتدهنهما بالطيب ٣٩ فلما رأى الفريسي الذي دعاه ذلك، تكلم في نفسه قائلاً : لو كان هذا نبياً لعلم هذه المرأة التي تلمسه وما هي انها خاطئة ٤٠ ثم التفت الى المرأة وقال لسمعان : أنتظر هذه المرأة أتني دخلت بيتك، وماء لأجل رجلي لم تعط. وأما هي فقد غسلت رجلي بالدموع ومسحتها بشعر رأسها ٤١ قبله لم تقبلني، وأما هي فمئذ دخلت لم تكف عن تقبيل رجلي ٤٢ بزيت لم تدهن رأسي، وأما هي فقد دهنت بالطيب رجلي ٤٣ من أجل ذلك أقول لك قد غفرت خطاياها الكثيرة لأنها أحبت كثيراً، والذي يغفر له قليل يحب قليلاً ٤٤ ثم قال لها مغفورة لك خطاياك ٤٥ فابتدأ المتكئون معه يقولون في أنفسهم : من هذا الذي يغفر الخطايا أيضاً ٥٠ فقال للمرأة ايمانك قد خلصك اذهبي بسلام ٥١ وفي الباب الحادي عشر من انجيل يوحنا هكذا : ١ وكان انسان مريضاً وهو لعازر من بيت عينا قرية مريم ومرتا أختها ٢ وكانت مريم التي كان لعازر أخوها هي التي دهنت الرب بطيب ومسحت رجليه بشعرها ٥ وكان يسوع يحب مرتا وأختها ولعازر ٥ فهذه المحبوبة مريم هي التي كانت دهنت ومسحت رجلي عيسى عليه السلام. وفي الباب الثالث عشر من انجيل يوحنا : ٢١ لما قال يسوع هذا اضطرب بالروح وشهد، وقال : الحق الحق أقول لكم ان واحداً منكم سيسلمني ٢٢ فكان التلاميذ ينظرون بعضهم الى بعض وهم محتارون فيمن قال عنه ٢٣ وكان متكئاً في حضن يسوع واحد من تلاميذه كان يسوع يحبه ٢٤ فأوما اليه سمعان بطرس ان يسأل من عسى أن يكون الذي قال عنه

٢٥ فانكأ ذلك على صدر يسوع، وقال له : يا سيدي من هو ؟ . ووقع في حق التلميذ في الآية السادسة والعشرين من الباب التاسع عشر، والآية الثانية من الباب العشرين، والآية السابعة والآية العشرين من الباب الحادي والعشرين من انجيل يوحنا أن يسوع كان يحبه. وفي الباب الثامن من انجيل لوقا هكذا : « ١ وعلى أثر ذلك كان يسير في مدينة وقرية ويكرز ويشير بملكوت الله ومعه الاثنا عشر ٢ وبعض نساء كن قد شفين من أمراض شريفة وأمراض : مريم التي تُدعى المجدلية التي خرج منها سبعة شياطين ٣ وبونا امرأة خوزي وكيل هيرودس، وسوسنة، وأخر كثيرات كن يخدمنه من أموالهن . وظاهر أن الخمر أم الخبائث وقبيحة عند الله وسبب للضلال والكفر والهلاك ولا يناسب شربها للاتقياء، وإزالة العقل من خواصها اللازمة، سواء كان الشارب نبياً أو غير نبي. ولذلك حرم الله شربها على هرون وأولاده إذا أرادوا الدخول في قبة الشهادة لأجل الخدمة، وجعلها سبب الموت وجعل حرمتها عهداً أبدياً معهم. في الباب العاشر من سفر الأحبار هكذا : « ٨ وقال الرب لهرون ٩ لا تشربوا خمرأ ولا شيئاً آخر يُسكر لا أنت ولا بنوك إذا أردتم الدخول في قبة الشهادة، لئلا تموتوا. ويكون هذا عهداً لكم الى الأبد في أجيالكم ». ولذلك منع ملك الرب زوجة مانوح من شرب الخمر وشرب كل مسكر وقت حملها، ليكون ولدها من الأتقياء، ولا يسري خبث المسكرات في هذا الولد التقي. وأكد على زوجها أيضاً في هذا الباب. في الباب الثالث عشر من سفر القضاة هكذا : « ٤ اياك من شرب الخمر والمسكر ولا تأكلي شيئاً نجساً ١٣ فقال ملاك الرب لمانوح فليحذر عن جميع ما قلت لأمرأتك ١٤ ولا تأكل شيئاً مما يخرج من الكرم ولا تشرب خمرأ ولا مسكرأ ولا تأكل شيئاً نجساً، وتحفظ بكل ما أمرتها به وتفعل ما قلت لها ». ولذلك لما بشر الملك زكريا بولادة يحيى عليهما السلام بين من أوصاف تقوى يحيى أنه لا يشرب خمرأ ولا مسكرأ آخر. الآية الخامسة عشر من الباب الأول من انجيل لوقا هكذا : « لأنه يكون عظيماً أمام الرب وخمرأ ومسكرأ لا يشرب ». ولذلك اشيا عليه السلام ذم شارب المسكر وشهد أن الأنبياء والكهنة ضلوا بسبب شرب الخمر والمسكرات. الآية الثانية والعشرون من الباب الخامس من كتاب

أشعباً هكذا : « الويل للأقوياء منكم على شرب الخمر والمقتدرين أن يمزجوا المسكرة ». والآية السابعة من الباب الثامن والعشرين من كتابه هكذا : « وهؤلاء أيضاً لم يفهموا بسبب الخمر وضلوا من المسكر الكاهن والنبي لم يعلموا للمسكر، غرقوا في الخمر، تاهوا من المسكر، لم يعلموا الرؤيا، ولم يفهموا القضاء ». وقد عرفت في أول هذا الفصل أن نوحاً عليه السلام شرب الخمر وزال عقله وصار عرياناً، وأن لوطاً شرب الخمر وزال عقله وفعل بابتنتيه ما فعل بحيث لم يسمع مثله من المولعين بشربها. وفي الباب الثالث عشر من انجيل يوحنا هكذا : « ٤ قام عن العشاء وخلع ثيابه وأخذ منشفة وانزر بها ثم صب ماء في مغسل وابتدأ يغسل أرجل التلاميذ ويمسحها بالمنشفة التي كان مترزاً بها ». وقال اللوذعي الأكمعي الظريف فارس مضمار البلاغة أطال الله بقاءه الزاما هكذا : « هذا يومهم أن عيسى عليه السلام وقتئذ كان قد سرت فيه الخمرة حتى لم يكن يدري ما يفعل. فان غَسَلَ الأقدام لا يوجب التجرد عن الثياب ». انتهى كلامه بلفظه. وقال سليمان الحكيم النبي عليه السلام في ذم الشراب في كتابه سفر الأمثال، في الباب الثالث والعشرين هكذا : « ٣١ لا تنظر الى الخمر اذا اصفر واذا شعشع لونه في الزجاج ويدخل لذيقاً ٣٢ وفي نهاية أمره يلدغ كالحية، ومثل ملك الحيات يسكب سمومه ». وكذا اختلاط النساء الشواب الاجنبيات مع الرجال الشبان آفة شديدة لا ترجى العصمة، سيما اذا كان الرجل شاباً عزباً شارب الخمر والمرأة فاحشة محبوبة وهي تدور معه وتخدمه بمالها ونفسها. وقد عرفت حال داود عليه السلام أن نظراً واحداً الى الامرأة الاجنبية بلغه الى ما بلغ مع انه كان كثير الأزواج وجاوز الخمسين. وكذا قد عرفت حال سليمان عليه السلام أن النساء قد أزلن عقله وجعلنائه مرتداً وثنياً في شيخوخته بعدما كان نبياً صالحاً في شبابه، ولما حصل له التجربة الكاملة من حال أبيه وأمه ومن حال أخيه وأخته أمون وثامار ومن حال أسلافه مثل روبيل ويهودا، سيما من حال نفسه، شدد في هذا الباب تشديداً بليغاً في سفر الأمثال. فقال في الباب الخامس : « لا تُصْغِرِ الى مكر المرأة ٧ لان شفتي الامرأة الأجنبية تسكيان عسلاً، وحنجرتها ألطف من الدهن ٤ ثم عاقبتها مرة كالعلقم ومرهفة كسيف

ذي فمين ٥ رجلاها تنحدران الى الموت وخطوتها تنفذ الى الجحيم ٦ لا  
 تسلك أنت سبيل الحيات، لأن طرقها ضالة لا تدرك ٧ والآن يا ابني اسمع  
 مني ولا تبعد عن أقوال فمي، اجعل طريقك منها بعيداً، ولا تدنّ الى أبواب  
 منزلها ٢٠ لماذا تضلك يا ابني الامراة الغريبة وتحاضنك أجنبية ». ثم قال في  
 الباب السادس : « ٢٤ لنحفظك من امراة رضية ومن لطافة لسان غريبة لا  
 يشتهي قلبك جمالها ولا تقتنصك غمزاتها ٢٦ فان قيمة الزانية مقدارها خبزة  
 واحدة، وامراة الرجل نصطاد النفس الكريمة ٢٨ أيسطيع رجل أن يخفي في  
 حجره ناراً وما تحترق ثيابه ؟ ٢٨ أم ينمشي على جمر النار وما تحترق  
 رجلاه ؟ ٢٩ هكذا من يدخل الى امراة غريبة لا يتبرأ اذا لمسها ». ثم قال في  
 الباب السابع : « ٢٤ فالآن يا ابني استمعني واصغ الى أقوال فمي ٢٥ لا  
 تحسن قلبك الى طرقها، ولا تفضلن في مناهجها ٢٦ فانها قد طرحت كثيرين  
 جرحى وهي قتلت كل قوي ٢٨ بيتها هو طرق الجحيم محدرة الى مطابق  
 الموت ». ثم قال في الباب الثالث والعشرين : « ٣٣ عينك تنظران  
 الاجنبيات، وقلبك يتكلم بالملنويات ٣٤ وتكون كنائس في قلب البحر،  
 وكمدبر راقد اذ تلتفت الدفة ». وكذا اختلاط الامارد آفة، بل أخوف من  
 اختلاط النساء وأشنع، كما شهد به المجربون. واذا عرفت هذا أقول ان  
 عيسى عليه السلام لما كان شارب الخمر حتى كان معاصروه يقولون انه  
 أكول شريب خمر، وكان شاباً عزباً، فاذا بلغت مريم قدميه بدموعها ولم تكف  
 عن تقليلهما منذ دخلت وكانت تمسحهما بشعر رأسها، وكانت في هذا  
 الوقت فاحشة مشهورة، فكيف نسي عيسى عليه السلام حال أسلافه يهودا  
 ودلود وسليمان عليهما السلام ؟ وكيف نسي أقوال سليمان عليه السلام ؟  
 وكيف لم يعلم أن قيمتها مقدار خبزة واحدة ؟ وان من لمسها لا يتبرأ ؟ كما  
 لا يمكن أن يخفي رجل في حجره ناراً وما تحترق ثيابه، أو يمشي على جمر  
 النار وما تحترق رجلاه، فكيف أجاز لها بهذه الأمور حتي اعترض عليه  
 الفريسي ؟ وكيف يتصور أن هذه الأمور لم تكن من مقتضى الشهوات  
 النفسانية ؟ وكيف غفر خطاياها وذنوبها على هذا الفعل ؟ أمذه الأمور هي  
 اللائقة لذات الله العادل المقدس ؟ ولذلك قال اللوذعي السابق ذكره : « وقد



كانت وقتئذ بغياً مباحة، فهل يليق الآن بأحد مطارنة النصارى، إذا كان ضيفاً في بيت أحد معارفه، أن يأذن لقحية فاحشة في أن تغسل رجله بمحضر ملاً من الناس من غير أن تبدي أماراة التوبة من قبل لا سراً ولا جهراً ؟ انتهى كلامه. وكان يحب مريم، ويدور هو واثنان عشر تلاميذه ومعهم نساء كثيرة يخدمنه من أموالهن، فكيف يتصور أنه لم تنزل أقدامهم مع هذه المخالطة الشديدة ؟ كما زل قدم روبييل حتى زنى بـروجة أبيه، وقدم يهوذا حتى زنى بكنته، وقدم داود عليه السلام حتى زنى بامرأة أوربا، وقدم أمنون حتى زنى باخته. ولذلك قال اللوذعي السابق ذكره : « وأغرب منه ما ذكره لوقا من أن عيسى وتلاميذه كانوا يجولون في القرى ومعهم نساء، منهم مريم هذه التي كان أمرها مشهوراً بالفجور والزنا. وأنت تخبر بأنه لا يتأني لكل واحد في البلاد الشرقية، وخصوصاً في القرى، أن يبيت وحده في محل مخصوص. فلا بد أن هؤلاء الأولياء كانوا يبيتون مع تلك الوليات معا ». انتهى كلامه بلفظه. واحتمال مزلة أقدام الحواريين أقوى، لأنهم ما كانوا كاملين في الإيمان قبل صعود المسيح عليه السلام، على ما أقر علماءهم. فلا يُظنُّ في حقهم العصمة من الزنا. ألا ترى أن الأساقفة والشماسة من فرقة كاتلك لا يتزوجون، ويدعون أن هذا الأمر من العفاف، ويفعلون ما لا يفعله الفاسق الغني من أهل الدنيا، كأن كنائسهم بيوت الفاحشات الزانيات ؟ في الصفحة ١٤٤ و ١٤٥ من كتاب الثلاث عشرة رسالة في الرسالة الثانية هكذا القديس برنردوس يقول — وعظ عدد ٦٦ في نشيد الأنشاد — : نزعوا من الكنيسة الزواج المكرم والمضجع الذي هو بلا دنس فملأوها بالزنا في المضاجع مع الذكور والأمهات والأحوات وبكل أنواع الأدناس. والقاروس بيلاجيوس أسقف سلفا في بلاد البورتكال سنة ١٣٠٠ يقول : يا ليت ان الاكليروسيين لم يكونوا نذروا العفة، ولا سيما اكليروس سبانيا، لأن أبناء الرعية هناك أكثر عدداً ييسر من أبناء الكهنوت. ويوحنا أسقف سالتزبرج في الجيل الخامس عشر كتب أنه وجد قسوساً قلائل غير معتادين على نجاسة متكاثرة مع النساء، وإن أديرة الراهبات متدنية مثل البيوت المخصوصة للزنا ». انتهى كلامه بلفظه ملخصاً. وشهادة قدمائهم هذه تكفي في حق عصمة هؤلاء القسوس التي ادعوها. فلا حاجة

الى أن أزيد على هذه، بل أترك ذكرهم، وأقول : مثلهم حال فقراء مشركي الهند الذين يدعون العصمة ويفهمون الزواج أنه أشدّ المعائب لفقرهم وطريقتهم، وهم أفجر الناس وأفسقهم، لا يحصل للأمرء الفساق ما يحصل لهم. وتذكرت حكاية أن بعض المسافرين لما وصل الى قرية من قرى الهند رأى جارية كاعية تجيء من القرية. فسألها : يا بنت أنت من بنات القرية أم من كنتها ؟ فأجابت هذه اللاكعة : أيها السائل أني من بنات القرية لكني أفضل من كنتها في قضاء الشهوة يحصل لي ما لم يحصل لأحداهن في الرؤيا وال المنام. فهؤلاء المجردون ذوو حظ جسيم من المنزوجةين، فعند المنكرين كان عيسى عليه السلام مستغنياً عن الزواج مطلقاً، وكان تلاميذه مستغنيين إما عن الزواج مطلقاً أو عن كثرة الأزواج مثل حضرات الشمامسة والقسوس من فرقة كاتلك، ومثل فقراء مشركي الهند، وكذا محبة عيسى عليه السلام لتلميذه محل تهمة عند الذين ابتلوا بهذا الفحش القبيح. ولذلك قال الألعوي السابق ذكره على قول الانجيلي الرابع، أعني فانتكأ ذاك على صدر يسوع، هكذا : « كالمرأة التي تحاول شيئاً من عاشقها فتفتنج له ». انتهى كلامه بلفظه. واعلم أني ما كتبت في هذا الأمر الخامس كتبه الزاماً وإلا فاني أتبرأ من أمثال هذه التقديرات، ولا أعتقد أمراً منها في حق عيسى عليه السلام ولا في حق حواريه الأمجاد، كما صرحت في مقدمة الكتاب ومواضع متعددة.

**الأمر السادس :** في الجلالين في سورة التحريم هكذا : « من الايمان تحريم الأمة ». انتهى. فقول النبي ﷺ حرمت مارية على نفسي يمين بهذا المعنى.

**الأمر السابع :** اذا قال النبي لا أفعل هذا الأمر ثم فعل لأجل انه كان جائزاً من الأصل أو جاء اليه حكم الله، لا يقال انه أذنب. بل في الصورة الثانية لو لم يفعل يكون عاصياً البتة. وعندهم يوجد مثله في حق الله في كتب العهد العتيق فضلاً عن الأنبياء، كما عرفت بما لا مزيد عليه في أمثلة القسم الثاني من الباب الثالث، وفي جواب الشبهة الخامسة من الفصل الرابع من

الباب الخامس. ويوجد في العهد الجديد في حق عيسى عليه السلام في الباب الخامس عشر من انجيل متى أن امرأة كتعانية استغاثت لأجل شفاء بنتها فأبى عيسى عليه السلام، فأجابت جواباً حسناً استحسنة عيسى عليه السلام ودعا لابنتها فشفيت. وفي الباب الثاني من انجيل يوحنا أن أم عيسى عليه السلام استدعت منه في عرس فانا الجليلي أن يحول الماء خمرًا، وقال ما لي ولك يا امرأة لم تأت ساعتى، ثم حوِّله.

الأمر الثامن : لا بأس بأن يُخصَّص أولياء الله بخصائص. ألا ترى أن هرون وأولاده كانوا مخصصين بأمر كثيرة من خدمة قبة الشهادة وما يتعلق بها، وما كانت هذه الأمور جائزة لبني لاوي الآخرين فضلاً عن غيرهم من بني اسرائيل. وإذا عرفت الأمور الثمانية ظهر لك جواب مطلعهم بالوجوه الخمسة. لكنني أتعجب كل العجب من هؤلاء المعاندين انهم لو رأوا في شريعة الغير أمراً لا يكون حسناً في آرائهم يقولون ان هذا الأمر لا يجوز أن يكون من جانب الله المقدس الحكيم العادل، أو يقولون ان هذا ليس لائق بمنصب النبوة. ولو وجد أمر أشنع منه في شرائعهم يكون من جانب الله، أو لائقاً بمنصب النبوة. فأمر الله لحزقيال عليه السلام أن يحمل إثم آل اسرائيل وآل يهوذا على نفسه، وان يأكل الى ثلثمائة وتسعين يوماً خبزاً ملطخاً براز الانسان، وكذا أمر الله لأشعيا عليه السلام أن يمشي مكشوف العورة الغليظة وعرباناً بين النساء والرجال الى ثلاث سنين مع كونه في قيد العقل، وكذا أمره لهوشع أن يأخذ لنفسه زوجة زانية وأولاد الزنا وأن يتعشق بامرأة فاسقة محبوبه لزوجها، يكون كلها عندهم أموراً من جانب الله الحكيم المقدس ولائقاً بمناصب هؤلاء الأنبياء المقدسين. واجازة نكاح زينب بعد طلاق زوجها وانقضاء عدتها لا يمكن أن يكون من جانب الله ولا يكون لائقاً بمنصب نبوة محمد ﷺ. وكذا لا يسقط عن درجة النبوة يعقوب عليه السلام، الذي هو ابن الله البكر بنص التوراة، بسبب ان تعشق راحيل وخدم أباه أربع عشرة سنة، وأخذ أربع زوجات، وجمع بين الاختين. وكذا لا يسقط عنها داود ابن الله البكر الآخر بنص الزبور بسبب أن أخذ نساء كثيرة وجواري كثيرة قبل أن يزني بامرأة أوريا، بل تكون هذه النساء كلها بهبة الله

ورضاه، ويكون داود عليه السلام قابلاً لأن يقول الله في حقه فاذا كانت عندك قليلة كان ينبغي لك أن تقول فإزيد مثلهم، ولا يصدر العتاب عليه على تكثير النساء بل على أنه زنى بامرأة الغير وقتل ذلك الغير بالحيلة وأخذ تلك المرأة. وكذا لا يسقط عنها سليمان عليه السلام، الذي هو ابن الله بشهادة كتبهم المقدسة، بسبب أن أخذ ألف امرأة من الزوجات والجواري وارتد في آخر عمره وعبد الأصنام، بل يبقى مسلّم النبوة، ويكون كتبه الثلاثة — أعني الأمثال والجامعة ونشيد الأنشاد — كتباً الهية. وكذا لا يسقط لوط عنها بسبب الزنا بابتنيه. وكذا لا يسقط عنها ابن الله الوحيد وحواريه الامجاد بسبب حب الفاحشة وبعض التلاميذ والجولان مع النساء في قرى البلاد الشرقية، بل لا يتهمون أيضاً بشيء مع هذه المخالطة الشديدة وكونهم شاربى الخمر وشباناً. ويسقط محمد ﷺ عن درجة النبوة بكثرة الأزواج ونكاح زينب وتحليل جاريته بعد تحريمها. لعل منشأ هذه الأمور أن الله، لما كان واحداً حقيقياً لا تكثر في ذاته بوجه من الوجوه عند أهل الاسلام، فذاته المقدسة لا تسع امرأة غير مناسبة. وعندهم لما كان ذاته مشتملة على الأقاليم الثلاثة المتصف كل منهم بصفات الالهية كلها، الممتاز كل منهم عن الآخر امتيازاً حقيقياً، تسع امرأة غير مناسبة. لأن الامتياز الحقيقي لا يمكن أن يفارق التعدد بل يستلزمه البتة، وإن لم يقرؤا بحسب الظاهرية، كما عرفت في الباب الرابع. والثلاثة أكثر من الواحد فلعل الهيم في زعمهم أقوى من اله المسلمين. وكذلك لما لم تكن العصمة من ذنب من الذنوب حتى الشرك وعبادة العجل والأصنام والزنا والسرقة والكذب حتى في تبليغ الوحي وغيرها من المعاصي شرطاً للنبوة عندهم، كانت ساحة النبوة عندهم أوسع من ساحتها عند المسلمين. أو لعل منشأها ان يعقوب وداود وسليمان وعيسى، لما كانوا أبناء الله، فلمهم أن يفعلوا في مملكة أبيهم ما يشاؤون. بخلاف محمد ﷺ فانه، لما كان عبد الله بن عبد الله، لا يجوز له أن يفعل في مملكة ماله وبيده ما يشاء. نعوذ بالله من التعصب الباطل والاعتساف ومن المكابرة وعدم الانصاف.

**المطعن الرابع :** أن محمداً ﷺ كان ملذناً، وكل ملذنب لا يصح أن

يكون شافعاً للمذنبين الآخرين. أما الصغرى فليما وقع في سورة المؤمن : ﴿ فَأَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْأَكْثَرِ ﴾<sup>(١)</sup>، وفي سورة محمد : ﴿ فَأَعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾<sup>(٢)</sup>، وفي سورة الفتح : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾<sup>(٣)</sup>، وفي الحديث : « فاغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت ». ونحوه مما وقع في الأحاديث الأخرى.

**والجواب :** أن الصغرى والكبرى كلتاهما غير صحيحتين، فالنتيجة كاذبة يقيناً. وأنا أمهد لتوضيح بطلانهما أموراً خمسة :

**الأمر الأول :** أن الله رب وخالق، والخلق كله مربوب ومخلوق. فكل ما صدر عن حضرة الرب الخالق في حق العبد المربوب المخلوق من الخطاب والعتاب والاستعلاء فهو في محله ومقتضى المالكية والخالفية. وكذا كل ما يصدر عن العباد من الادعية والتضرعات اليه فهو في موقعه ايضاً ومقتضى المخلوقية والعبودية. والأنبياء عباد الله المخلصون، فهم أحق من غيرهم. والحمل على المعنى الحقيقي في كل موضع من أمثال هذه المواضع في كلام الله وفي أدعية الأنبياء وتضرعاتهم خطأ وضلال. وشواهد كثيرة في كتب العهدين سيما الزبور. وأنا أنقل على سبيل الانموذج بعضها منها. /١/ في الباب العاشر من انجيل مرقس، والثامن عشر من انجيل لوقا هكذا : « ١٧ وفيما هو خارج الى الطريق ركض واحد وجثا له وسأله : أيها المعلم الصالح، ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية ؟ فقال له يسوع : لماذا تدعوني صالحاً، ليس أحد صالحاً إلا واحد وهو الله ». انتهى بعبارة مرقس. فاقر عيسى عليه السلام

(١) سورة غافر (٥٥).

(٢) سورة محمد (١٩).

(٣) سورة الفتح (١ - ٢).

بأنني لست صالحا ولا صالح إلا الله وحده. /٢/ في الزبور الثاني والعشرين هكذا : ١ « الهي، الهي، انظر، لماذا تركتني ؟ تباعد عني خلاصي بكلام جهلي ٢ الهي، بالسهار أدعوك. فلم تستجب لي. وبالليل، فلم تحفل بي ». ولما كان آيات هذا الزبور راجعة الى عيسى عليه السلام على زعم أهل التثليث فكان القائل بها عندهم هو عيسى عليه السلام. /٣/ الآية السادسة والأربعون من الباب السابع والعشرين من انجيل متى هكذا : « ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلا ايلي ايلي، لما شبقنتي ؟ أي الهي الهي، لماذا تركتني ؟ ». /٤/ في الباب الأول من انجيل مرقس هكذا : « ٤ كان يوحنا يعمد في البرية ويكرز بعمودية التوبة لمغفرة الخطايا » وخرج اليه جميع كورة اليهودية وأهل أورشليم واعتمدوا جميعهم منه في نهر الأردن معترفين بخطاياهم ٩ وفي تلك الأيام جاء يسوع من ناصرة الجليل، واعتمد من يوحنا في الأردن ». وكانت هذه المعمودية معمودية التوبة بمغفرة الخطايا، كما صرح مرقس في الآية الرابعة والخامسة. والآية الثالثة من الباب الثالث من انجيل لوقا هكذا : « فجاء الى جميع الكورة المحيطة بالأردن يكرز بمعمودية التوبة لمغفرة الخطايا ». وفي الآية الحادية عشر من الباب الثالث من انجيل متى هكذا : « أنا أعمدكم بماء للتوبة ». الخ وفي الآية الرابعة والعشرين من الباب الثالث عشر من كتاب الأعمال هكذا : « اذ سبق يوحنا فكرز قبل مجيئه بمعمودية التوبة لجميع شعب اسرائيل ». والآية الرابعة من الباب التاسع عشر من كتاب الأعمال هكذا : « فقال بولس ان يوحنا عمد بمعمودية التوبة ». الخ. فهذه الآيات كلها تدل على أن هذه المعمودية كانت معمودية التوبة لمغفرة الخطايا فمتى سلم اعتماد عيسى من يحيى عليهما السلام لزم تسليم اعترافه بالخطايا والتوبة منهما أيضا، لأن حقيقة هذا الاعتماد ليست غير ذلك. وفي الباب السادس من انجيل متى في الصلاة التي علمها عيسى عليه السلام تلاميذه هكذا : « واغفر لنا ذنوبنا كما نحن نغفر أيضا للمذنبين البناء، ولا تدخلنا في تجربة لكن نجنا من الشرير ». والظاهر أن عيسى عليه السلام كان يصلي تلك الصلاة التي علمها تلاميذه، ولم يثبت من موضع من مواضع الانجيل أنه ما كان يصلي هذه الصلاة. وستعرف في الأمر الثاني

أنه كان كثير الصلاة، فلزم أن يكون دعاؤه باغفر لنا ذنوبنا مرات كثيرة بلغت الآلاف. والعصمة من الذنوب، وإن لم تكن من شروط النبوة عند أهل التثليث، لكنهم يدعونها في حق عيسى عليه السلام باعتبار الناسوت أيضا، وكان عيسى عليه السلام بهذا الاعتبار أيضا عندهم صالحاً ومقبولاً لله لا متروكاً. فهذه الجمل (١) لماذا تدعوني صالحا الخ (٢) الهي الهي لماذا تركتني ؟ (٣) تباعد عني خلاصي بكلام جهلي. (٤) بالنهار أدعوك فلم تستجب لي. (٥) ألفاظ التوبة والاعتراف بالخطايا عند الاعتماد. (٦) اغفر لنا ذنوبنا، لا تكون محمولة على المعاني الحقيقية الظاهرية عند أهل التثليث، وإلا يلزم أنه لم يكن صالحا وكان متروكاً لله بعيداً عن الخلاص بسبب كلام الجهل غير مستجاب الدعاء، خاطئاً مذبذباً، فلا بد أن يقال إن هذه التضرعات بمقتضى المخلوقة والمربوبة باعتبار الناسوت. وفي الزبور الثالث والخمسين هكذا : ٣ الرب من السماء اطلع على بني البشر لينظر هل من يفهم أو يطلب الله ؟ ٤ كلهم قد زاغوا جميعاً والتطخأوا، وليس من يعمل صالحاً حتى ولا أحد . وفي الباب التاسع والخمسين من كتاب اشعيا هكذا : ٩ فلذلك تباعد الحكم عنا ولا يدركنا العدل انتظرنا النور فيها الظلام انتظرنا الشعاع، فيها سِرنا في الظلمة ١٢ من أجل أن آثامنا تكاثرت قدامك وخطايانا أجابتنا، لأن فجورنا معنا وآثامنا عرفناها ١٣ ان تخطيء ونكذب على الرب، واندبرنا الى خلف حتى ان لا نسلك وراء الهنا لتتكلم بالظلم والتعدي حبلنا وتكلمنا من القلب بكلام كاذب . وفي الباب الرابع والستين من كتاب اشعيا هكذا : ٦ وصرنا جميعنا كالنجس وكخرقة الحائض كل براتنا وسقطنا مثل الورق نحن جميعنا، وآثامنا كالريح ذرونا ٧ ليس من يدعو باسمك ومن يقوم ويمسكك، أخفيت وجهك عنا وأطرحنا بيد اثمنا . ولا شك أن كثيراً من الصالحاء كانوا موجودين في زمان داود عليه السلام مثل ناثان النبي وغيره. ولو فرضنا أنهم لم يكونوا معصومين، على زعم أهل التثليث، فلا ريب أنهم لم يكونوا مصداق الآية الرابعة من الزبور المذكور أيضا. ووقعت في عبارتي اشعيا عليه السلام صيغ التكلم مع الغير، واشعيا وغيره من أنبياء عهده وصلحاء زمانه وإن لم يكونوا معصومين لكنهم لم يكونوا مصاديق الأوصاف

المصرحة في العبارتين قطعاً أيضاً. فلا تكون عبارة الزبور وهاتان العبارتان محمولات على معانيها الحقيقية الظاهرية، بل لا بدّ فيها من الرجوع الى أن تلك التضرعات بمقتضى العبودية. وكذا وقع في الباب التاسع من كتاب دانيال، والباب الثالث والخامس من مراثي ارمياء، والباب الرابع من الرسالة الأولى لبطرس.

**الأمر الثاني :** ان أفعال الأنبياء كثيراً ما تكون لتعليم الأمة لتستن بهم ولا يكونون محتاجين الى هذه الأفعال لأجل أنفسهم. في الباب الرابع من انجيل متى أن عيسى عليه السلام صام أربعين نهراً أو أربعين ليلة. والآية الخامسة والثلاثون من الباب الأول من انجيل مرقس هكذا : « وفي الصباح باكراً جداً قام وخرج ومضى الى موضع خلاء وكان يصلي هناك ». والآية السادسة عشر من الباب الخامس من انجيل لوقا هكذا : « وفي تلك الأيام خرج الى الجبل ليصلي وقضى الليل كله في الصلاة لله ». ولما كان اتحاد المسيح بذات الله على زعم أهل التثليث، فلا حاجة له الى هذه التكاليف الشديدة. فلا بدّ أن تكون هذه الأفعال لأجل التعليم.

**الأمر الثالث :** إن الألفاظ المستعملة في الكتب الشرعية مثل الصلاة والزكاة والصوم والحج والنكاح والطلاق وغيرها يجب أن تحمل على معانيها الشرعية ما لم يمنع عنها مانع. ولفظ الذنب في هذا الاصطلاح الشرعي اذا استعمل في حق الأنبياء يكون بمعنى الزلة، وهي عبارة عن أن يقصد معصوم عبادة، أو أمراً مباحاً ويقع بلا قصد وشعور في ذنب لمجاورة هذه العبادة أو الأمر المباح بهذا الذنب، كما أن السالك يكون فصدّه قطع الطريق، لكنه قد يزل قدمه أو يعثر بسبب طين أو حجر واقع في ذلك الطريق، أو يكون بمعنى ترك الأولى.

**الأمر الرابع :** إن وقوع المجاز في كلام الله وكلام أنبيائه كثير، كما عرفت بما لا مزيد عليه في مقدمة الباب الرابع. وقد عرفت أيضاً في جواب الشبهة الرابعة من الفصل الرابع من الباب الخامس أن حذف المضاف كثير في كتبهم المقدسة.



الأمر الخامس : إن الدعاء قد يكون المقصود به محض التبعيد، كما في قوله تعالى ﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ﴾ فإن ابتداء ذلك الشيء واجب، ومع ذلك أمرنا بطلبه. وكقوله تعالى ﴿رَبِّ أَحْكَمْ بِالْحَقِّ﴾<sup>(١)</sup> مع أننا نعلم أنه لا يحكم إلا بالحق.

وإذا عرفت الأمور الخمسة أقول : ان الاستغفار طلب الغفران والغفران الستر على القبيح، وهذا الستر يتصور على وجهين : الأول بالعصمة منه، لأن من عصم فقد ستر عليه قبايح الهوى. والثاني بالستر بعد الوجود. فالغفران في الآيتين الأوليين بالوجه الأول في حق النبي ﷺ، وفي الثانية بالوجه الثاني في حق المؤمنين والمؤمنات. قال الإمام الهمام الفخر الرازي قدس سره في ذيل تفسير الآية الثانية هكذا : « وفي هذه الآية لطيفة وهي أن النبي ﷺ له أحوال ثلاثة : حال مع الله، وحال مع نفسه، وحال مع غيره. فأما مع الله فوحده، وأما مع نفسه فاستغفر لذنبك واطلب العصمة من الله، وأما مع المؤمنين فاستغفر لهم واطلب الغفران لهم من الله ». انتهى كلامه بلفظه. أو أن المقصود من الأمر بالاستغفار في الآيتين محض التبعيد، كما في قوله تعالى : ﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ﴾<sup>(٢)</sup> وكقوله : ﴿رَبِّ أَحْكَمْ بِالْحَقِّ﴾ ، كما عرفت في الأمر الخامس، أو أن المقصود من هذا الأمر أن يكون الاستغفار مستنواً في أمته. فاستغفاره ﷺ كان لتعليم الأمة. في الجلالين ذيل تفسير الآية الثانية هكذا : « قيل له ذلك مع عصمته ليستن به أمته ». انتهى. أو ان المضاف في الآيتين محذوف، والتقدير في الآية الأولى : « فاصبر ان وعد الله حق واستغفر لذنب أمتك » الآية. وفي الآية الثانية : « فاعلم أنه لا إله إلا الله، واستغفر لذنب أهل بيتك ولذنب المؤمنين والمؤمنات الذين ليسوا من أهل بيتك، فلا بعد في ذكر المؤمنين والمؤمنات ». وقد عرفت في الأمر الرابع أن حذف المضاف كثير شائع في

(١) سورة الأنبياء ( ١١٢ ) .

(٢) سورة آل عمران ( ١٩٤ ) .

كتبهم، أو أن المراد بالذنب في الآيتين الزلة أو ترك الأفضل. وسمعت من الأحياء أن بعض من بلغ سن الخرافة من علماء پروتستنت اعترض على هذا التوجيه في بعض تأليفه الجديد، وقال : « فرضنا أنه ما ظهر من محمد ﷺ ذنب من الذنوب غير ترك الأولى، فترك الأولى أيضا ذنب على ما يحكم به كلام الله أعني التوراة والانجيل، فيكون محمد ﷺ مذنباً قال يعقوب في الآية السابعة عشر من الباب الرابع من رسالته هكذا : « فمن يعرف ان يعمل حسنا ولا يعمل فذلك خطيئة له ». انتهى. أقول : هذا منشؤه خرافة السن لأنه لا شك أن ترك شرب الخمر حسن حتى مدح الله يحيى عليه السلام على هذا، وقال الأنبياء في حقها ما قالوا، وكذا لا شك أن عدم الاذن لفاحشة مباحة بغى في غسل الرجلين ومسحهما بشعر رأسها بمحضر ملا من الناس حسن، وكذا ترك المخالطة الشديدة بالنساء الأجنبية الشواب والجولان معهن في القرى الشرقية حسن، سيما اذا كان الرجل المخالط شاباً عزباً. وما فعل هذه الأمور الحسنة عيسى عليه السلام، حتى أن المخالفين طعنوا عليه، كما عرفت في جواب المطعن الثالث. فيلزم على رآيه أن يكون الهه أيضا مذنباً. على أن هذا المعارض زاد لفظ التوراة لأجل تغليط العوام، ولا يوجد هذا الحكم في التوراة. وهو ما أورد سنداً لهذا إلا من رسالة يعقوب التي ليست الهامية على تحقيق العلماء الاعلام من فرقة پروتستنت، سيما على تحقيق أمامه ومقنّده لوطر، كما عرفت في الفصل الرابع من الباب الأول. فكلام يعقوب على هؤلاء العلماء ليس بحجة. فاعترضه واه بلا شبهة. وأما الآية الثالثة فالمضاف محذوف، أو المراد بالذنب ترك الأفضل، أو المراد بالغفران العصمة. وقال الإمام السبكي وابن عطية ان المقصود من هذه الآية ليس اثبات وصدور ذنب وغفرانه، بل المقصود منها تعظيم رسول الله ﷺ وإكرامه فقط. لأن الله أظهر تعظيمه وإحسانه في أول هذه السورة، فبشر أولاً بالفتح المبين، ثم جعل غاية هذا الفتح الغفران وانمام النعمة وهداية الصراط المستقيم واعطاء النصر العزيز. فلو فرض صدور ذنب ما يكون مخللاً لبلاغة الكلام، فمقتضاها التكريم والتعظيم. كما أن السيد اذا رضي عن خادمه يقول تارة لإكرامه وإظهار رضاه، عفوت عنك خطيئاتك المتقدمة والمتأخرة ولا

أؤاخذك عليها، وإن لم يصدر عن هذا الخادم خطيئات. وأما الدعاء المذكور في الحديث فتوجيهه أن رسول الله ﷺ، لما كان أرفع الخلق عند الله درجة وأتمهم به معرفة، وكان حاله عند خلوص قلبه عن ملاحظة غير ربه اقباله بكليته عليه ارفع حاله بالنسبة الى غير ذلك، كان يرى شغله بما سواه، وإن كان ضرورياً، نقصاً وانحطاطاً من رفيع كماله. فكان يستغفر الله من ذلك طلباً للمقام الاعلى. فكان هذا الشغل الضروري أيضاً عنده بمنزلة الذنب الذي لا بد أن يستغفر عنه بالنسبة الى أعلى حاله أو كان صدور مثل هذا الدعاء بمقتضى العبودية كما أن عيسى عليه السلام بمقتضى العبودية نفى الصلاح عن نفسه واعترف بالخطايا عند الاعتماد، ودعا مراراً باغفر لنا ذنوبنا ونفوه بهذه الجملة : الهي الهي لماذا تركتني — وتباعد عني خلاصي بكلام جهلي — الهي بالنهار أدعوك فلم تستجب لي. أو كان هذا الدعاء لأجل التبعد المحض، كما عرفت في الأمر الخامس. أو كان لأجل تعليم الأمة. أو أن الذنب المذكور فيها بمعنى الزلة وترك الأولى، كما عرفت في الأمر الثالث. وعلى كل تقدير لا يرد شيء. وهذه التوجيهات الخمسة تحري كلها أو بعضها في الأحاديث التي تكون مثل الحديث المذكور. وإذا لم يثبت من الآيات والأحاديث المذكورة التي استدلت بها المعارض كون محمد ﷺ مذنباً ثبت كذب الصغرى. وأما كذب الكبرى فلأن كليتها ممنوعة، لأنها إما أن يثبتها المعارض بعندية أهل التثليل أو بالبرهان العقلي أو بالبرهان النقلي. فإن كان الأول فعنديهم هذه لا تتم علينا، كما لا تتم أكثر عندياتهم، على ما عرفت في الفصل الثاني من الباب الخامس. وإن كان الثاني فعليهم بيان ذلك البرهان. وعلينا النظر في مقدماته وأنى لهم ذلك. ولا استبعاد في أن يغفر الله ذنوب واحد بلا واسطة ثم يقبل شفاعته في حق الآخرين. على أن قبح الذنب عقلاً ما لم يغفر، فإذا غفر لا يبقى قبحه لوجه ما. وقد يوجد التصريح في الآية الثالثة التي نقلوها بزعمهم الفاسد لاثبات الذنب بأن قال « ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ». فإن صارت ذنوب محمد ﷺ متقدمة كانت أو متأخرة مغفورة في هذه الدار الدنيا فما بقي شيء مانع في أن يكون شافعاً للآخرين في الدار الأخرى. وإن كان الثالث فغلط يقيناً ألا ترى أن بني

اسرائيل لما عبدوا العجل أراد الله أن يهلك الكل فشفع موسى عليه السلام لهم، فقبل الله شفاعته وما أهلك، كما هو مُصرح به في الباب الثاني والثلاثين من سفر الخروج. ثم قال الرب لموسى : اذهب أنت وبنو اسرائيل الى أرض كنعان وأنا لا أذهب معكم، فشفع موسى، فقبل الله شفاعته، وقال أنا أذهب معك، كما هو مُصرح به في الباب الثالث والثلاثين من سفر الخروج. ثم لما عصوا أراد الله مرة أخرى أن يهلكهم فشفع موسى وهرون عليهما السلام، فقبل الله شفاعتهما. ثم لما عصوا مرة أخرى أرسل الله عليهم حيات تلدغهم فجاؤا الى موسى مستشفعين، فشفع لهم، فقبل الله شفاعته، كما هو مُصرح به في الباب السادس عشر والباب الحادي والعشرين من سفر العدد. فلا استحالة عقلاً ولا نقلاً في كون محمد ﷺ شفيع المذنبين. اللهم ابعثه مقاماً محموداً الذي وعده وارزقنا شفاعته يوم القيامة. وليكن هذا آخر الباب.

وقد ابتدأت في تأليف هذا الكتاب في اليوم السادس عشر من شهر رجب المنسلت في سنة ألف ومائتين وثمانين من هجرة سيد الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين. وفرغت منه في آخر ذي الحجة من السنة المذكورة والحمد لله رب العالمين وصار تاريخ ختمه ( تأييد الحق برحمة الله ١٢٨٠ ) فاعوذ بالله من الحاسد الذي لا ينال من المجالس إلا مذمة وذلاً، ولا ينال من الملائكة إلا لعنة وبغضاء، ولا ينال من الخلق إلا جزعاً وغماً، ولا ينال عند التزع إلا شدة وهولاً، ولا ينال عند الموقف إلا فضيحة ونكالا. وأفوض أمري الى اللطيف الخبير انه نعم المولى ونعم النصير. وأقول متضرعاً ومترجياً ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا، ربنا ولا تحمل علينا اصراً كما حملته على الذين قبلنا، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين.

هذه فقرات حسبت فكانت كل واحدة منها تاريخ انتهاء تأليف الكتاب أيضاً.

١٢٨٠ رحمة الله له كتاب حق

١٢٨٠ هو كشمس الضحى

١٢٨٠ فيض القدير الوهاب

١٢٨٠ هو برهان أعظم

حمدا لمن لم يتخذ ولدا ولم يكن له في ملكه شريك أبداً، هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وأيده بمحكم كتاب أعجز البلغاء عن أن يأتوا بسورة من مثله، وصلاة وسلاماً على هذا النبي الأصيل والسيد النبيل المبشر به في التوراة والانجيل سيدنا محمد وآله وصحبه الهادين إلى سواء السبيل الدامعين لجيوش الأباطيل. وبعد، فقد تمّ طبع هذا الكتاب الجليل عديم النظير والمثيل، المنبئ بتحقيقاته عن معالم اليقين والصدق الحقيقي بتسميته باظهار الحق تأليف مولانا المحقق انسان عين كل انسان الأستاذ رحمة الله الهندي ابن خليل الرحمن فله دره، لقد أودع فيه مباحث المسائل الخمس المتنازع فيها بين المسيحيين والمسلمين، أعني النسخ والتحريف والتثليث وحقية القرآن ونبوّة سيد المرسلين ولعمري أنه لكتاب نفيس من منن علام الغيوب حقيق بأن يكتب بالتبر على صفحات القلوب معتمد في تصحيحه على نسخ محررة معول عليها. وبذا يكون المرجع لدى أهل الحق إليها ولتمام النفع بهذا الكتاب وليحظى منه بكثير الفوائد الأذكياء الانجباب، تحلت طرره بأربع رسائل تقر بمطالعتهم العيون، وتنفي العوابة عن كل قلب مفتون، احداها للشيخ رفاعي الخولي وهي مكتوبة بلسان أردو للسيد عبدالله الهندي، والثانية لصاحب اظهار الحق وهي خلاصة الترجيح للدين الصحيح، والرابعة مختصر الأجوبة الجليّة لدحض الدعوات النصرانية وكلاهما للاسناد الطيبي. وذلك على ذمة ملتزمة الماجد النبيه حضرة السيد محمد عبد الواحد بك الضوي وأخيه نظر الله اليهما بعين عنايته وكلاهما بحفظه ورعايته. وكان هذا الطبع الفائق وتمثيل هذا الشكل الرائق بالمطبعة العامرة العلمية الثابت محل ادارتها بشارع الصنادقية أمام الأزهر الشريف والمعبد الأنور المنيف ادارة المتوسلين بسيد النبيين، حضرة السيد عمر هاشم وأخيه السيد محمد هاشم الكنبيين وذلك في أواخر شهر رجب الحرام من عام ١٣١٦ من هجرة سيد الأنام عليه الصلاة والسلام وآله وأصحابه الكرام ما تعاقبت الليالي والأيام آمين.

## فهرس

الصفحة	الموضوع
	الفصل الثاني
٥	في ابطال التثليث بأقوال المسيح
	الفصل الثالث
١٥	في إبطال الوهمية المسيح
	الباب الخامس
	الفصل الاول
٣١	القرآن كلام الله
	الفصل الثاني
٥٩	رفع شبهات القسيسين على القرآن
	الفصل الثالث
٩٠	صحة الاحاديث النبوية
	الفصل الرابع
١٠٩	دفع شبهات القسيسين على الاحاديث

الصفحة	الموضوع
	الباب السادس
	الفصل الأول
١٥١	اثبات نبوة محمد
٢٠٣	الاخبارات الواقعة في حق محمد
٢٤٠	في ان الفارقليط هو محمد
٢٤٤	بطلان ادعاءات شبهات البروتستنت
	الفصل الثاني
٢٥٣	في دفع المطاعن
٢٥٤	القسم الأول: ما ذكر من ذنوب انبيائهم لم يقدح في نبوتهم
٢٧٩	القسم الثاني: الرد على مطاعن القساوسة